



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

مجلد اول

تاريخ العرب منذ ايام النبوة

تأليف د. محمد عبد السلام

طبعة

الدار العربية للعلوم والتراث

الجزء الاول

مطبعة دار الفکر للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

احاديث ام المومنين عائشه

كاتب:

مرتضى عسكرى

نشرت فى الطباعة:

كلية اصول الدين

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١١	احاديث ام المؤمنين عائشه المجلد ١
١١	اشاره
١٢	اشاره
١٨	الاهداء
٢٠	مقدمه الطبعه الخامسه
٢٨	تمهيد
٣٦	أم المؤمنين عائشه في سطور
٣٦	اشاره
٣٨	أم المؤمنين عائشه:
٣٨	اشاره
٤٠	ادوار من حياتها
٤٢	في بيت الرسول (ص)
٤٢	اشاره
٤٢	سماتها العامه:
٤٢	في حياتها الزوجيه:
٤٣	تعقبها النبي (ص):
٤٤	كسر أواني أزواج الرسول (ص):
٤٥	كسر اناء صفته:
٤٦	مع صفته:
٤٧	مع سوده:
٤٨	حكمه تعدد زوجات الرسول (ص):
٤٨	اشاره
٤٩	تفسير الايات:

- ٥١ بيان الحكمه فى تعدد زوجات الرسول (ص):
- ٥٦ ظروف المسلمين فى فجر الاسلام.
- ٥٦ اشاره
- ٥٧ ١ - خديجه بنت خويلد القرشيه الاسديه أول أزواجه:
- ٥٨ ٢ - سوده بنت زمعه:
- ٥٩ ٣ - عائشه بنت أبى بكر:
- ٥٩ ٤ - حفصه بنت عمر بن الخطاب:
- ٥٩ ٥ - زينب بنت خزيمه:
- ٦٠ ٦ - أم سلمه بنت أبى أميه القرشيه:
- ٦٢ ٧ - جويره بنت الحارث:
- ٦٢ ٨ - صفيه بنت حبي بن أخطب، سيبت فى غزوه خيبر:
- ٦٣ ٩ - ميمونه بنت الحارث بن حزن الهلاليه:
- ٦٣ ١٠ - زينب بنت جحش:
- ٦٦ ١١ - أم حبيبه:
- ٦٧ الواهبات أنفسهن:
- ٧٠ نتيجه البحث:
- ٧٣ مؤاخذه أبناء الغرب الزواج المبكر لدى المسلمين -
- ٧٣ اشاره
- ٧٥ مع مليكه:
- ٧٥ مع أسماء:
- ٧٦ مع ماريه:
- ٧٧ قضه ماريه:
- ٨٤ مع ذكرى خديجه:
- ٩٤ على عهد الخليفين
- ٩٤ اشاره
- ٩٤ الخليفان

- ٩٦ الخليفتان هما:
- ١٠٣ عصور الحديث:
- ١٠٣ اشاره
- ١٠٦ رثاء الجن:
- ١١١ تبادل الحب والاحترام:
- ١١٥ نتيجة البحث
- ١١٧ في عصر الصهرين
- ١١٧ الصهران هما:
- ١١٩ في عصر الصهرين
- ١١٩ اشاره
- ١٢١ اختلافها مع عثمان:
- ١٣٣ أمارات الثورة في ولايه الوليد:
- ١٣٣ اشاره
- ١٣٤ في حدّه على السكر:
- ١٣٥ ماجرى للشهود:
- ١٣٦ عند الخليفه:
- ١٥٢ محنه المسلمين وموقف عليّ منها:
- ١٥٥ مسير أهل الامصار إلى عثمان:
- ١٨٢ منع طلحه الماء عن عثمان:
- ١٨٤ دفن الخليفه:
- ١٨٥ بيعه عليّ:
- ١٨٩ عليّ والمتخلفون عن بيعته:
- ١٩١ غايتنا من عرض هذه الحوادث:
- ١٩٢ بواعت حرب الجمل:
- ٢٢٥ استمداد عليّ من الكوفه وخطبته فيهم:
- ٢٢٦ تلاقى الجيشين والمراسله:

- ٢٣٠ الاعذار قبل الحرب:
- ٢٣٥ مقتل الزبير:
- ٢٤٠ مقتل طلحه:
- ٢٤٢ لواء الجيشين:
- ٢٤٣ الموت حول الخطام:
- ٢٤٥ الخطام بيد قريش:
- ٢٤٦ الخطام بيد ضبه:
- ٢٤٧ الافتراس عند الموت:
- ٢٤٨ اراجيز ضبه والازد:
- ٢٥٠ الازد حول الخطام:
- ٢٥٠ مقتل صاحب دار أم المؤمنين في البصره:
- ٢٥١ مبارزه ابن الزبير والاشتر:
- ٢٥٢ إشتداد الحرب:
- ٢٥٤ عقر الجمل وانتهاء الحرب:
- ٢٥٥ رعايه أم المؤمنين:
- ٢٥٧ العفو العام:
- ٢٦٠ إعادته أم المؤمنين إلى بيتها:
- ٢٦٣ حصيله الحرب:
- ٢٦٥ التحزب والحرب الكلاميه:
- ٢٦٦ أم المؤمنين من خلال هذه الحرب:
- ٢٧٢ عبدالله بن الزبير وراء هذه الحرب:
- ٢٧٥ أسطوره عبدالله بن سبأ:
- ٢٨١ بعد الجمل:
- ٢٨٤ مَع مَعَاويه
- ٢٨٤ اشاره
- ٢٨٦ أبو عبدالرحمن معاويه بن أبي سفيان وأُمَّهُ هند بنت عتبه:

٢٨٨	مُعَاوِيَه
٢٨٨	اشاره
٢٨٨	نَسَب معاويه:
٢٩١	بيت معاويه فى الجاهليه:
٣٠٢	أبو سفيان بعد إسلامه:
٣٠٧	معاويه:
٣١٣	مع أبى ذر:
٣٣٥	معاويه فى بادئ عهده:
٣٤٣	توريث السلطه:
٣٤٣	بيعه يزيد فى الكوفه:
٣٤٤	زيد فى بيعه يزيد:
٣٤٥	بيعه يزيد فى الشام:
٣٤٦	بيعه يزيد فى المدينه:
٣٤٧	المغتالون فى بيعه يزيد:
٣٤٩	البيعه:
٣٥٠	بين أم المؤمنين ومعاويه:
٣٥٢	رعايتها فى المال:
٣٥٣	نفوذ كلمتها:
٣٥٣	دور المعارضه:
٣٥٥	لقاء وعتاب:
٣٥٩	ندمها من يوم الجمل:
٣٦١	جودها:
٣٦٢	صلتها للرحم:
٣٦٦	ما كانت تلبس من الزينه:
٣٦٧	رأياها فى رضاع الكبير:
٣٧١	خلاصه البحث:

٣٧٢	أثر حديث أم المؤمنين عائشه واجتهادها
٣٧٢	اشاره
٣٧٢	أولاً - فى علوم القرآن
٣٧٢	ثانياً - فى علوم أحكام الاسلام:
٣٧٢	اشاره
٣٧٤	نوادير وطرائف:
٣٧٨	نتائج البحث:
٣٧٩	دواعى وضع الحديث:
٣٩٧	حديثها فى عثمان:
٣٩٨	خاتمه البحث:
٤٠٠	الملحق آراء العلماء حول الكتاب أحاديث أم المؤمنين عائشه
٤٢٢	الفهارس الفنيه
٤٢٢	اشاره
٤٢٤	فهرست اعلام الرجال و النساء
٤٥٢	فهرست الوقائع التاريخيه
٤٤١	فهرست الكتب والوثائق
٤٧٠	فهرست اسماء المؤلفين
٤٧٤	فهرست الايات القرآنيه
٤٧٤	فهرست الاحاديث
٤٧٨	فهرست الاشعار
٤٨١	فهرست الموضوعات
٤٨٨	تعريف مركز

سرشناسه : عسکری، مرتضی، - ۱۲۹۳

عنوان و نام پدیدآور : احادیث ام المومنین عائشه / تالیف مرتضی العسکری

مشخصات نشر : تهران: کلیه اصول الدین، - ۱۴ = ۱۴۱۸ - ۱۳ - ۱۹ ق. = ۱۹۹۷ م. = ۱۳۷۶.

مشخصات ظاهری : ج ۲

شابک : ۹۶۴-۵۸۴۱-۱۹-۴۱۹۰۰۰ ریال: (دوره)؛ ۹۶۴-۵۸۴۱-۱۹-۴۱۹۰۰۰ ریال: (دوره)

وضعیت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلی

یادداشت : چاپ قبلی: المجمع العلمی اسلامی؛ ۱۴۱۸ ق. = - ۱۳۷۶

یادداشت : بالای عنوان: دراسات فی الحدیث و السیره.

یادداشت : ج. ۱ (چاپ هفتم: ۱۴۲۵ ق =) ۱۳۸۳

یادداشت : عنوان روی جلد: دراسات فی الحدیث و التاریخ: احادیث ام المومنین عائشه.

عنوان روی جلد : دراسات فی الحدیث و التاریخ: احادیث ام المومنین عائشه.

عنوان دیگر : دراسات فی الحدیث و التاریخ: احادیث ام المومنین عائشه

موضوع : عائشه بنت ابی بکر، ۹ قبل از هجرت - ۵۸ ق. -- احادیث

شناسه افزوده : دانشکده اصول دین

رده بندی کنگره : BP۲۶/۴ ع/الف ۳ ۱۳۷۶

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۷۲۴

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۸-۱۷۹۷۲

احاديث ام المومنين عائشه

ص: ٢

احاديث ام المومنين عائشه

تاليف مرتضى العسكري

ص: ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٥

بسمه تعالى

فقدت زمان طبع هذا الكتاب أولاً:

أخي الاكبر العالم الثقة الحاج السيّد علي آل شيخ الاسلام

وبعدهُ: أخي في الله السبرّ الثقة الحاج آغا محمّد نجل الفقيه الورع العالم الربّاني المجاهد في سبيل الله الحاج آغا حسين الطباطبائي القمّي، وإليهما اهدى ثواب هذا الكتاب.

المؤلّف

ص: ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمه الطبعه الخامسه

الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على أشرف الانبياء

والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد، مضى على طبعه الكتاب الاولى نيف وثلاثون سنه وكثرت

الايخطاء فى طبعاتها المتكرره فقام ولدى السيد كاظم العسكرى بتصحيح الكتاب وأضفت إليه بحث حكمه تعدد زوجات الرسول (ص) جوابا على ما تقوله المستشرقون وغيرهم من خصوم الاسلام على رسول الله (ص) فى هذا الامر، جعله الله سبب هدايه لمن أراد أن يتذكر، وتقبل أعمالنا، إنه سميع الدعاء.

المؤلف

ص: ٩

العالم المصرى الفقيه الشيخ محمود أبو ريّه. صاحب البحوث الضافيه النافعه فى الحديث والاجتماع. ولد عام ١٨٨٩ م وتوفى بجيزه القاهره عام ١٩٧٠ م.

تحدّث عن كتاب أحاديث عائشه فى كلمته التاليه:

يحسب العامه وأشباه العامه من الذين يزعمون أنّهم على شىء من العلم أنّ التاريخ الاسلامى (وبخاصه فى دوره الاول) قد جاء صحيحاً لا يريب فيه، وأن رجاله جميعاً ثقات لا يكذبون، وهم - من أجل ذلك - يصدّقون كل خبر جاء عن هذه الفتره، ويشدون أيديهم على تلك الاحاديث التى شحنت بها الكتب المشهوره فى الحديث، تلك التى حملت الطمّ والرّم، والغثّ والسمين، والصحيح القليل، والموضوع الكثير.

وقد بلغ من ثقتهم بأحاديث هذه الكتب، أن من يشك فى حديث منها يُعدّ فى رأيهم فاسقاً!!

وإذا كان الله قد آتاهم عقولاً ليفهموا بها، وفهوماً يزنون بها، فإنهم يعطلون هذه المواهب استمسكاً بالتقليد الاعمى، والتعبّد لمن سلف!

وإذا أنت بصّرتهم بالحق، وبيّنت لهم المحجّه الواضحه؛ لوّوا رؤوسهم، وأصروا على معتقداتهم واستكبروا استكباراً.

وليتك تسلم من ألسنتهم، بل يرمونك بشتائمهم وسبابهم، ويسلقونك بألسنتهم، وقد بلوت ذلك منهم عندما أخرجت كتابى (أضواء على السنّه المحمّديه) الذى أرّخت فيه الحديث، وكشفت كيف روى، وما شاب رواياته من الموضوعات، ومتى دوّن، وما إلى ذلك مما يجب بيانه. فإنهم ما كادوا يقرأونه حتّى هبّت على أعاصير الشتائم والسباب من كل ناحيه، من مصر

والحجاز والشام! فلم أبال كل ذلك بل استعذبتة لأنني على سبيل الحق أسير؛ فلا يهمني شيء يلاقيني في هذا السبيل مهما كان. ومن عجيب أمر هؤلاء الذين يقفون في سبيل الحق حتى لا يظهر، ويمنعون ضوء العلم الصحيح أن يبدو، أنهم لا يعلمون مقدار ما يجنون من وراء جمودهم، وأن ضرر هذا الجمود لا يقف عند الجنايه على العلم والدين فحسب؛ بل يمتد إلى ما وراء ذلك. فإن الناشئين من المسلمين وغير المسلمين الذين بلغوا بدراستهم الجامعيه العلميه إلى أنهم لا يفهمون إلا بعقولهم، وما وصلوا إليه بعلمهم، قد انصرفوا عن الاسلام لما بدا لهم على هذه الصوره المشوّهه التي عرضها هؤلاء الشيوخ عليهم.

من أجل ذلك كله كان من الواجب الحتم على العلماء المحققين الذين

حرّروا أعناقهم من أغلال التقليد، وعقولهم من رق التعبد للسلف، أن يشمروا عن سواعد الجد، ويتناولوا تاريخنا بالتمحيص، وأن يخلصوه من شوائب الباطل والعصبيات، ولا يخشون في ذلك لومه لائم.

وإنني ليسرني كل السرور أن أشيد بفضل عالم محقق كبير من علماء العراق قد نهض ليؤدي ما عليه نحو الدين والعلم فأخرج للناس كتباً نفيسه كانت كالمراه الصافيه التي يرى فيها المسلمون وغير المسلمين تاريخ الاسلام على أجمل صورته في أول أدواره، ذلكم هو الاستاذ (مرتضى العسكري) فقد أخرج لنا - من قبيل - كتاب (عبدالله بن سبأ) أثبت فيه بالادله القاطعه، والبراهين الساطعه، أن هذا الاسم لم يكن له وجود، وأن السياسه (لعنها الله) هي التي ابتدعت هذا الاسم لتجعله من أسباب تشويه وجه التاريخ، ويبين أن شيخ المؤرخين في نظر العلماء وهو الطبري قد جعل جل اعتماده في تاريخه ورواياته على رجل أجمع الناس على تكذيبه. ومن الغريب أن جميع المؤرخين الذين جاؤوا بعد الطبري قد نقلوا عن ابن جرير كل رواياته بغير تمحيص ولا نقد، وهذا الرجل الكذاب هو: سيف

وأردف العلامة مؤلف هذا الكتاب النفيس بكتاب آخر أكثر منه نفاسه هو كتاب (أحاديث عائشه) وقد تناول في هذا الكتاب تاريخ هذه السيده لا كما جاء من ناحيه السياسه والهوى والعصبيه، ولكن من أفق الحقيقه التي لاريب فيها، وكتبه بقلم نزيه يرضى حرمه العلم وحق الدين. لا يخشى في الله لومه لائم.

أشار الاستاذ في تمهيده لكتابه إلى ما في الاحاديث التي نسبت إلى النبي (ص) من اختلاف بين حديث وآخر، وبين بعض تلك الاحاديث، وآى من القرآن الكريم مما كان مثار الطعن والنقد إلى النبي من اعداء الاسلام.

ثم بين أن هذه الاحاديث إن هي إلا- مجموعات مختلفه رويت عن رواه مختلفين، وعلى الباحث العالم النزيه أن يقوم بتصنيفها نسبه إلى روايتها... ثم يدرس أحاديث كل منهم على حده، وبخاصه أحاديث الرواه المكثرين أمثال: عائشه، وأبى هريره، وأنس، وابن عمر، مع دراسه حياه راويها، وبيئته وظروفه، ثم مضى يقول:

((إنّ التاريخ الاسلامى منذ بعثه الرسول حتّى بيعه يزيد بن معاويه لا يفهم [فهماً] صحيحاً إلا بعد دراسه أحاديث أمّ المؤمنين (دراسه موضوعيه) ولانّ الاستاذ المؤلّف: بصدد البحث عن التاريخ الاسلامى فى دوره الاوّل فقد قدّم هذه الدراسه على غيرها من الدراسات).

وبعد أن بيّن صعوبه هذه الدراسه لما يجد فى سبيلها من عقبات متعدده أخذ فى موضوع دراسته فيّين نسب عائشه، ومولدها، وتزوجها من النبي (ص) وما صنعته معه (كامراه) - كما قال شوقى - من مكر وكيد (إنّ كيدهن عظيم).

وإنّها قد أقامت مع النبي نيفاً وثمانيه أعوام، ثمّ أخذ يذكر أنها كانت تؤيد خلفاء النبي: أبا بكر وعمر وعثمان فى أوّل خلافته، ثمّ انحرافها عنه وترأسها للمعارضه له حتّى بلغ من أمرها أنها كانت تحرض على قتله، وما أن قتل هذا

الخليفه بسبب خروجه عن نهج سابقه، وتركه الامر لقومه يتصرفون فيه بأهوائهم؛ حتى (برزت) تُعارضُ علياً معارضهً شديدً لم يلق مثلها من غيرها، وكان أول شيء بدأ منها لهذا الامام العظيم أنها ما كادت تعلم نبأ بيعته حتى ثارت ثائرتها وصاحت: لا يمكن أن يتم ذلك! ولو انطبقت هذه على هذه - أى السماء على الارض - ومالبت أن ألّبت عليه طلحه والزبير وقادوا جميعاً الجيوش الجزاره لمحاربه عليّ (رضى الله عنه) فى وقعه الجمل وكانت تركب جملاً من المدينه إلى البصره، وبعد أن انتهت هذه المعركه بسفك الدماء المحترمه، وبقتل طلحه؛ أعادها عليّ (رضى الله عنه) إلى المدينه مكرمهً لم ينلها سوء، ولكنها لم تحفظ له هذا الجميل، ولم ترجع عن غيها، وظلت ضده بكل وسيله وكان من ذلك أن كانت تؤيد معاويه فى حروبه ضدّ عليّ (رضى الله عنه) ولم تهدأ ثائرتها حتى قُتِلَ عليّ، فقرت عينها، وهدأت نفسها، وتمثلت عند قتله بقول الشاعر:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافر

وقد كان ذلك بسبب ضغنها لعلّي (رضى الله عنه)، وما يکنه صدرها له لانه زوج فاطمه بنت خديجه، وما كان لموقفه من حديث الافك مما بينه شاعر الاسلام الكبير أحمد شوقى بأحسن بيان فقال يخاطب علياً (رضى الله عنه) بقوله:

ياجبلاً تأبى الجبال ما حمل

هذا بعض ما قاله شاعر الاسلام فى عليّ (رضى الله عنه)، وما رمت به عائشه، وقد خاطبها عليّ (رضى الله عنه) فى كتاب أرسله إليها وإلى طلحه والزبير أثناء وقعه الجمل، لو أنها عقلته وتدبرته لاشتد ندمها ولاستغفرت الله

مما أجتاحت وإن كان الظن أن الله لا يغفر لها: قال (رضى الله عنه):

وَأَمَّا أَنْتِ يَا عَائِشَةَ فَإِنَّكَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ عَاصِيَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ تَطْلِبِينَ أَمْرًا كَانَ عَنْكَ مَوْضُوعًا، ثُمَّ تَزْعَمِينَ أَنَّكَ تَرِيدِينَ الْإِصْلَاحَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَخَبِرْنِي مَا لِلنِّسَاءِ وَقَوْدُ الْجِيُوشِ؟ وَالْبُرُوزُ لِلرِّجَالِ؟ وَالْوُقُوعُ بَيْنَ أَهْلِ الْقَبْلَةِ، وَسَفْكَ الدِّمَاءِ الْمُحْتَرَمِ؟ ثُمَّ إِنَّكَ عَلَى زَعْمِكَ طَلَبْتِ دَمَ عَثْمَانَ، وَمَا أَنْتِ وَذَاكَ؟ وَعَثْمَانُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَأَنْتِ مِنْ تَيْمٍ؟ ثُمَّ إِنَّكَ بِالْأَمْسِ تَقُولِينَ فِي مَلَأَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ: اقْتُلُوا نَعْتَلًا فَقَدْ كَفَرُوا! ثُمَّ تَطْلِبِينَ الْيَوْمَ بَدْمَهُ! فَاتَقَى اللَّهُ وَارْجِعِي إِلَى بَيْتِكَ وَأَسْبَلِي عَلَيْكَ سِتْرَكَ وَالسَّلَامَ.

هذه لمعه خاطفه مما حواه كتاب (أحاديث عائشه) ولو نحن ذهبنا نبين ما فضّله هذا العالم المحقق في كتابه هذا مما أوفى به على الغايه، ولم نر مثله من قبل لغيره؛ لاحتجنا إلى كتاب برأسه...

وإذا كان لا بد من كلمه نختم بها قولنا هذا الموجز فإننا نقول مخلصين: إنه يجب على كل من يريد أن يقف على حقيقه الاسلام في مستهل تاريخه إلى بيعه يزيد فليقرأ كتابي هذا العلامه: (عبدالله بن سبأ، وأحاديث عائشه) وليتدبر ما جاء فيهما، فإن فيهما القول الفصل.

أما ما نرجوه من العلامه مؤلفهما فهو أن يغدّ السير في هذا الطريق الذي اختطّه حتّى يتمّ ما أخذ نفسه به.

والله ندعو أن يكتب له التوفيق، والسداد في عمله، إنه سميع الدعاء.

محمود أبو ريّه

القاهره: عن جيزه الفسطاط ليله الجمعه

١٨ رمضان المبارك ١٣٨١ هـ

الموافق ٢٣ فبراير ١٩٦٢ م

ص: ١٥

لقد انتبه كثير من الباحثين إلى ما فى الحديث النبوى الشريف، من اختلاف بين حديث وآخر منه، أو بين بعض تلك الاحاديث وآي من القرآن الكريم؛ فحدا ذلك بفريق من علمائنا السلفين إلى (تأويل مختلف الحديث وبيان مشكله (١))، ليدفعوا بذلك ما اورد على نبى الاسلام وحديثه. كما أن الخصومه قد دفعت فريقاً آخر من الباحثين من أمثال الملاحده ومبشرى النصارى، ولفيف من المستشرقين؛ إلى توجيه مختلف الطعن والنقد إلى نبى الاسلام ودينه؛ مستنديين فى هجومهم العنيف إلى ما فى ظواهر تلك الاحاديث من تهافت واختلاف. وقد فات أولئك وهؤلاء أن تلك المجموعه الضخمه من الاحاديث والتى يناقض بعضها بعضاً ليست كلها سياقاً واحداً ليؤلف مجموعها وحده تدرس على ضوء أنها صادرة عن نبى الاسلام، وإنما هى مجموعات مختلفه من احاديث رويت لنا عن رواه مختلفين؛ وعلى الباحث أن يقوم بتصنيفها نسبه إلى روايتها؛ فينسب إلى (أم المؤمنين عائشه) - مثلاً - احاديثها، وإلى (أنس) و (أبى هريره) و (ابن عمر) (٢) احاديثهم، ثم يدرس احاديث كل

ص: ١٧

- ١- ابن قتيبه: عبد الله بن مسلم (٢٨٠ أو ٢٧٦ هجرى) مؤلف ((تأويل مختلف الحديث)). وابن فورك: أبو بكر محمد أو حسين بن فورك (١٤٠٦ أو ٤٤٦ هجرى) ألف: ((بيان مشكل الحديث)). والطحاوى: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلمه أو سلامه بن عبد الملك الازدى (٣٢١ أو ٣٢٢ هجرى) ألف: ((بيان مشكلات الاثار)).
- ٢- أ - أنس بن مالك بن النضر الخزرجى النجارى جاء فى حديثه انه خدم النبى عشر سنين وقد خرجوا له ٢٢٨٦ حديثاً، توفى سنه (٩٢ أو ٩٣ هجرى) فى البصره ودفن هناك. ترجمته فى الاستيعاب ص ٤٠ وفى اسد الغابه ١٢٧/١-١٢٩ وفى الاصابه ٢٢٧/١ وجوامع السيره ٢٧٦. ب - أبو هريره الدوسى. اختلفوا فى اسمه ونسبه ولم يكن فى الصحابه من روى عن النبى أكثر منه؛ اخرجوا له ٥٣٧٤ حديثاً عن رسول الله (ص) توفى سنه ٥٧ أو ٥٨ هجرى ودفن فى البقيع. جوامع السيره ص ٢٧٦ وترجمته فى ابن سعد ٢٠/٧، والاستيعاب واسد الغابه، والاصابه. ج - عبد الله ابن الخليفه عمر بن الخطاب، توفى بمكه سنه ثلاث وسبعين وكان سبب موته ان الحجاج أمر رجلاً - فسمّ زجّ رمحه وزحمه فى الطريق ووضع الزجّ فى ظهر قدمه؛ وقد اخرجوا له، ٢٦٣٠ حديثاً. جوامع السيره ص ٢٧٦. ترجمته فى الاستيعاب ١٥٧٩ واسد الغابه، والاصابه.

منهم وأحاديث غيرهم من الرواه المكثرين عن النبي مع دراسته حياه راويها وبيئته. أدركت هذا خلال بحثي عن حوادث تاريخيه وَقَعَتْ في صدر الاسلام، ولفت نظري في تلكم الاحاديث ماروته (أم المؤمنين عائشه) خاصه، ورأيت أن التاريخ الاسلامي منذ بعثه الرسول (ص) حتى بيعه يزيد بن معاويه لا يفهم فهماً صحيحاً إلا بعد دراسته أحاديث (أم المؤمنين) - أحد مصادر التاريخ الاسلامي المهمه - دراسته موضوعيّه، كما أنني أرى أيضاً أن فهم قسم من آي القرآن الكريم، والفقاه الاسلامي، اللذين أُسْتُنِدَ في بيانهما إلى أحاديثها متوقف على هذه الدرسته؛ ولما كنت بصدد البحث عن التاريخ الاسلامي في دوره الاول، لم يكن لي بدُّ من تقديم هذه الدرسته على غيرها من الدراسات.

صعوبات الدرسته:

وإن دراسته كهذه تدور حول الشخصيات الاسلاميه الاولى لابدّ وأن

تعرض سبيلها عقبات ليس من الهين تذليلها، ومن تلك العقبات أمام الباحث المسلم الشرقي:

(أولاً) عقائده التي نشأ عليها، وعقائد مجتمعه الذي يعيش فيه؛ والذي يرى في تلك الشخصيات مالا يراه في غيرها من البشر، ويعتقد لعصرهم مالا يعتقد له غيره من العصور.

ص: ١٨

والباحث إن لم يستطع تذليل هذه العقبة خرج من بحثه عقائدياً يدافع عن عقيدته لا دارساً يبحث عن حقيقته.

ولمّا أدركت هذه الحقيقه حاولت فى بحثى هذا أن لا- أنقاد لعواطفى فى أمّ المؤمنين عائشه، وتكريمى لها، كزوج للرّسول ال-كريم من ناحيه، وألّا- أُجرد الشخصيات الاسلاميه المحترمه، التى يدور البحث حولها عن فطره الله التى فطر الناس عليها من ناحيه ثانيه كى أستطيع القيام بدراسه موضوعيه لاحاديثها. ولست أزمع أنّى نجحت فى هذه المحاوله ولكنى بذلت الجهد فى هذا السبيل، والحكم لغيرى فى ذلك والله يعلم أنّ الذى حدانى الى هذه الدراسه إنّما هو رجاء انتفاع دارسى التاريخ الاسلامى، ودارسى قرآنه وأحكامه من هذا البحث، والله من وراء القصد.

(ثانياً) يعترض الباحث فيما إذا وفق إلى ترويض نفسه، وتذليل العقبة الانفه الذّكر عقبه أخرى بعدها، وهى الخوف من تأثير نشر هذه الدّراسات على وحده كلمه المسلمين، بعد أن بدأت تظهر فى هذا العصر بشائر تألفهم وتأخيهم نتيجة لبذل المصلحين جهوداً كبيره فى سبيل ذلك. وهل يجوز لمن يغار على مصالح المسلمين أن يبحث اليوم فى الماضى السّحيق، وينشر منها ما يوجب النّقد والرّد، ويثير الحفيظه، وينتج النفره؟! وإذا كان ذلك ممّا لا يستسيغه أحداً؛ إذن فليمتنع الجميع عن البحث والتحقيق كى لا يسبّب ذلك عقم جهود المصلحين، ويؤدّى بالمسلمين إلى مالا يحمد عقباه!.

أمّا نحن فلا نرى هذا. فإنّنا حين ندعو الله مخلصين أن يوفّق المسلمين لتلبيه نداء المصلحين بنبذ الحزازات وتوحيد الكلمه؛ لا نريد ذلك على حساب العلم والمعرفه، و نعتقد أنّ المصلحين أنفسهم أيضاً لا يريدونها كذلك، فإنّ المصلحين الغيارى يدعون إلى الاجتماع على صعيد الاسلام؛ والاسلام ليس برأى سياسى دولى؛ وإنّما هو إيمان وعقيدته؛ وهما لا يتأتّيان من كتم الحقيقه، بل إنّهما ينتجان من البحث والنقد العلمى الخالص، على أن لا ينبعث ذلك من هوى النفس بدافع الحبّ والبغض.

وما السبيل إلى معرفه مبادئ الاسلام وأحكامه غير البحث عن تاريخ الاسلام في بدء بدئه، وتمحيص الاحاديث النبويه، والتحقيق عن حال روايتها؛ لفهم منها شأن نزول القرآن الكريم؛ ولنستطيع - على ضوء هذا العلم - استنباط الاحكام الاسلاميه التي نريد أن نعمل بها، وندعو الناس إلى العمل بها أيضاً؛ ولا بد لنا في العمل من العلم.

والحق أن السعي لتقريب المسلمين بعضهم من بعض، والجهاد في سبيل إعادة حياه إسلاميه، والقيام بالبحث والتحقيق في تاريخ الاسلام وحديث نبيه (ص) لا ينافي بعضه بعضاً، وإنما يتمم بعضه بعضاً؛ فإنه لا يتمكّن من إقامة مجتمع إسلامي دون فهم لقرآنه وحديث نبيه (ص) وتاريخه، كما لا يتأتى التأخى الصحيح إلاّ بالايمان بوجود إعادة حياه إسلاميه، وإلاّ فعلى مّ يجتمع المسلمون؟ وما الذى يوحد كلمتهم؟ كما لا يتأتى التأخى أيضاً إلاّ بترويض المسلمين أنفسهم على سماع آراء بعضهم بعضاً ومناقشتها مناقشه من يطلب الحق ليتبعه، ليصدق عليهم قول الله سبحانه: (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)، وهذا ماندعو إليه، ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً الى الا هتداء به.

وبالاضافه إلى ما ذكرنا فإنّ في التاريخ الاسلامى - كغيره من تواريخ الملل والنحل في العالم - عقبات ثلاثاً غير ماذكرنا طالما اعترضت سبيل الباحثين والدارسين، وعاقبتهم عن سلوك طريق العلم.

وأولى تلك العقبات وأهمها: عاده عباده السلف الصالح؛ فقد دأب البشر منذ فجر تاريخه على عباده سلفه؛ ومن هنا نشأت عباده الاوثان، ولم يكن نسر، ويغوث، ويعوق، ووّد، وسواع(1) غير رجال صلحاء احترمهم

ص: ٢٠

١- . راجع تفسير الايه ٢٤ من سوره نوح في الدر المنثور ٢٦٩/٦، وغيره من التفاسير.

قومهم أولاً، ثم تدرّجوا إلى عبادتهم.

ومن العجيب في هذا الامر: أننا نجد السلف الصالح عندنا كان ينتقد بعضه بعضاً، ويردّه أشدّ الردّ والنقد، ويجوز لنفسه قتل من خالفه في الرأي من معاصريه، حتّى إذا انصرم عصرهم، وجاء الخلف من بعدهم؛ رأينا في المسلمين من يحرم نقدهم، فيغلق على نفسه وغيره باب العرفان والعلم.

والعقبه المهلكه الثانيه، وهى سجيّه التعصّب الذميم، والتعصّب عقبه أمام العلم لما تسدّ على الانسان منافذ النور، ومهلكه نجد لها ضحايا فى كلّ عصر وكلّ مصر؛ هذه الرىّ فى أوائل القرن السابع الهجرى (1) تدمرها العصبية المذهبية، يبيد الحنفية والشافعية الشيعة أولاً، ثم يثنى الشافعية بالحنفية، ويبدونهم حتّى يتركوا أحياءهم خراباً ياباً.

وثالثه الاثافى فى هذه العقبات تدخّل السلطه، آلهه العصور فى هذا الشأن، فهى التى أغلقت باب البحث رياء، وهى التى سدّت باب الاجتهاد سنه ٦٦٥هـ (٢) وبقي كذلك حتّى اليوم. ولا- أدرى ألم يأن للمسلمين أن يفتحوا باب البحث والتحقيق! بعد أن فكروا فى فتح باب الاجتهاد، أم إنهم لا يرضون بالتقليد بديلاً؟! لا لن يبقى الامر كذلك، فقد بزغ فجر العلم فى عصرنا نتيجة سعى المصلحين؛ وسيأتى زمان يضحك أهله من متاعبنا كما ضحكنا من تعصّب أهل الرىّ الذميم.

ومضافاً إلى ما ذكرت من عقبات فإننا قد تعودنا أن نقرأ لاحد مدحاً فلا نرضى أن نسمع له نقداً، أو نقداً فلا نرضى أن نسمع له ثناء، وفى هذا الكتاب رسمت أمّ المؤمنين كما وجدتها، سواء أكان ذاك لها ثناء، أو كان لها نقداً.

ص: ٢١

١- راجع ياقوت فى لغة الرى ٣٥٥/٤، وهذه واحده من آلاف.

٢- بيبرس البندقدارى سد باب الاجتهاد بمصر. راجع خطط المقرئى ص ١٦١، وكان جديراً بمصر مبادرتها فى هذا العصر الى فتح الباب الذى أغلقته.

فمن أراد أن يقرأ أُمّ المؤمنين كما هي في الحديث والتاريخ، ويحلّل شخصيتها من أحاديثها؛ فدونه أدواراً من حياتها في ما يأتي.
وأما من لا يستطيع اجتياز ما ذكرت من عقبات والتي هي مشتركة بين الكاتب والقارئ فليدع الكتاب لاهله، والله الموفق
للصواب.

ص: ٢٢

(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَأَن ذَلِك عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضُنَّ عَنِ الْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَوْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى).

أمّ المؤمنین عائشه فی سطور

أشاره

ص: ۲۵

عائشه: إنه أول الخلفاء، أبي بكر، عبد الله بن أبي قحافه عثمان بن عامر ابن كعب بن سعد بن تيم القرشي، وأمها أم رومان ابنه عامر بن عويمر؛ ولدت في السنة الرابعة بعد البعثه؛ وتزوجها الرسول بعد وفاه زوجته الاولى خديجه، قبل الهجره بسنتين؛ و عمرها ست سنوات؛ و بنى بها في شهر شوال، بعد مضي ثمانية عشر شهرا من هجرته إلى المدينة، و بعد غزوه بدر الكبرى؛ و قبض النبي و هي في الثامنة عشره من عمرها، و قد أقامت مع النبي ثمانية أعوام و خمس أشهر؛ و مكثت بعده في خلافه أبي بكر و عمر و صدر من خلافه عثمان من المؤيدين للحكم القائم؛ ثم انحرفت عن عثمان؛ و ترأست المعارضين، حتى إذا قتل قادت مناوئي ابن أبي طالب و خصومه إلى حربته حرب الجمل (1) - في البصره، و بعد أن غلبت في الحرب أعادها ابن أبي طالب مكرمه إلى المدينة حيث بقيت هناك حتى إذا قتل ابن أبي طالب و تربح معاويه على دست الحكم و أخذ يروج نشر فضائل آل أميه خاصه و حزب عائشه و معارضى ابن أبي طالب عامه أصبح لها في هذا الدور شأن خطير مما سنستعرضه في ما يأتي من هذا البحث إن شاء الله تعالى. و كنيته أم عبد الله، تكتت باسم ابن أختها عبد الله بن الزبير (2).

و توفيت (رض) ليله الثلاثاء لسبع عشره خلون من شهر رمضان، من السنه السابعه أو الثامنه أو التاسعه و الخمسين؛ فصلى عليها أبو هريره و هو

ص: ٢٧

- ١- سميت تلك الحرب بحرب الجمل لأن أم المؤمنين عائشه قادت جيشها في تلك الحرب و هي راكبه على جمل.
- ٢- راجع نسب قريش ص ٢٣٧، و ترجمتها في الاستيعاب.

يومذاك خليفه مروان على المدينه(١) و دفنت بوصيّه منها مع سائر أمهات المؤمنين في البقيع(٢).

ص: ٢٨

١- و كان مروان قد اعتمر في تلك السنه و استخلف ابا هريره.

٢- الاصابه (٣٨-٤٠) راجع ترجمتها في المستدرک ١٤، و الاستيعاب، و اسد الغابه.

اشاره

سماتها: حزنها المفرط كلّما بنى الرسول بزوجه جديده؛ تعقّبها الرسول الى المسجد، و الى البقيع؛ كسر أواني الطعام؛ مع صفيه؛ مع سوده؛ مع الواهبات أنفسهن؛ هى و مليكه؛ هى و أسماء؛ مع ماريه؛ قصه ماريه؛ مع ذكرى خديجه؛ مع ابنه خديجه و صهرها.

سماتها العامه:

كانت أمّ المؤمنين عائشه (رض) من أولئك القلائل من البشر، ذوى الطموح الخارق الذين لا يقتر لهم قرار دون بلوغ القمه من المجد؛ و ممّن لا يرضون لأنفسهم أن يسامهم فى العلياء بشر؛ و كانت إلى ذلك ذات مزاج عصبى حادّ عنيف، فيها حدّه طبع، و حدّه ذكاء؛ و غيره شديده؛ تغار على قلب زوجها، فلا تريد أن تشاركها فيه أنثى غيرها؛ و تغار على ذوى قرباها، و تذهب نفسها حسره على ضياع مصالحتهم، هذه هى الصفات الغالبه على حياتها العامه و على حياتها الزوجيه الخاصه، و هى بعد ذلك من النساء الخالدات فى التاريخ أبد الدهر.

فى حياتها الزوجيه:

(١)

من مظاهر غيرتها الشديده فى حياتها الزوجيه حزنها المفرط كلّما بنى

ص: ٣١

١- . بدأنا فى دراسه حياه أمّ المؤمنين بحياتها الزوجيه؛ لانا لم نجد فى حياتها بدار أبيها دور طفولتها الأولى ما يساعدنا على تفهم أحداثيتها فانها كانت قد خرجت من دار أبيها بعد إكمالها التاسعه من عمرها.

الرّسول بزوجه جديده، كما حدّثت هي بنفسها عن أثر الغيره عليها عند ما بنى بأمّ سلمه(١) و زينب و ماريّه و غيرهنّ ممّن يأتي ذكرهنّ في هذا الفصل.

تعقبها النبيّ (ص):

و تعقبها النبيّ كلّما فقدته في ليالي نوبتها، فقد حدّثت و قالت: فقدت رسول الله (ص) فظننت أنّه أتى بعض جواريه، فطلبتّه فإذا هو ساجد يقول:

ربّ اغفر لي(٢). و قالت: فقدت النبيّ ذات ليله، فظننت أنّه ذاهب إلى بعض نسائه، فتحسّست ثم رجعت فإذا هو راکع(٣). و قالت: فقدت رسول الله (ص) ذات ليله من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه و هو في المسجد و هو يقول... الحديث(٤).

و قالت: لما كانت ليلتي التي النبيّ (ص) فيها عندي انقلب فوضع رداءه و خلع نعليه فوضعها عند رجليه و بسط طرف إزاره على فراشه، ثم اضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظنّ أنّي رقدت، فأخذ رداءه رويدا و انتعل رويدا و فتح الباب فخرج ثمّ أجافه(٥) رويدا فجعلت درعي في رأسي و اختمرت و تقنّعت إزارى، ثم انطلقت على أثره حتّى جاء البقيع، فقام فأطال القيام، ثم رفع

ص: ٣٢

١- . راجع طبقات ابن سعد ٩٤٨، و سير النبلاء ١٤٧/٢ سيأتي ترجمه زينب و ماريه، أمّا أمّ سلمه فإنّ اسمها هند بنت أبي أميه سهيل زاد الركب بن المغيره المخزوميه، و امها عائكه بنت عامر، تزوجها أبو سلمه عبد الله بن عبد الاسد المخزومي، و هاجر بها إلى الحبشه الهجرتين فولدت له هناك زينب ثم سلمه و عمرو و دره، و حضر أبو سلمه أحدا فرمى بسهم ثم بقي بعد ذلك حتى انتفض الجرح و مات منه، فتزوجها الرسول بعده و توفيت في عهد يزيد بن معاويه بعد قتل الحسين. راجع ترجمتها في الاستيعاب و اسد الغابه و الاصابه و ابن سعد ٨٦/٨-٩٦.

٢- . حدثت به هلال بن يساف. راجع مسند أحمد ١٤٧/٦.

٣- . حدثت به أبا مليكه. راجع مسند أحمد ١٥١/٦.

٤- . حدثت به أبا هريره. راجع مسند أحمد ٢٠١/٦ و قريب منه حديثها لعبد الرحمن بن الأعرج ٥٨/٦.

٥- . اجاف الباب: رده.

يديه ثلاث مرّات؛ ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت (١)، فسبقته، فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: ما لك يا عائش حشياء رائبه (٢): قالت: قلت: لا- شىء يا رسول الله قال: لتخبرننى أو ليخبرنى اللطيف الخبير؛ قالت: قلت:

يا رسول الله بأبى أنت و أمى فاخبرته؛ قال: فأنت السواد المذى رأيت أمامى، قلت: نعم، فلهزنى فى ظهرى (٣) لهزه فأوجعتنى و قال: أظننت أن يحيف عليك الله و رسوله... الحديث (٤).

و قالت: إن رسول الله خرج من عندها ليلا، قالت: فغرت عليه، قالت: فجاء فرأى ما أصنع.

فقال: ما لك يا عائشه! أغرت؟! فقلت: و ما لى أن لا يغار مثلى على مثلك!

فقال رسول الله (ص): أفأخذك شيطانك؟.. الحديث (٥).

و قالت: قام النبى (ص) من الليل، فظننت أنه يأتى بعض نساءه فاتبعته فأتى المقابر، ثم قال: سلام عليكم دار قوم مؤمنين... ثم التفت فرآنى.

فقال: ويحها لو استطاعت ما فعلت (٦).

كسر أواني أزواج الرسول (ص):

و من آثار حدّه طبعها كسرها أواني أزواج النبى اللأئى كنّ يبعثن بطعام

ص: ٣٣

- ١- . الحضر: عدو الفرس، و أحضر: أى عدا مسرعا كعدو الفرس.
- ٢- . حشياء: أى مصابه بالزّبو، و ربا الفرس: إنتفخ من عدو أو فزع.
- ٣- . اللهز: الضرب بجمع الكف.
- ٤- . فى حديثها لقيس بن مخرمه بن المطلب. مسند أحمد ٢٢١/٦.
- ٥- . مسند أحمد ١١٥/٦ فى حديثها لعروه بن الزبير.
- ٦- . مسند أحمد ٧٦/٦ فى حديثها للقاسم، و راجع ١١١ منه، و فى مسند الطيالسى الحديث ١٤٢٩.

إلى النبيّ عند ما كان في دارها؛ كما صنعت ذلك بإناء أم سلمه، على ما أخرجه النسائي في صحيحه (١) عن أم سلمه: أنّها أتت بطعام في صحفه لها إلى رسول الله، فجاءت عائشه متّزّره بكساء و معها فهر (٢)، فقلقت به الصحفه، فأرسل النبيّ صحفه عائشه إلى أم سلمه.

و كسر إناء حفصه (٣) على ما أخرجه أحمد في مسنده (٤):

عن أم المؤمنين عائشه في حديث لها: قالت صنعت له طعاما، و صنعت حفصه له طعاما. فقلت لجاريتي: اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعتة قبل فاطرحي الطعام، قالت: فألقته الجاربه، فوقع القصعه (٥)، فانكسرت و كان نطعا (٦) قالت: فجمعه رسول الله (ص)، و قال: اقتصبي ظرفا مكان ظرفك.

كسر اناء صفيه:

في مسند أحمد (٧) عن عائشه قالت: بعثت صفيه (٨) إلى رسول الله بطعام

ص: ٣٤

١- . صحيح النسائي باب الغيره من كتاب العشره بسنده إلى أم سلمه النسائي (١٥٩/٢).

٢- . الفهر: الحجر ملء الكف؛ او الحجر مطلقا. الصحفه: اناء الطعام.

٣- . حفصه ابنه الخليفه عمر بن الخطاب و امها زينب بنت مضعون، ولدت قبل مبعث النبي بخمس سنوات، و تزوجها خنيس بن حذافه و هاجرت معه إلى المدينه فمات عنها بعد رجوع النبيّ من غزوه بدر، ثم تزوجها النبيّ، و توفيت في شعبان سنه خمس و اربعين في خلافه معاويه و صلى عليها مروان و دفنت في البقيع، طبقات ٨/٨٠-٨٦ و راجع ترجمتها في الاستيعاب، و اسد الغابه و الاصابه.

٤- . مسند أحمد ١١١/٦، و الكنز ٤٤/٣ بتفصيل، و في ٤٤/٤ الحديث ٩٨٣ كتاب الشمائل من قسم الأفعال.

٥- . القصعه: إناء الطعام.

٦- . النطع: بساط من الجلد.

٧- . ٢٧٧/٦ و ١٤٤؛ و النسائي ١٤٨/٢ و ١٥٩؛ و هامش الحليه ٢٨٣-٢٨٤.

٨- . صفيه بنت حبي بن أخطب من سبط هارون بن عمران من بني اسرائيل و أمها بره بنت السموأل من بني قريظه، و قد تزوجها سلام بن مشكم القرظي، ثم فارقتها فتزوجها كنانة بن -

قد صنعته له، و هو عندي، فلما رأيت الجارية أخذتني رعدة حتى استقلني (١) أفكل فضربت القصعة فرميت بها؛ قالت: فنظر إلي رسول الله (ص) فعرفت الغضب في وجهه؛ فقلت أعوذ برسول الله (ص) أن يلعنني اليوم، قالت: قال أولى، قالت: قلت: و ما كفارتة يا رسول الله؟ قال طعام قطعها و إناء كإنائها.

مع صفته:

و في طبقات (٢) ابن سعد: استببت عائشه و صفته، فقال رسول الله لصفته: ألا قلت: أبي هارون و عمي موسى؛ و ذلك أن عائشه فخرت عليها.

و روى الترمذي عنها أنها قالت: «قلت للنبي: حسبك من صفته كذا و كذا، فقال لها النبي (ص): لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته تغير»

ص: ٣٥

١- . استقلني أفكل: أخذتني رعدة.

٢- . ١٢٧/٨ عن ابن أبي عون. و راجع الحديث ١٩٨٠ من كتاب النكاح في سنن ابن ماجه، و فيه قالت عائشه: يهوديه وسط يهوديات ص ٦٢٧.

بها طعمه، أدركه لشده نثنها - (١).

و فى المستدرک (٢) عن صفیه قالت: دخل على رسول الله (ص) و أنا أبكى؛ فقال: يا ابنه حبي ما يبكيك؟ قلت: بلغنى أن عائشه و حفصه ينالان منى... الحديث.

مع سوده:

فى الإجابة (٣): سمعت أم المؤمنين عائشه سوده (٤) تشد:

«عدى و تيم تبتغى من تحالف» فقالت عائشه لحفصه: ما تعرض إلا بى و بك يا حفصه، فإذا رأيتنى أخذت برأسها فأعيني. فقامت فأخذت برأسها، و خافت حفصه فأعانتها، و جاءت أم سلمه فأعانت سوده فأتى النبى (ص) فأخبر و قيل له: أدرك نساءك يقتلن.

فقال: «ويحك ما لكن؟».

فقال عائشه: «يا رسول الله ألا تسمعها تقول: «عدى و تيم تبتغى من تحالف».

فقال: «ويحك ليس عديك و لا تيمك، إنما هو عدى تميم و تيم تميم...» الحديث.

ص: ٣٦

١- . الترمذى على ما رواه الزركشى فى الإجابة ص ٧٣ و كذلك فسره.

٢- . المستدرک على الصحيحين ٢٩/٤ و فى تلخيصه أيضا.

٣- . الإجابة / ١٨.

٤- . سوده بنت زمعه بن قيس بن عبد شمس من بنى لؤى، و أمها الشموس بنت قيس النجارى من الأنصار، و تزوجها ابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس، أسلما بمكة قديما و هاجرا إلى الحبشه فى الهجره الثانيه، ثم رجعا إلى مكه و توفى زوجها، ثم تزوجها النبى (ص) بعد وفاه خديجه، و دخل بها بمكه، توفيت فى عهد معاويه شوال سنه ٥٤ طبقات ابن سعد ٥٢/٨-٥٧.

نبدأ بحوث الكتاب بإذنه تعالى ببيان حكمه تعدد زوجات الرسول في ما يأتي:

قال الله سبحانه في سورة الاحزاب:

(يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت

يمينك مِمَّا أفاء الله عليك وبنات عمّاتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأه مؤمنه إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيماهم لكيلا- يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً * تُرجى من تشاء منهمنّ وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا- جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهنّ ولا يحزنّ ويرضين بما آتيتهنّ كلّهنّ والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليماً حليماً * لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كلّ شيء رقيباً) (الايات / ٥٠-٥٢).

شرح الكلمات:

أ - أجورهنّ: مهورهنّ.

ب - أفاء: أفاء عليه شيئاً، أى جعل له الغنيمه التي لم تلحق فيها مشقّه له.

ج - وهبت نفسها للنبي: أى طلبت من الرسول أن يتزوجها بلا مهر.

د - حرج: الحرج الضيق في باب النكاح.

ه - ترجى: ترجى هنا بمعنى تنحى عنك من تشأ.

و - تؤوى: تؤوى هنا بمعنى تضمّ إلى نفسك من تشاء منهم.

ز - الحلم: الحلم فى اللغة: الاناه وضبط النفس عند الغضب مع قدره. وفى المصطلح الاسلامى: من أسماء الله الحسنى، أى لا يعاجل بالعقوبه ويصفح.

ح - رقيباً: الرقيب فى اللغة: الحافظ المراعى، وفى المصطلح الاسلامى: من أسماء الله الحسنى، أى الحافظ الذى لا يغيب عنه شىء.

تفسير الايات:

إننا نرى أنّ بعض الايات ومن ضمنها هذه الايات نزلت لتخبر عن

انتهاء أمد العمل ببعض الاحكام التى نزلت بوحي غير قرآنى، مثل الايه ٦٥ و ٦٦ من سوره الانفال التى قال الله فيها: (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين... الان خفف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائه صابره يغلبوا مائتين...).

إننا نرى حكم (إن يكونوا عشرين يغلبوا مائتين)، كان قد نزل بوحي غير قرآنى، ولما انتهى أمد العمل به نزلت الايتان ليخبر الله فى الاولى بهما، أنّ الله كان قد أنزل بوحي غير قرآنى أن يغلب عشرون مائتين. وفى الثانيه يخبر سبحانه انتهاء أمد ذلك، والان إن يكن منكم مائه يغلبوا مائتين. وكذلك الشأن فى آيات خبر تعداد زوجات الرسول (ص) من سوره الاحزاب، فإنّ الله سبحانه أخبر فيها أنه كان قد أحلّ لخاتم أنبيائه من آتاهن مهورهن من أقاربه وغيرهن من المؤمنات اللاتى هاجرن معه، ثمّ أخبر تعالى أنه حلّ له الزواج بغيرهنّ من المؤمنات وأحلّ له امرأه مؤمنه طلبت منه أن يتزوجها ووهبت له مهرها إن أراد النبى أن يستنكحها. وإنّ هذا الحكم خاصّ بالنبى من دون المؤمنين. وقد علم الله، أى عين ما فرض عليهم فى أزواجهم وفى نساء ملكوها بشراء وغيره.

تنحى عنك من تشاء ممن وهبت نفسها لك وتضمّ إلى نفسك من تشاء

منهنّ أو يكون المعنى تؤخر من تشاء من أزواجك فلا- تضاجعها، أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء، ولعل المقصود إحلال كل ذلك لخاتم الانبياء (ص)، وأنه أحلّ له أن ينحى من شاء من الواهبات أنفسهنّ ويضمّ إلى نفسه من شاء منهنّ ويؤخر مضاجعه من شاء من أزواجه ويضاجع من شاء منهنّ لا جناح عليه في كل ذلك، ويعمل في كل ذلك بما يرى فيه من المصلحه، وإن علمهنّ أنّ نزول الرخصه في كل ذلك من الله تعالى أقرّ لا-عينهنّ وأدنى إلى رضاهنّ لما يعلمن أنّ ذلك من الله ولهنّ الثواب في طاعه الله برضاهنّ بذلك، ولو علمن أنّ ذلك من قبلك لحزنّ وحملن ذلك لميلك إلى بعضهنّ دون بعض، والله يعلم بما في قلوبكم من الرضا والسخط، وكان الله عليماً بمصالح عباده، حليماً في ترك التعجيل في عقوبتهم، ولا يحلّ لك النساء بعد نزول هذه الايات ولا أن تبدل بهنّ، تطلق بعضهنّ وتتروّج بغيرهنّ إلا ما ملكت يمينك من الكتابيات، فأحلّ له أن يتسراهنّ. ونرى أنّ هذه الايات نزلت بعد فتح مكّه وانتهاء الحرج الذي كانت المؤمنات المهاجرات يعشنه، وكان عدد زوجات الرسول (ص) يومذاك تسع نسوه من أمهات المؤمنين.

وقد جاء في أصول الكافي في تفسير الايات بسنده:

عن أبي عبدالله (ع) في قوله الله عزّ وجلّ: (يا أيّها النبيّ إنّنا أحلّلنا لك أزواجك) كم احلّ له من النساء قال: ما شاء من شيء.

وفيه بإسناده عن أبي عبدالله (ع) قال، قلت: (لا يحلّ لك النساء من بعد، ولا أن تبدل بهنّ من أزواج) فقال: لرسول الله (ص) أن ينكح ما شاء من بنات عمّه وبنات عمّاته وبنات خاله وبنات خالاته وأزواجه اللاتي هاجرن معه، وأحلّ له أن ينكح من عرض المؤمنين بغير مهر وهي الهبه، ولا- تحلّ الهبه إلا- لرسول الله (ص). فأما لغير رسول الله فلا يصلح نكاح إلا بمهر، وذلك معنى قوله تعالى: (وامرأه مؤمنه إن وهبت نفسها للنبيّ).

رجعنا فى تفسير الايات إلى تفسير الطبرى والقرطبى ومجمع البيان. ونقلنا أعلاه ما اخترنا ممّا ذكروا فى تفسير الايات. وبعد ذلكم ندرس فى ماياتى حكمه عدد زوجات الرسول (ص) بإذنه تعالى.

بيان الحكمه فى تعدّد زوجات الرسول (ص):

تعرف حكمه تعدّد زوجات الرسول (ص) مع ملاحظه الظروف الاجتماعيه التى عاشها الرسول (ص) والمسلمون الاوائل فى صدر الاسلام، وخاصّه الظروف الاجتماعيه التى كانت تعيشها النساء يومذاك. وفى هذا الصدد قال الله سبحانه:

أ - فى سورة النحل:

(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ). (الاياتان / ٥٧-٥٨)

ب - فى سورة الاسراء:

(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَهِ إِمْلَاقٌ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا). (الايه / ٣١).

ج - فى سورة الانعام:

(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ). (الايه / ١٥١)

د - فى سورة التكوير:

(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ). (الاياتان / ٨-٩)

قال القرطبى: الموءوده: المقتوله، وهى الجاربه تدفن وهى حيّه، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب، فيؤودها أى يثقلها حتى تموت.

وقال ابن عباس فى تفسير الايات:

كانت المرأه فى الجاهليه إذا حملت حفرت حفرة، وتمخضت على رأسها، فإن ولدت جاربه رمت بها فى الحفرة، وردت التراب عليها، وإن ولدت غلاماً

حبسته، ومنه قول الراجز:

سَمِيَّتْهَا إِذْ وُلِدَتْ تَمَوْتُ وَالْقَبْرُ صِهْرُ ضَامِنٍ زَمِيَّتْ

وَالزَّمِيَّتْ: الْوَقُورُ.

وفى تفسير الطبرى ما موجه:

كان الرجل من ربيعه أو مضر يشترط على امرأته، أن تستحيى جاريه وتند أخرى، فإذا كانت الجارية التى توأد غدا الرجل أو راح من عند امرأته، وقال لها: أنت على كظهر أمى إن رجعت إليك ولم تنديها، فتخذ لها فى الارض خدّاً وترسل إلى نساءها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها حتى إذا أبصرته راجعاً دسّتها فى حفرتها ثم سوت عليها التراب. (١)

وفى تفسير القرطبي والطبرى عن قتاده، قال: كانت الجاهليه يقتل أحدهم ابنته، ويغذو كلبه، فعاتبهم الله على ذلك، وتوعدهم بقوله: (وإذا المؤوده سُلت). (٢)

قال المؤلف:

إنما كانوا يغذون كلبهم لأنه كان ينفعهم فى حراسه بيتهم وماشيتهم، بينما لم تكن البنت تجلب لاولئك الوائدين نفعاً.

وقال أبو الفرج فى الاغانى:

فَمَدَّ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَسَأَلَهُ بَعْضَ الْأَنْصَارِ عَمَّا يَتَحَدَّثُ بِهِ عَنْهُ مِنَ الْمَوْودَاتِ الَّتِي وَأَدَهْنَ مِنْ بَنَاتِهِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَا وَلِدَتْ لَهُ بِنْتُ قَطُّ إِلَّا وَأَدَاهَا. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) يَحَدِّثُهُ فَقَالَ لَهُ: كُنْتُ أَخَافُ سُوءَ الْإِحْدُوْثِ وَالْفُضِيْحَةِ فِي الْبَنَاتِ، فَمَا وَلِدَتْ لِي بِنْتُ قَطُّ إِلَّا - وَأَدَتْهَا، وَمَا رَحِمْتُ مِنْهُنَّ مَوْودَةَ قَطُّ إِلَّا بَيْتِي لِي وَلِدَتْهَا أُمُّهَا وَأَنَا فِي سَفَرٍ فَدَفَعْتُهَا أُمُّهَا إِلَى أَسْوَالِهَا فَكَانَتْ فِيهِمْ، وَقَدِمْتُ فَسَأَلْتُ عَنِ الْحَمْلِ، فَأَخْبَرْتَنِي الْمَرْأَةُ أَنَّهَا وَلِدَتْ وَلَدًا

ص: ٤١

١- . - تفسير الطبرى ٣٨/٨. ط. بولاق فى تفسير (قد خسر الذين...).

٢- . ما نقلناه عن القرطبي الى هنا فى تفسيره الجامع، ٢٣٢/١٩-٢٣٣. والخبر الاخير رواه الطبرى - أيضاً - فى تفسيره، ٤٦/٣٠.

ميتاً. ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبيّه ويفعت، فزارت أمّها ذات يوم، فدخلت فرأيتها وقد ظفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئاً من خلوق ونظّمت عليها ودعاً، وألبستها قلاده جزع، وجعلت في عنقها مخنقه بلح، فقلت: من هذه الصبيّه فقد أعجبنى جمالها وكيسها؟ فبكت ثمّ قال: هذه ابنتك، كنت خبرتك أنّي ولدت ولداً ميتاً، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلع. فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها، ثمّ أخرجتها يوماً فحفرت لها حفيره فجعلتها فيها وهي تقول: يا أبت ما تصنع بي! وجعلت أقذف عليها التراب وهي تقول: يا أبت أمغطّي أنت بالتراب! أتاركي أنت وحدي ومنصرف عنّي! وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى وارتتها وانقطع صوتها، فما رحمت أحداً ممن واريته غيرها. فدمعت عينا النبيّ (ص) ثمّ قال:

(إن هذه لقسوة، وإنّ من لا يرحم لا يرحم). (١)

وقال القرطبي: إن قيس بن عاصم سأل النبيّ (ص) وقال: يا رسول الله إنّي وأدت ثمان بنات كنّ لي في الجاهليه، قال:

((فأعتق عن كلّ واحده منهنّ رقبه)) قال: يا رسول الله إنّي صاحب إبل، قال:

((فأهد عن كلّ واحده منهنّ بدنه إن شئت)). (٢)

وقال القرطبي: ((إنه كان من العرب من يقتل ولده خشيه الاملاق، كما ذكر الله عزّ وجلّ. وكان منهم من يقتله سفهاً بغير حجّه منهم في قتلهم، وهم ربيعه ومضر، كانوا يقتلون بناتهم لاجل الحميه.

وروى أنّ رجلاً من أصحاب النبيّ (ص)، كان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله (ص)، فقال له رسول الله (ص): مالك تكون محزوناً فقال يا رسول الله، إنّي أذنبت ذنباً في الجاهليه فأخاف ألا يغفره الله لي وإن أسلمت.

ص: ٤٢

١- . الاغانى ١٢/١٤٤. والخلوق: ضرب من الطيب. والودع: خرز بيض جوف في بطونها شقّ كشقّ النواه تتفاوت في الصغر والكبر، والواحدة: ودعه. والجزع: الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض. والمخنقه: القلاده. وكيسها: عقلها.

٢- . القرطبي، التفسير الجامع، ١٩/٣٣٢-٣٣٣.

فقال له: أخبرني عن ذنبك: فقال: يا رسول الله، إنني كنت من العذرين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت فتشفت إليّ امرأتى أن أتركها فتركتها حتى كبرت وأدركت، وصارت من أجمل النساء فخطبوها، فدخلتني الحميه ولم يحتمل قلبي أن أزوجه أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت للمرأة: إنني أريد أن أذهب إلى قبيله كذا وكذا في زياره أقبائي فابعثها معي، فسيرت بذلك وزينتها بالثياب والحلي، وأخذت على الموائيق بالأأخونها. فذهبت إلى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجاربه إنني أريد أن ألقىها في البئر فالترمتني، وجعلت تبكي وتقول: يا أبت إيش تريد أن تفعل بي فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت على الحميه، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبت لا- تضع أمانه أمي، فجعلت مرّه أنظر في البئر ومرّه أنظر إليها فأرحمها حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسه، وهي تنادي في البئر: يا أبت، قتلتني. فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت. فبكي رسول الله (ص) وأصحابه، وقال: (لو أمرت أن أعاقب أحداً بما فعل في الجاهليه لعاقبتك). (1) وفي شأن هؤلاء أنزل الله تعالى:

(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) (النحل / ٥٨).

قال ابن الاثير في ترجمه صعصعه من أسد الغابه ما موجزه:

صعصعه بن ناجيه جدّ الفرزدق همام بن غالب الشاعر وكان من أشرف بني تميم وكان في الجاهليه يفتدى المؤودات وقد مدحه الفرزدق بذلك في قوله:

وجدى الذى منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم توأد

قال قدمت على النبي (ص): فعرض على الاسلام فأسلمت وعلمني آيات من القرآن، فقلت: يا رسول الله إنني عملت أعمالا في الجاهليه فهل لي فيها من أجر؟ قال وما عملت؟ قلت ضلّت ناقتان لي عشراوان فخرجت

ص: ٤٣

أبغيهما على جمل لي فرفع لي بيتان في فضاء من الارض فقصدت قصدهما فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً، فبينما هو يخاطبني وأخاطبه إذ نادته امرأه قد ولدت قال وما ولدت قالت جاريه قال فادفنيها فقلت أنا أشتري منك روحها لا تقتلها فاشتريتها بناقتي وولديهما والبعير الذي تحتي. وظهر الاسلام وقد أحيت ثلاثمائة وستين مؤودة أشتري كل واحد منهن بناقتين عشراوين وجمل، فهل لي من أجر فقال رسول الله (ص):

هذا باب من البرِّ لك أجره إذ منَّ الله عليك بالاسلام. (١)

ولما كانت إعاله البنت تسبب ضائقه اقتصاديه لوالدها، أمرت قريش بطلاق بنات رسول الله (ص) كالاتي خبره:

روي ابن إسحاق قال:

كان رسول الله (ص) قد زوج عتبه بن أبي لهب رقيه أو أم كلثوم، فلما بادی قريشاً بأمر الله تعالى وبالعداوه، قالوا: إنكم قد فرغتم محمداً من همه، فردوا عليه بناته فاشغلوه بهنّ. فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارق صاحبكك ونحن نزوجك أيّ امرأه من قريش شئت، قال: لا-ها لله، إنني لا أفارق صاحبتني، وما أحب أن لي بامرأتي امرأه من قريش. وكان رسول الله (ص) يثني عليه في صهره خيراً، فيما بلغني. ثم مشوا إلى عتبه بن أبي لهب، فقالوا له: طلق بنت محمّد ونحن ننكحك أيّ امرأه من قريش شئت، فقال: إن زوجتموني بنت أبان ابن سعيد بن العاص، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها، فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها. ولم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامه لها وهواناً له، وخلف عليها عثمان بن عفان بعده. (٢)

هكذا فعلت قريش لما أرادت أن تكيد رسول الله كيداً يقعه عن دعوته

ص: ٤٤

١- . أسد الغابه ٢١/٣.

٢- . سيره ابن هشام ٢٩٦/٢.

للتوحيد وعمدت إلى إرجاع بناته إلى بيته ليشغلوه بهنّ عن مقارعتهم ومقابلتهم.

وذلك لأنّ المرأه لم تكن تشترك يومذاك في الغزو ولا- في سفر التجاره وغيرهما من الاعمال الجالبه للثروه. ومن ثمّ كانت أبداً ودائماً عاله على الرجل.

كانت تلکم ظروف العرب عامّه في شبه الجزيره العربيه. وكانت ظروف المسلمين خاصّه كالاتي:

ظروف المسلمين في فجر الاسلام.

اشاره

إشتدّ إيذاء قريش لرسول الله (ص) وأصحابه في مكّه فأمرهم الرسول (ص) أولاً- بالهجره إلى الحبشه. وأخيراً بالهجره إلى المدينه وبذلك حرم المهاجرون من كلّ ما كانوا يملكون من وسائل العيش بمكّه المكرمه، ثمّ التحق بهم الرسول (ص) في المدينه واتخذها دار هجرته. وتدرّج المسلمون في الالتحاق به، وكان جلّهم لا يملكون من وسائل العيش شيئاً فأسكن الرسول (ص) الفقراء من رجالهم في صفّه مسجده وعاشوا في أشدّ حالات الفقر وسّموا باصحاب الصّفه. وكان في من هاجر إلى المدينه نساء قد توفّي أزواجهنّ أو من استشهد أزواجهن بعد ذلك في غزوات الرسول (ص) ولم يكن لهنّ رجل يعيلهنّ وكان إسكانهنّ مع الرجال في صفّه مسجده غير ميسور. ولما ذكرناه لم يكن للرسول بد من القيام بإيوائهنّ بنفسه (ص) وإعالتهنّ. وبالإضافه إلى ذلك كانت تتحقّق في زواج الرسول (ص) ببعضهنّ مصالح كبيره للاسلام والمسلمين مثل تبدّل العداء والخصومه بين الرسول (ص) والمسلمين مع قبيله أبي سفيان، إلى التودّد والالفه ورفع الخصومه. كما سندرس بإذنه تعالى بعض ذلك في الاخبار الآتيه.

ص: ٤٥

١ - خديجه بنت خويلد القرشيّه الاسديّه أول أزواجه:

وتزوَّج رسول الله (ص) خديجه قبل الوحى وعمره حينئذ خمس وعشرون سنه وقيل: إحدى وعشرون سنه، زوّجها منه عمّها عمرو بن أسد. ولمّا خطبها رسول الله (ص) قال عمّها: محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب يخطب خديجه بنت خويلد، هذا الفحل لا يقدر أنفه (١) وكان عمرها حينئذ أربعين سنه وأقامت معه أربعاً وعشرين سنه.

وكان سبب تزوّجها برسول الله (ص) أنّها كانت امرأه تاجر ذات شرف ومال، تستأجر الرجال فى مالها تضاربهم (٢) إياه بشيء تجعله لهم منه. فلمّا بلغها عن رسول الله (ص) ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج فى مالها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له: ميسره، فقبله منها وخرج فى مالها ومعه غلامها ميسره، حتّى قدم الشام فنزل رسول الله (ص) فى ظل شجره قريباً من صومعه راهب، فاطلع الراهب إلى ميسره فقال: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجره قال: هذا رجل من قريش من أهل الحرم.

فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجره قطّ إلا نبيّ. ثمّ باع رسول الله (ص) سلعته التى خرج بها، واشترى ما أراد، ثمّ أقبل قافلاً إلى مكّه، فلما قدم على خديجه بمالها باعت ما جاء به، فأضعف أو قريباً، وحدّثها ميسره عن قول الراهب. وكانت خديجه امرأه حازمه لبيبه شريفه مع ما أراد الله بها من كرامتها. فلمّا أخبرها ميسره بعثت إلى رسول الله (ص) فقالت له:

((إني قد رغبت فيك لقرابتك منى، وشرفك فى قومك، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك)). ثمّ عرضت عليه نفسها، وكانت أوسط نساء قريش

ص: ٤٤

١- . يقال: قدعت الفحل وهو أن يكون الفحل غير كريم. فاذا أراد ركوب الناقه الكريمه ضرب أنفه بالرمح أو غيره حتّى يقدر وينكفّ.

٢- . المضاربه أن تعطى مالاً لغيرك يتجر فيه. فيكون لك سهم معلوم من الربح.

نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً. فلمّا قالت لرسول الله (ص) ما قالت، ذكر النبي ذلك لاعمّامه، فخرج معه حمزه بن عبدالمطلب حتّى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها رسول الله (ص)، فولدت لرسول الله (ص) ولده كلّهم قبل أن ينزل عليه الوحي: زينب، وأمّ كلثوم، وفاطمه، ورقية، والقاسم، والطاهر، والطيب. فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا قبل الاسلام، وبالقاسم كان يكتنى رسول الله (ص). وأما بناته فأدركنّ الاسلام، فهاجرن معه واتبعنه وآمنّ به.

توفيت خديجه بعد أبي طالب بثلاثة أيام. فتتبعته على رسول الله (ص) المصائب بهلاك خديجه وأبي طالب، وكانت خديجه وزيره صدق على الاسلام كان يسكن إليها. وسمّى رسول الله (ص) ذلك العام بعام الحزن. وكان موتها في رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، ودفنت بالحجون. (1) قيل: كان عمرها خمساً وستين سنة.

٢ - سوده بنت زمعه:

سوده بنت زمعه القرشيّة العامريّة. وأمّها الشموس بنت قيس بن النّجار الانصاري، تزوجها رسول الله (ص) بمكّه بعد وفاه خديجه وقبل عائشه.

وكانت قبله تحت ابن عمّها السكران بن عمرو، أخى سهيل بن عمرو، من بنى عامر بن لؤي، وكان مسلماً فتوفى عنها، فتزوجها رسول الله (ص). وأسنت عند رسول الله (ص) ولم تصب منه ولداً. وتوفيت آخر خلافه عمر. (2)

ص: ٤٧

-
- ١- . جوامع السيره ص ٣١-٣٢، وأسّد الغابه، الترجمة: ٧٨/٦٨٦٧.٧-٨٥. والحجون في معجم البلدان: جبل بأعلى مكه عنده أهلها. وقيل: مكان من البيت على ميل ونصف.
 - ٢- . أسّد الغابه، الترجمة: ٧٠٢٧، ٧٠٢٧-١٥٧/٧-١٥٨.

٣ - عائشه بنت أبي بكر:

عائشه بنت أبي بكر، وأمها أم رومان ابنه عامر الكنانى. تزوجها رسول الله (ص) قبل الهجرة بسنتين، وهى بكر، وكان عمرها لما تزوجها رسول الله (ص) ست سنين، وقيل: سبع سنين. وبنى بها فى شوال بالمدينه وهى بنت تسع سنين، وتوفيت عائشه سنه سبع وخمسين. (١)

٤ - حفصه بنت عمر بن الخطاب:

وأمها وأم أخيها عبدالله: زينب بنت مضعون، أخت عثمان. وكانت حفصه من المهاجرات، وكانت قبل رسول الله (ص) تحت خنيس بن حذافه السهمى، وكان ممن شهد بدرًا وجرح بها وتوفى بالمدينه. فلما تأيمت حفصه ذكرها عمر لابي بكر وعرضها عليه، فلم يرد عليه أبو بكر كلمه، فغضب عمر من ذلك، فعرضها على عثمان حين ماتت رقيه بنت رسول الله (ص)، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم فانطلق عمر إلى رسول الله (ص) فشكا إليه عثماناً، فتزوجها رسول الله (ص)، سنه ثلاث عند أكثر العلماء.

وتزوجها بعد عائشه، وطلقها تطليقه ثم ارتجعها.

وعن ابن عمر قال: دخل عمر على حفصه وهى تبكى، فقال لها: ما يبكيك لعل رسول الله (ص) قد طلقك؟ إنه كان طلقك مره ثم راجعك من أجلى، إن كان طلقك مره أخرى لا أكلمك أبداً.

توفيت سنه خمس وأربعين. وقيل: سنه سبع وعشرين. (٢)

٥ - زينب بنت خزيمة:

كان يقال لها أم المساكين. كانت عند الطفيل بن الحارث فطلقها، فخلف عليها أخوه فقتل عنها بيدر. فخطبها رسول الله (ص) إلى نفسها

ص: ٤٨

١- . أسد الغابه، الترجمة رقم: ٧٠٢٧، ١٥٧/٧، والاصابه، الترجمة رقم: ٧٠٤، ٣٤٨/٤.

٢- . أسد الغابه، الترجمة رقم ٦٨٤٥، ٦٥/٧، والاصابه، الترجمة رقم: ٢٩٦، ٢٦٤/٤.

فجعلت أمرها إليه فتزوجها في شهر رمضان سنة ثلاث. وكان دخوله بها (ص) بعد دخوله على حفصه. فأقامت عنده ثمانية أشهر، وماتت في ربيع الآخر سنة أربع. (١)

٦ - أم سلمة بنت أبي أمية القرشية:

وكانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبدالاسد بن المغيرة. وأمها عمه النبي (ص) بزه بنت عبدالمطلب. وكانت ممن أسلم قديماً هي وزوجها. وهاجرا إلى الحبشه فولدت له سلمه. ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة، فولدت له عمر ودره (٢) وزينب. وقيل إنها أول امرأه خرجت مهاجرة إلى الحبشه وأول ظعينة دخلت المدينة. وتحدثت أم سلمه عن هجرتها إلى المدينة وقالت: لما أجمع أبو سلمه الخروج إلى المدينة من مكة، رحل بعيراً له وحملني، وحمل معي ابني سلمه، ثم خرج يقود بعيره، فلما رآه رجال بني المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، رأيت صاحبنا هذه؟ علام تترك تسير بها في البلاد؟ ونزعوا خطام البعير من يده، وأخذوني، وغضبت عند ذلك بنو عبدالاسد، وأهواوا إلى سلمه وقالوا: والله لا نترك ابنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجادبوا ابني سلمه حتى خلعوا يده، وانطلق به بنوعبدالاسد رهط أبي سلمه، وحسن بنو المغيرة عندهم. وانطلق زوجي أبو سلمه حتى لحق بالمدينة. ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني، قالت: فكنت أخرج كل غداه فأجلس بالابطح، فما أزال أبكي، حتى أمسى، سنة أو قريبا، حتى مرّ بي رجل من بني عمي، من بني المغيرة، فرأى ما بي، فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها، فقالوا لي: إلهي بزواجك إن شئت، ورد علي بنو عبدالاسد عند ذلك ابني، فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجرى، ثم

ص: ٤٩

١- . أسد الغابه، الترجمة رقم: ٩٦٥٣، ١٢٩/٧.

٢- . سماها ابن هشام في سيرته: (رقية)، ٢٩٤/٤.

خرجت أريد زوجي بالمدينه، وما معي أحد من خلق الله، فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحه بن أبي طلحه - أخا بني عبدالدار فقال: أين يابنت أبي أمية قلت: أريد زوجي بالمدينه. فقال: هل معك أحد؟ فقلت: لا والله، إلا الله وابني هذا. فقال: والله مالك من مترك. فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أراه كان أكرم منه، إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم تنحى إلى شجره فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقادني حتى نزل. فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي إلى المدينه، فلمّا نظر إلى قريه بنى عمرو بن عوف بقاء قال: زوجك في هذه القريه، - وكان أبو سلمه نازلاً بها - فدخلتها على بركه الله تعالى، ثم انصرف راجعاً إلى مكه. وكانت تقول: ما أعلم أهل بيت أصابهم في الاسلام ما أصاب آل أبي سلمه، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحه. وشهد أبو سلمه بدرأ. واستشهد في أحد. فلما تأيمت أم سلمه أرسل إليها رسول الله (ص) يخطبها، فبعثت إليه تقول: إنني امرأه غيري وإنني امرأه مصيبه وليس أحد من أوليائي شاهد. فأتى رسول الله (ص) فذكر ذلك له، فقال: ارجع إليها فقل: أمّا قولك إنني امرأه غيري فسادعو الله فيذهب غيرتك. وأمّا قولك إنني امرأه مصيبه فستكفين صبيانك، وأمّا قولك ليس أحد من أوليائي شاهد فليس أحد من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك، فقالت لابنها عمر: قم فزوج رسول الله (ص) فزوجه.

توفيت في خلافه يزيد بعد ما جاءها نعي الحسين بن علي (ع) سنه

إحدى وستين أو اثنتين وستين، وهي من آخر أمهات المؤمنين موتاً. (١)

ص: ٥٠

٧ - جویریہ بنت الحارث:

جویریہ بنت الحارث سبیت فی غزوه بنی المصطلق، سنه خمس، وقیل: سنه ستّ، فوقعت فی سهم ثابت بن قیس بن شماس وابن عمّ له. فکاتبته علی نفسها، فأتت رسول الله (ص) تستعینه فی کتابتها. فلما دخلت علی رسول الله (ص) قالت: یا رسول الله، أنا جویریہ بنت الحارث، سید قومه، وقد اصابنی من البلاء ما لم یخف علیک، وقد کاتبته علی نفسی، فأعنی علی کتابتی. فقال رسول الله (ص) أو خیر من ذلك، أودی عنک کتابک وأتزوجک فقالت: نعم: ففعل رسول الله (ص)، فبلغ الناس أنه قد تزوجها، فقالوا: أصهار رسول الله (ص). فأرسلوا ما کان فی أيديهم من بنی المصطلق، فلقد أعتق بها مائه أهل بیت من بنی المصطلق، فما أعلم امرأه أعظم برکه منها علی قومها.

ولما تزوجها رسول الله (ص) حجبها، وقسم لها، (١) وكان اسمها بَرّه فسماها رسول الله جویریة. (٢)

٨ - صفیة بنت حی بن أخطب، سبیت فی غزوه خیبر:

قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله (ص) القموص (٣) أمر بصفیة فحیزت خلفه، وألقى علیها رداءه، فعرف المسلمون أنّ رسول الله (ص) قد اصطفاها لنفسه.

وعن أنس: أنّ رسول الله (ص) أعتق صفیة وجعل عتقها صداقها.

وعن زید بن أسلم قال: اجتمع نساء النبی (ص) فی مرضه الّذی توفی فیهِ واجتمع إلیه نساؤه فقالت صفیة بنت حی: إنّی واللّه یانبیّ الله لوددت أن الّذی بک بی، فغمزن أزواجه ببصرهنّ فقال: ((مضمّن)) فقلن من آی

ص: ٥١

١- . قسم لها: أى جعل لها يوماً كسائر زوجاته (ص).

٢- . أسد الغابه، الترجمة رقم: ٦٨٢٢، ٥٦/٧.

٣- . حصن أبی الحقیق اليهودی. معجم البلدان.

شيء فقال ((من تغامزكن بها، والله إنَّها لصادقه)).

وتوفيت سنة ست وثلاثين. وقيل: سنة خمسين. (١)

٩ - ميمونه بنت الحارث بن حزن الهلاليه:

تزوجها رسول الله (ص) بعد وفاه زوجها سنة سبع في عمره القضاء في ذى القعدة.

قال العباس لرسول الله (ص) إنَّ ميمونه بنت الحارث قد تأيمت من أبي رهم بن عبد العزى، هل لك أن تزوجها؟ فتزوجها رسول الله (ص). ولما فرغ رسول الله (ص) من عمرته أقام بمكة ثلاثاً. فأتى خمسه نفر من أهل مكة فقالوا: يا محمد (ص) اخرج عنا فاليوم آخر شرطك. وكان شرط في الحديبيه أن يعتمر من قابل ويقيم بمكة ثلاثاً. فقال: دعوني أبتنى بأهلى وأصنع لكم طعاماً فقالوا: لا حاجه بطعامك. فخرج فبنى بها بسرف قريب مكة. وتوفيت سنة إحدى وخمسين. (٢)

١٠ - زينب بنت جحش:

خير زواج النبي (ص) بزینب بنت جحش:

أ - فى القرآن الكريم:

قال الله سبحانه فى سورة الاحزاب:

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيره من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً * وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً

ص: ٥٢

١ - أسد الغابه، الترجمة رقم: ٧٠٥٥، ١٦٩/٧.

٢ - أسد الغابه، الترجمة رقم: ٧٢٩٧، ٧٢٠٢/٧.

زوّجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديعائهم إذا قضوا منهم وطراً وكان أمر الله مفعولاً * ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً * الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً * ما كان محمد أباً أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً (الآيات / ٣٦-٤٠).

ب - في الروايات مع تفسير الآيات:

خبر زواج زينب بزيد أولاً، ثم بالنبي (ص) بعد طلاق زيد إياها: كان من خبر زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أنه أصابه سبب في الجاهلية وبيع في بعض أسواق العرب، فاشترى لخديجه، ثم وهبته لخديجه للنبي (ص) قبل أن يبعث وهو ابن ثمانى سنين، فنشأ عند النبي (ص)، وبلغ الخبر أهله فقدم أبوه وعمه مكره لفدائه فدخلوا على النبي (ص) وقالوا يا ابن عبدالمطلب! يا ابن هاشم! يا ابن سيد قومه! جئناك في ابنا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه! فقال: من هو؟ قال: زيد بن حارثة، فقال رسول الله (ص): فهلا غير ذلك؟ قالوا: ما هو؟ قال ادعوه وخيروه فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فوالله ما أنا بالمدى اختار على من اختارني أحداً، قالوا: قد زدتنا على النصف وأحسن، فدعاه رسول الله (ص) فقال: هل تعرف هؤلاء قال: نعم هذا أبى، وهذا عمى! قال: فأنا من عرف ورأيت صحبتى لك فاخترنى أو اخترهما. قال: ما أريدهما وما أنا بالمدى اختار عليك أحداً، أنت منى مكان الأب والعم! فقالوا: ويحك يا زيد! أتختار العبودية على الحريه وعلى أبيك وأهل بيتك؟ قال: نعم، ورأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالمدى اختار عليه أحداً أبداً، فلما رأى رسول الله (ص) ذلك أخرجته إلى الحجر - فى بيت الله - فقال: يامن حضراً! اشهدوا أن زيدا ابنى يرثنى وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا. ونسب زيد بعد ذلك إلى رسول الله (ص) وقيل له: زيد

ص: ٥٣

بن محمد (ص). أسلم زيد قديماً وبعد الامام على (ع). وزوجه الرسول من أم أيمن وكانت وصيفه لعبدالله والد النبي وكانت من الحبشه وتزوجت أولاً من عبيد بن عمرو من بنى الحارث وبعده تزوجت زيد بن حارثه، فولدت له أسامه بن زيد. وتوفيت بعد رسول الله (ص) بخمسه أشهر. وشهد زيد بدماء وأرسله النبي (ص) إلى المدينة بشيراً بالفتح وزوجه ابنه عمته زينب بنت جحش وفي بيته أم أيمن. وكان من خبر زواجه ما ذكرناه.

وأرسله النبي في السنه الثامنه من الهجره إلى الشام في غزوه مؤته وجعله أحد الامراء على الجيش فاستشهد فيها. وخبر زواج الرسول بزینب وزواج زيد وطلاقه إياها كالاتي:

خبر زواج زيد من زينب ابنه عمه الرسول (ص):

بعد الهجره إلى المدينة خطب زينب ابنه أميمه ابنه عبدالمطلب عدّه من أصحاب النبي (ص) فأرسلت أخاها إلى النبي (ص) تستشيريه في أمرها، فقال: فأين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنه نبيها فسألت: من هو فقال زيد! فغضبت وقالت: تزوج ابنه عمّتك مولاك! لست بناكحته! أنا خير منه حسباً! أنا أيم قومي، فأنزل الله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنه إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيره من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) (الاحزاب / ٣٦)، فرضيت فزوجها الرسول (ص) من زيد بعد أم أيمن السوداء الحبشيه، ولها أسامه بن زيد، فكانت تعلقو على زيد وتشتد وتأخذه بلسانها، فكان يشكوها إلى الرسول (ص) ويحاول تطليقها، واقتضت مشيئه الله وحكمته أن يتزوجها الرسول (ص) بعد زيد ليلغي بذلك التبنّي بين المسلمين، وأشعره الوحي بذلك، فخشى الرسول (ص) أن يقول الناس تزوج حليله ابنه، فكتب الوحي في نفسه وقال لزيد: اتق الله وأمسك عليك زوجك، ولما ضاق زيد ذرعاً بزوجه زينب طلقها وانقضت عدتها، فنزلت الايات على الرسول (ص) مرّه واحده إلى قوله تعالى:

(فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في

أزواج أديعتهم..... ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين... (الاحزاب ٣٧ و ٤٠)، فتزوجها الرسول (ص) وقال عز اسمه لسائر المؤمنين: (وما جعل أديعاًكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل * ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) (الاحزاب ٤-٥). (١)

١١ - أم حبيبه:

إسمها رمله أو هند بنت أبي سفيان الأمويّ. وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية. ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاماً. تزوجها حليفهم عبيدالله بن جحش الاسدي من بني أسد بن خزيمه. فأسلمت ثم هاجرت إلى الحبشه، فولدت له حبيبه، فيها كانت تكنى. وتنصّر زوجها عبيدالله بن جحش وارتد عن الاسلام، وفارقها. قالت أم حبيبه: رأيت في المنام كأن زوجي عبيدالله بن جحش بأسوأ صورته ففرغت، فأصبحت فإذا به قد تنصر فأخبرته بالمنام فلم يحفل به وأكب على الخمر حتى مات. فأتاني آت في نومي فقال: يا أم المؤمنين ففرغت فما هو إلا أن انقضت عدتي، فبعث رسول الله (ص) إلى النجاشي ليخطبها له. قالت أم حبيبه: فما شعرت إلا برسول النجاشي يستأذن فإذا هي جارية له يقال لها أبرهه فقالت: إن الملك يقول لك وكلّي من يزوجك، فأرسلت إلى خالد بن الوليد سعيد بن العاص بن أمية فوكلته، فأعطيت أبرهه سوارين من فضه، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال أمّا بعد فإن رسول الله (ص) كتب إليّ أن أزوجه أم حبيبه فأجبت وقد أصدقته عنها أربعمائه دينار، ثم سكب الدنانير. فخطب خالد: فقال قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله (ص) وزوجته أم حبيبه، وقبض

ص: ٥٥

١- راجع مصادر البحث في بحث صفات المبلغين من المجلد الثاني من كتابنا عقائد الاسلام من القرآن الكريم.

الدنانير. وعمل لهم النجاشي طعاماً فأكلوا. قالت أمّ حبيبه: فلما وصل إليّ المال أعطيت أبرهه منه خمسين ديناراً قالت فردّها عليّ وقالت إنّ الملك عزم عليه بذلك وردت عليّ ما كنت أعطيتها أولاً ثمّ جاءتنى من الغد بعود وورس وعنبر وزباد كثير. فقدمت به معى على رسول الله (ص). وكان ذلك سنة سبع.

وحكى ابن عبد البر أنّ الذى عقد لرسول الله (ص) عليها عثمان بن عفان.

ولما بلغ أبا سفيان أنّ النبىّ (ص) نكح ابنته قال: هو الفحل لا يقدرع أنفه. (١)

الواهبات أنفسهنّ:

كان فى النساء المسلمات يومذاك من يطلبن من الرسول (ص) أن

يتزوّجن ويهبن له مهورهنّ ويسمّين فى السيره بالواهبه نفسها للرسول (ص) كما يأتى بعض أخبارهنّ بإذنه تعالى.

أ - فى صحيح مسلم وصحيح البخارى واللفظ للاؤلّ، بسنده عن أمّ المؤمنين عائشه:

قالت: كنت أغار على اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله (ص) وأقول: وتهب المرأه نفسها؟ فلما أنزل الله عزّ وجلّ: (ترجى من تشاء منهمنّ وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممّن عزلت) (الاحزاب / ٥١)، قالت قلت: والله! ما أرى ربك إلا يسارع لك فى هواك. (٢)

ب - فى صحيح البخارى قال: كانت خوله بنت حكيم من اللاتى وهبن أنفسهن للنبىّ (ص). فقالت عائشه: أما تستحى المرأه أن تهب نفسها للرجل، فلما نزلت ترجى من تشاء منهمنّ قلت: يا رسول الله (ص) ما أرى ربك

ص: ٥٦

١- . الاصابه، ترجمه رقم: ٤٣٤، ٢٩٨/٤.

٢- . صحيح مسلم، كتاب الرضاع، ص ١٠٦٥، الحديث ٤٩. وصحيح البخارى، كتاب التفسير، باب التفسير، تفسير سوره الاحزاب، ١١٨/٣.

الإيسارع في هواك. رواه أبو سعيد المؤدّب ومحمد بن بشر وعبدہ عن هشام عن أبيه عن عائشه، يزيد بعضهم على بعض. (١)

ج - في طبقات ابن سعد ما موجزه:

أسلم زوج أم شريك، وهي غزیه بنت جابر الدوسيّه من الازد، وهو أبو العكر، فهاجر إلى رسول الله (ص) مع أبي هريره مع دوس حين هاجروا. قالت أم شريك: فجاءني أهل أبي العكر فقالوا: لعلك على دينه؟ قلت: أي والله إنني لعلى دينه. قالوا: لا جرم والله لتعدّبنك عذاباً شديداً. فارتحلوا بنا من دارنا ونحن كئنا بذي الخلصه وهو موضعنا، فساروا يريدون منزلاً وحملوني على جمل ثفال شرّ ركابهم وأغلظه.

وجاء في الخبر بعد هذا، كيفيه تعذيبهم إياهما وإسلامهم بعد ذلك. ثم جاء في الخبر، وهي التي وهبت نفسها للنبي (ص)، وهي من الازد، فعرضت نفسها على النبي (ص) وكانت جميله وقد أسنت، فقالت إنني أهب نفسي لك وأتصدّق بها عليك. فقبلها النبي (ص). فقالت عائشه: ما في امرأه حين تهب نفسها لرجل خير. قالت أم شريك: فأنا تلك. فسماها الله مؤمنه، فقال: (وامرأه مؤمنه إن وهبت نفسها للنبي). فلما نزلت هذه الايه قالت عائشه: إن الله ليسرع لك في هواك. (٢)

د - في صحيح البخارى بسنده:

عن سهل بن سعد قال جاءت امرأه إلى رسول الله (ص) فقالت: إنني وهبت من نفسي. فقامت طويلاً. فقال رجل: زوّجنيها إن لم تكن لك بها حاجه. قال: هل عندك من شيء تصدّقها! قال: ما عندي إلا إزارى! فقال: إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك فالتمس شيئاً، فقال: ما أجد شيئاً، فقال: التمس ولو خاتماً من الحديد، فلم يجد، فقال: أمعك من القرآن

ص: ٥٧

١- . صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب هل للمرأة أن تهب نفسها، ١٦٤/٣.

٢- . طبقات ابن سعد، ط. أوربا، ١١٢/٨-١١٣.

شيء قال: نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها. فقال: زوّجناكها بما معك من القرآن. (١)

وفى روايه:

فلما رأيت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست. فقام رجل من أصحابه فقال: أي رسول الله إن لم تكن لك بها حاجة فزوّجنيها. فقال (ص): هل عندك من شيء قال: لا والله يارسول الله. قال (ص): اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً. فذهب ثم رجع فقال: لا والله يارسول الله ما وجدت شيئاً قال: انظر ولو خاتم من حديد. ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتم من حديد، ولكن هذا إزارى فقال رسول الله (ص) ما تصنع بازارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء. فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فرآه رسول الله (ص) مولياً، فأمر به فدعى. فلما جاء قال ماذا معك من القرآن؟ قال معى سورة كذا وسورة كذا، عددها. قال: أتقرأهنّ عن ظهر قلبك؟ قال: نعم، قال: اذهب ملكتكها بما معك من القرآن. (٢)

عن أبي جعفر (ع) قال: جاءت امرأة من الانصار إلى رسول الله (ص) فدخلت عليه وهو فى منزل حفصه، والمرأه متلبسه متمشّطه، فدخلت على رسول الله (ص) فقالت: يا رسول الله إنّ المرأه لا تخطب الزوج، وأنا أمرأه أيم لا زوج لى منذ دهر ولا ولد، فهل لك من حاجه؟ فإن تك فقد وهبت نفسى لك إن قبلتنى، فقال لها رسول الله (ص) خيراً، ودعا لها. (٣)

ص: ٥٨

- ١- . صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب السلطان ولى، وباب النظر إلى المرأه قبل التزويج ١٦٥/٣-١٦٦.
- ٢- . صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب السلطان ولى، وباب النظر إلى المرأه قبل التزويج ١٦٥/٣-١٦٦.
- ٣- . البحار ٢٢١/٢٢.

على أثر انتشار الجوع والفقر في شبه الجزيرة العربية كانت الاسر الفقيره في مكه تعتقد، أى تذهب إلى البر وتستسلم للموت، ليموت أفراد الاسره واحدا بعد الاخر، وهذا الامر وان كان قد عالجه هاشم في مكه إلا أن الفقر كان سائدا في غيرها من المناطق الفقيره في شبه الجزيرة العربية، إلى حدّ أنهم كانوا يثدّون بناتهم خشيه الفقر والاملاق، ولذلك منعهم الله سبحانه عن ذلك وقال: (لا-تقتلوا أولادكم خشيه إملاقٍ نحن نرزقهم وإياكم إنّ قتلهم كان خطأ كبيرا) (الاسراء / ٥٥). ومن ثمّ قررت قريش أن يطلق أصحاب رسول الله (ص) بناته ليقعده إعالتهم عن القيام بأداء رسالته، وكلّ ذلك كان في الحالات الاعتياديه للانسان العربى في العصر الجاهلى، وبناء على ما ذكرنا، كيف كان حاله الانسان الذى ترك كلّ وسائل الحياه فى موطنه مكه وهاجر إلى الحبشه فى أفريقيا أولا، ثم إلى المدينه وبعيدا عن موطنه وأسرته ووسائل عيشه. فى مثل هذا الظرف آوى رسول الله (ص) نيفا وثمانين من المهاجرين الفقراء فى صفّه مسجده. وتعاون المتمكنون من المسلمين على إعالتهم.

كان من الحكمه أنّ يصاهر رسول الله (ص) بعض خصومه لتلين قلوبهم عليه (ص) وعلى المسلمين. وبسبب ذلك رأيناه (ص) قضى عنفوان شبابه مع زوجته أيّمه حتى بلغت خمسا وستين عاما أو دون ذلك من عمرها وبلغ عمره الشريف خمسين عاما. تزوج بعد وفاته بأيمه مسنّه اخرى من المسلمات، ثم عقد على ابنه واحده غير مزوجه فى حياته الزوجيه وتزوج بعدها حفصه بعد أن تأيّم وعرضها والداه عمر على أبى بكر فلم يردّ عليه بكلمه، فغضب من ذلك. فعرضها على عثمان حين توفيت زوجته رقيه بنت رسول الله (ص). فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم. فشكا ذلك إلى رسول الله (ص). وأنقذ الرسول (ص) الموقف المتأزم بين الصحابه الثلاثه وتزوج حفصه. وتوفى أبو رهم زوج ميمونه، فتأيّم فى مكه، فلما ذهب الرسول (ص) للعمرة فى السنه السابعه من الهجره وعرضها زوج أختها العباس على رسول الله (ص)، وتداركها

رسول الله (ص) بزواجه بها. ثم تزوج بعدها من أمراه استشهد زوجها في غزوه بدر، وبقيت أيمه لا معيل لها. فأقامت عنده ثمانية أشهر وتوفيت. ثم تزوج من ابنه عمته أم سلمه بعد أن استشهد زوجها في أحد، وترك زوجته مع أربعة أولاد لا معيل لهم. ثم تزوج من ابنه شيخ بنى المصطلق القبيله التي كانت تسكن قريبا من المدينه وانكسرت في قتالها معه فأطلق الصحابه جميع الاسرى من قبيله زوجته الرسول (ص). وبذلك أصبحت قبيله بنى المصطلق من أنصار الرسول (ص) والمسلمين. وكذلك فعل في زواجه بصفيه ابنه رئيس اليهود في حصن قموص من قرى خيبر. وفي عمره القضاء تزوج ميمونه بمكه بعد ما تأيمت وبقيت بين المشركين وأخذها معه إلى المدينه.

وزوج ابنه عمته زينب حفيده عبد المطلب من مولاته زيد وكان قد تبناه. وبذلك كسر العرف الجاهلى فى الاعتداد بالنسب. وجعل الكفاء فى الزواج: الاسلام والايمان. غير أنّ زينب لم تطق ذلك وجعلت من الحياه الزوجيه فى بيت زيد جحيما لا يطيق تحمّله زيد. وكان يشكو ذلك إلى رسول الله (ص) ويريد الفراق منها، ويصبر الرسول عليها. فأخبره الله أنّ عليه ان يتزوج مطلقه زيد الذى تبناه ليكسر بذلك عرفا جاهليا آخر وهو احتسابهم الابن المتبنى فى جميع الشؤون كالابن من صلب أبيه. فأطاع الرسول (ص) أمر الله فى ذلك.

ثم تزوج من أم حبيبه ابنه ألد أعدائه وشيخ قريش بعد أن هاجرت مع زوجها إلى الحبشه وتوفى زوجها وبقيت بلا معيل فى بلد الغربه، فهل تعود إلى دار أبيها وأمها فى دار الشرك ليفتنوها عن دينها. أم ماذا تصنع؟ وإذا بها يشملها حنو الرسول (ص) ويخطبها ويجرى عقد النكاح بكل مظاهر الاحترام، ويبلغ أبا سفيان الخبر فيقول ما يدلّ على اعتراضه بهذه المصاهره أنّه: الفحل لا يقدر أنفه.

وتتجلى حكمه تعدّد زوجات الرسول (ص) فى أخبار الواهبات أنفسهن، فقد كنّ يتهافتن على رسول الله (ص) تهافت الفراش على النور. كما دل على

ولا- عجب من ذلك، فان المرأه إنسانه تحتاج الحياه الزوجيه إلى جنب حاجاتها المعيشيه الاخرى ولم يكن من المعيب على المرأه المسلمه أن تظهر هذه الحاجه إلى نبيها دون غيره، ويتضح ذلك في خبر المرأه التي عرضت نفسها على النبي (ص) وقالت: إني وهبت نفسي، فقامت طويلا- فقال رجل: زوجيها إن لم تكن لك بها حاجه، فقال النبي: هل عندك من شيء تصدقها؟ قال: ما عندي إلا إزارى! فقال: إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك، فالتمس شيئا. فقال: ما أجد شيئا. فقال التمس ولو خاتما من حديد، فلم يجد. فقال: أمعك من القرآن شيء؟ قال: نعم، سورة كذا وسوره كذا وسماها، فقال: زوجتك بما معك من القرآن.

وهكذا يتضح لنا بجلاء وجوه الحكمه فى تزوج الرسول (ص) ببضع عشر أمراه مؤمنه، غير أن أحاديث أم المؤمنين عائشه التى سبق إيراد بعضها ونورد بعضا منها فى البحث الاتى وبعضها الاخر فى المجلد الثانى إن شاء الله تعالى إن تلكم الاحاديث من أم المؤمنين عائشه هى التى شوّشت تلكم الاخبار فانها تلقى فى الذهن أن تعدد الزوجات من قبل الرسول (ص) كان استجابته منه لهوى النفس - معاذ الله - فإن أصحاب الصحاح والسنن من الاحاديث رووا عنها - مثلا - أنها قالت لرسول الله (ص) بعدما نزل قوله تعالى (ترجى من تشاء وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا- جناح عليك) قالت: والله ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك.

إننا نرى أن أم المؤمنين عائشه يمكن أن تتحدث بمثل هذا الحديث بعد عصر رسول الله (ص) وفى حكمه الخلفاء وحين كانت المتحدثه الرسميه للحكومه، أما أن تخاطب الرسول (ص) وتقول له فى عصر حكومته فى المدينه: (ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك) لا يمكن أن يقع ذلك، لان فى هذا القول طعنا بمنشأ الوحي إذ ان منشأه هوى نفس الرسول (ص) - معاذ الله -

بل وطعن في منزله الوحي تعالى شأنه عن ذلك.

ومهما يكن من أمر فإنّ أمثال هذا الحدث من أمّ المؤمنين عائشه حجت الرؤيه الصحيحه لحكمه تزوج الرسول (ص) بأكثر من عشر من المؤمنات به، والقت في الاذهان أن ذلك كان منه (ص) بدافع هوى النفس ومتابعتها، واستفاد منها خصوم الاسلام في ما كاتبوا ونشروا عن رسول الله (ص) ما نشروا.

وأخيرا وبعد انتشار أمثال هذه الاحاديث في كتب صحاح الحديث

ومسانيدها ألا ينبغي لنا أن نقوم بدراسات في سبيل تمحيص سنّه

الرسول (ص)، إذا فليعذرنا العاتبون اللائمون!!!

مؤاخذه أبناء الغرب الزواج المبكر لدى المسلمين

اشاره

بالاضافه إلى ما ذكرنا يؤاخذ أبناء الغرب على رسول الله (ص)

زواجه بعائشه في صغر سنّها، والسبب في ذلك أنّهم دائما يتخذون من مجتمعاتهم وأعرافهم مقياسا لمعرفة الحقّ والباطل؛ فما وافق أعرافهم في مجتمعاتهم حقّ وتقدّم وإنسانيه، وباطل وجهل وتخلف ما خالفها. وإذا درسنا الظروف الخاصه بكل من المجتمع الشرقي والغربي أدركنا أنّ المناخ في مثل المحيط الهندي وشبه الجزيره العربيه حارّ يؤدي إلى النضج المبكر في البنت؛ فهي ترى العاده الشهريه في وقت مبكر، وليس الامر كذلك في مناخ شديد البروده مثل مناخ الغرب ولذلك فإنّ الزواج بصغيره السنّ كان عامّا في ذلك المناخ ولم يخص الرسول (ص)، ولم يكن يتأخر زواج الصغيره عندهم إلا لظروف خاصه بالبنت، وفي الغرب - أيضا - تنكح البنت الصغيره لكن لا من قبل زوجها بل من قبل أخلائها، ولا تدخل البنت في بيت زوجها بكرا وبلغنى أن دخولها على زوجها بكرا يعدّ منها تخلفا وجهلا.

وبعد ذلك لست أدري هل تنقطع صلته الخليين بعضهم مع بعض بعد الزواج في محيط يختلط فيه الجنسان بحريّه مطلقه! وكيف يكون أمر طهاره

المولد فى مثل هذا المحيط؟ أمّا فى الاسلام فأنه يحرم اتخاذ الخليل على الجنسين كما قال سبحانه وتعالى (ولا تتخذات أخدان) (النساء / ٢٤) وقوله تعالى: (ولا تتخذى أخدان) (المائدة / ٥١) والمقصود من الخدن هنا الصديق من الجنس الآخر وجمعه الأخدان، كما يعاقب الاسلام أشد العقوبه على الاتصال الجنسي غير المشروع ويجلد الطرفين مائه جلده إذا لم يكن لديهما سبيل إلى الاتصال الجنسي المشروع، وفى حالة الاتصال الجنسي غير المشروع مع وجود الزوج للمرأة وللرجل الزوجه أو المملوكه يرجم الزانى منهما، وفى مثل هذا المجتمع يتيسر المحافظه على طهاره النسل، أمّا فى المجتمع الغربى المتحلل عن كل هذه القيود كيف يتيسر المحافظه على طهاره النسل؟ لست أدرى!!

بعد ذكرنا الحكمه فى تعدد زوجات الرسول (ص) ندرس فى ما يأتى أدوارا من حياه أم المؤمنين عائشه:

ص: ٦٣

أخرج ابن سعد في طبقاته (١) وقال: تزوج النبي مليكه بنت كعب، وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشه، فقالت لها: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك، فاستعذت من رسول الله فطلقها، فجاء قومها إلى النبي (ص) فقالوا: يا رسول الله إنها صغيرة وإنها لا رأى لها وإنها خدعت فارتجعها؛ فأبى رسول الله، وكان أبوها قتل في يوم فتح مكة، قتله خالد بن الوليد بالخدمه (٢).

مع أسماء:

وأخرج ابن سعد في طبقاته (٣) عن ابن عباس: قال: تزوج رسول الله (ص) أسماء بنت النعمان؛ وكانت من أجمل أهل زمانها أشبهه، قال: فلما جعل رسول الله (ص) يتزوج الغرائب، قالت عائشه: قد وضع يده في الغرائب، ويوشكن أن يصرفن وجهه عنا، وكان خطبها حين وفدت كنده عليه إلى أبيها، فلما رآها نساء النبي (ص) حسدنها، فقلن لها: إن أردت أن تحظى عنده فتعوذي بالله منه إذا دخل عليك؛ فلما دخل، وألقى الستر، مد يده إليها، فقالت: أعود بالله منك؛ فقال: (أمن عائذ الله! إلحقي بأهلك).

وروى (٤) حمزه بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه، وكان بدرياً قال: تزوج

ص: ٦٤

-
- ١- . ١٤٨/٨، والذهبي في تاريخه ٣٣٥/١، وابن كثير في تاريخه ٢٩٩/٥ وفي الاصابه ٣٩٢/٤ في الترجمة المرقمه ١٠١٦، وقد تخيرنا اللفظ من طبقات ابن سعد. وفي انساب البلاذري ٤٥٨/١ أوفى من ابن سعد.
 - ٢- . الخندمه جبل بمكه معجم البلدان.
 - ٣- . ١٤٥/٨، وأخرجه اليعقوبي عند ذكره ازواج النبي من تاريخه مختصراً، وفي المحبر ٩٤-٩٥ وبعده: وخرج والغضب يرى في وجهه، فقال له الاشعث بن قيس لايسوءك يا رسول الله... الحديث فوجه ابنته.
 - ٤- . الطبرى في ذيل المذيل ٧٩/١٣. والحاكم في المستدرک ٣٧/٤ وفي تلخيصه وفي المحبر أيضاً.

الرسول (ص) أسماء بنت النعمان الجونيه فأرسلني فجئت بها؛ فقالت حفصه لعائشه أو عائشه لحفصه: اخضبيها أنتِ، وأنا أمشطها ففعلن، ثم قالت إحداهما:

(إنَّ النبيَّ يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول أعوذ بالله منك؛ فلما دخلت وأرختي الستر مد يده إليها، فقالت: أعوذ بالله منك! فتلَّ (١) بكِّمَّه على وجهه، واستتر به وقال: (عدت معاذاً) ثلاث مرَّات. قال أبو أسيد: ثمَّ خرج عليُّ فقال: يا أبا أسيد! ألحِّقها بأهلها ومثَّعها برازقتين - يعني كرباستين - فكانت تقول: أدعوني الشقيَّة). (٢)

يظهر من هذه النصوص، أنَّ المتعوِّذه بالله من الرسول بتعليم من أمِّ المؤمنين أيضاً كانت أكثر من واحده.

مع ماريه:

أخرج ابن سعد في طبقاته (٣) عن عائشه، قالت: ما غرت على امرأه إلا - دون ماغرت على ماريه، وذلك أنها كانت جميله جعده، (٤) وأعجب بها رسول الله (ص) وكان أنزلها أوَّل ما قدم بها في بيت حارثه بن (٥) النعمان - إلى قولها - وفزعنا لها فجزعت، فحوَّلها رسول الله (ص) إلى العاليه، (٦) فكان يختلف إليها

ص: ٦٥

١- . تلَّ عليه: أرخاه.

٢- . أخرج ابن عبد البر في الاستيعاب ٧٠٣/٢ الترجمة ٢، وفي الاصابة ٥٣٠/٣ بترجمه نعمان بن أبي الجون الترجمة ٨٧٣٦ مفصلاً، وفي الترجمة ٥٧ ج ٤ ص ٢٢٨-٢٩٨، والحاكم في المستدرک ٣٦/٤، وفي تلخيصه وقال يعقوبى عند ذكره أزواج النبي من تاريخه: ((والجونيه امرأه من كنده))، وليست بأسماء، ثمَّ ذكر باختصار تمام القصة المذكوره آنفاً وختمها بقوله: فزعموا أنها ماتت كمدأ. وكذلك ذكره في المحبر ٩٥، وأنساب الاشراف ٤٥٧/١.

٣- . طبقات ٢١٢/٨، والاصابه بترجمه ماريه، وأنساب الاشراف ٤٤٩/١-٤٥٠.

٤- . جعده: شعرها غير مسترسل.

٥- . حارثه بن النعمان الانصارى الخزرجى من بنى النجار، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد مع الرسول، توفى عصر معاويه، وأسد الغابه ٣٥٨/١-٣٥٩ والاصابه ١٥٣٢/١.

٦- . العاليه من المدينه وقرائها وعمايرها ما كان من جهه نجد الى تهامه. وما كان دون ذلك من جهه تهامه فهى السافله ويقصد هنا من العاليه مال كان لبني النظير ثمَّ صار للنبي (ص).

هناك، فكان ذلك أشدّ علينا، ثمّ رزقه الله الولد وحرمانه... الحديث.

قصة ماريه:

أخرج ابن سعد في طبقاته (١) وقال: بعث المقوقس (٢) صاحب الاسكندريه إلى رسول الله (ص) في سنة سبع من الهجرة بماريه وبأختها سيرين وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً لئناً وبغلته الدلدل وحماره عفير، ويقال: يعفور، ومعهم خصي يقال له: مابور، شيخ كبير، كان أخوا ماريه، وبعث ذلك كله مع الحاطب ابن (٣) أبي بلتعنه، فعرض حاطب ابن أبي بلتعنه على ماريه الاسلام، ورغبها فيه، فأسلمت وأسلمت أختها، وأقام الخصي على دينه، حتى أسلم بالمدينه بعد على عهد رسول الله، وكان رسول الله معجباً بأُمّ إبراهيم، وكانت بيضاء جميله، فأنزلها رسول الله في العاليه في المال الّذى يقال لها اليوم مشربه أمّ إبراهيم؛ وكان رسول الله يختلف إليها هناك، وضرب عليها الحجاب؛ وكان يطأها بملك اليمين، فلما حملت وضعت هناك، وقبلتها سلمى مولاه رسول الله؛ فجاء أبو رافع (٤) زوج سلمى فبشّر رسول الله

ص: ٦٦

١- ٢١٢/٨.

- ٢- يُقال: الفراعنه لملوك مصر، والقيصره لملوك الروم، والنجاشى لامبراطور الحبشه، والمقوقس لصاحب الاسكندريه.
- ٣- حاطب بن أبي بلتعنه عمرو بن عمير من بنى خالفه بطن من لخم، كنيته أبو عبد الله حليف بن أسد، مولى عبد الله بن حميد الاسدى، أو كان حليف الزبير بن العوّام الاسدى، وأرسله النبىّ سنة ست الى المقوقس فبعث المقوقس معه هديه للنبيّ وماريه وسيرين اختها وجاريه اخرى وخصياً اسمه مابور توفى سنة ثلاثين وصلى عليه الخليفه عثمان. أسد الغابه ١/٣٦١-٣٦٢ والاصابه الترجمة ١٥٣٨، والاستيعاب الترجمة ٥٣٤.
- ٤- أبو رافع مولى رسول الله. اختلفوا فى اسمه، والاشهر أنّ اسمه أسلم، زوّجه رسول الله مولاه سلمى. شهد الخندق وما بعدها، وتوفى قبل قتل عثمان، أو فى خلافه على. وسلمى كانت مولاه صفيه شهدت خبير وكانت قابله بنى فاطمه، واشتركت فى غسل فاطمه بنت رسول الله. راجع ترجمتها من الاستيعاب ١٥٢، وأسد الغابه ١/٧٧، والاستيعاب الترجمة المرقمه ١٢٠ من الكنى و ٧٣ من الاسماء.

بإبراهيم، فوهب له عبداً؛ وكان ذلك في ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة؛ وتنافست الانصار في إبراهيم وأحبوا أن يفرغوا ماريه للنبي (ص) لما يعلمون من هواه فيها،

(وغار نساء رسول الله (ص) واشتد عليهن حين رزق منها الولد). (١)

وفي الطبقات أيضاً

((وكانت ثقلت على نساء النبي (ص) وغرن عليها ولا مثل عائشه)).

وحدثت أم المؤمنين وقالت:

((لما ولد إبراهيم جاء به رسول الله (ص) إليّ فقال: أنظري إلى شبهه بي. فقلت: ما أرى شبها؛ فقال رسول الله (ص): ألا تريّن إلى بياضه ولحمه؛ قالت: من سقى ألبان الضأن، ايضاً وسمن)). (٢)

وكان من أثر ما صدر من أم المؤمنين عائشه وحفصه في حق ماريه نزول سورة التحريم، كما نوردها في مايلي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَوَاضِعَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ).

في تفسير الطبري عن ابن عباس قال:

كانت حفصه وعائشه متحابتين وكانتا زوجتي النبي (ص) فذهبت حفصه الى أبيها فتحدثت عنده فأرسل النبي (ص) الى جاريته فظلت معه في بيت حفصه وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشه فرجعت حفصه فوجدتهما في بيتها فجعلت تنتظر خروجها. وغارت غيره شديده فأخرج رسول الله (ص) جاريته ودخلت حفصه فقالت قد رأيت من كان عندك والله لقد سؤتى. فقال النبي (ص) والله إنني لأرضينك فإنني مسرُّ اليك سرّاً فاحفظيه. قالت: ما هو

ص: ٦٧

١- . طبقات ابن سعد ترجمه ابراهيم ابن النبي ١/١٣٤، وأنساب الاشراف ١/٤٤٩-٤٥٠.

٢- . طبقات ابن سعد بترجمه ابراهيم ابن النبي ١/١٣٧، وأنساب الاشراف ١/٤٤٩-٤٥٠.

قال: إني أشهدك أن سرتي هذه علي حرام رضا لك، وكانت حفصه وعائشه تظاهران على نساء النبي (ص) فانطلقت حفصه الى عائشه فأسرت اليها: أن ابشري إن النبي (ص) قد حرّم عليه فتاته. فلما أخبرت بسر النبي (ص) أظهر الله عز وجل النبي (ص) فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه (يا أيها النبي لم تحرم) - الى قوله تعالى - (وهو العليم الحكيم). (١)

وقريب منه روايه عروه بن الزبير في طبقات ابن سعد (٢) وفي روايه الضحاك:

كانت لرسول الله (ص) فتاه فغشيها فبصرت به حفصه وكان اليوم يوم عائشه وكانتا متظاهرتين فقال رسول الله (ص) اكنمي علي ولا تذكرى لعائشه ما رأيت فذكرت حفصه لعائشه فغضبت عائشه فلم تزل بنبي الله (ص) حتى حلف أن لا يقربها أبداً فأنزل الله هذه الايه وأمره أن يكفر يمينه ويأتي جاريته. (٣)

(وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ).

في تفسير الطبري:

(هو في قول ابن عباس وقتاده وزيد بن اسلم وابنه عبدالرحمن والشعبي والضحاك بن مزاحم: حفصه. وقد ذكرنا الروايه في ذلك قبل).

وروى وقال:

واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثاً، قوله لها لا- تذكره فلما تبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض وكان كريما (ص).

ص: ٦٨

١- . تفسير الطبري (١٠١/٢٨) وفي ص: ١٠٢ رواها عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب.

٢- . ط / أوروبا (١٣٥/٨) باب (ذكر المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله (ص).....).

٣- . اللفظ للطبري في تفسيره (١٠١/٢٨) وراجع طبقات ابن سعد ط اوروبا (١٣٤/٨).

وقوله: فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ يَقُولُ: فَلَمَّا خَبَرَ حَفْصَةَ نَبِيَّ اللَّهِ (ص) بِمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ إِفْشَائِهَا سَرَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) إِلَى عَائِشَةَ (قَالَتْ: مِنْ أَنْبَأَكَ هَذَا) يَقُولُ قَالَتْ حَفْصَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَنْبَأَكَ هَذَا الْخَبْرَ وَأَخْبَرَكَ بِهِ (قَالَ تَبَيَّنَى الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قَالَ مُحَمَّدٌ نَبِيَّ اللَّهِ لِحَفْصَةَ خَبِرْنِي بِهِ الْعَلِيمُ بِسَرَائِرِ عِبَادِهِ...

(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ).

فى تفسير الطبرى عن ابن عباس قال:

((مكثت سنه وانا اريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المتظاهرتين فما أجد له موضعا أسأله فيه، حتى خرج حاجباً وصحبته حتى إذا كان بمصر الظهران، ذهب لحاجته وقال أدركنى بإداوه من ماء فلما قضى حاجته ورجع أتته بالاداوه أصبها عليه فرأيت موضعا، فقلت: يا أمير المؤمنين! من المرأتان المتظاهرتان على رسول الله (ص) فما قضيت كلامى حتى قال: عائشه وحفصه (رض)).

تواترت هذه الروايه عن ابن عباس وفى بعض ألفاظها بعض الاختلاف فى بعض الاسانيد. (1)

فى تفسير الطبرى عن ابن مسعود والضحاك وسفيان: فقد صغت قلوبكما: فقد زاغت قلوبكما.

وعن ابن عباس:

فقد صغت قلوبكما يقول: فقد زاغت قلوبكما يقول: قد ائمت

ص: ٦٩

١- . مَرَّ الظَّهْرَانُ: قَرْيَةٌ بِوَادِي ظَهْرَانَ قَرِبَ مَكَّةَ. وَالْخَبْرُ بِتَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ (١٠٤/٢٨-١٠٥) وَصَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (٣/١٣٧ وَ ١٣٨) كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّحْرِيمِ، الْبَابُ ٢ وَالْبَابُ ٣ وَج ٢٢/٤ كِتَابُ اللَّبَاسِ، بَابُ مَا كَانَ يَتَجَوَّزُ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ اللَّبَاسِ وَالزَّيْنِ، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ كِتَابُ الطَّلَاقِ، الْحَدِيثُ الْمُرْقَمُ ٣١ وَ ٣٢ وَ ٣٣ وَ ٣٤، وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ (١/٤٨).

وفى تفسير السيوطى الدرّ المشهور عن ابن مردويه وابن عساكر عن على بن أبى طالب وابن عباس فى قوله: (وصالح المؤمنين) قال: هو على بن أبى طالب.

وعن اسماء بنت عميس:

سمعت رسول الله (ص) يقول:

((وصالح المؤمنين)) قال: على بن أبى طالب. (٢)

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ

قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا).

(قانتات) قال الراغب فى مفردته:

القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع.

(سائحات) قال الراغب:

((سائحات: صائمات، قال بعضهم: الصوم ضربان: حقيقى وهو ترك المطعم والمنكح، وصوم حُكمى وهو حفظ الجوارح عن المعاصى كالسمع والبصر واللسان، فالسائح هو الذى يصوم هذا الصوم دون الصوم الاوّل، وقيل: السائحون: هم الذين يتحرّون ما اقتضاه قوله: (أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذان يسمعون بها).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

(قوا أنفسكم... فى تفسير الطبرى عن على بن أبى طالب:

قوا أنفسكم وأهليكم قال: أدّبوهم علموهم.

ص: ٧٠

١- . تفسير الطبرى (١٠٤/٢٨).

٢- . تفسير الطبرى (٢٤٤/٦).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ).

لما ورد في الخطاب الى زوجتي الرسول المتظاهرتين أمر بالتوبه، وفي وصف الزوجات اللاتي عسى ربُّه أن يبدلهنَّ بالمطلقات: التائبات. وصف في هذه الايه التوبه المطلوبه بالنصوح.

وقال الراغب في تفسير النصوح: (هو من قولهم: نصحت له الود: أى أخلصته، وناصح العسل خالصه، أو من قولهم: نصحت الجلد: خِطَّتُهُ، و

((توبوا الى الله توبه نصوحاً)) من أحد هذين: إما الاخلاص وإما الاحكام).

وفي تفسير السوره قال السيد قطب:

(هذه السوره تعرض في صدرها صفحه من الحياه البيتيه لرسول الله (ص) وصوره من الانفعالات والاستجابات الانسانيه بين بعض نسائه وبعض، وبينهن وبينه! وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته (ص) وفي حياه الجماعه المسلمه كذلك.. ثم في التوجيهات العامه للامه على ضوء ما وقع في بيوت رسول الله وبين أزواجه).

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِ وَنَجَّيْنَاهَا مِنَ الْغَمِّ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ).

(فخانتاهما) فى تفسير الطبرى عن ابن عباس، قال:

((ما بعت امرأه نبى قط. فخانتاهما، قال: فى الدين)).

وكانت خيانتها أنّهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأه نوح تطلع على سرّ نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابره من قوم نوح به فكان ذلك من أمرها. وأمّا امرأه لوط فكانت إذا ضاف لوطاً أحد أخبرت به أهل المدينه ممّن يعمل السوء).

(فلم يغنيا عنهما) فى تفسير الطبرى عن سعيد بن جبير:

(لم يغن نوح ولوط عن امرأتهما من الله لَمَّا عاقبهما على خيانتها زوجيهما شيئاً، ولم ينفعهما أن كان زواجهما نبيين). (١)

(أحصنت فرجها).

قال الراغب فى المفردات:

((المحصنه أمّا بعفتها أو تزوّجها أو بمانع من شرفها وحرّيتها)).

قال السيّد قطب فى تفسيره:

(الحادث الذى نزل بشأنه صدر هذه السوره هو واحد من تلك الامثله التى كانت تقع فى حياه الرسول (ص)، وفى حياه أزواجه).

(وبمناسبه هذا الحادث وما ورد فيه من توجيهات، وبخاصه دعوه

الزوجتين المتآمرتين فيه الى التوبه؛ اعقبه فى السوره دعوه الى التوبه والى قيام أصحاب البيوت على بيوتهم بالتربيه. ووقايه أنفسهم وأهليهم من النار.

كما ورد مشهد للكافرين فى هذه النار، واختتمت السوره بالحديث عن امرأه نوح وامرأه لوط كمثّل للكفر فى بيت مؤمن. وعن امرأه فرعون كمثّل للإيمان فى بيت كافر. وكذلك عن مريم ابنه عمران التى تطهّرت فتلقّت النفخه من روح الله وصدقت بكلمات ربّها وكتبه وكانت من القانتين).

قال المؤلّف:

ص: ٧٢

١- فى تفسير الطبرى ((أزواجهما شيئاً ولم ينفعهما أن كانت أزواجهما أنبياء)) وهو خطأ.

من بلاغه القرآن تطابق العدد بالثنويه فى المثل بين المرأتين الكافرتين زوجتى النبىين والأخريين المؤمنتين مع المتظاهرتين فى صدر السوره.

مع ذكرى خديجه:

أخرج البخارى فى صحيحه،(١) فى باب غيره النساء من كتاب النكاح عن عائشه، قالت: (ماغرت على امرأه لرسول الله كما غرت على خديجه، لكثره ذكر رسول الله (ص) إياها وثناؤه عليها، وقد أوحى الله إلى رسول الله، أن يبشرها بيت فى الجنة من قصب). (٢)

وأخرج (٣) فى باب مناقب خديجه منه، أنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبى ما غرت على خديجه، وما رأيتها!! ولكن النبى كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاه، ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجه وفى روايه قال بعده أنى لاحب حبيها. (٤)

وفيه أيضاً عن أم المؤمنين قالت: استأذنت هاله بنت خويلد أخت

خديجه (٥) على رسول الله (ص)، فعرف استيذان خديجه، فارتاع لذلك؛ فقال (اللهم هاله) قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدين، هلكت فى الدهر قد أبدلك الله خيراً منها!

وفى مسند أحمد بعد هذا:

((فتغير وجه رسول الله تغيراً ما كنت أراه إلاّ

ص: ٧٣

١- ٢٠٩/٢.

٢- القصب ما كان مستطيلاً من الجواهر، الدر الرطب الزبرجد الرطب المرصع بالياقوت.

٣- البخارى ٢١٠/٢.

٤- راجع ترجمتها فى الاصابه.

٥- خديجه بنت خويلد القرشيه الاسديه، وامها فاطمه بنت زائده من آل لؤى، تزوجها أبو هاله هند التميمى، فولدت له هنداً، ثم خلف عليها عتيق بن عائذ المخزومى وتزوجها الرسول وعمرها اربعون سنه، وهو ابن خمس وعشرين، فولدت له اولاده كلهم ماعدا ابراهيم، وتوفيت فى السنه العاشره من البعته، راجع ترجمتها فى الطبقات، والاستيعاب ترجمه ٨٤ وأسد الغابه والاصابه.

عند نزول الوحي أو عند المخيله حتى ينزل؛ أرحمه هو أم عذاب)).(١)

وفى روايه(٢) قال لها:

((ما أبدلنى الله خيراً منها؛ قد آمنت بى إذ كفر بى الناس؛ وصدقتنى إذ كذبنى الناس؛ وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس؛ وورزقنى الله عز وجل ولدها إذ حرمنى أولاد النساء)) انتهى.

وفى روايه الاستيعاب قالت: كان رسول الله (ص) لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجه فيحسن الثناء عليها.

ما فتى الرسول يذكر زوجه الأولى خديجه، ويعيش مع ذكراها مؤثراً ذوى قراباتها وأصدقائها بيزه وإحسانه. حتى أوغر بذلك صدر أم المؤمنين عائشه؛ فاعترضت عليه غير مره؛ وزاد فى الطين بله ما تلقته من الرسول أخيراً من تفرير ولوم فى ذلك؛ وما سمعته من المدح والقدح المتقابلين مما حز فى نفسها وآلمها كثيراً، فأثر ذلك تأثيراً سيئاً فى علاقاتها مع فاطمه ابنة خديجه من رسول الله، وفى علاقاتها مع زوج فاطمه وبنيتها الذين خصهم الرسول بمزيد من عطفه، وحدبه عليهم؛ ومن آثار ذلك ما رواه أحمد فى مسنده(٣) عن النعمان ابن بشير، حيث قال: استأذن أبو بكر على رسول الله (ص) فسمع صوت عائشه عالياً وهى تقول:

((والله لقد عرفت أن علياً أحب إليك من أبى ومنى مرتين أو ثلاثاً... الحديث)).

وكانت - أحياناً لا تذكره بخير - روت عائشه ان النبى خرج يمشى بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر..).

ص: ٧٤

١- . مسند أحمد ١٥٠/٦ و ١٥٤ عن موسى بن طلحه.

٢- . مسند أحمد ١١٧/٦، وراجع أسانيد الحديث وألفاظه فى كل من سنن الترمذى ص ٢٤٧ باب ماجاء فى حسن العهد، وسنن ابن ماجه، باب الغيره من أبواب النكاح ٣١٥/١، والبخارى أيضاً فى ١٧٧/٢، و ٣٦/٤ و ١٩٥، والاصابه ٣٨٣/٤، وراجع أسد الغابه ٤٣٩/٥، والاستيعاب بترجمه خديجه، ومسند أحمد ٥٨/٦ و ١٠٢ و ٢٠٢ و ٢٧٩، وابن كثير فى تاريخه ١٢٨/٣ والكنز ٢٢٤/٦ الحديث ٣٩٧٣ و ٣٩٧٤.

٣- . مسند أحمد ٢٧٥/٤، وراجع خصائص النسائى، ص ٢٨، ومجمع الزوائد ١٢٤/٩.

قال ابن عباس للراوى هل تدري من الرجل الاخر قال: لا، قال: على بن أبى طالب ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع... (١).

وقد وصف بعض ذلك ابن أبى طالب فى خطبته التى قال فيها:

((أما فلانه فقد أدركها ضعف رأى النساء، وضغن غلا فى صدرها، كمرجل القين. (٢).

ولو دعيت لتنال من غيرى ما أتت إلى لم تفعل!! (٣).

وفى الكنز: (٤).

((وأما عائشه فقد أدركها رأى النساء وشئى كان فى نفسها على يغلى كالمِرْجَلِ، ولو دُعِيَتْ لتنال من غيرى ما أتت إلى لم تفعل، ولها بعد ذلك حرمتها الأولى، والحساب على الله، يعفو عمن يشاء ويعذب من يشاء)).

ويناسب فى المقام أن نورد ما ذكره ابن أبى الحديد فى شرحه لهذه

الخطبه: (٥).

قال ابن أبى الحديد: وقد كنت قرأته على الشيخ أبى يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعانى (ره) أيام اشتغالى عليه بعلم الكلام، وسألته عمّا عنده فيه، فأجابنى بجواب طويل أنا أذكر محصولة؛ بعضه بلفظه وبعضه بلفظى، فقد شدّ عني الان لفظه كله بعينه، قال: أول بدء الضغن كان بينها وبين فاطمه، وذلك لان رسول الله تزوّجها عقيب موت خديجه، فأقامها مقامها، وفاطمه هى ابنة خديجه، ومن المعلوم أنّ ابنه الرجل إذا ماتت أمها وتزوج أبوها أخرى

ص: ٧٥

- ١- الطبرى ١/١٨٠١. ط. اوروبا.
- ٢- المرجل: قدر كبير والقين الحداد أى كغليان قدر من حديد.
- ٣- شرح ابن أبى الحديد ٢/٤٥٦-٤٦٠ فى (ومن كلام له (ع) خاطب به اهل البصره على جهه اقتصاص الملاحم فمن استطاع منكم عند ذلك... الى قوله واما فلانه).
- ٤- ٢١٧-٢١٥/٨، ومنتخبه ٦/٣١٥-٣٣١.
- ٥- وقد لخصنا كلام ابن ابى الحديد وربما اشرنا فى الهامش الى مصادر الاحاديث التى يستشهد بها. شرح النهج (٢/٤٥٧-٤٦٠).

كان بين الابنه وبين المرأه كدر وشنآن؛ وهذا لا يُد منه، لأنّ الزّوجه تنفس عليها ميل الاب، والبنت تكره ميل أبيها إلى امرأه غريبه، كالضّرّه لامّها؛ بل هي ضرّه على الحقيقه وإن كانت الامّ ميته؛ ولأنّنا لو قدّرنا الامّ حيّه لكانت العداوه مضطرمه، متسرّعه، فإذا كانت قد ماتت، ورثت ابنتها تلك العداوه...

ثمّ اتفق أنّ رسول الله مال إليها وأحبّها، فازداد ما عند فاطمه بحسب زياده ميله.

وأكرم رسول الله فاطمه إكراماً عظيماً أكثر ممّا كان الناس يظنّونه، وأكثر من إكرام الرّجال لبناتهم، حتّى خرج بها عن حدّ حبّ الآباء للاولاد؛ فقال بمحضر الخاص والعام مراراً لا مرّه واحده، في مقامات مختلفه لا في مقام واحد: إنّها سيّده نساء العالمين، (١) وإنّها عديله مريم بنت عمران، (٢) وإنّها إذا مرّت في الموقف، نادى منادٍ من جهه العرش، يا أهل الموقف! غُضّوا أبصاركم لتعبر فاطمه بنت محمّد. (٣) وهذا من الاحاديث الصّحيحه، وليس من الاحاديث المستضعفه؛ وإنّ إنكاحه عليّاً إياها ما كان إلّا بعدما أنكحه الله تعالى إياها في السّماء، بشهاده الملائكه؛ (٤) وكم قال - لا مرّه -:

((يؤذيني ما يؤذيها، ويغضبني ما يغضبها)) (٥) و

((إنّها بضعه منّي. يريني ما يريها)) (٦)). فكان هذا وأمثاله يوجب زياده الصّغن عند الزّوجه، حسب زياده هذا

ص: ٧٦

١- . كنز العمال ٢١٩/٦ الحديث ٣٨٥٣ (عن عائشه)، والحديث ٣٨٥٤ (ش ع عبد الرحمن بن ابي ليلي).

٢- . الكنز ٢١٩/٦، الحديث ٣٨٤٥، و ٣٨٥٥.

٣- . المستدرک ١٥٣/٣ و ١٥٦ والكنز ٢١٨/٦ الحديث ٣٨٣٠، و ٣٨٣١، و ٣٨٣٢.

٤- . المستدرک ١٥٨/٣-١٥٩، والكنز ٢١٨/٦ الحديث ٣٨٣٤ عن المسور بن مخرمه و ٣٨٣٦ عن ابن الزبير، وص ٢١٩ الحديث ٣٨٦٤.

٥- . والترمذی ٢٤٦/١٣ في فضل فاطمه.

٦- . الكنز ٢٢٠/٦ الحديث ٣٨٦٦، وراجع ترجمه خديجه وفاطمه في الطبقات ٨، والاستيعاب وأسد الغابه والاصابه، وخلصه تذهيب الكمال، وحليه أبي نعيم.

التعظيم والتبجيل؛ والنفوس البشريّة تغيط على ما دون هذا فكيف هذا؟ ثمّ حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها - أعنى عليّاً عليه السلام - فإنّ النساء كثيراً ما يجعلن الاحقاد في قلوب الرجال، لاسيّما وهنّ محدّثات الليل، كما قيل في المثل، وكانت تكثر الشكوى من عائشه، ويغشاها نساء المدينة وجيران بيتها، فينقلن إليها كلمات عن عائشه، كانت عائشه تشكو إلى بعلها، كما تشكو إلى أبيها، لعلمها أن بعلها لا يُشكّيها على ابنته؛ فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثرٌ ما؛ ثمّ تزايد تقريظ رسول الله لعلّي، وتقريبه واختصاصه؛ فأحدث ذلك حسداً له، وغبطه في نفس أبي بكر عنه، وهو أبوها، وفي نفس طلحه وهو ابن عمّها، وهي تجلس إليهما، وتسمع كلامهما، وهما يجلسان إليها ويحادثانها فأعدى إليها منهما كما أعدتهما قال: ولست أبرئ عليّاً من مثل ذلك؛ ثمّ كان بينها وبين عليّ في حياه الرسول أحوال وأقوال، كلّها تقتضى تهيج ما في النفوس، نحو ما روى أنّه سائره يوماً وأطال مناجاته، (1) فجاءت، وهي سائره خلفهما، حتّى دخلت بينهما، وقالت: فيم أنتما فقد أطلتما، فيقال إنّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - غضب ذلك اليوم، وما روى من حديث الجفنه من الشريد التي أمرت الخادم، فوقفت لها فأكفأتها، ونحو ذلك ممّا يكون بين الأهل وبين المرأة وأحمائها، ثمّ اتفق أنّ فاطمه ولدت أولاداً كثيرة، بنين وبنات ولم تلد هي ولداً، وأنّ رسول الله كان يقيم بني فاطمه مقام بنيه؛ ويسمّي الواحد منهما ابني؛ ويقول:

((دعوا لي ابني)) و

((لا تزرعوا عليّ ابني)) و

((ما فعل ابني)) فما ظنّك بالزوجه إذا حرمت الولد من البعل، ثمّ رأت البعل يتبنى بني ابنته من غيرها، ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق؛ هل تكون محبّه لأولئك البنين ولأمّهم ولا يبيهم أم مبغضه؟ وهل تؤدّ دوام ذلك واستمراره أم زواله وانقضاءه!

ص: ٧٧

١- في باب مناقب عليّ من كتاب المناقب بسنن الترمذى ١٧٣/١٣ دعا رسول الله (ص) عليّاً يوم الطائف فانتجاه فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال رسول الله (ص): ((ما انتجيته ولكن الله انتجاه)).

ثم اتفق أن رسول الله (ص) سدَّ باب أبيها إلى المسجد، وفتح باب صهره؛ (١) ثم بعث أباهما ببراءة إلى مكه، ثم عزله عنها بصهره، (٢) فقدح ذلك أيضاً في نفسها، وولد لرسول الله إبراهيم من ماريه، فأظهر عليّ بذلك سروراً كثيراً؛ وكان يتعصب لماريه، ويقوم بأمرها عند رسول الله (ص) ميلاً على غيرها، وجرت لماريه نكبه، فبرأها عليّ منها، وكشف بطلانها، أو كشفه الله على يده؛ وكان ذلك كشفاً محسباً بالبصر، لا يتهياً للمناقضين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزل ببراءة عائشه، وكلُّ ذلك ممّا يوغر صدر عائشه عليه، ويؤكد ما في نفسها منه؛ ثم مات إبراهيم، فأبطنت شماته، وإن أظهرت كآبه، ووجم عليّ من ذلك، وكذلك فاطمه، وكانا يؤثران ماريه، ويريدان أن تتميز عليها بالولد، فلم يقدر لهما ولا لماريه ذلك، وبقيت الامور على ما هي عليه...

وكان عليّ لا يشك أن الامر له، وأنه لا ينازعه فيه أحد من الناس؛ ولهذا قال له عمّه: أمدد يدك أبايعك، فيقال: عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان.

قال: يا عمّ وهل يطمع فيها طامع غيري! قال: ستعلم!

قال: فإنّي لا أحبّ هذا الامر من وراء رتاج؛ (٣) وأحبُّ أن أصحر به؛ فسكت عنه. (٤) فلما ثقل رسول الله في مرضه، أنفذ جيش أسامه؛ وجعل فيه

ص: ٧٨

١- . مسند أحمد ومنتخب الكنز ٢٩/٥، والكنز ١٥٢/٦ الحديث ٢٤٩٥ والمستدرک ١٢٥/٣. والترمذی ١٧٦/١٣ ولم يسد باب ابی بکر لانه كان بالسنح.

٢- . مسند أحمد ٣٣١/١ المستدرک ٥٢/٣ عن ابن عباس، وص ٦ من خصائص النسائي، ومسند أحمد ٢/١ عن طريق أبي بکر ومسند أحمد ٣٥١/١ عن طريق علي، وص ٢٠ من خصائص النسائي وعبد الله بن عمر راجع: المستدرک ٥١/٣.

٣- . الرتاج: الباب المقفل.

٤- . راجع: المرشّحون للبيعه من عبد الله بن سبأ، المدخل ص ٣١ نجد تفصيل المحاوره هناك مع بيان رأينا فيه.

أبا بكر(١) وغيره من أعلام المهاجرين والانصار فكان عليّ حينئذ بوصوله إلى الامر - إن حدث برسول الله حدث - أوثق، ويغلب على ظنه أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الامر بالكليّة؛ فيأخذه صفواً وعفوياً، وتتم له البيعة، فلا يتهتأ فسخها لو رام ضدّ منازعته عليها، فكان من عود أبي بكر من جيش أسامه بإرسالها - يعنى عائشه - إليه وإعلامه بأن رسول الله يموت ما كان.

ومن حديث الصّلاه بالنّاس ما عرف، فنسب عليّ إلى عائشه أنّها أمرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصل بالنّاس، لان رسول الله كما روى قال ليصلّ بهم أحدهم؛ ولم يعين؛ وكانت صلاه الصّبح، فخرج رسول الله وهو في آخر رمق يتهادى بين عليّ والفضل بن العباس، حتّى قام في المحراب كما ورد في الخبر، ثم دخل، فمات ارتفاع الضّحى، فجعل يوم صلاته حجّه في صرف الامر إليه.(٢)

وقال: يُؤيّم يطيّب نفساً أن يتقدّم قَدَمَيْنِ قَدَمَهُمَا رسول الله في الصلاه، ولم يحملوا خروج رسول الله إلى الصلاه لصرفه عنها، بل لمحافظة على الصّلاه مهما أمكن؛ فبويح على هذه النكته التي اتهمها عليّ أنّها ابتدأت منها، وكان عليّ يذكر هذا لاصحابه في خلواته كثيراً، ويقول:

إنّه لم يقل

((إنكّن لصويحبات يوسف)) إلاّ - إنكاراً لهذه الحال، وغضباً منها، لأنّها وحفصه تبادرتا إلى تعيين أبيهما؛ وإنّه استدركها بخروجه، وصرفه عن

ص: ٧٩

١- . روى ابن سعد في الطبقات عن جيش اسامه، وقال: فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الاولين والانصار إلاّ انتدب في تلك الغزوه. فيهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيده ابن الجراح، وسعد بن ابى وقاص... فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين، فغضب رسول الله، فصعد المنبر، فحمد الله واثنى عليه ثمّ قال: ما مقاله بلغنى عن بعضكم في تأميرى اسامه... ثمّ نزل فدخل بيته، وذلك يوم السبت.. وتوفى يوم الاثنين، راجع الطبقات. ط. ليدن ج ٢ ق ١ ١٣٦/١، وفى ج ٤، ق ٤٦/١ منه عن ابن عمر، وراجع تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٩١/٢، وكنز العمال ٣١٢/٥، ومنتخبه ١٨٠/٤.

٢- . لنا بحث مفصل في ذلك باسم صلاه ابى بكر.

المحراب، فلم يجد ذلك ولا أثر، مع قوّه الدّاعى الّذى كان يدعو إلى أبى بكر؛ ويمهّد له قاعده الامر، وتقرّر حاله فى نفوس النّياس، ومن اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والانصار؛(١) ولّمّا ساعد على ذلك من الحظّ الفلكيّ، والامر السّيمايّ الّذى جمع عليه القلوب والاهواء.

فكانت هذه الحال عند عليّ أعظم من كلّ عظيم؛ وهى الطامّه الكبرى، والمصيبه العظمى؛ ولم ينسبها إلا الى عائشه وحدها؛ ولا علق الامر الواقع إلاّ بها، فدعا عليها فى خلواته وبين خواصّه، وتظلم إلى الله منها؛ وجرى له فى تخلفه عن البيعه ما هو مشهور حتّى بايع.(٢)

وكان يبلغه وفاضمه عنها كلّ ما يكرهانه منذ مات رسول الله، إلى أن توفّيت فاطمه وهما صابران على مضمض ورمض، واستظهرت بولايه أبيها واستطالت وعظم شأنها، وانخذل عليّ وفاضمه؛ وقهرها.

وأخذت فدك؛ وخرجت فاطمه تجادل فى ذلك مراراً، فلم تظفر بشيء،(٣) وفى ذلك تبلغها النّساء الدّاخلات والخارجات عن عائشه كلّ كلام يسوءها ويبلغن عائشه عنها وعن بعلها مثل ذلك إلاّ أنّه شتان ما بين الحاليتين، وبعد ما بين الفريقين. هذه غالبه، وهذه مغلوبه. وهذه أمره. وهذه مأموره، وظهر التشفّي والشّماتة ولا شيء أعظم مراره ومشقّه من شّماتة العدو!

فقلت له - ره - : أف تقول أنت: إنّ عائشه عيّنت أباها للصّلاه ورسول الله (ص) لم يعيّنه!

ص: ٨٠

١- . راجع: عبد الله بن سبأ، السقيفه، تجد تفصيلاً وافياً هناك.

٢- . راجع: عبد الله بن سبأ، ص ٤٣-٥٦.

٣- . راجع طبقات ابن سعد ج ٢ ق ٨٦/٢ ط. اوروبا، (باب ذكر ميراث رسول الله)، وصحيح البخارى كتاب المغازى باب غزوه خيبر ٣٨ ٣، وصحيح مسلم باب قول رسول الله (نحن لانورث ما تركناه صدقه) ٧٢/١ و ١٥٣/٣، والطبرى بعد ايراد السقيفه، وابن كثير ٢٨٥/٦-٢٨٦، وابن عبد ربّه ٦٤/٣، ومسنّد احمد ٤/١ و ٦ و ٩ و ١٠ و ١٤، و ٣٥٣/٢.

فقال: أميا أنا فلا أقول ذلك، ولكن علياً كان يقوله؛ وتكليفى غير تكليفه، كان حاضراً ولم أكن حاضراً، فأنا محجوج بالاجبار التى أتصلت بى؛(١) وهى تتضمن تعيين النبى لابى بكر فى الصلاه وهو محجوج بما كان قد علمه، أو يغلب على ظنه من الحال التى كان حضرها.

قال: ثم ماتت فاطمه، فجاء نساء رسول الله كلهن إلى بنى هاشم فى العزاء إلا عائشه. فإنها لم تأت، وأظهرت مرضاً، ونقل إلى على عنها كلام يدل على الشؤرور.(٢)

ثم بايع على أباهما، فسرت بذلك، وأظهرت من الاستبشار بتمام البيعه واستقرار الخلافه وبطلان منازعه الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا؛ واستمرت الأمور على هذه مدّه خلافه أبيها وخلافه عمر وعثمان؛ والقلوب تغلى والاحقاد تذيب الحجاره؛ وكلما طال الزمن على على تضاعفت همومه وغمومه، وباح بما فى نفسه إلى أن قتل عثمان، وقد كانت عائشه أشدّ الناس عليه تأليياً وتحريضاً؛ فقالت: أبعده الله.

وأملت أن تكون الخلافه فى طلحه، فتعود الامر تيميه كما كانت أولاً، فعدل الناس عنه إلى على بن أبى طالب؛ فلما سمعت ذلك صرخت:

واعثماناه قتل عثمان مظلوماً، وثار ما فى الانفس حتى تولد من ذلك يوم الجمل وما بعده. قال ابن الحديد: هذه خلاصه كلام الشيخ أبى يعقوب - ره - ولم يكن يتشيع. إنتهى.

ص: ٨١

١- . راجع باب احاديثها فى صلاه ابى بكر من هذا الكتاب.

٢- . فى ترجمه فاطمه من النبلاء ٩٤/٢، قالت فاطمه لاسماء: اذا متّ فغسلينى انت وعلى ولا يدخلن احد على. فلما توفيت جاءت عائشه فقالت أسماء لا تدخلينى، فشكت الى أبى بكر فجاء فوقف على الباب فكلم أسماء فقالت: هى أمرتنى، قال فاصنعى ما أمرتك، ثم انصرف.

قد أوردنا قسماً كبيراً من محاوره ابن أبي الحديد وشيخه (1) في شرح كلام علي بن أبي طالب، لما كان فيها من إيضاح لغوامض لنا عن حياة أم المؤمنين الزوجية، وعلاقاتها بأسره النبيّ الاقربين في عصره؛ والاحداث التي نشأت عنها بعده، ونقتصر عليه في دراسته بعض نواحي حياتها الزوجية، لما في عرضها مفصلاً من خروج بنا عن الدراسة الممهّده لفهم أحاديثها إلى دراسته مفصّله لحياتها وأثرها على المجتمع الاسلامي، ممّا ينبغي بحثها في دراسات أخرى.

والمدى نستخلصه من كلّ ما مرّ؛ أن أم المؤمنين كانت امرأه غيري، تغار على زوجها الرسول، وأنّ غيرتها هذه كانت تؤثر على حياتها الزوجية، وعلاقاتها بزوجات الرسول وسراياه وسائر أفراد أسرته.

وسنرى - مضافاً إلى ما رأينا في ما مرّ - أنّها كانت تغار على مصلحه ذوى قرباها، وحزبهم (2) أيضاً بمثل تلك القوّه والشده، وأنّ هذه الصّيفه (الغيره الشديده) المصحوبه بحده الطبع كانت تدفعها إلى أعمال عنيفه، وأقوال حاده ممّا عقدنا الفصول الاتيه لدراسه أكثرها.

ص: ٨٢

١- سيأتى بحث بعض ما أشار اليه اللمعاني في الابواب الاتيه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى.

٢- كان لأم المؤمنين حزب داخل بيت الرسول على ما حدثت هي وقالت: ان نساء النبيّ كنّ حزبين، فحزب عائشه وحفصه وسوده، والحزب الاخر أم سلمه وسائر نساء رسول الله (ص)... الحديث. وفي بقيه الحديث ما يدل على ان فاطمه كانت في الحزب المناوئ لها راجع البخارى باب من أهدي الى صاحبه من كتاب الهبه ٦٠/٢. أمّا خارج بيت الرسول فسنرى فيما يأتى انها صرفت عمرها في حفظ مصالح ذوى قرباها وحزبهم مدى الحياه.

على عهد الخلفيتين

اشاره

ص: ٨٣

أ - أبو بكر الملقَّب بالصدِّيق والعتيق؛ عبد الله بن أبي قحافه، عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مَرَّة القرشيِّ التيميِّ؛ وأُمُّه أُمُّ الخير سلمى، أو ليلي بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مَرَّة.

ولد بعد الفيل بستين أو ثلاث، وكان من السابقين الأوَّلين إلى الاسلام.

صاحب الرسول في هجرته إلى المدينة، وشهد بدرًا وما بعدها، وبويع بالخلافه في السقيفة (1) بعد وفاه رسول الله وقبل دفنه، وتوفي لثمانى ليال بقين من جمادى الاخره سنه ثلاث عشره، ودفن في حجره رسول الله، وعمره ثلاث وستون سنه، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال أو ستاً وعشرين.

ب - أبو حفص الفاروق عمر بن الخطَّاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى القرشيِّ العدويِّ، وأُمُّه حنتمه بنت هشام أو هاشم بن المغيره بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ أسلم بعد تَيْف وخمسين رجلاً وامرأة، وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وما بعدها. استخلفه أبو بكر من بعده، وانتشرت الفتوح الاسلاميه في عهده.

طعنه أبو لؤلؤه غلام المغيره بن شعبه لاربع ليال بقين من ذى الحجه سنه

١- . راجع اخبار السقيفه في عبد الله بن سبأ ص ٢١-٧٦ تجد تفصيلاً وافيا لحوادثها ومواقف الصحابه وآرائهم فيها هناك.

ثلاث وعشرين، وعمره خمس وخمسون أو ثلاث وستون،^(١) ودفن هلال المحرم سنة أربع وعشرين إلى جنب أبي بكر في حجره رسول الله (ص)، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال.

ص: ٨٦

١- . نشك في صحه ما قدره العلماء في عمر الخلفاء الثلاثة ونظن انهم كانوا يرغبون في توفيق سنى عمر بعضهم وسنى عمر رسول الله (ص).

إرجاع السلطه اليها فى الفتيا - تفضيلها فى العطاء - منع ازواج

النبي من الحج - حجهن فى آخر عهد عمر - خفرهن فى طريق الحج - قله

الحديث فى عهد الشيخين - أحاديثها فى هذا العهد - عصور الحديث -

رثاء عمر على لسان الجن - تبادل الحب والاحترام - جعل بيتها داراً

للشورى - نتيجه البحث.

لقد قضت أم المؤمنين عائشه حياتها فى نزاع حادّ عنيف، وتنافس حزبي صاحب إلا ما كان من أيامها على عهد الشيخين، فإنها قضتها قريره العين، منعمه الحال، هانئه بما كانت تراه من غلبه حزبها واستيلائه على الحكم، وبما أُحيطت من رعايه خاصيه أوصلتها إلى ما كانت خليفه بها من مكانه مرموقه فى المجتمع الاسلامي حتى اليوم؛ فقد توفى الرسول (ص) عن تسع زوجات ولم نجد فى تلكم التسع من يُرجع الخليفان إليهما فى الفتيا كما كانا يفعلان مع أم المؤمنين عائشه. ومما يؤيد ما ذكرناه ما أخرجه ابن سعد فى طبقاته (1) عن القاسم قال:

((كانت عائشه قد استقلت بالفتوى فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان وهلم جرا إلى أن مات)).

وما أخرجه عن محمود بن لبيد قال:

((وكانت عائشه تفتى فى عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت يرحمها الله))، وكان الاكابر من أصحاب رسول الله (ص) عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السنن.

وكما أننا لم نجد فى تلكم التسع من فضلت فى العطاء ما عداها، فقد

ص: ٨٧

أخرج ابن سعد (١) بترجمتها عن مصعب بن سعد، قال:

((فرض عمر لأُمَّهات المؤمنين عشره آلاف وزاد عائشه ألفين، وقال: إنَّها حبيبه رسول الله (ص)).

وعن ذكران مولى عائشه، قال: قدم درج من العراق فيه جوهر الى عمر، فقال لاصحابه أتدرون ما ثمنه فقالوا: لا. ولم يدروا كيف يقسمونه! فقال: أتأذنون أن أرسل به الى عائشه لحب رسول الله اياها؟ قالوا: نعم. فبعث به اليها، فقالت ماذا فتح الله على ابن الخطاب، اللهم لا تبقيني لعطيته لقابل. (٢)

والسَّيلطه التي فضَّمتها في العطاء في هذا العهد، وأرجعت إليها في الفتيا، حجرت عليها داخل المدينة فيمن حجرت عليه، (٣) ولم تتركها تخرج من المدينة حتَّى إلى الحجِّ والعمرة، روى ابن سعد في طبقاته:

((أنَّ عمر بن الخطَّاب منع أزواج النبيِّ (ص) من الحج والعمرة)). (٤)

ولمَّا كانت الحجَّه التي حجَّ فيها عمر بن الخطَّاب سنه ثلاث وعشرين (وهي آخر حجَّه حجَّها عمر في السنَّه التي توفَّى فيها) أرسل إليه أزواج النبيِّ

ص: ٨٨

١- . طبقات ابن سعد ٦٧/٨، والزركشى فى الاجابه ص ٧١ و ٧٥، والكنز ١١٦/٧، ومنتخبه ١١٨/٥، وبتريمتها فى الاصابه ٣٤٩/٤، والطبرى ١٤١/٤ وابن الاثير ٢٤٧/٢، والمستدرک ٨/٤، وشرح النهج ١٥٤/٣، والبلاذرى فى فتوح البلدان ص ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٤٩. والماوردى فى الاحكام السلطانيه ص: ٢٢٢.

٢- . النبلاء ١٣٣/٢ ومستدرک الحاكم ٨/٤ وتلخيصه للذهبي.

٣- . كان من سياسه الخليفه عمر ان يحجر على مشاهير المسلمين يومذاك ويمنعهم من الخروج من المدينه، وفى تاريخ الخطيب ٤٥٣/٧ بترجمه الحسن بن يزيد القزوينى عن عبد الله بن عمر قال: جاء الزبير إلى عمر - وكان رجلا شجاعا مهيبا - قد كان يخاف منه الذى كان، فقال لعمر: إئذن لى أن أخرج فأقاتل فى سبيل الله، قال: حسبك قد قاتلت مع رسول الله (ص) لولا أنى أمسك بقم هذا الشعب لاهلك أمه محمد (ص)، وراجع شرح النهج: لابن أبى الحديد.

٤- . طبقات ابن سعد ٢٠٨/٨.

يستأذن في الخروج ماعدا زينب وسوده فإنهما لم تحجّيا بعد النبى، وقالتا: لا- يحركنا ظهر بعير؛ وقالت سوده: قد حججت واعتمرت، فأنا أقعد في بيتي كما أمرنى الله،(١) فأذن لهنّ، وأمر بجهازهنّ، فحملن في الهوادج عليهنّ الاكسيه الخضر - الطيالسّه الخضر - وهنّ حجرة من الناس، وبعث معهنّ عبدالرحمن بن عوف(٢) وعثمان بن عفان، فكان عثمان يسير على راحلته أمامهن وينادى:

ألا لا يدنو إليهنّ أحدٌ، ولا ينظر إليهنّ أحدٌ، فلا يدع أحداً يدنو منهنّ ولا يراهنّ إلا من مدّ البصر، فاذا دنا منهن أحد يصيح: إليك، إليك، وكان عبدالرحمن يسير على راحلته من ورائهنّ يفعل مثل ذلك.(٣) وروى عن المسوّر ابن مخرمه(٤) أنّه قال: ربّما رأيت الرجل ينيخ على الطريق لاصلاح رحل أو بعض ما يصلح من جهازه، فيلحقه عثمان وهو أمام أزواج النبى (ص) فإن كان فى الطريق سعه أخذ يمين الطريق أو يساره؛ فيبعد عنه، وإن لم يجد سعه

ص: ٨٩

- ١- . وذلك لقول رسول الله لازواجه فى حجه الوداع: ((هذه الحجه، ثمّ ظهور الحصر)) وقوله لهن: ((أیکنّ اتقت الله، ولم تأت بفاحشه مبينه، ولزمت ظهر حصيرها فهى زوجتى فى الاخره)) طبقات ابن سعد ٢٠٨/٨.
- ٢- . أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهره القرشى الزهرى، وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهره. ولد بعد الفيل بعشر سنين، وكان اسمه فى الجاهليه عبد عمرو وقيل عبد الكعبه، فسّماه الرسول عبد الرحمن. هاجر الى الحبشه، ثمّ الى المدينه، وشهد بدرأ وما بعدها، وعينه عمر فى الستة أهل الشورى. توفى بالمدينه سنه ٣١، أو ٣٢، ودفن بالبقيع. الاصابه ٤٠٨/٢-٤١٠، والاستيعاب ٣٩٠/٢ رقم الترجمه (١٦٧٧)، وأسد الغابه ٣١٣/٣-٣١٧.
- ٣- . اخرج هذه الروايات فى حجّ أزواج النبى ابن سعد فى طبقاته ٢٠٩/٨-٢١٠، عن كلّ من عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع، وعطاء بن يسار، وابى هريره وابن سيرين ومحمد بن عمر.
- ٤- . أبو عبد الرحمن المسور بن مخرمه بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهره القرشى الزهرى، امه عاتكه بنت عوف اخت عبد الرحمن بن عوف، ولد بمكه بعد الهجره بستتين، ومات فى حرب أهل الشام مع ابن الزبير مستهل ربيع الاول سنه أربع وستين من حجر منجنيق أصابه وهو يصلى فى الحجر، ترجمته فى أسد الغابه ٣٦٥/٤، وراجع ترجمته فى طبقات ابن سعد والاستيعاب والاصابه.

وقف ناحيه حتى يرحل الرجل أو يقضى حاجته. وقد رأته يلقي الناس مقبلين في وجهه من مكة على الطريق، فيقول لهم يمنه أو يسره، فينيخهم حتى يكونوا مدّ البصر حتى يمضين، وكنّ ينزلن مع عمر كل منزل، وكانا ينزلان بهنّ في الشعب وينزلان في فيء الشعب ولا يتركان أحداً يمرّ عليهنّ.

وفي روايه أخرى: ينزلان بهنّ بصدر الشعب وينزلان بذب الشعب، ولا يصعد إليهنّ أحد وفي أخرى،

((ينزلهنّ في الشعب الذي ليس له منفذ))، وفي أخرى:

((وقد ستروا عليهنّ الشجر من كل ناحيه)).(1)

إنّ أمّ المؤمنين عائشه لم تخرج في هذا العهد غير هذه السفره من المدينه، وإنّما قضت أيامها في بيتها في حياه رتيبه هادئه لا يختلف أولها عن آخرها؛ ترجع إليها السلطه في ماتحتاج إليه من إفتاء، فتحدّث هي عن رسول الله في ذلك، وكان ذلك لها من السلطه غايه الاجلال والتكريم، مضافاً إلى تفضيلها في العطاء. ومن المظنون ظناً راجحاً أنّ التحديث كان في هذا العهد نزرأ يسيراً وذلك لانصراف المسلمين بقضهم وقضيضهم إلى الفتوح، واتّفاق الرأى وخضوع الجميع للخلفاء حتى النصف الاول من خلافه عثمان، مضافاً إلى أنّهم في المدينه كانوا يعيشون جميعاً مع من عاشر النبيّ، فلم يكن هناك مسوّغ للاكثار من الحديث عن عصر الرسول، ومن المظنون أيضاً أنّ من ذلك النزر اليسير ما روى عن أمّ المؤمنين في تأييد الخلافه القائمه يومذاك؛ فإنّها كانت من أشدّ المؤيدين لها، ولم يكن ثمّه تأييد أقوى من نشر الحديث عن رسول الله في شأن الخلافه والخلفاء، ومن الجائر أن يكون من أحاديثها في هذا العصر وفي هذا الباب ما أخرجه مسلم في صحيحه عنها(2) قالت:

ص: ٩٠

١- اخرج جميع هذه الروايات في حجّ أزواج النبيّ ابن سعد في طبقاته ٢٠٩/٨-٢١٠ عن كل من أبي جعفر وابراهيم بن سعد، وأبو نجيح، وأمّ ذره، وأمّ معبد بنت خالد بن خليف، والمسور بن مخرمه.

٢- صحيح مسلم ١١٠/٧، باب فضائل ابى بكر، ومسنّد أحمد ٤٧/٦ و ١٤٤، وطبقات ابن سعد ٢ ق ١، ١٢٧-١٢٨ ط ليدن، وكنز العمال ١٣٩/٦ و ٣١٧ الحديث ٥٢٨٣، وفي منتخبه ٣/٣٤٢، واللفظ لمسلم.

قال لى رسول الله (ص) فى مرضه:

((ادعى لى ابا بكر اباك واخاك حتى اكتب كتاباً فانى اخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل: انا اولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا ابا بكر)).

وعن أبى مليكه(١) قال: قالت عائشه: لما ثقل رسول الله (ص) قال لعبدالرحمن بن أبى بكر:

((إئتنى بكتف ولوح حتى أكتب لآبى بكر لا- يختلف عليه. فلما ذهب عبدالرحمن ليقوم، قال: أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك أبا بكر!)).

ومنها أيضاً ما أخرجه مسلم(٢) عن أبى مليكه: قال سئلت عائشه: من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلفه:

قالت: أبو بكر.

فقيل لها: ثم من بعد أبى بكر

قالت: عمر.

ثم قيل لها: من بعد عمر؟

قالت: أبو عبيده بن الجراح(٣) ثم انتهت إلى هذا!

ص: ٩١

١- . مسند أحمد ٤٧/٦، وقريب منه فى البخارى، كتاب المرضى ٥/٤ باب قول المريض إنى وجع، أو: وا رأساه، وفى كتاب الاحكام منه ص ١٤٦ باب الاستخلاف عن القاسم بن محمد قريب منه، وسيأتى النقاش حوله فى باب أحاديثها إن شاء الله تعالى.

٢- . مسلم فى صحيحه ١١٠/٧، وفى الطبقات ٢ ق ١٢٨/٢ ط. ليدن، وفى مسند أحمد ٦٣/٦، والمستدرک ٧٨/٣، وكنز العمال ٤٢٨/٦ الحديث ٦٣٨٥ وليس فى المستدرک اسم أبى عبيده.

٣- . أبو عبيده عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشى الفهرى: وأمه أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامر بن عميره. كان من السابقين الى الاسلام، وممن هاجر الهجرتين، وتوفى فى طاعون عمواس بالشام سنه ١٨ وهو أمير عليها من قبل عمر، ودفن بفحل الاردن. الاستيعاب بهامش الاصابه ٢/٣-٤، وأسد الغابه ٣/٨٤-٨٦، والاصابه ٢/٢٤٥.

إلى غير هذا من حديث كثير روى عنها في فضائلهما مما سنستعرضه في باب أحاديثها إن شاء الله تعالى.

عصور الحديث:

إشاره

وإنما جوّزنا أن يكون عصر الشيخين عصر نشر هذه الاحاديث، لأننا نجد الاحاديث التي فيها ذكر الخلفاء الاربعه، وأن رسول الله كان يستخلفهم لو استخلف أحداً، إلى نظائر هذه الاحاديث في هذا الباب إنما تنقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الاوّل منها ما فيه ذكر الخلفاء الاربعه حسب تسّمهم الخلافه

واحداً بعد الاخر حتى عليّ بن أبي طالب، فذلك ما نرى فيه أنه قد حدّث من بعد عليّ بن أبي طالب وبعد تدرّج الخلفاء الاربعه عليها.

ومن هذا النوع من الحديث ما أخرجه المحبّ الطبرى في الرياض النضره (1)

عن النبيّ أنّه قال:

((كنت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ أنواراً على يمين العرش قبل أن يخلق آدم بألف عام، فلما خلق أسكنا ظهره، ولم نزل ننتقل في الاصلاب الطاهره إلى أن نقلني الله إلى صلب عبدالله، ونقل أبا بكر إلى صلب أبي قحافه، ونقل عمر إلى صلب الخطّاب، ونقل عثمان إلى صلب عفّان، ونقل عليّاً إلى صلب أبي طالب، ثمّ اختارهم لي، فجعل أبا بكر صدّيقاً، وعمر فاروقاً، وعثمان ذا التورين، وعليّاً وصيّاً، فمن سب أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أكبه في التّيار على منخره)).

وإنما نرى تأخّر وضع هذا النوع من الحديث عن عصر عليّ إلى ما بعده لأنّ هذا الحديث مثلاً مضافاً إلى ما فيه من ذكر السبّ، والسبّ كان قد انتشر في عصر معاويه وبتحريض منه ولم يكن سبّ الصحابه الخلفاء الاوائل في

ص: ٩٢

١- . الرياض النضره ٣٠/١ عن محمد بن ادريس الشافعي.

عصر الرسول متداولاً بين الناس ليمنع الحديث عنه.

إن ذكر الخلفاء الاربعه مسلسلاً، ينبغي أن يكون بعد مجيئهم كذلك إلى الحكم وليس قبله.

وفي عصر عليّ وإن كان الخلفاء الثلاثة قد تدرّجوا على الخلافه كذلك غير أنّ المسلمين كانوا قد انشقّوا إلى حزبين: حزب ينقم على عثمان، وآخر لا يذكر عليّاً بخير. فمن كان يضع هذا الحديث؛

وفي زمن معاويه وإن كان السبّ قد انتشر وتنافس الناس على وضع الحديث (1) غير أنّ ذلك كلّه كان لمحاربه عليّ وبنيه ورهطه من بنى هاشم وشيعتهم، وأنّ السّياسه الأمويّه كانت قد استندت في حكمها على التفريق بين عليّ وسائر الخلفاء قبله، وجعله قبالهم، واستمرّت الحال على ذلك إلى آخر العصر الأمويّ، إذن فلا بدّ من القول بتأخّر وضع هذا الحديث عن هذه العصور إلى عصر ضعف الامويّين، ومن قبل قيام الدّوله العباسيّه، لان العباسيين أيضاً أخذوا - بعد استيلائهم على الخلافه - في مضايقه بنى عمومتهم العلويّين، وحاربوهم في كل مجال كالأمويّين.

فلم يبق عصر يناسب وضع هذا الحديث إلاّ أخريات العصر الأمويّ، وعند ضعف دولتهم، وانتشار الدّعوه لال البيت، حيث إنّ الهاشميين يومذاك

((علويّين وعباسيين)) كانت كلمتهم مجتمعه، وكان في نشر اسم ابن أبي طالب في قائمه الخلفاء ونشر فضائله إلى جنب فضائل الخلفاء الثلاثة تأييد لسياسه العباسيين قبال سياسه خصومهم الأمويّين القائمه على إخراج اسمه من قائمه الخلفاء بعد الرسول (ص)، ونشر مدح الثلاثة مع نشر ذمّه.

ونرى أن العباسيين قد ذهبوا إلى أبعد من هذا في مقابله سياسه خصومهم الأمويّين بسياسه خاصّه بهم يومذاك، وذلك بإخراج اسم عثمان من قائمه الخلفاء بعد الرسول (ص). ولعلّ الحديث الاتي الذي يؤيد مذهبنا إليه

ص: ٩٣

١- . راجع بعده فصل: ((مع معاويه)).

قد وضع أيضاً في ذلك العصر.

في أسد الغابه (١) عن جابر بن عبد الله الانصاري (٢) قال: كنا مع رسول الله في صور (٣) بالمدينه؛ فقال:

((يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنّه))، فجاء أبو بكر، فهنّيناه ثمّ قال:

((يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنّه))، فجاء عمر، فهنّيناه، ثمّ قال:

((يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنّه))، قال: ورأيت رسول الله (ص) يصغى رأسه من تحت السّعف ويقول:

((اللّهمّ ٤١ ن شئت جعلته عليّاً))، فجاء، عليٌّ فهنّيناه.

وليس إنكارنا لهذا النوع من الاحاديث ناشئاً من إنكارنا فضائل الرّسول والاطائب من أرومته، والابرار من صحابته جملة واحده.

معاذ الله أن نكون كذلك؛ فلسنا بمنكرى فضائلهم الجمه وإنما ننكر - مثلاً - أن يكون الله قد ميز بعض صحابه الرّسول الذين أصابتهم الخلافه على من أخطأتهم؛ فخلق الاولين من نور، وجبل الاخرين من طين، ثمّ نشكّ في كلّ حديث يرد فيه اسم الرّاشدين مسلسلاً حسب مجيئهم إلى الحكم، مضافاً إلى قرائن أخرى نشير إلى بعضها في محلّها إن شاء الله تعالى.

والقسم الثاني من تلکم الاحاديث ما فيها ذكر الخلفاء الثلاثة واحداً

بعد الاخر حتّى عثمان.

وهذا ما نرى فيه أنه قد حدّث به من بعد استيلاء عثمان على الخلافه لا قبله، وإذا كان في الحديث مضافاً إلى ذلك ذكر قتل عثمان، فلا بدّ من القول

ص: ٩٤

١- . اسد الغابه ٤ ر ٢٩ بترجمه على.

٢- . جابر بن عبد الله الانصاري اثنان: احدهما ابن رباب بن النعمان، والاخر ابن عمرو بن حرام، وأمّه نسيه بنت عقيه بن عدى السلمى، وكلاهما انصاريان سلميان. أسلم الاول قبل العقبه الاولى وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع الرسول، والثاني شهد العقبه مع أبيه وكان صغيراً، واختلف في شهوده بدرًا، وشهد صفين مع علي، وكان كثير الحديث، وربما يكون هو المقصود في سند الحديث، توفي سنة ٧٤ أو ٧٧، وعمره تسعون سنه ودفن بالمدينه.

٣- . جماعه من النخل لا واحده لها. نهايه اللغه.

بأنه قد حدّث به من بعد قتله وليس قبله.

والثالث من تلك الاحاديث ما فيه ذكر الخليفين واحداً بعد الاخر وهذا ما نرى فيه أنه قد حدّث به بعد استيلاء عمر على الخلافة.

والرابع منها ما اختصّ بذكر استخلاف أبي بكر وحده، فمن المحتمل أن يكون التحديث به قبل استخلاف عمر. وعلى هذا فإننا نجوز أن يكون حديث الكتابه لابي بكر إنما حدّث به في عصره لخلوّه عن ذكر عمر.

أما حديث

((لو كان رسول الله مستخلفاً لاستخلف أبا بكر، ومن بعد أبي بكر عمر، ومن بعد عمر أبا عبيده)) فنظنّ ظناً قوياً أنه قد حدّث به في عصر عمر، ومن قبل استخلاف عثمان لما فيه تأييد في رأيه لابي عبيده حيث كان يقول: لو كان أبو عبيده حياً لاستخلفته)).(١)

ذكرنا بعض أحاديث أم المؤمنين ممّا رأينا نشره يناسب عصر الخليفين، وكثير من أحاديثها ما لا بُدّ من القول بأنّها قد نشرت بعد عصرهما.

ومنها الحديث الاتي. فقد حدّث به بعد وفاه عمر، ومن الجائز أن يكون التحديث به بعد عمر بزمن بعيد:

رثاء الجن:

في ترجمه عمر من الاستيعاب وأسد الغابه وترجمه الشمّاخ من الاغانى بسندهم إلى عروه بن الزبير عن أم المؤمنين عائشه قالت:(٢)

ناحت الجنُّ على عمر قبل أن يقتل بثلاث، فقالت:

أ - أبعد قتيل بالمدينه أظلمت

ص: ٩٥

١- . راجع ج ٢٧٨/١ من الطبعة الخامسة، بيروت، من عبد الله بن سبأ هذا مضافاً الى موقفه القوي الحازم من بيعه أبي بكر، راجع المصدر السابق، ص ١٠٤-١١٠.

٢- . الاستيعاب ٤٢١/٢، والاعاني، ط. بيروت ١٥٥/٩، وط. ساسي ٩٨/٨.

ج - فمن يسع أو يركب جناحي نعامه

وإنما جَوَزنا أن يكون عصر نشر هذا الحديث بعد الخليفة عمر بزمان بعيد، لما وجدنا فيه من تعريض بالعصر الذي تفتتت الاكمام فيه عن الشرور والخصومات وهذا يناسب النصف الثاني من عهد الخليفة عثمان إلى ما بعده.

وإذا كان التعريض بهذا كناية غير صريحه، فإنه من الواضح الجلي أن ذكر قتل الخليفة عمر بيد جرىء أزرق العين إنما يكون بعد وقوع الحادثه، ومن بعد وفاه عمر لا في حياته.

وأما أن تكون الجنُّ قد أطلعت على الغيب وأخبرت به قبل وقوعه بثلاثة أيام أو بأكثر من ذلك، فإنه يخالف ما أخبر الله به في قصه موت سليمان من أن الجنَّ لا تعلم الغيب في قوله تعالى:

ص: ٩٦

(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهِمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجَنَّةُ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ). (١)

فإنَّ الجنَّ التي تلبث في العذاب المهين سنه كامله ولا تدرك في كل هذه المده أن سليمان قد مات، حتَّى تأكل دابَّه الارض منسأته، ويخرَّ على الارض، كيف تطلع على الغيب، وتخبر بقتل الخليفه عمر بيد أزرق العين من قبل وقوعه بثلاثه أيام أو أكثر.

إذن فالتحديث بهذا الحديث قد كان من بعد وفاه عمر، وليس قبله. هذا كله فيما إذا لم نجد هذه الايات إلا في حديث أم المؤمنين غير أنا وجدنا أبا الفرج يقول في ترجمه الشمّاخ من الاغانى: (٢)

وللشمّاخ أخوان (٣) من أبيه وأمه شاعران أحدهما مزرد واسمه يزيد وإنما سمى مزرد لقوله:

فقلت تزردّها عبيد فإنتى لِدُرْدِ الموالى فى السنين مزرد (٤)

والاخر جزء بن ضرار وهو الذى يقول يرثى عمر بن الخطاب:

عليك سلامٌ من أمير وباركت يد الله فى ذاك الاديم الممزق

ص: ٩٧

- ١- . سورة سبأ: الايه ١٤.
- ٢- . الاغانى ١٥٤/٩-١٥٧، ط. دار الثقافه بيروت، وط. ساسى ٩٨/٨-٩٩، وقال فى الاشتقاق ص ٢٨٦ ومن بنى جحاش شمّاخ ومزرد وجز (بنو ضرار) كانوا شعراً أدركوا الاسلام، وجز هو الذى رثى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بالايات التى يقول فيها عليك سلام... البيت، وانظر الحماسه ١٠٩٠ بشرح المرزوقى حيث فيه تحقيق عن نسبه هذه الايات.
- ٣- . هؤلاء أخوه ثلاثه أشقاء من أولاد ضرار بن ثعلبه الغطفانى الديقانى الثعلبى أدركوا الجاهليه والاسلام. أشهرهم الشمّاخ الذى دون شعره واستشهد فى بعض الغزوات على عهد عثمان. راجع ترجمه الشمّاخ فى الاغانى ١٥٤/٩ ط. دار الثقافه - بيروت - ١٩٥٧ م والاصابه ١٥٢/٢، وترجمه مزرد فى أسد الغابه ٣٥١/٤، والاصابه.
- ٤- . تزرد اللقمه: بلعها، وفى الاصابه: بزرد القوافى.

قال ابن الاثير فى أسد الغابه: (١) قيل إن هذه الايات للشماخ بن ضرار أو جماع بن ضرار. (٢)

ويظهر أن انتساب هذه الايات إلى الشماخ أو أخيه كان مذكوراً فى ذلك العصر فإن أم المؤمنين قد حدثت أختها أم كلثوم بنت أبى بكر وقالت:

إن عمر أذن لزوج النبى (ص) أن يحججن فى آخر حجها عمر؛ قالت: فلما ارتحل من الحصبة أقبل رجل مثلثم على راحلته، فقال قائل وأنا أسمع:

هذا كان منزله!

فأناخ فى منزل عمر، ثم رفع عقيرته يتغنى:

عليك سلام من أمير وباركت... الايات قالت عائشه: فقلت لبعض أهلى: أعلمونى من هذا الرجل! فذهبوا فلم يجدوا فى مناخه أحداً!! قالت عائشه:

فوالله إنى لاحسبه من الجن!!

وجاء فى الحديث - بعد هذا -، فلما قتل عمر نحل الناس هذه الايات للشماخ بن ضرار أو لآخيه مزرد، إنتهى.

قد أخرج هذه الروايه كل من أبى الفرج بترجمه الشماخ من الاغانى، (٣) وابن عبد البر بترجمه عمر من الاستيعاب، ولفظ كل منهما مماثل للآخر، وأخرجها ابن سعد أيضاً فى ترجمه عمر من الطبقات، بسنده إلى أم كلثوم.

وفيه بعض الاختلاف مع لفظهما، والمعنى فى الجميع واحد، وأخرجها ابن حجر بترجمه الشماخ من الاصابه وقال: روى الفاكهى بأسناد صحيحه عن أم كلثوم... الحديث.

ص: ٩٨

١- أسد الغابه بترجمه عمر.

٢- الصحيح فى اسمه جز، وليس بجماع، ونظنه من غلط النساخ فى كتابه الخط الكوفى وقرأته.

٣- الاغانى ط. بيروت، ١٥٤/٩-١٦٧، وط. ساسى ٩٨/٨، والاستيعاب ٤٦٥/٢، والطبقات بترجمه عمر ٣٣٣/٣-٣٣٤ والاصابه ١٥٢/٢.

نجد حديث أم كلثوم هذا الذي صحَّح أسناده ابن حجر، يريد أن يعالج شهره انتساب الابيات إلى ابناء ضرار الشعراء؛ وذلك بالتصريح بأن أم المؤمنين بنفسها قد شاهدت في المحصَّب بالمشعر في حجَّها مع عمر في آخر حجَّه حجَّها عمر، حيث رجع إلى المدينة في الشَّهر نفسه فطعن فتوفَّى.

شاهدت أم المؤمنين الزَّاكب الملتئم ينشد عن منزل عمر - حيث كان قد ارتحل عنه - فيدلُّه القائل المجهول على منزل عمر، فينيخ الملتئم راحلته؛ ويرفع عقيرته يتغنَّى بالابيات، وترسل أمُّ المؤمنين أحد أهلها ليعلموها عن الرُّجل المنيخ أمامها، ولكنَّه قد غاب عن النَّظر

((فلم يجدوا في مناخه)) الذي كان بمرأى من أم المؤمنين

((أحداً)).

إذن فالرُّجل قد كان من الجنِّ وإلا فأين ذهب عن النَّظر. فلذلك حلفت أمُّ المؤمنين وقالت:

((فوالله إنني لاحسبه من الجن)).

وبعد هذه المشاهده المحسوسه بالبصر واليمين عليها، هل يشكُّ أحد في أنَّ الجنَّ هي التي أنشدت هذه الابيات للاخبار بموت عمر.

وبعد هذا فليدَّع من شاء أنَّ يدَّعي أنَّ هذه الابيات من نظم الشاعر ابن ضرار. وانه كان قد نظمها من بعد موت عمر، فليس ذلك بمقبول منه بعد أن لهجت الجنُّ بها من قبل موت عمر بتيف وعشره أيام في المحصَّب وقبل ثلاث في المدينة.

والذي يوقفنا من هذا الحديث موقف الشكِّ - مضافاً إلى ما سبق ذكره - هو أنَّ رؤيه الجنِّ وسماعها إن كان منحصراً بأزواج الرسول؛ فلذلك لم تشاهدها الالاف من الحجَّاج في الموقف بالمحصَّب ولم تسمعها، فإنَّ أمُّ المؤمنين عائشه أيضاً لم تكن وحدها قد حجَّت في تلك الحجَّه من أزواج الرسول (ص) بل كانت ترتحل وتنزل في كلِّ منزل سويّه مع غيرها من أمّهات المؤمنين ممَّن حججن معها؛ فلمَّ انحصر الحديث عنها في قصّه رثاء الجنِّ!؟

وهناك حديث آخر عن أم المؤمنين لعلاج الشكِّ في صحَّه نسبه الابيات

إلى الجنِّ مقابل اشتهار نسبتها إلى الشاعر من بنى آدم:

والحديث أخرجه ابن سعد فى طبقاته(١) عن موسى بن عقبه، قال: قالت عائشه: مَنْ صاحب هذه الابيات:

((جزى الله خيراً من إمام وباركت))؟

فقالوا: مزرد بن ضرار.

قالت: فلقيت مزرداً بعد ذلك؛ فحلف الله ما شهد ذلك الموسم!!!

وسواء صحَّ سند الحديث إلى أم المؤمنين كالحديثين السابقين أم كان فى سنده ضعف كما وصفه ابن حجر بترجمه مزرد من الاصابه؛(٢) فإنه يعلمنا بوجود القاله حول نسبه الحديث إلى الشاعر الجنى أو الادمى، وإنه لعلاج هذه القاله حدّث بهذا الحديث لتقويه الحديثين ذوى السند الصحيح إلى أم المؤمنين.

تبادل الحبّ والاحترام:

كانت أم المؤمنين عائشه مدى هذا العهد موضع رعايه الخلافه القائمه وتكريمها، وكانت هى بدورها تحترم مقام الخلافه وتعتزّ به وتهابه، ولم يفتر هذا الحبّ والاحترام المتبادلين حتى آخر لحظه من هذا العهد، وقد انجلى فى آخر لحظاته فى قول كلّ من الطرفين، وعمله فى ما يكّنه للاخر من صادق الحبّ وعظيم الاحترام.

وذلك فيما أخرجه البخارى فى قصّه البيعه والاتفاق على عثمان من كتاب فضائل أصحاب النبى(٣) وابن سعد بترجمه عمر من طبقاته عن عمرو بن ميمون فى حديث طويل له قال: قال عمر... يا عبدالله بن عمر... انطلق

ص: ١٠٠

١- . طبقات ابن سعد ٣/٣٣٤، ط. بيروت بترجمه عمر.

٢- . الاصابه ٣/٣٨٥-٣٨٦.

٣- . البخارى ٤/٦٩-٧٠ ط بومباى سنه ١٢٧٠، والطبقات ٣/٣٣٧.

إلى عائشه أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام... وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم فاستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعده تبكى عليه فقال:

يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه.

فقلت: كنت أريده لنفسى ولا وثرنّ به على نفسى.

فلما أقبل... قال: ما لديك

قال: الذى تحبّ يا أمير المؤمنين، أذنت.

قال: الحمد لله! ما كان شىء أحبّ إلىّ منه.

وفيما رواه ابن عبد ربّه فى العقد الفريد(١) أنّ عمر قال فى حديثه لاهل الشورى:

((فاجتمعوا إلى حجره عائشه بإذنها فتشاوروا، واختاروا منكم رجلاً)).

فلما دفن عمر جمع المقداد بن الاسود(٢) أهل الشورى فى بيت عائشه بإذنها وجاء عمرو بن العاص،(٣) والمغيره بن شعبه(٤) فجلسا بالباب،

ص: ١٠١

١- . العقد الفريد ٢٧٥/٤-٢٧٧. والطبرى ٣٤/٣.

٢- . المقداد بن الاسود الكندى، هو ابن عمرو بن ثعلبه بن مالك البهرانى. أصاب فى الجاهليه دما فى قومه فلحق بحضر موت، فحالف كنده، ثم وقع بينه وبين أبى شمر بن الحجر الكندى شر فضرب رجله بالسيف وهرب الى مكه، فحال الاسود بن عبد يغوث الزهرى فبتناه الاسود، فصار يقال له: المقداد بن الاسود الكندى، فلما نزلت: ((أدعوهم لآبائهم)) قيل له: المقداد بن عمرو. توفى سنة ٢٣ هجرى. الاستيعاب ٤٥٣/٣ والاصابه ٤٣٣/٣-٤٣٤.

٣- . أبو عبد الله أو أبو محمد عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشى السهمى وأمه النابغه بنت حرملة، سبيت من بنى جيلان بن عتيك، وبيعت بعكاظ واشتراها الفاكه بن المغيره ثم انتقلت الى عبد الله ابن جدعان ومنه الى العاص بن وائل، فولدت له عمراً. أرسلته قريش الى النجاشى ليغير رأيه على جعفر ابن أبى طالب ومن معه من المهاجرين الى الحبشه ويسترجعهم الى مكه فرده النجاشى. أسلم سنة ثمان وقبل الفتح بستة أشهر. وافتتح مصر لعمر، ووليها الى السنه الرابعه من خلافه عثمان فعزله عنها فأخذ يؤلب عليه حتى قتل، ثم اشترك مع معاويه بصفين مطالباً بثار عثمان وأشار برفع المصاحف للصالح فانخدع جيش على وقبلوا الصلح وعينوا أبا موسى من قبلهم وعين معاويه عمراً فغدر بأبى موسى وخلعاً علياً ونصب عمرو معاويه وأخذ مصر طعمه من معاويه ووليها بعد قتل محمد بن أبى بكر حتى توفى سنة ثلاث وأربعين أو بعدها ودفن هناك، راجع ترجمته فى الاستيعاب، والطبقات وأسد الغابه، والاصابه.

٤- . المغيره بن شعبه بن أبى عامر بن مسعود الثقفى. وأمه امرأه من بنى نصر بن معاويه. اسلم عام الخندق، وهاجر الى المدينه، وشهد الحديبيه، وأرسله الرسول مع أبى سفيان لهدم صنم ثقيف بالطائف، وأصيبت عينه يوم اليرموك. ولأه عمر البصره وعزله عنها لما شهدوا عليه بالزنا، ثم ولأه الكوفه وتوفى اميراً عليها من قبل معاويه سنه ٥٠ هجرى بعد ان أحصن ٣٠٠ امرأه فى الاسلام وقيل بل ألف امرأه. ترجمته فى الاصابه ٤٣٢/٣، والاستيعاب بهامش الاصابه ٣٦٨/٣ وأسد الغابه ٤٠٦/٤.

فحصبهما سعد(١) وأقامهما، وقال:

((أتريدان ان تقولوا: حضرنا وكنا في أهل الشورى!)).

إنَّ محطَّم كسرى وقيصر، وفاتح ممالكهما، وضارب ظهر الصحابه بالدَّره،(٢) ومن كانت الجبابره ترتعد من ذكر اسمه؛ يتصاغر أمام أمَّ المؤمنين هذا التصاغر، وينيط أمر مثواه الابدى إلى كلمتها الاخير، ويجعل من بيتها داراً للشورى، فيه ينقض ويبرم أمر تعيين الخليفه من بعده؛ وناهيك بذلك شرفا تتناول اليه الاعناق.

بهذا وبغيره ممَّا ميَّزها به طوال عهده على من عداها من جميع المسلمين قد بلغها من الحرمة إلى مكانه أصبح الجميع دونها، وكوّن منها قوّه عظيمه بها استطاعت أن تعارض من جاء بعده؛ فزعزعت من كيان الخليفتين

ص: ١٠٢

١- . أبو اسحاق سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب القرشى الزهرى. كان سابع سبعة سبقوا الى الاسلام شهد بدر وما بعدها. وهو أوّل من رمى بسهم فى الاسلام، وكان رأس من فتح العراق، وكوف الكوفه، ووليها لعمر، وعينه فى الستة أصحاب الشورى، اعتزل الناس بعد مقتل عثمان ومات بمسكنه فى العقيق فى خلافه معاويه، ودفن بالقيع. الاستيعاب بهامش الاصابه ١٨/٢-٢٥ والاصابه ٣٠/٢-٣٢.

٢- . الدّره بالكسر: السوط.

الصهرين؛ وَحَدَّثَ بالمسلمين إلى إراقه دمهما إلى غير هذا ممَّا سندرسه في عهد الصهرين ومابعده إن شاء الله تعالى.

نتيجة البحث

إنَّ أُمَّ المؤمنين عائشه، في هذا العهد بدأ اسمها يبرز على أخواتها من امهات المؤمنين؛(1) وذلك بإرجاع السلطه اليها في الفتيا، وتفضيلها في العطاء.

وإنَّ السلطه وإن مهّدت لها السبيل في بلوغها ما كانت خليفه بها من مكانه مرموقه في المجتمع الاسلامى حتّى اليوم، غير أنها حجرت عليها وعلى سائر أزواج النبيّ في دورهنّ بالمدينه، فلم تكّ تتصل إلاّ بمن كان حولها ممّن صحب النبيّ وعاشره. فلم يكن هناك مبرّر للاكثار من الحديث عن عصر الرسول لمن شاركها في مشاهده ذلك العصر.

إذن فنحن نرى أن حديثها في عصر الخليفين كان كحديث غيرها نرزا يسيرا. ومن المظنون أنّ احاديثها في ذلك العهد لم تبلغ العشرات. ومن الجائز أن يكون من ذلك النزر اليسير أحاديثها اللاتى فيها تأييد للخلافه القائمه يومذاك، والخاليه عن ذكر عثمان فإنها كانت من أشدّ المؤيدين لها مدى عمرها. على ان تحديثها في فضائل الخليفين لم يقتصر على هذا العصر وانما

ص: ١٠٣

١- . ويؤيد ما ذهبنا اليه من أنّ اسمها في هذا العهد قد برز على سائر أزواج النبيّ مضافاً الى أن صغر سنّها في عهد الرسول ما كان يناسب بروزها عليهن في عهده؛ ما جاء في حديثها لامّ سلمه عندما أرادت الخروج من مكه الى البصره، على مارواه المؤرخون حيث قالوا: جاءت عائشه الى أمّ سلمه تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها: يا بنت أبي أميه أنتِ أول مهاجره من أزواج رسول الله (ص)، وأنتِ كبيره أمهات المؤمنين، وكان رسول الله يقسم لنا من بيتك (وفى تاريخ ابن اعثم: وكان رسول الله يشير الى بيتك عندما يؤتى بالهدايا ومن بيتك يبعث الينا بسهامنا). وكان جبريل أكثر ما يكون في بيتك. فقالت أمّ سلمه: لامر ما قلت هذه مقاله!... الحديث. راجع تاريخ ابن اعثم ص ١٦٨، وابن أبي الحديد ٧٧/٢ و ٥٠٦، بسنده عن أبي مخنف.

كان اكثره فيما بعده.

وكان فى خاتمه هذا العهد من تكريمها من قبل الخليفه الذى هابته الصحابه، وخضعت له الملوكة، وانقادت له البلاد؛ باستئذانه منها فى اتخاذه بيت الرسول مثواه الاخير وجعل بيتها داراً للشورى، بهذا وما سبق فى عهده من تفضيلها على غيرها فى العطاء والارجاع اليها فى الاستفتاء؛ جعلها الشخصيه المطاعه الاولى بعده فاستطاعت أن تعارض من جاء بعده وتحرض على قتله مما سندرسه فى عصر الصهرين وما بعده إن شاء الله تعالى.

ص: ١٠٤

أ - أبو عبدالله، وأبو عمرو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس، وأمُّ أروى البيضاء بنت عبدالمطلب عمه النبي.

كان من السابقين إلى الاسلام؛ وتزوج بعد إسلامه من رقيه بنت رسول الله، وهاجرا إلى الحبشة الهجرتين، ثم عادا إلى مكة، وهاجرا إلى المدينة. وتخلّف عن بدر في تمرّض زوجته، فلمّا توفيت تزوّج من أختها أمّ كلثوم. فتوفيت أيضاً في حياة الرسول ولم يعقب منهما.

ولمّا طعن عمر جعله في الستة أهل الشورى، وجعل الترشيح إلى عبدالرحمن بن عوف، فقال عبدالرحمن: أنا أبرأ منها على أن تباعوا من أبايع، ولمّا جعلوا الأمر إليه اشترط فيها: العمل على كتاب الله، وسنّه رسوله، وسيره الشيخين، فأبى عليّ قبول شرط سيره الشيخين، فباع عثمان على ذلك يوم السبت غرّه محرّم سنة ٢٤ ومن بعد دفن عمر بثلاث.

وقتل في المدينة يوم الجمعة لثمان، أو لثمانى عشره، أو سبع عشره خلت من ذى الحجة، أو لليلتين بقيتا منه، في سنة ٣٦ هـ وعمره ٨٢ أو ٨٦ أو ٩٢ سنة؛ ودفن في حش كوكب بالقرب من البقيع. كانت خلافته اثنتى عشره سنة إلا اثنى عشر يوماً، أو خمسة عشر يوماً.

ب - أبو الحسن، وأبو الحسين عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي.

رَبَّاهُ النَّبِيُّ فِي حَجْرِهِ: أَسْلَمَ بَعْدَ خَدِيجِهِ، وَعَمْرُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ. بَاتَ لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ، مُفْدِيًا أَيَّاهُ نَفْسَهُ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ بَعْدِ ثَلَاثٍ وَبَعْدَ أَنْ أَدَّى إِلَى قَرِيشٍ أَمَانَاتِهِمْ عِنْدَ الرَّسُولِ.

آخَى الرَّسُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ. حَضَرَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا وَأَبْلَى فِيهَا بِلَاءً حَسَنًا.

وَبُيْعَ لَهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ مِنْ بَعْدِ قَتْلِ عَثْمَانَ، وَسَكَنَ الْكُوفَةَ بَعْدَ حَرْبِ الْجَمَلِ. قَتَلَهُ ابْنُ مَلْجَمِ الْمُرَادِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٤٠ وَعَمْرُهُ سَبْعَ وَخَمْسُونَ أَوْ ثَمَانًا وَخَمْسُونَ أَوْ ثَلَاثًا وَسِتُونَ وَكَانَتْ مَدَّةُ خِلَافَتِهِ أَرْبَعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةِ أَيَّامٍ أَوْ ثَلَاثَةَ؛ وَدُفِنَ بِالْغُرَى مِنَ النَّجْفِ. (١)

ص: ١٠٦

١- . رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُمَا فِي الطَّبَقَاتِ، وَالْأَسْتِيعَابِ، وَأُسْدِ الْغَابَةِ، وَالْأَصَابَةِ، وَكَنْزِ الْعَمَالِ بَابِ الْخِلَافَةِ وَالْأَمَارَةِ وَبَابِ فِضَائِلِهِمَا، وَالطَّبْرِيَّ وَابْنَ الْأَثِيرِ وَابْنَ كَثِيرٍ فِي ذِكْرِهِمْ حَوَادِثَ سَنَةِ ٢٤ وَ ٣٥ وَ ٤٠ هِجْرِيًّا.

بدأت أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عائشه عاصه عصر الصهرين بتأييدها لعثمان في أوّل عهده - وحديثها فيه ثمّ اختلافها معه بعد ذلك وتأييدها عليه - إخراجها نعل الرسول وثوبه وشعره وقولها: اقتلوا نعتلاً - وخروجها للحج رغم التماس عثمان على أن تبقى - وتحريضها ابن عباس وأملها في استخلاف طلحه - استيلاء طلحه على بيوت المال واستنجد الخليفه بعليّ في حصاره وطلب الماء منه - قتله وتجمهر الصحابه على عليّ ومبادره طلحه والزبير الى البيعه - سرور أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ لقتل عثمان وحزنها لبيعه عليّ - طلبها ثار عثمان وتأييدها على عليّ - تضاييق الناس من عدل عليّ - اجتماع الامويين وولاه عثمان والناقمين من عليّ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - نصيحه أُمِّ سلمه - التوجه الى البصره والحواب - المنافسه على الصلاه والاماره - احتجاجات وخطب ورسائل - مقاتله عامل عليّ ومعاهدته ثمّ نقضها والمباغته بالقتال - توجه عليّ إلى البصره وحرب الجمل - انتصار عليّ وأمره ان لا يقتلوا جريحاً ولا مدبراً وألا يغنموا من خارج المعسكر - إرجاع أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ الى المدينه - الغايه من استعراض هذه الحوادث اعتماد المؤرّخين على أسطوره السبئيه وبيان واضعها.

ترأى لأمّ المؤمنين عائشه عهد الخليفه عثمان امتداداً لعهد الشيخين، فاستقبلته كغيرها من ساده قريش بالتأييد، واستمرت الحال على ذلك زهاء ست سنوات.

ومن المرجّح أنّ الاحاديث المرويّه عنها في مدح عثمان والخاليه عن ذكر قتله كان التحديث بها في هذه الفتره، ومن الجائر ان يكون من تلك الاحاديث ما في مسند أحمد(١) عن عائشه قالت:

استأذن أبو بكر على رسول الله (ص) وأنا معه في مرط(٢) واحد قالت:

ص: ١٠٧

١- . ١٦٧/٦، ومنتخب الكنز ٢/٥ عن يحيى بن سعيد بن العاص.

٢- . المرط ثوب مخيط. كساء من صوف أو خزّ.

فأذن له فقضى إليه حاجته وهو معي في المرط ثم خرج؛ ثم استأذن عليه عمر؛ فأذن له، فقضى إليه حاجته على تلك الحال؛ ثم خرج فاستأذن عليه عثمان فأصلح عليه ثيابه وجلس، فقضى إليه حاجته ثم خرج. فقالت عائشه: فقلت له: يا رسول الله استأذن عليك أبو بكر فقضى إليك حاجته على حالك تلك، ثم استأذن عليك عمر فقضى إليك حاجته على حالك، ثم استأذن عليك عثمان فكأنك احتفظت!

فقال:

((إن عثمان رجل حيي، ولو أذنت له على تلك الحال خشيت أن لا يقضى إلي حاجته!)).

وفى روايه مسلم: (١)

((وهو مضطجع على فراش لامس مرط عائشه... إلى... وقال لعائشه: إجمعي عليك ثيابك... فقالت عائشه: يا رسول الله ما لي لم أرك فزعت لابي بكر وعمر كما فزعت لعثمان...)) الحديث.

وفى حديثها لعبيدالله بن سيار: فلما قاموا قالت:

يا رسول الله استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك!

فقال: يا عائشه: ألا أستحي من رجل والله إن الملائكة تستحي منه! (٢)

وإنما رجحنا أن يكون التحديث بهذا في عصر عثمان لما فيه من ذكرهم مسلسلاً حسب مجيئهم إلى الحكم مما ينبغي أن يكون بعد تدرج الخليفين. وتسنم عثمان وقبل انحرافها عنه وقبل قتله وقيامها بطلب ثأره، والآ لورد ذكر قتله في الحديث أيضاً مثل ما ورد ذلك في أحاديث أخرى لها فيه.

ومما يؤخذ على هذا الحديث - مضافاً إلى ما ذكرنا - أنه يصرح بإذن الرسول

ص: ١٠٨

١- مسلم ١١٧/٧ باب فضائل عثمان، ومسند أحمد ١٥٥/٦.

٢- صحيح مسلم ١١٦/٧، ومسند أحمد ٦٢/٦، وكنز العمال ٣٧٦/٦ الحديث ٥٨٤٥، وراجع الكنز ١٤٨/٦ الحديث ٢٤١٣ و ٢٤١٧ وص ٣٨٢ الحديث ٥٩٠٤، ومنتخب الكنز ٢/٥ و ١٧، وتاريخ ابن عساكر ترجمه عثمان، وأنساب الاشراف للبلاذري.

لابى بكر وعمر وهو مع عائشه فى مرطها، وأنه لم يستح منهما ولم يفرع من مجيئهما؛ ولكنه فرع لعثمان

((وأرعى عليه ثيابه))، وقال لها:

((اجمعى عليك ثيابك))! فما هذا التبذل من النبى العظيم أمامهما! ولم

((تستحى الملائكه والله من عثمان!!)).

فى هذه الفتره - النصف الاول من عهد الخليفه عثمان - كانت أم المؤمنين عائشه؛ تؤيده وتطيعه، ولا تفكر فى خلافه، حتى اذا رغبت فى الحج هى وسائر أزواج النبى إستأذنته فى ذلك، كما حدثت هى وقالت:

((فلما توفى عمر وولى عثمان اجتمعت أنا وأم سلمه وميمونه وأم حبيبه فأرسلنا إليه نستأذنه فى الحج فقال: قد كان عمر بن الخطاب فعل ما رأيتن وأنا أحج بكن كما فعل عمر، فمن أراد منك أن تحج فأنا أحج بها، فحج بنا عثمان جميعاً إلا امرأتين منّا: زينب توفيت فى خلافه عمر ولم يحج بها عمر، وسوده بنت زمعه؛ لم تخرج من بيتها بعد النبى وكنا نستر)). (١)

حج بأمهات المؤمنين عثمان وأرسل معهنّ عبدالرحمن بن عوف وسعيد بن زيد.

اختلافها مع عثمان:

ثمّ اختلفت مع الخليفه عثمان، وأدى اختلافها معه إلى قطع الالفين الزائده فى عطائها عنها - على ما ذكره اليعقوبى وابن أعثم فى تاريخيهما (٢) - قال اليعقوبى:

((وكان بين عثمان وعائشه منافره، وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب وصيرها أسوه بغيرها من نساء رسول الله)).
ولا نعلم على وجه التحقيق متى نشب الخلاف بين أم المؤمنين والخليفه غير أننا نعلم أنّ ذلك لم يكن فى السنوات الست الأولى من خلافته، ولم يقع

ص: ١٠٩

١- طبقات ابن سعد ٢٠٩/٨.

٢- تاريخ اليعقوبى ١٣٢/٢، وتاريخ ابن اعثم ١٥٥.

مرّه واحده، بل تدرّج الخلاف بينهما حتّى تفاقم الخطب، وكانت أوّل من امال حرفه(١) وأصبحت ملجأ الساخطين عليه، وتزعمت الفئه المعارضه له حتّى قتل، ولم يكن فى الاسر الاسلاميه يومذاك اشدّ على عثمان من بنى تيم اسره أبى بكر.(٢) وفيما يلى نذكر فى أمر الوليد بعض الحوادث التى اشتدّ الخصام فيها بينهما:

ما كان فى أمر الوليد بن عقبه وعبدالله بن مسعود. أمّا الوليد فهو ابن عقبه بن أبى معيط بن أبى عمرو، واسمه ذكوان. كان أبو عمرو عبداً لأمّيه ابن عبد شمس ثمّ تبناه أمّيه؛ وأمّ الوليد أروى بنت كريز بن ربيعه وكانت أمّ عثمان ابن عفّان. فالوليد أخو عثمان لأمّه.

وكان أبوه عقبه بن أبى معيط جاراً لرسول الله بمكه، وكان يكثر مجالسه رسول الله واتخذ ضيافه فدعا إليها رسول الله (ص) فأبى أن يأكل من طعامه حتّى ينطق الشهادتين ففعل، فقالت قريش: صبا عقبه، وكان له خليل(٣) غائب عنه بالشام فقدم ليلاً فقال لامرأته:

ما فعل محمّد ممّا كان عليه

فقلت: أشدّ ما كان أمراً!

فقال: ما فعل خليلي عقبه

فقلت: صبا، فبات بلبه سوء. فلما أصبح أتاه عقبه فحيّاه فلم يرّد عليه التحيّه. فقال:

ما لك لاتردّ عليّ تحيّي!

فقال: كيف اردّ عليك تحيّيك وقد صبوت

ص: ١١٠

١- اشاره الى كلام ابن أمّ كلاب لها فى طريق مكه، راجع الطبرى ١٧٢/٥ فى ذكره حوادث سنه ٣٦.

٢- راجع أنساب الاشراف ٦٨/٥.

٣- فى بعض الروايات ان ابن أبى بن خلف كان خليل عقبه وفى غيرها كان أميه بن خلف خليله.

قال: أَوَقَد فعلتَها قريش؟

قال: نعم.

قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلته؟

قال: تأتيه في مجلسه فتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلم من الشتم، ففعل فلم يزد رسول الله (ص) على أن مسح وجهه من البزاق ثم التفت إليه فقال:

((إن وجدتكَ خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً)).

وفي روايه عاتبه صديقه على ذلك وقال له: صبات يا عقبه؟

قال: لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى.

فقال: وجهى من وجهك حرام إن لقيت محمداً فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه. فوجده ساجداً فى دار الندوه ففعل ذلك، فقال النبى (ص): لا أفاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف.

ثم أصبح عقبه بعد ذاك من ألد أعداء النبى حتى أنه كان يأتى بالفروث فيطرحها على باب دار رسول الله (ص).

ولما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه:

أخرج معنا قال: وعدنى هذا الرجل إن وجدنى خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقى صبراً.

فقالوا: لك جمل احمر لا يدر كك فلو كانت هزيمه طرت عليه فخرج معهم فلما هزم الله المشركين حمل به جمله فى جدود من الارض فأخذه رسول

ص: ١١١

اللّٰه (ص) أسيراً فى سبعين من قريش وقدم اليه عقبه فقال:

أتقتلنى من بين هؤلاء؟

قال: نعم بكفرِكَ وفجورك وعتوك على الله ورسوله. فأمر علياً فضرب عنقه فأنزل الله فيه:

(ويومَ يعضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتَّخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلّنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولاً!) (الايات ٣٠-٣٢ من سورة الفرقان). (١)

وابنه الوليد أسلم يوم فتح مكّه وبعثه النبيّ مصدّقاً إلى بنى المصطلق، فعاد وأخبر عنهم أنّهم ارتدّوا ومنعوا الصدقه، وذلك أنّهم خرجوا يتلقّونه فهابهم فانصرف عنهم فبعث إليهم رسول الله (ص) خالد بن الوليد، وأمره أن يتثبت فيهم ولا- يعجل؛ فأخبروه أنّهم متمسّكون بالاسلام ونزلت فيه:

(يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبأً فتيّبوا أن تصيبوا قوماً بجهالهِ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (الايه ٦ من سورة الحجرات). وفى عهد عثمان ولآه الكوفه وعزل عنها سعد بن أبى وقاص وكان سعد هو الذى كوّف الكوفه بأمر عمر وأسكنها جيوش المسلمين وكان سعد قائدهم فى فتح إيران فكانوا يحبونه ويحترمونه. فلما قدم الوليد على سعد قال له:

والله ما أدرى أكست بعدنا أم حمقنا بعدك!

فقال: لا تجزغنّ أباً إسحاق فإنّما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون.

فقال سعد: أراكم ستجعلونها ملكاً. (٢)

فساء الناس ذلك وقالوا: بئسما ابتدلنا عثمان. عزل أباً إسحاق الهين

ص: ١١٢

١- . راجع ابن هشام ٣٨٥/١ و ٢٥/٢، وامتاع الاسماع ص ٦١ و ٩٠ وتفسير الايات من تفسير الطبرى والقرطبى والزمخشري وابن كثير والدرّ المنثور والنيسابورى والرازى، وغيرها.

٢- . راجع ترجمه الوليد من الطبقات والاستيعاب وأسد الغابه والاصابه وكنز العمال وتفسير الايه السادسه من الحجرات فى جميع التفاسير.

الليث بن الحبر (١) صاحب رسول الله (ص) وَوَلَّى أخاه الفاسق الفاجر الاحمق الماجن. (٢)

وكان سبب تأمير الوليد على الكوفة ما أخرجه أبو الفرج في الاغانى (٣)

بسنده إلى خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال:

لم يكن يجلس مع عثمان (رض) على سريره إلا العباس بن عبدالمطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاص والوليد بن عقبه، فأقبل الوليد يوماً فجلس، ثم أقبل الحكم، فلما رآه زحل (٤) له عن مجلسه؛ فلما قام الحكم قال له الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تلجلج في صدرى بيتان قلتها حين رأيتك آثرت عمك على ابن أمك فقال له عثمان (رض): إنه شيخ قريش، فما هما البيتان اللذان قلتها قال قلت:

رأيت لعم المرء زلفى قرابه

يعنى عمراً وخالداً ابني عثمان. قال: فرق له عثمان، وقال له: قد وليتكم العراق (يعنى الكوفة).

وفى الاستيعاب: لما قدم الوليد بن عقبه أميراً على الكوفة أتاه ابن مسعود فقال: ((ما جاء بك)) قال: ((جئت أميراً)) فقال ابن مسعود:

((ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس!)) (٥) هذا هو الوليد.

أما ابن مسعود فهو أبو عبدالرحمن عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي وأمه أم عبد ودّ الهذلي. وكان أبوه حليف بنى زهره. أسلم قديماً وأجهر

ص: ١١٣

١- . الحبر بفتح الحاء وكسرهما: العالم الصالح.

٢- . أنساب الاشراف ٢٩/٥ و ٣١. وراجع ترجمه الوليد من الاستيعاب ج ٢/٤٠٤.

٣- . الاغانى ١٧٧/٤.

٤- . زحل: تنحى وتباعد.

٥- . ترجمه الوليد من الاستيعاب ٢/٤٠٤.

بالقرآن في مكة ولم يكن قد أجهر به أحد من المسلمين قبله فضربته قريش حتى أدموه ولما أسلم أخذه رسول الله (ص) إليه وكان يخدمه، وقال له

((أذُنْكَ عَلَى أَنْ ترفعَ الحجاب وان تسمع سوادى (١) حتى أنهاك)) فكان يلج عليه ويلبسه نعليه ويمشى معه وأمامه ويستتره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام، وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك.

هاجر الهجرتين جميعاً إلى الحبشه وإلى المدينة، وشهد بدرًا وما بعدها.

وقالوا فيه: كان أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتا برسول الله. (٢)

سيره عمر في عهده إلى الكوفه، وكتب إلى أهل الكوفه:

إني قد بعثت عمّار بن ياسر أميراً وعبداً بن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء من أصحاب رسول الله (ص) من أهل بدر فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما وقد آثرتمكم بعبداً على نفسي. (٣)

فكان ابن مسعود يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين وكان على بيت المال لما قدم الوليد الكوفه فاستقرضه مالا. وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثم ترد ما تأخذ فأقرضه عبداً ما سأله، ثم إنه اقتضاه إياه فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبداً بن مسعود: ((إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال)) فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال:

((كنت أظن أنني خازن للمسلمين فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك)) وأقام بعد إلقائه المفاتيح في الكوفه. (٤)

ص: ١١٤

١- ساوده سواداً: أي ساوره مساوره ولذلك كان يقال له: صاحب سرّ رسول الله (ص).

٢- راجع مسند أحمد ٣٨٩/٥ ومناقبه في البخارى والمستدرک ٣/٣١٥ و٣٢٠ وحليه أبي نعيم ١/١٢٦ و١٢٧.

٣- راجع ترجمته في أسد الغابه ٣/٢٥٨.

٤- أنساب الاشراف للبلاذرى ٥/٣٦.

وفى العقد الفريد(١) أنّ ابن مسعود خرج إلى المسجد وقال:

((يا أهل الكوفة! فقدت من بيت مالكم الليلة مائه ألف لم يأتني بها كتاب أمير المؤمنين ولم يكتب لى بها براءه)) فكتب الوليد بن عقبه إلى عثمان فى ذلك فنزعه من بيت المال.

وروى البلاذرى(٢) أنّ عبد الله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبه قال: ((من غَيَّرَ غَيَّرَ اللَّهُ ما به. ومن بَدَّلَ أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلا وقد غَيَّرَ وبَدَّلَ، أيعزل مثل سعد بن أبى وقاص ويُوَلِّى الوليد؟))، وكان يتكلّم بكلام لا يدعه وهو:

((إنّ أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد (ص)، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعه ضلاله، وكلّ ضلاله فى النار)).

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال: إنّه يعيبك ويطعن عليك، فكتب إليه عثمان يأمره باشخاصه. فاجتمع الناس فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شىء تكرهه، فقال: ((إنّ له علىّ حق الطاعة ولا أحبّ أن أكون أوّل من فتح باب الفتن)) وفى الاستيعاب: ((إنّها ستكون أمور وفتن لا أحبّ أن أكون أوّل من فتحها)). فردّ الناس وخرج إليه.(٣)

وشيّعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن.(٤)

فقالوا له: جزيت خيراً فلقد علّمت جاهلنا، وتبّت عالمنا، واقرأتنا القرآن، وفقّهتنا فى الدين، فنعم أخو الاسلام أنت ونعم الخليل، ثمّ ودّعوه وانصرفوا.

وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله (ص) فلمّا رآه قال:

ص: ١١٥

١- . العقد الفريد ٢/٢٧٢.

٢- . البلاذرى فى الانساب ٥/٣٦.

٣- . الاستيعاب، ترجمه ابن مسعود.

٤- . رجعنا الى روايه البلاذرى.

ألا إنه قد قدمت عليكم دويبه سوء من يمشى على طعامه يقىء

ويسلح. فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكنى صاحب رسول الله (ص) يوم بدر ويوم بيعه الرضوان. (١)

ونادت عائشه: ((أى عثمان: أتقول هذا لصاحب رسول الله!)).

- وفى روايه بعده: (فقال عثمان أسكتى). - ثم أمر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً، وضرب به عبد الله بن زمعه الارض، ويقال: بل أحتمله ((يحموم)) غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الارض فذق ضلعه.

فقال عليّ: ياعثمان! أتفعل هذا بصاحب رسول الله (ص) بقول الوليد بن عقبه!

فقال: ما بقول الوليد فعلت هذا ولكن وجهت زييد بن الصلت الكندى إلى الكوفه، فقال له ابن مسعود: إن دم عثمان حلال.

فقال عليّ: أحلت على زييد على غير ثقه. وقام عليّ بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله، فأقام ابن مسعود بالمدينه لا- يأذن له عثمان فى الخروج منها إلى ناحيه من النواحي، وأراد - حين برئ - الغزو فمنعه من ذلك.

وقال له مروان: إن ابن مسعود أفسد عليك العراق؛ أفتريد ان يفسد عليك الشام.

فلم يبرح المدينه حتى قبل مقتل عثمان بسنتين، وكان مقيماً بالمدينه ثلاث سنين.

ولمّا مرض ابن مسعود مرضه الذى مات فيه أتاه عثمان عائداً، فقال: ما تشتكى؟

قال: ذنوبى.

قال: فما تشتهى.

ص: ١١٦

١- . فى كلامه هذا تعريض بعثمان حيث غاب عن بدر وبيعه الرضوان.

قال: رحمه ربّي.

قال: ألا أدعو لك طيباً؟

قال: الطيب أمرضني.

قال: أفلا آمر لك بعطائك؟ - وكان قد تركه سنتين - (١).

قال: منعنيته وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا مستغن عنه!!

قال: يكون لولدك.

قال: رزقهم على الله.

قال: استغفر لي يا أبا عبد الرحمن.

قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي.

وأوصى أن يصلّي عليه عمار بن ياسر، وأن لا- يصلّي عليه عثمان فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم (٢) فلتمّ! علم غضب. وقال: سبقتموني به. فقال عمار بن ياسر: إنّه أوصى أن لا تصلّي عليه.

فقال ابن الزبير:

لاعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زوّدتني زادي (٣)

هذا بعض ما كان من أمر ابن مسعود. أمّا الوليد بن عقبه فلم تنحصر أحداثه في الكوفه بما جرى بينه وبين ابن مسعود وحسب، وإنّما توالّت منه صدور أحداث مثيره أخرى في مدّه إمارته على الكوفه:

منها قصته مع الشاعر النصراني أبي زيد على ما أخرجه أبو الفرج في

ص: ١١٧

١- تاريخ ابن كثير ١٦٣/٧ وراجع اليعقوبي ١٧٠/٢.

٢- توفي سنة ٣٢ ودفنه الزبير ليلاً ولم يؤذن به عثمان وكان عمره بضعا وستين سنة.

٣- لقد رجعنا فيما أوردنا من قصه ابن مسعود الى البلاذري في أنساب الاشراف ٣٦/٥، وفي بعضه الى ترجمته في طبقات ابن سعد ١٥٠/٣-١٦١ طبعه دار صادر بيروت، والاستيعاب ٣٦١/١، وأسّد الغابه ٣٨٤/٣ رقم الترجمة ٣١٧٧، وتاريخ اليعقوبي ١٧٠/٢، وراجع تاريخ الخميس ٢٦٨/٢، وابن أبي الحديد طبعه دار إحياء الكتب العربيّه بمصر ٢٣٦/١-٢٣٧.

إنّ أبا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة، فأنزله الوليد داراً لعقيل بن أبى طالب على باب المسجد، فاستوهبها منه فوهبها له، فكان ذلك أوّل الطعن عليه من أهل الكوفة؛ لأنّ أبا زبيد كان يخرج من منزله حتّى يشقّ الجامع إلى الوليد، فيسمرّ عنده ويشرب معه ويخرج فيشقّ المسجد وهو سكران، فذلك نبههم عليه.

وأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة وجعله له حمى، فقال ابو زبيد فيه شعرا يمدحه فيه. (٢)

وقال البلاذرى: (٣) وأجرى عليه وظيفه من خمر وخنازير تقام له فى كلّ شهر، فقليل له قد عظم إنكار الناس لما تجرى على أبى زبيد، فقوّم ما كان وظّف له دراهم وضمّها إلى رزق كان يجرى عليه وكان يدخله المسجد وهو نصرانى.

ومنها قصته مع الساحر على ما حكاها المسعودى فى مروج الذهب (٤) قال:

ومن ذلك فعل الوليد بن عقبه فى مسجد الكوفة وذلك أنّه بلغه عن رجل من اليهود من ساكنى قريه من قرى الكوفة ممّا يلى جسر بابل، يقال له: زراره يعمل أنواعا من الشعبهه والسحر، يعرف بنطروى، فأحضره، فأراه فى المسجد ضربا من التخاييل؛ وهو أن أظهر له فى الليل فيلا عظيما على فرس فى صحن المسجد، ثمّ صار اليهودىّ ناقه يمشى على جبل، ثمّ أراه صورته حمار دخل من فيه ثمّ خرج من دبره، ثمّ ضرب عنق رجل ففرّق بين جسده ورأسه، ثمّ أمرّ السيف عليه فقام الرجل؛ وكان جماعه من أهل الكوفة حضوراً منهم جندب بن كعب الازدى، فجعل يستعيذ بالله من فعل

ص: ١١٨

١- . الآغانى ١٨٠/٤، ط. ساسى.

٢- . الآغانى ١٨١/٤، ط. ساسى.

٣- . فى الانساب ٢٩/٥ و ٣١.

٤- . المسعودى فى موجه ٤٣٧/١.

الشیطان، ومن عمل یبعد من الرحمن، وعلم أنّ ذلك هو ضرب من التخيل والسحر، فاخترط سيفه، وضرب به اليهودی ضربہ أدار رأسه ناحیه من بدنه؛ وقال: ((جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً)).

وقد قيل: إنّ ذلك كان نهاراً، وأنّ جندبا خرج إلى السوق، ودنا من بعض الصياقله،^(١) وأخذ سيفاً، ودخل فضرب به عنق اليهودی، وقال: إن كنت صادقاً فأحى نفسك، فأنكر عليه الوليد ذلك، وأراد ان يقيده به^(٢) فمنعه الازد، فحبسه وأراد قتله غيلة، ونظر السجّان إلى قیام ليله إلى الصبح، فقال له: أنج بنفسك، فقال له جندب: تقتل بی، قال: ليس ذلك بكثير في مرضات الله والدفع عن ولّی من أولیاء الله. فلما أصبح الوليد دعا به وقد استعدّ لقتله، فلم يجده، فسأل السجّان، فأخبره بهربه، فضرب عنق السجّان وصلبه بالكناس.

وفي الاغانی:^(٣) إنّ الوليد بن عقبه كان عنده ساحر يريه كتيبتين تقتلان، فتحمل إحداهما على الاخرى فتهمها؛ فقال له الساحر: أيسرك أن أريك هذه المنهمه تغلب الغالبه فتهمها قال: نعم وأخبر جندب بذلك، فاشتمل على السيف ثم جاء فقال: أفرجوا، فضربه حتّى قتله، ففرع الناس وخرجوا؛ فقال: يا أيها الناس لا عليكم، إنّما قتلت هذا الساحر لئلا يفتنكم في دينكم،... الحديث.

وفي روايه أخرى بعده: أن رجلاً من الانصار نظر إلى رجل يستعلن بالسحر، فقال: أو إنّ السحر ليعلن به في دين محمد! فقتله؛ فأتى به الوليد بن عقبه فحبسه، فقال: دينار بن دينار فيم حبست؟ فأخبره فخلّى سبيله، فأرسل إلى دينار فقتله.

ص: ١١٩

١- الصياقله: مفرد الصيقل شحاذ السيوف.

٢- أن يقيده به: أى يقتله به.

٣- الاغانى ١٨٣/٤ ط. ساسى.

وفى روايه أخرى(١) أنّ ساحرا كان عند الوليد بن عُقبه، فجعل يدخل فى جوف بقره ويخرج منه؛ فرآه جندب، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف، فلمّا دخل الساحر فى جوف البقره، قال: أتأتون السحر وأنتم تبصرون، ثمّ ضرب وسط البقره فقطعها وقطع الساحر فى البقره فانذعر الناس فسجنه الوليد... الحديث.

وفى أنساب الاشراف:(٢) وأتى بساحر يقال له: ((نظروى))، فرآه جندب الخير(٣) وجنب بن عبد الله الازدى، فأستعار سيفاً قاطعاً، فاشتمل عليه، وخرج يريد الوليد بن عقبه، فلقى معضد بن يزيد أحد بنى تيم الله بن ثعلبه بن عكابه؛ وكان ناسكا فأخبره بما يريد، فقال له: لا تقتل الوليد فإنه يورث فرقه وفتنه ولكن شأنك بالعلاج، فشدّ على الساحر فقتله، ثمّ قال له: أحي نفسك إن كنت صادقاً.

فقال الوليد: هذا رجل يلعب فيأخذ بالعين سرعه وخفّه، فقدّم جندباً ليضرب عنقه، فأنكرت الازد ذلك وقالوا: أتقتل صاحبنا بعلاج ساحر! فحبسه، فلمّا رأى السجّان طول صلاته وكثره صيامه تحوّب عن حبسه فخلّى

ص: ١٢٠

١- . الاغانى ١٨٣/٤ ط. ساسى.

٢- . أنساب الاشراف ٢٩/٥ و ٣١.

٣- . كان فى الازد جناده أربعه: جندب الخير بن عبد الله، وجندب بن زهير، وجندب بن كعب ترجموا لهم فى الصحابه ونسبوا الى احدهم قتل الساحر والرابع جندب بن عفيف والمشهور عندهم ان قاتل الساحر هو جندب بن كعب بن عبد الله بن غنم الازدى ثمّ الغامدى. قال ابن الاثير بترجمته فى أسد الغابه: فضربه ضربه فقتله، ثمّ قال له: أحي نفسك، ثمّ قرأ: (أتأتون السحر وأنتم تبصرون) فرفع الى الوليد، فقال: سمعت رسول الله (ص) يقول: ((حد الساحر ضربه بالسيف)). فحبسه الوليد... وقال ابن أخيه فى حبسه: أفى مضرب السحّار يحبس جندبويقتل أصحاب النبى الاوائل ... وانطلق الى أرض الروم فلم يزل يقاتل بها المشركين حتّى مات لعشر سنوات مضين من خلافه معاويه. راجع أسد الغابه ٣٠٣/١-٣٠٦.

سبيله؛ فمضى جندب فالحق بالمدينه، وكان يكتى أبا عبدالله، فأخذ الوليد السجّان وكان يقال له: دينار ويكتى أبا سنان، فضرب عنقه وصلبه بالسبخه،^(١) ولم يزل جندب بالمدينه حتى كَلّم فيه عليّ بن أبي طالب عثمان، فكتب إلى الوليد يأمره بالامسك عنه فقدم الكوفه.^(٢)

أمارات الثوره فى ولايه الوليد:

اشاره

قال البلاذرى:^(٣) لَمّا شاع فعل عثمان وسارت به الركبان كان أوّل من دعا إلى خلعه والبيعه لعليّ عمرو بن زراه^(٤) بن قيس بن الحارث بن عمرو بن عداء النخعي، وكميل بن زياد بن نهيك بن هُتيم النخعي ثمّ أحد بنى صهبان، فقام عمرو بن زراه فقال: أيّها الناس إنّ عثمان ترك الحقّ وهو يعرفه، وقد أغرى بصلحائكم يولّى عليهم شراركم. فمضى خالد بن عرفطه بن أبرهه بن سنان العذريّ حليف بنى زهره إلى الوليد فأخبره بقول عمرو بن زراه واجتماع الناس إليه، فركب الوليد نحوهم، فقيل له: الامر أشدّ من ذلك والقوم مجتمعون فأثّق الله ولا تسعّر الفتنة، وقال له مالك بن الحارث الاشر النخعي:

أنا أكفيك أمرهم فأتاهم فكفّهم وسكّنهم وحذّروهم الفتنة والفرقه؛ فانصرفوا.

وكتب الوليد إلى عثمان بما كان من ابن زراه، فكتب إليه عثمان: إنّ ابن زراه أعرابيّ جلف فسوّره إلى الشام، فسوّره؛ وشيّعاه الاشر والاسود بن يزيد ابن قيس، وعلقمه بن قيس، وهو عم الاسود، والاسود أكبر منه؛ فقال قيس

ص: ١٢١

١- . قد ورد فى روايه المسعودى: ((بالكناس))، وفى المعجم: الكناسه محله بالكوفه، ونسب السبخه الى البصره.

٢- . أنساب الاشراف ٢٩/٥ و ٣١.

٣- . أنساب الاشراف ٣٠/٥.

٤- . عمرو بن زراه. ترجموه فى الصحابه، وفد أبوه على النبىّ وحّدثه برؤيا رآها فعبرها له. راجع ترجمتهما فى أسد الغابه ٢٠١/٢-٢٠٢ و ١٠٤/٤.

ابن قهيدان بن سلمه من بنى البداء من كنده يومئذ:

أقسم بالله رب البيت مجتهدا

وكان عثمان وجّه حمران إلى الكوفه حين شكوا الناس الوليد بن عقبه لياتيه بحقيقه خبره فرشاه الوليد، فلما قدم على عثمان كذب عن الوليد وقزّظه، ثم إنّه لقي مروان فسأله عن الوليد، فقال له: إنّ الامر جليل، فأخبر مروان عثمان بذلك، فغضب على حمران وغزبه إلى البصره لكذبه إياه وأقطعه داراً. (١)

استمرت إماره الوليد على الكوفه خمس سنين، وغزا في أيامه آذربيجان وأصاب حدّاً في غزاه فأرادوا أن يقيموه عليه، فقال حذيفه: أتقيمون عليه الحدّ وهو بأزاء العدو! فكفوا عن ذلك. (٢)

ولا ندرى هل كان ذلك منه في شربه الخمر أم غيره، فإنّه كان مشهوراً بمعاقره الخمره وحدّ على ذلك في قصه مشهوره ذكرها المؤرخون وقالوا:

في حدّه على السكر:

فيما أخرجه أبو الفرج في الاغانى (٣) عن أبي عبيد والكلبي والاصمعي:

كان الوليد بن عقبه زانياً شريب خمر، فشرّب الخمر بالكوفه وقام ليصلّى بهم الصبح في المسجد الجامع، فصلّى بهم أربع ركعات، ثم التفت إليهم وقال لهم: أزيدكم وتقياً في المحراب وقرأ بهم في الصلاة:

علق القلب الربابا بعدما شابت وشابا

وقال المسعودى: (٤) إنّ الوليد بن عقبه كان يشرب مع ندمائه ومغنيّه من

ص: ١٢٢

١- . أنساب الاشراف ٥٧/٥-٥٨.

٢- . أنساب الاشراف ٣١/٥.

٣- . الاغانى ١٧٦/٤-١٧٧، ط. ساسى.

٤- . المسعودى في موجه ٣٣٥/٢، ط. دار الاندلس.

أول الليل إلى الصباح، فلما آذنه المؤذنون بالصلاه خرج منفصلاً في غلائله (١) فتقدم إلى المحراب في صلاه الصبح فصلّى بهم أربعاً، وقال: أتريدون أن أزيدكم وقيل إنه قال في سجوده وقد أطال: ((إشرب واسقني)). فقال له عتاب الثقفي وكان في الصف الاول: ماتريد لانزادك الله مزيد الخير. والله لا أعجب إلا ممن بعثك إلينا واليا وعلينا أميرا. فحصبه الناس بحصباء المسجد، فدخل قصره يترنح ويتمثل أبيات تأبط شراً.

ولست بعيداً عن مدام وقينه

ماجري للشهود:

رغب أهل الكوفه في أن يذهبوا إلى المدينه ومعهم بينه جليته تؤيدهم في شهادتهم على أخى الخليفه كى لا- يجبهوا بالرد والانكار.

روى أبو الفرج، والمسعودى، والبلاذرى، واللفظ للاخير قال: (٢)

لمّا صلّى الوليد بالناس وهو سكران أتى أبو زينب زهير بن عوف الازدى صديقا له من بنى أسد يقال له: المورّع، فسأله أن يعاونه على الوليد فى التماسه عزّته فتفقّده ذات يوم فلم يرياه خرج لصلاه العصر، فانطلقا إلى بابه ليدخلا عليه، فمنعهما البواب، فأعطاه أبو زينب دينارا، فسكت، فدخلوا فإذا هما به سكران ما يعقل فحملاه حتى وضعاه على سريره فقاء خمرا وانتزع أبو زينب خاتمه من يده.

وفى لفظ الاغانى بعد هذا: ولقى أبو زينب وصاحبه عبدالله بن حبيش الاسدى وعلقمه بن يزيد البكرى وغيرهما فأخبراه، فقالوا: اشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه، فقال بعضهم: لا يقبل قولنا فى أخيه.

ص: ١٢٣

١- . غلائله مفرد الغلاله: شعار يلبس تحت الثوب والدرع. وقيل بطائن تلبس تحت الدروع. لسان العرب، ماده: غلل.

٢- . فى الاغانى ١٧٨/٤، ط. ساسى، ومروج الذهب ١/٤٣٥ وأنساب الاشراف ٣٣/٥.

وفى لفظ البلاذرى: ومضى على طريقه البصره حتى قدما على عثمان.

عند الخليفة:

روى أبو الفرج وقال: (١) قدم رجل المدينة فقال لعثمان (رض) إني صليت الغداه خلف الوليد بن عقبه، فالتفت إلينا فقال: أزيدكم إني أجد اليوم نشاطاً، وأنا أشم منه رائحة الخمر؛ فضرب عثمان الرجل؛ فقال الناس: عطلت الحدود وضربت الشهود.

وفى روايه البلاذرى عن أبي إسحاق قال: فخرج فى أمره إلى عثمان أربعة نفر: أبو زينب، وجندب بن زهير، وأبو حبيبه الغفارى، والصعب بن جثامه، فأخبروا عثمان خبره، فقال عبدالرحمن بن عوف: ماله أجنّ! قالوا: لا ولكنّه سكر، قال فأوعدهم عثمان وتهدّدهم، وقال لجندب: أنت رأيت أختى يشرب الخمر! قال: معاذ الله! ولكنى اشهد أنّى رأيت سكران يقلسها (٢) من جوفه وإنى اخذت خاتمه من يده وهو سكران لا يعقل.

وفى روايه الاغانى: فشخصوا إليه وقالوا: إنّنا جئناك فى أمر ونحن مخرجوه إليك من أعناقنا وقد قلنا إنّك لا تقبله.

قال: وما هو؟

قالوا: رأينا الوليد وهو سكران من خمر قد شربها وهذا خاتمه أخذناه وهو لا يعقل!... (٣)

وفى روايه المسعودى: (ثمّ تقايا عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده فأتوا عثمان بن عفان فشهدوا عنده على الوليد أنّه شرب الخمر، فقال

ص: ١٢٤

١- . فى الاغانى ١٧٨/٤، ط. ساسى، بسنده الى مطر الوراق.

٢- . يقلسها: يقيئها.

٣- . الاغانى، ط. ساسى، ١٧٨/٤.

عثمان: وما يدريكما أنه شرب خمرًا، فقالا: هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية، وأخرجنا خاتمه فدفعاها إليه فرزأهما ودفعا في صدورهما، وقال: تنحيا عني فخرجا وأتيا علي بن أبي طالب (رض) وأخبراه بالقصة، فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشهود وأبطلت الحدود... الحديث). (١)

وفي روايه البلاذري عن الواقدي: وقد يقال: إنَّ عثمان ضرب بعض الشهود أسواطاً فأَتوا علياً فشكوا ذلك إليه فأتى عثمان، فقال: عطَّلتَ الحدود وضربت قوما شهدوا علي أخيك فقلبت الحكم.

وأخرج البلاذري عن أبي إسحاق قال: فأتى الشهود عائشه فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان وأنَّ عثمان زبرهم؛ فنادت عائشه: إنَّ عثمان أبطل الحدود وتوعدَّ الشهود. (٢)

وأخرج أبو الفرج (٣) عن الزهري أنه قال: خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد فقال: أكلما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل؟ لئن أصبحت لا نكلنَّ بكم، فاستجاروا بعائشه، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظه فقال: أما يجد مرقَّ أهل العراق وفساقهم ملجأً إلاَّ بيت عائشه! فسمعت فرفعت نعل رسول الله (ص) وقالت: تركت سنَّه رسول الله صاحب هذا النعل. فتسامع الناس فجاءوا حتَّى ملأوا المسجد فمَن قائل: أحسنت، ومن قائل: ما للنساء ولهذا؟! حتَّى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال...

وأخرج البلاذري: (٤) ان عائشه أغلظت لعثمان، وأغلظ لها وقال: وما أنت وهذا؟! إنَّما أمرت أن تقرِّي في بيتك، فقال قوم مثل قوله، وقال آخرون: ومن أولى بذلك منها، فاضطربوا بالنعال، وكان ذلك أوَّل قتال بين المسلمين

ص: ١٢٥

١- . مروج الذهب، طبعه بيروت، دار الاندلس، ٣٣٦/٢.

٢- . أنساب الاشراف ٣٤/٥.

٣- . الاغانى ١٧٨/٤، ط. ساسى.

٤- . أنساب الاشراف ٣٣/٥.

بعد النبيّ (ص).

وأخرج يعقوبى فى تاريخه (١) وابن عبد البرّ بترجمته من الاستيعاب قريباً ممّا أوردناه من موقف أمّ المؤمنين فى هذه القصّه.

وأخرج البلاذرى (٢) عن الواقدى وأبى مخنف وغيرهما أنّهم قالوا: أتى طلحه والزبير عثمان، فقالا له: قد نهيناك عن توليه الوليد شيئاً من أمور المسلمين فأبيت، وقد شهد عليه بشرب الخمر والسكر فاعزله.

وقال له عليّ: اعزله وحده إذا شهد الشهود عليه فى وجهه؛ فولّى عثمان سعيد بن العاص الكوفه وأمره بإشخاص الوليد. فلما قدم سعيد الكوفه غسل المنبر ودار الاماره.

وروى الطبرى (٣) فى بيان هذا وقال: فقدم سعيد بن العاص الكوفه فأرسل إلى الوليد أنّ أمير المؤمنين يأمرک أن تلحق به، قال: فتضجّع أياًما فقال له: انطلق إلى أخيك فأنّه قد أمرنى أن أبعثك إليه، قال: وما صعد منبر الكوفه حتّى أمر به أن يغسل. فناشده من قريش ممّن كانوا خرجوا معه من بنى أميه، وقالوا: إنّ هذا قبيح: واللّه لو أراد هذا غيرک لكان حقّاً أن تذبّ عنه، يلزمه عار هذا أبداً. قال فأبى إلا أن يفعل فغسله وأرسل إلى الوليد أن يتحوّل من دار الاماره فتحوّل عنها ونزل دار عماره بن عقبه.

وفى الاغانى: (٤) لما شهد على الوليد عند عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخص؛ فخرج وخرج معه قوم يعذرونه، فيهم عدى بن حاتم، فنزل الوليد يوماً يسوق بهم، فقال يرتجز:

لاتحسبنا قد نسينا الايجاف والنشوات من عتيق أوصاف

ص: ١٢٦

١- . يعقوبى ٢/٢٠٣، ط. بيروت، دار صادر.

٢- . أنساب الاشراف ٥/٣٥.

٣- . الطبرى ٥/١٨٨، فى ذكره حوادث سنه ٣٣ هجرى، وفى ط. أوربا ١/٢٩١٥.

٤- . الاغانى ٤/١٨١، وفى ط. ساسى ٤/١٧٨-١٧٩.

وعزف قينات علينا عزّاف (١)

فقال عدى: أين تذهب بنا! أقم!

وفى روايه البلاذرى: (٢)

وأشخص الوليد فلما شهد عليه فى وجهه وأراد عثمان أن يحدّه ألبسه جبه حبر (٣) وأدخله بيتا فجعل إذا بعث إليه رجلا- من قريش ليضربه، قال له الوليد: أنشدك الله أن تقطع رحمى، وتغضب أمير المؤمنين عليك. فيكفّ. فلما رأى ذلك على بن أبى طالب أخذ السوط ودخل عليه ومعه ابنه الحسن، فقال له الوليد: مثل تلك المقاله، فقال له الحسن: صدق يا أبت، فقال على: ما أنا إذا بمؤمن؛ وجلده بسوط له شعبتان أربعين جلده، ولم ينزع جبهه؛ وكان عليه كساء فجاذبه على إياه حتى طرحه على ظهره وضربه وما يبدو إبطه.

وفى روايه الاغانى: (٤) فقال له الوليد نشدتك بالله والقرايه، فقال على: أسكت أبا وهب فانما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود. فضربه وقال:

لتدعوئى قريش جلادها.

وقال المسعودى: (٥) فلما نظر إلى امتناع الجماعه عن إقامة الحدّ عليه توقياً لغضب عثمان لقرايته منه؛ أخذ على السوط ودنا منه، فلما أقبل نحوه سبه الوليد، وقال: يا صاحب مكس. (٦)

فقال عقيل بن أبى طالب وكان ممن حضر: إنك لتتكلم يا ابن أبى معيط كأنك لا تدري من أنت وأنت عالج من أهل صفوريه - وهى قريه بين عكا

ص: ١٢٧

١- . الايجاف: سير فسيح واسع للابل، والنشوات من عتيق أوصاف، أى ولم ننس النشوات من خمر عتيق موصوف بالجوده، وعزف قينات... أى ولم ننس عزف المغنيات.

٢- . أنساب الاشراف ٣٥/٥.

٣- . حبر: ضرب من برود اليمن.

٤- . الاغانى ١٧٧/٤، ط. ساسى.

٥- . مروج الذهب ٤٤٩/١.

٦- . المكس: النقص والظلم، ودراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الاسواق فى الجاهليه، أو درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه من الصدقه.

واللجون من أعمال الاردن من بلاد طبريه كان ذُكر أن أباه يهودياً منها - فأقبل الوليد يروغ(١) من عليّ فاجتذبه فضرب به الارض وعلاه بالسوط.

فقال عثمان: ليس لك ان تفعل به هذا، قال: بلى وشراً من هذا إذا فسق ومنع من حق الله تعالى أن يؤخذ منه.

وروى البلاذري(٢) وقال: لما ضرب عليّ الوليد بن عقبه جعل الوليد يقول:

يا مكّيته يا مكّيته!(٣) وقال حين حدّ:

باعد الله ما بيني وبينكم

وروى أنه سئل عثمان أن يحلق، وقيل له إن عمر حلق مثله، فقال: قد كان فعل ثم تركه.

وروى اليعقوبي(٤) أن عثمان بعث أخاه الوليد - بعد أن أجرى الحد عليه - على صدقات كلب وبلقين.

في هذه القصّه نجد الوليد بن عقبه امراً موصوفاً في القرآن بالفسق، ومشهوراً لدى الناس بالسكر والزنا، ونجده عارفاً بضعف نفس أخيه الخليفة خبيراً بكيفيته التصرف فيه.

ونجده يبسط يده في أموال المسلمين، كما نجده يتخذ من السلطه سلماً إلى التمتع بشهواته، ويتجاهر في سبيل ذلك غير هيّاب ولا - متحرّج اعتماداً على مركز أخيه الخليفة وتدليله إياه، فنجده يقطع نديمه الشاعر النصراني أرضاً واسعاً، ويجرى عليه لحم الخنزير والخمر، ويدخله المسجد الجامع وهو

ص: ١٢٨

١- يروغ الرجل والنعلب: يميل ويحيد عن الشيء.

٢- أنساب الاشراف ٣٥/٥.

٣- مكّيته: المكث اللبث، والمكّيث الرزين، ولعلّه كان يوصى نفسه بالصبر والوقار.

٤- في تاريخه ١٤٢/٢.

سكران، ويدخل الساحر اليهودى المسجد أيضاً ليقوم له فيه بأعماله السحريّة، ويخرج سكران فى غلائله ليصلّى بالمسلمين فى محرابهم، ويتقيأ الخمره لاكتاره منها؛ حتّى إذا أشخص إلى المدينه أخرج معه الاشراف ليعذروه ولكنه لا يستطيع ان يكف عن ذكر الخمر والعزف فيتغنّى بهما وهو فى طريقه إلى مجلس الحكم.

ونجد فيها المسلمين كافة متذمّرين من السلطه معلنين استنكارهم عليها غير أنّ هناك شخصيتين متميّزتين على من عداهما:

أولاهما: ابن أبى طالب فإنّه الشخص الوحيد الذى تقدّم من بين المسلمين والصحابه لاقامه الحدّ على أخى الخليفه غير مبال بسخط الخليفه، ونقمه أسرته من بنى أمّيه، ومن المصادقات الفريده أن يكون هذا الشخص ضارب رأس الاب الكافر وجالدّ ظهر الابن الفاسق، وحقّ له ان يقول: لتدعونى قريش جلاّدها، ولقد اذخر بأفعاله هذه كرها شديدا فى صدور قريش، وحقداً دفينا جنى ثمارها فى مستقبل أيّامه.

وثانيهما: أمّ المؤمنين عائشه فإنّها كانت فى الناقمين على عثمان تملك قياده جماهير الناس، وقد استطاعت أن تحشد الجماهير ضدّه بعمل فدّ لم يقم به أحد قبلها ولا بعدها، فإنّها أخرجت نعل رسول الله فى وقت كان الناس متعطشين إلى رؤيه آثار رسول الله (ص) وبذلك أثارت عواطفهم! وهيجتهم! ودفعتهم إلى حيث ما تريد، فوقع الخصام، وانقسم المسلمون حزبين يترامون بالحصباء ويتضاربون بالفعال! وكان ذلك أوّل قتال وقع بين المسلمين، وأخيراً تغلّبت على الخليفه، واضطرتّه إلى النزول عند رغبه الجماهير فعزل أخاه وأحضره للحكم، ولولا براعتها فى تحشيد الجماهير وقيادتها؛ لما وقع شىء من ذلك؛ وإنّها لم تكن الوحيده ممّن بقيت من أزواج الرسول بعده، فقد كانت هناك حفصه وأمّ سلمه وأمّ حبيبّه وقد اشترك بعضهن فى بعض المواقف السياسيه غير أنّ واحده منهن لم تفعل ذلك.

ونجد فى هذه القصّه - أيضاً - الخليفه عثمان قد اتّخذ لنفسه سريراً يجلس

عليه ممّا لم نجد الخليفتين قبله قد فعلا ذلك، ثمّ نجده يشرك معه على السرير أبا سفيان كبير قريش في حروبها لرسول الله، وأخاه الموصوف في القرآن بالفسق شرّيب الخمر الزانى، ونجده يحترم عمّه الحكم طريد رسول الله ولعينه أكثر من أى إنسان كان، فيزحل له عن مجلسه، ونجده يطعم النصف الشرقيّ من بلاد المسلمين إلى أخيه الماجن هذا ليحبر بذلك نفسه الكسيرة؛ ونجده يبسط يد هذا المتهتك على بيت مال المسلمين، ويعاقب الصحابيّ الجليل ابن مسعود على إنكاره على أخيه، ويخاطبه بذلك الخطاب المقدع، ويأمر به فيضرب حتى تنكسر ضلعا، ويحرمه عطاءه ويمنعه من الخروج إلى الجهاد في سبيل الله، ويحبسه في المدينة حتى يموت، كل ذلك يفعله غضباً لأخيه الفاسق هذا، ونجده يردّ شهادته الشهود على أخيه، ويضربهم على شهادتهم، وبعد ان يجبر على إقامة الحدّ عليه يلبسه جبّه حبر تمنع من جسده ألم السياط، ثمّ لا يخلق رأسه بعد الحدّ، وبعد ذلك كلّه يوظّفه على الصدقات.

هذه واحده من حوادث سياسيه اشتركت فيها أمّ المؤمنين ضدّ الخليفة عثمان.

ثانياً: فى خبر عمّار مع الخليفة الحادّته الأخرى الّتى اشتركت فيها أمّ المؤمنين، وقادت الجماهير فيها ضدّه كانت فى قصه الخليفة مع عمّار بن ياسر.

وعمّار بن ياسر هو أبو اليقظان بن ياسر بن عامر، وكان ياسر والد عمّار عربياً قحطانياً مذحجياً من عنس قدم من اليمن إلى مكة وحالف أبا حذيفه بن المغيرة المخزوميّ وتزوّج أمته سميه بنت خباط فولدت عمّاراً فاعتقه أبو حذيفه؛ فمن هنا صار عمّار مولى لبني مخزوم. كان هو وأبواه وأخوه عبدالله من السابقين إلى الاسلام، وأجهروا بإسلامهم فعذبوا عليه أشدّ العذاب. ألبسوا أذراع الحديد، ثمّ صيّهروا فى الشمس على أن يتركوا الاسلام وهم يأبون ذلك، وكان رسول الله يمرّ عليهم بالابطح وهم يُعذبون فى رمضاء مكة فيقول:

((صبراً آل ياسر موعدكم الجنّه)) وكانت سميه أول شهيد فى الاسلام طعنها أبو جهل بحربه فى قلبها فماتت من ذلك. وقتل بعدها ياسر.

ص: ١٣٠

أمياً عمّار فأنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً فأخبر النبي بأنّ عمّاراً كفر فقال: كلاً، إنّ عمّاراً مُلئاً إيماناً من قرنه إلى قدمه، وأخلط الايمان بلحمه ودمه، فأتى رسول الله (ص) وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه، وقال: إن عادوا لك فعُد لهم بما قلت، فأنزل الله تعالى فيه:

(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ..) الايه (١). (النحل / ١٠٦)

هاجر عمّار إلى المدينه وشهد بدرا وما بعدها، ولما قدم النبي إلى المدينه جمع أحجاراً وبنى له مسجد قبا فهو أوّل من بنى مسجداً في الاسلام. (٢)

واشترك في بناء مسجد النبي (ص). قال ابن هشام (٣) عند ذكره بناء رسول الله مسجده في المدينه: فدخل عمّار وقد أثقلوه باللبن، فقال: يارسول الله قتلوني يحملون عليّ مالا يحملون.

قالت أم سلمه زوج النبي (ص) فرأيت رسول الله (ص) ينفض وفرته بيده وكان رجلاً جعداً وهو يقول:

((ويح ابن سمّيه ليسوا بالذّين يقتلونك إنّما تقتلك الفئه الباغيه)) وار تجز عليّ بن أبي طالب (رض):

لايستوى من يعمر المساجدا

فأخذها عمّار بن ياسر فجعل يرتجز بها.

قال ابن هشام: فلما أكثر؛ ظنّ رجل من أصحاب رسول الله أنّه إنّما

ص: ١٣١

١- . ذكر نزول هذه الايه في عمار: ابن عبد البر بترجمته من الاستيعاب قال: هذا ممّا اجتمع أهل التفسير عليه، وراجع تفسير الايه في تفسير الطبري والقرطبي وابن كثير والسيوطي وطبقات ابن سعد ١٧٨/٣ والمستدرک ١٧٨/٣ وغيرها وراجع - لسائر ما ذكرناه في نسب عمار وأبيه وأمه وتعديبهم - ترجمتهم في الاستيعاب وأسد الغابه والاصابه، وباب فضائلهم في المستدرک وكنز العمال.

٢- . ترجمته في أسد الغابه.

٣- . سيره ابن هشام ١١٤/٢.

يعرض به، فقال: قد سمعت ماتقول منذ اليوم يا ابن سميه والله اني لاراني سأعرض هذه العصا لانفك، قال: وفي يده عصا، قال: فغضب رسول الله ثم قال:

((مالهم ولعمار! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إن عمّارا جلده ما بين عيني وأنفي فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه)) قال أبو ذر في شرح سيره ابن هشام: إن هذا الرجل هو عثمان بن عفان. (1)

وقد أثنى عليه رسول الله (ص) في مواطن كثيره منها قوله فيه لَمَّا رأى خالدًا يغلظ له القول:

((من عادى عمّاراً عاداه الله، ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله)) شهد مع عليّ الجمل وصفين، وكان في صفين لا يأخذ في ناحيه ولا واد إلا وتبعه أصحاب النبيّ كأنه علم لهم، وكان يرتجز ويقول:

اليوم ألقى الاحبّه محمّداً وحزبه

ولمّا قُتِلَ اختصم في قتله اثنان فقال عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلا في النار، والله لو ددت أني متّ قبل هذا اليوم بعشرين سنه. (2)

هذا هو عمّار بن ياسر، وأمّا قصته مع الخليفه عثمان فإنّه غضب عليه في عدّه موارد.

منها في قصّه ترخّمه من كلّ قلبه على أبي ذر في ما روى البلاذري (3) وقال: إنّه لمّا بلغ عثمان موت أبي ذر بالريذه قال: رحمه الله. فقال عمّار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كلّ أنفسنا، فقال عثمان: يا عاصّ أير أبيه! أتراني

ص: ١٣٢

١- شرح سيره ابن هشام لابن ذر الخشني المتوفى (٦٠٤) هجرى وقد روى ذلك عن ابن اسحاق صاحب السيره الذى من سيرته أخذ ابن هشام ما اورده فى سيرته. وقد اورد ابن عبد ربّه القصة تامه فى العقد الفريد ٣٤٢/٤-٣٤٣.

٢- استشهد مساء الخميس ٩ صفر سنه ٣٧ هجرى وعمره ٩٣ سنه، راجع ترجمته فى الاستيعاب واسد الغابه والاصابه والبخارى، كتاب الجهاد، الباب السابع عشر والطبقات ٣ ق ١٦٦/١-١٨٩.

٣- الانساب ٥٤/٥ واليعقوبى ١٥٠/٢ وكان عثمان قد نفى أبا ذر الى الريذه لما شكاه معاويه فتوفى هناك فى قصه طويله ذكرها البلاذرى فى الانساب ٥٢/٥-٥٤ وابن سعد فى الطبقات ١٦٨/٤، واليعقوبى ١٤٨/٢، والمسعودى ٤٣٨/١.

ندمت على تسييره وأمر فدفع في قفاه وقال: إحق بمكانه فلما تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان فيه. فقال له عليّ: يا عثمان! إتق الله فإنك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك، ثم أنت الان تريد أن تنفى نظيره، وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان: أنت أحق بالنفى منه فقال عليّ رُم ذلك إن شئت، واجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت كلما كلمك رجل سيرته ونفيته فإن هذا شيء لا يسوغ. فكف عن عمّار.

ومنها في قصه أخذه كتاب استنكار الصحابه من عثمان إليه في ما أخرجه البلاذري وغيره. (١) قال البلاذري: إن المقداد بن عمرو، وعمّار بن ياسر، وطلحه، والزبير في عدّه من أصحاب رسول الله (ص) كتبوا كتاباً عدّوا فيه أحداث عثمان وخوفوه ربّه وأعلموه أنّهم موثبوه إن لم يقطع؛ فأخذ عمّار الكتاب وآتاه به فقرأ صدراً منه فقال له عثمان: أعلّيّ تقدم من بينهم؟ فقال عمّار: أتى أنصحهم لك. فقال: كذبت يا ابن سميه! فقال: أنا والله ابن سميه وابن ياسر، فأمر غلمانهم فمدّوا يديه ورجليه ثمّ ضربه عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغشى عليه.

ومنها قصه استنكاره أخذ عثمان جواهر من بيت المال في ما رواه البلاذري (٢) وقال: كان في بيت المال بالمدينه سفظ فيه حلّي وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلّي به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه فخطب فقال: لناخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام. فقال له عليّ: إذا تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه. وقال عمّار بن ياسر: أشهد الله أنّ أنفى أول راغم من ذلك، فقال عثمان: أعلّيّ يا ابن المتكأ (٣) تجترئ خذوه، فأخذ ودخل عثمان ودعا به فضربه حتى غشى

ص: ١٣٣

١- . الانساب ٤٩/٥، والعقد الفريد ٢/٢٧٢، وراجع تفصيل الكتاب في الامامه والسياسه.

٢- . أنساب الاشراف ٤٨/٥.

٣- . المتكأ: العظيمة البطن، البظراء المفضاه، التي لا تمسك البول.

عليه ثم أخرج فُحِمِلَ حَتَّى أَتَى بِهِ مَنْزِلَ أُمِّ سَلْمَةَ زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَلَمْ يَصِلْ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ فَلَمَّا أَفَاقَ تَوَضَّأَ وَصَلَّى وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْسَ هَذَا أَوَّلَ يَوْمٍ أُوذِينَا فِيهِ فِي اللَّهِ. وَقَامَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْمَخْزُومِيَّ وَكَانَ عِمَارَ حَلِيفًا لِبْنِي مَخْزُومٍ فَقَالَ: يَا عِثْمَانَ أَمَا عَلَيَّ فَاتَّقِيْتَهُ وَبَنِي أَبِيهِ، وَأَمَّا نَحْنُ فَاجْتَرَأْتُ عَلَيْنَا وَضَرَبْتَ أَخَانَا حَتَّى أَشْفَيْتَ بِهِ عَلَيَّ التَّلْفَ، أَمَا وَاللَّهِ لَشَنَّ مَاتَ لَاقْتِلَنَّ بِهِ رَجُلًا- مِنْ بَنِي أُمِّيهِ الْعَظِيمِ السَّرَّهِ، فَقَالَ عِثْمَانُ: وَإِنَّكَ لَهَاهِنَا يَا ابْنَ الْقَسْرِيِّهِ، قَالَ: فَانْهَمَا قَسْرِيَّتَانِ (وَكَانَتْ أُمُّهُ وَجَدَّتَهُ قَسْرِيَّتَيْنِ مِنْ بَجِيلِهِ) فَشْتَمَهُ عِثْمَانُ وَأَمَرَ بِهِ فَأَخْرَجَ، فَأَتَى أُمَّ سَلْمَةَ فَإِذَا هِيَ قَدْ غَضِبَتْ لِعِمَّارٍ، وَبَلَغَ عَائِشَةَ مَا صَنَعَ بِعِمَّارٍ فَغَضِبَتْ وَأَخْرَجَتْ شَعْرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَثُوبًا مِنْ ثِيَابِهِ وَنَعْلًا مِنْ نَعَالِهِ ثُمَّ قَالَتْ: مَا أَسْرَعَ مَا تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَهَذَا شَعْرُهُ وَثُوبُهُ وَنَعْلُهُ لَمْ يَبْلُغْ بَعْدَ، فَغَضِبَ عِثْمَانُ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى مَادَرَى مَا يَقُولُ، فَالْتَجَّ الْمَسْجِدَ وَقَالَ النَّاسُ: سَبَّحَانَ اللَّهِ، سَبَّحَانَ اللَّهِ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَاجِدًا عَلَى عِثْمَانَ لِعِزْلِهِ إِيَّاهُ عَنْ مِصْرَ وَتَوَلَّيْتَهُ إِيَّاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ فَجَعَلَ يَكْثُرُ التَّعَجُّبَ وَالتَّسْبِيحَ.

ومنها في قصة دفن ابن مسعود فإنه كان قد أوصى أن يصلى عليه عمار ولا يؤذن به عثمان ففعل، فلما أخبر بذلك غضب عليه ولم يلبث يسيرا حتى توفى المقداد فصلى عليه عمار وكان أوصى إليه ولم يؤذن عثمان به، فاشتد غضب عثمان على عمار وقال: ويلى على ابن السوداء، أما لقد كنت به عليما. (1)

ومما يلفت نظرنا في هذه القصة مجابهة الخليفة عماراً بقوله: يا ابن المتكأء؛ ويا عاض أير أبيه إلى أمثالهما؛ هذا مع ما ورد في الصحاح والمسانيد عن أم المؤمنين من أن عثمان رجل حيي، وأن الملائكة واللّه لتستحي من عثمان، وأن رسول اللّه قد استحي منه لشده حيائه، إلى غيرها مما فيه الاشارة بذكر حيائه!

ونجد فيها أيضاً لام المؤمنين دور القيادة الحكيمه في تحشيد الناقمين من

ص: ١٣٤

١- . يعقوبى ١٧١/٢ وراجع الانساب ٤٩/٥ فى قصة دفن ابن مسعود.

الخليفه ضدّه، والبصيره النافذه بما يؤثّر فى نفوس الجماهير من الناس؛ فإنّها إن كانت قد باغتت الخليفه فى تلك المرّه باخراج نعل رسول الله لتهييج الجماهير عليه وأثّرت الاثر العذى كانت تتوخّاه، ولم يكن لتكراره مرّه ثانيه ذلك الاثر على النفوس، فإنّها فى هذه المرّه أيضاً لم تعدم الوسيله لاثاره العواطف ضدّه، فقد أضافت إلى ما أخرجت: ثوب رسول الله وشعره، فكان لها الاثر الفعّال فى إثارة الناس على عثمان وتحطيم مركزه كخليفه للمسلمين كما كان ذلك للتي قبلها.

وفى القصتين جميعاً تمكنت أمّ المؤمنين من أن ترفع عن عثمان الحصانه التي كان يتمتع بها فى المجتمع الاسلامى لمكانه من خلافه رسول الله؛ فإنّها قد استطاعت بوسائلها المحسوسه أن تجعله فى جانب. وسنّه رسول الله وآثاره وازواجه فى جانب آخر، وبذلك قد أزالته عنه كلّ حرمه فى النفوس وكرامه فى المجتمع؛ فأصبح المسلمون يستسيغون النيل منه، ثمّ تعدّى أثر ذلك من شخص الخليفه إلى مقام الخلافه فإنّه لم يبق بعد هذا لمقام الخلافه أيضاً حرمة الأولى فى المجتمع الاسلامى. وبذلك أثّرت حتّى على من جاء بعده من الخلفاء.

ومما نرى فى هذه الحوادث؛ تردّى العلاقات بين أمّ المؤمنين وعثمان من سيّئ إلى أسوأ؛ فقد أصبحت من أشدّ المعارضين له بعد أن كانت من أقوى مؤيديه، ومن الجائز أن يكون بدء تنقيص عطائها فى خلال هذه المعارك الكلاميه.

وأخيراً فقد حوّلت هذه الحوادث المتتاليه أمّ المؤمنين من منتقمه لغيرها إلى ثائره لكرامتها، فأصبحت المعركه معركتها اكثر من أن تكون معركه غيرها، واشركت فى المعركه أفراد أسرتها حتّى قالوا:

((وأجلب عليه محمّد بن أبى بكر بنى تيم واعانه على ذلك طلحه بن عبيد الله)).(1)

ص: ١٣٥

وقصّه جلب محمّد بن أبي بكر عليه يبدأ من مصر حيث اشترك مع محمّد ابن أبي حذيفه بالشوره ضدّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل عثمان عليها ممّا سنوردها بعد إيراد تراجمهم.

أولاً - عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي العامري. وهو أخو عثمان من الرضاعه أرضعت أمّه عثمان.

أسلم قبل الفتح وهاجر إلى المدينه وكتب الوحى لرسول الله ثم ارتدّ مشرّكاً وصار إلى قريش بمكّه، فقال لهم: إنّي كنت أصرفُ محمّداً حيث أريد؛ كان يملئ على: ((عزيز حكيم)). فأقول: ((عليم حكيم))؟ فيقول: نعم، كلُّ صواب؛ فأنزل الله تعالى فيه:

(ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلّى ولم يوح إليه شئٌ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكه باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحقّ وكنتم عن آياته تستكبرون) (الايه ٩٣ من سوره الانعام)

فلما كان يوم الفتح أهدر رسول الله دمه وأمر بقتله ولو وُجد متعلّقاً بأستار الكعبه. ففرّ عبد الله إلى عثمان فغيبه حتّى أتى به إلى رسول الله (ص) فاستأمنه له، فصمت رسول الله (ص) طويلاً ثم قال: نعم، فلما انصرف عثمان قال لمن حوله: ما صمت إلاّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه، فقالوا: هلاًّ أو مات إلينا، فقال: إنّ النبى لا ينبغي أن يكون له خائنه الاعين.

ولاه عثمان مصر سنه ٢٥ هـ وعزل عنها عمرو بن العاص ففتح أفريقيه فأعطاه عثمان خمس غنائم الغزوه الاولى، وبقي أميراً على مصر حتّى سنه ٣٤ حيث ثار ابن أبي حذيفه فى مصر فمضى إلى عسقلان فاقام بها حتّى قُتل عثمان. وتوفّى سنه ٥٧ أو ٥٩ هـ - (١).

ص: ١٣٦

١- . الاستيعاب ٣٦٧/٢-٣٧٠ والاصابه ٣٠٩/٢-٣١٠ و ١١/١-١٢ وأسد الغابه ١٧٣/٣ - ١٧٤، وأنساب الاشراف ٤٩/٥ والمستدرک ١٠٠/٣ والمفسّرون كالقرطبي وغيره فى تفسيرهم الايه ٩٣ من سوره الانعام، وابن ابى الحديد ٦٨/١.

ثانياً: - محمّد بن أبي بكر عبد الله بن أبي قحافه عثمان، وأمّه أسماء بنت عميس الخثعميّة كانت تحت جعفر وتزوجها أبو بكر بعد وفاه جعفر بن أبي طالب فولدت له محمّداً في طريقهم إلى مكّه في حجه الوداع، ولمّا توفي أبو بكر تزوجها عليّ فنشأ محمّد في حجر عليّ وكان ربيبه، شهد مع عليّ الجمل وصفين، ثمّ ولّاه مصر فدخلها في الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٣٧، فجهّز معاويه عمرو بن العاص إلى مصر سنة ٣٨ فتغلّب عليه وقتله معاويه ابن خديج صبراً وأدخلوا جثته في بطن حمار ميّت وأحرقوه. (١)

ثالثاً: - أبو القاسم محمّد بن أبي حذيفه بن عتبة بن ربيعة القرشي العبشمي، وأمّه سهله بنت سهيل بن عمرو العامريّه، ولد بأرض الحبشه على عهد رسول الله (ص) واستشهد أبوه أبو حذيفه باليمامة فضمّ عثمان ابنه هذا إليه وربّاه.

استأذن عثمان في ان يذهب إلى مصر للغزو فأذن له فأخذ هناك يؤلّب الناس على عثمان ثمّ وثب على خليفه عبد الله بن سعد بمصر وأخرجه منها وبايعه أهل مصر بالاماره، ولمّا استخلف عليّ أقره عليها فبقى عليها حتّى سار إليه معاويه عند مسيره إلى صفين، فخرج إليهم محمّد ومنعه من دخول الفسطاط ثمّ تصالحوها على ان يخرج محمّد بن أبي حذيفه ومن معه آمين فخرج محمّد وثلاثون رجلاً فغدر بهم معاويه وحبسه في سجن دمشق ثمّ قتله رشدين مولى معاويه! وكان محمّد ممّن أدر كوا صحبه الرسول. (٢)

وقصّتهم بمصر في مارواه الطبري: (٣) ان عمرو بن العاص كان على

ص: ١٣٧

- ١- . المؤرخون في ذكرهم حوادث سنة ٣٧ و ٣٨ هجرى، والاستيعاب ٣٢٨/٣-٣٢٩، والاصابه ٤٥١/٣ بحرف الميم ق ٢.
- ٢- . راجع الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ٣٠-٣٦ والاستيعاب ٣٢١/٣-٣٢٢ الترجمة رقم ٩٩١، واسد الغابه ٣١٥/٤ والاصابه ٥٤/٣.
- ٣- . الطبري ١٠٨/٥، وط. أوربا ٢٢٦٦/١.

مصر عاملاً لعثمان فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة، واستعمل عبدالله بن سعد على الخراج ثم جمعهما لعبدالله بن سعد.

وفيما روى البلاذري (١) أن محمّد بن أبي حذيفه ومحمّد بن أبي بكر حين أكثر الناس في أمر عثمان قدما مصر وعليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ووافقا بمصر محمّد بن طلحة (٢) بن عبيدالله وهو مع عبدالله بن سعد؛ وإنّ ابن أبي حذيفه شهد صلاة الصبح في صبيحه الليلة التي قدم فيها، ففاتته الصلاة فجهر بالقراءة فسمع ابن أبي سرح قرأته فأمر إذا صلى أن يؤتى به. فلما رآه قال: ماجاء بك إلى بلدي، قال: جئت غازيا، قال: ومن معك، قال: محمّد بن أبي بكر، فقال: واللّه ماجئتنا إلا لتفسدا الناس، فأمر بهما فسجنا، فأرسلا إلى محمّد بن طلحة يسألانه ان يكلمه فيهما لئلا يمنعهما من الغزو، فأطلقهما ابن أبي سرح وغزا ابن أبي سرح إفريقيه فأعدّ لهما سفينه مفرده لئلا يفسدا عليه الناس فمرض ابن أبي بكر فتخلف، وتخلف معه ابن أبي حذيفه، ثمّ أنّهما خرجا في جماعه الناس فما رجعا من غزاتهما إلا وقد أوغرا صدور الناس على عثمان.

وقال في حديث آخر وكانت غزوه ذات الصواري في المحرم سنة ٣٤ وعليها عبدالله بن سعد، فصلّى بالناس فكبر ابن أبي حذيفه تكبيره افزعه بها فقال: لولا أنّك حدث أحقّ لقربت بين خطوك ولم يزل يبلغه عنه وعن ابن أبي بكر ماكره وجعل ابن أبي حذيفه يقول: يا أهل مصر إنّنا خلفنا الغزو ورائنا يعني غزو عثمان... الحديث

وقال الطبري: (٣)

ص: ١٣٨

- ١- . أنساب الاشراف ٥٠/٥.
- ٢- . محمد بن طلحة بن عبيد الله، وأمّه حمّنه بنت جحش، كنيته أبو سليمان، ولد في عصر الرسول، وقتل يوم الجمل فمّر عليه عليّ وقال: أبوه صرعه هذا المصرع ولولا أبوه وبره به ما خرج ذلك المخرج، ترجمته من الطبقات ج ٣٧/٥-٣٩.
- ٣- . الطبري ٧٠/٥-٧١، في ذكره غزوه ذات الصواري في سنة ٣١، وط. أوربا ٢٨٧٠-٢٨٧١.

خرج محمّد بن أبي حذيفه ومحمّد بن أبي بكر عام خرج عبدالله بن سعد، فأظهرا عيب عثمان وما غيّر وما خالف به أبا بكر وعمر وأنّ دم عثمان حلال، ويقولان: استعمل عبدالله بن سعد رجلا كان رسول الله (ص) أباح دمه، ونزل القرآن بكفره [حين قال: سأنزل مثل ما انزل الله] (١) وأخرج رسول الله (ص) قوماً وأدخلهم (٢) - إلى قوله - فأفسدا أهل تلك الغزاه وعبا عثمان أشدّ العيب.

وقال: (ومحمّد بن أبي حذيفه يقول للرجل: أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقّاً فيقول الرجل: وأيّ جهاد؟! فيقول: عثمان بن عفان فعل كذا وكذا حتّى أفسد الناس، فقدموا بلدهم وقد أفسدهم، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به).

ومما ساعد المحمّدين في أمرهم تذرّص المصريين من سيره ابن أبي سرح فيهم، وظلمه إيّاهم، وقد بلغ الامر به معهم أن يضرب بعض من شكاه إلى عثمان حتّى يتوفّى، وقد أورد قصه قدوم المصريين على عثمان في شكواهم من ابن أبي سرح كل من الطبرى وابن الاثير في حديثيهما عن شكوى المصريين من ابن أبي سرح وقالوا:

(وقد قدّموا في كلامهم ابن عديس فذكر ما صنع ابن سعد بمصر وذكر تحاملا منه على المسلمين وأهل الذمّه واستثاراً منه في غنائم المسلمين، فإذا قيل له في ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين إلى... (٣).

وابن أعثم في تاريخه (٤) حيث قال:

جاء إلى المدينة وفد من أشراف مصر يشكون عاملهم عبدالله بن أبي

ص: ١٣٩

١- هذه الجملة في أنساب الاشراف ٥٠/٥.

٢- يقصد بهم الحكم بن أبي العاص وولده.

٣- الطبرى ١١٨/٥، ط. اوربا ٢٩٩٤/١، وابن الاثير ٥٩/٣-٧٠.

٤- تاريخ ابن اعثم ٤٦-٤٧.

سرح، فدخلوا مسجد الرسول فرأوا فيها جماعه من أصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين والانصار، فسلموا عليهم، فسألهم الصحابه. عمياً أقدمهم من مصرهم، فقالوا: ظلم والينا، وفساده، فقال لهم عليّ: لا- تعجلوا في أمركم، واعرضوا على الامام شكواكم، فلعل عاملكم عمل برأيه فيكم. إذهبوا إلى الخليفه واشرحوا له ماساءكم من عاملكم، فإن أنكر عليه وعذله أصبتم بغيتكم، وإن لم يفعل وأقرّه على ما هو عليه؛ رأيتم أمركم؛ فدعا له المصريون وقالوا: أصبت القول فارجوا أن تحضر مجلسنا عنده، فقال: لاجاهه في ذلك فالامر يتم بحضوركم عنده، فقالوا: وان كان الامر كذلك غير أنّا نرغب أن تحضر وتشهد، فقال عليّ: يشهدكم من هو أقوى مني وأعظم من جميع المخلوقين وأرحم على عباده.

فذهب أشراف مصر إلى دار عثمان واستأذنوا للدخول عليه، فلما أذن لهم ودخلوا عليه أكرمهم وأجلسهم إلى جنبه، ثم سألهم وقال: ماالذي أقدمكم؟

وماذا دهاكم فقدمتم دونما رخصه مني أو من عاملي!؟

فقالوا: جئنا نستنكر منك مايصدر منك، ونؤاخذك بما يصدر من عاملك.

ثم ذكر ابن أعثم ماجرى بينهم من حجاج وأقوال.

محنة المسلمين وموقف عليّ منها:

وكان نتيجة شكوى أهل مصر ما ذكره البلاذري (١) حيث قال:

لمّا ولي عثمان كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله (ص) لأنّ عثمان كان يحبّ قومه، فولى الناس اثنتي عشرة حجه، وكان كثيراً ما يولّي من بنى أمّيه من لم يكن له مع النبيّ (ص) صحبه فكان يجيء من أمرائه ماينكره أصحاب محمّد (ص)، وكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم، فلما كان في الست الاواخر

ص: ١٤٠

استأثر بيني عمّه، فولّاهم وولّى عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر، فمكث عليها سنين، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه... فكتب إليه كتابا يتهدّده فيه فأبى ان ينزع عمّا نهاه عنه وضرب بعض من شكاه إلى عثمان حتى قتله.

ولمّا ضاق الامر بالمسلمين كتب من كان من أصحاب النبيّ بالمدينه إلى إخوانهم في الامصار يدعونهم إلى غزو عثمان فيما رواه الطبرى وغيره (١) واللفظ للطبرى قال:

لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينه من أصحاب النبيّ (ص) إلى من بالافاق منهم وكانوا قد تفرقوا فى الثغور: إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا فى سبيل الله عزّ وجلّ تطلبون دين محمّد فانّ دين محمّد قد أفسد من خلفكم وترك فهلّموا، فأقيموا دين محمّد (ص).

وفى روايه ابن الاثير: فانّ دين محمّد قد أفسده خليفتمكم؛ وفى شرح ابن أبى الحديد: فاخلعوه؛ فأقبلوا من كلّ افق حتى قتلوه.

وروى البلاذرى (٢) وقال:

لما كانت سنه ٣٤ كتب بعض أصحاب رسول الله إلى بعض يتشاكون سيره عثمان وتغييره وتبديله وما الناس فيه من عمّاله، ويكثر عليه، ويسأل بعضهم بعضاً أن يقدموا المدينه إن كانوا يريدون الجهاد، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله (ص) يدفع عن عثمان ولا ينكر ما يقال فيه إلاّ، زيد بن

ص: ١٤١

١- . الطبرى ١١٤/٥-١١٥، وط. أوربا ٢٩٨٣/١، وابن الاثير ٧٠/٥ وابن أبى الحديد ١٦٥/١. وإنما ذكرنا كتب أصحاب النبيّ الى أهل الامصار وموافاتهم بالموسم خلال بحثنا عن تأثير المحمدين فى مصر وتحريضهما اياهم على عثمان لصله الحوادث بعد هذا بعضها ببعض.

٢- . أنساب الاشراف ٦٠/٥ وراجع الطبرى ٩٦-٩٧ وابن الاثير ٦٣/٣ وابن ابى الحديد ٣٠٣/١ وابن كثير ١٦٨/٧ وابى الفداء ١٦٨/١.

ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك بن أبي كعب من بنى سلمه من الانصار، وحسان بن ثابت؛ (١) فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان ويعظه فأتاه فقال له:

إنّ الناس ورائي قد كلّموني في أمرك، ووالله ما أدري ما أقول لك، ما أعرفك شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، وإنّك لتعلم ما نعلم، وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولقد صحبت رسول الله (ص) وسمعت ورأيت مثل ما سمعنا ورأينا، وما ابن أبي قحافه وابن الخطّاب بأولى بالحقّ منك؛ ولانت أقرب إلى رسول الله (ص) رحماً، ولقد نلت من صهره مالم ينالا، فالله الله في نفسك؛ فإنّك لا تبصّر من عمي؛ ولا تعلم من جهل.

فقال له عثمان: والله لو كنت مكاني ما عنفتك، ولا أسلمتلك، ولا عتبت عليك إن وصلت رحماً وسددت خلّه وآويت ضائعاً، ووليت من كان عمر يوليّه؛ نشدتك الله: ألم يول عمر المغيرة بن شعبه وليس هناك....

((قال: نعم.

ص: ١٤٢

١- أ - زيد بن ثابت بن الضحّاك الانصاري الخزرجي ثمّ النجاري، أمه النوار بنت مالك. وكان يكتب لرسول الله، ثمّ كتب لابي بكر وعمر، واستخلفه عمر وعثمان على المدينة في سفرهما الى الحج، وكان على بيت المال لعثمان ودخل عثمان يوماً على زيد فسمع مولاه وهيباً يغني فرض له عثمان ألفاً وكان زيد عثمانياً اختلفوا في وفاته من سنة ٤٢ الى سنة ٥٥ وصلى عليه مروان بن الحكم. (أسد الغابه) وجاء في الاستيعاب بترجمته أن عثمان دخل عليهم بيت المال فأبصر وهيباً يغنيهم في بيت المال فقال: من هذا؟ فقال زيد: هذا مملوك لي، فقال عثمان: أراه يعين المسلمين وله حق وإنّا نفرض له. ففرض له ألفين، فقال زيد: والله لا نفرض لعبد ألفين، ففرض له ألف (الاستيعاب / ١٨٩/١). ب - أبو أسيد الساعدي مالك بن ربيعة بن البدن الانصاري الخزرجي شهيد بدرًا وما بعدها عمي قبل أن يقتل عثمان. اختلفوا في وفاته. ج - كعب بن مالك الخزرجي وامه ليلي بنت زيد من بنى سلمه شهيد المشاهد مع رسول الله خلا- بدر وتبوك. راجع تراجمهم في الاستيعاب وأسد الغابه والاجابه، أمّا حسان فستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى.

قال: فلم تلومني إن وُلِّيتُ ابنَ عامرٍ في رحمته وقرابته؟

قال عليٌّ: سأخبرك. إنَّ عمر بن الخطاب كان كلِّما ولى فأنما يطأ على صماخه، إن بلغه حرف جلبه، ثمَّ بلغ به أقصى الغايه، وأنت لا تفعل ضعفك ورفقت على أقربائك.

قال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً.

فقال عليٌّ: لعمرى إنَّ رحمهم مني لقريبه ولكنَّ الفضل في غيرهم. (١)

قال: أولم يؤلِّ عمر معاويه؟

فقال عليٌّ: إنَّ معاويه كان أشدَّ خوفاً وطاعة لعمر من يرفاً (٢) وهو الآن يبتزُّ الأمور دونك ويقطعها بغير علمك ويقول للناس: هذا أمر عثمان ويبلغك فلا تغير، ثمَّ خرج، وخرج عثمان بعده، فصعد المنبر فقال:

أمَّا بعد، فإنَّ لكلِّ شيء آفه، ولكلِّ أمر عاهه، وإنَّ آفه هذه الأمه، وعاهه هذه النعمه عيَّابون طعانون يرونكم ما تحبون، ويسرون لكم ما تكرهون، مثل النعام يتبعون أول ناعق، أحبَّ مواردهم إليهم البعيد، والله لقد نقتم علي ما أقررتم لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطئكم برجله، وخبطكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم، وألنت لكم كنفى، وكففت عنكم لسانى ويدي فأجترتم علي. فأراد مروان الكلام فقال له عثمان: أسكت.

مسير أهل الامصار إلى عثمان:

روى البلاذري (٣) وقال: إلتقى أهل الامصار الثلاثة الكوفه والبصره ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام، وكان رئيس أهل الكوفه كعب

ص: ١٤٣

١- ما بين قوسى النص منقول من الطبرى ط. المطبعه الحسينيه المصريه، ٩٧/٥.

٢- يرفاً: اسم غلام عمر.

٣- أنساب الاشراف ٥٩/٥.

بن عبده النهدي، ورئيس أهل البصره المثني بن مُخَرَّبَةَ العبدى، ورئيس أهل مصر كنانه ابن بشر بن عتاب بن عوف السكونى ثمّ التجيبى، فتذاكروا سيره عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما أعطى من نفسه، وعاهد الله عليه، وقالوا لا يسعنا الرضى بهذا فاجتمع رأيهم على أن يرجع كل واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصره فيكون رسول من شهد مكة من أهل الخلاف على عثمان إلى من كان على رأيهم من أهل بلده، وأن يوافوا عثمان فى العام المقبل فى داره ويستعتبوه، فان أعتب وإلا رأوا رأيهم فيه، ففعلوا ذلك.

ولما كانت مصر (١) أشدّ على عثمان من غيره وأراد عثمان أن يخفف من غلوائهم أرسل إلى رئيسهم ابن أبى حذيفه بمال فى مارواه البلاذرى (٢) أيضا وقال: وبعث عثمان إلى ابن أبى حذيفه بثلاثين ألف درهم ويحمل عليه كسوه فأمر به فوضع فى المسجد وقال: يامعشر المسلمين الا ترون إلى عثمان يخادعنى عن دينى ويرشونى عليه!!؟ فازداد أهل مصر عيباً لعثمان وطعناً عليه واجتمعوا إلى ابن أبى حذيفه فرأسوه عليهم.

إنّ دراهم عثمان لم تمنع المصريين من موافاه المدينة فى موعدهم مع أهل الامصار بل خرجوا من مصر مع محمّد بن أبى بكر فى مارواه الطبرى وقال: (٣)

فقدم محمّد بن أبى بكر وأقام محمّد بن أبى حذيفه بمصر فلمّا خرج المصريون خرج عبدالرحمن بن عديس البلوى فى خمسائه وأظهروا أنّهم يريدون العمرة وخرجوا فى رجب، وبعث عبدالله بن سعد رسولا سار احدى عشره ليلة يخبر عثمان أن ابن عديس البلوى وأصحابه قد وُجِّهوا نحوه، وأن محمّد بن أبى حذيفه شيعهم إلى عجرود ثمّ رجع وأظهر محمّد أن قال خرج القوم عمّارا وقال فى السرّ خرج القوم إلى إمامهم فان نزع والأقتلوه، وسار القوم المنازل لم يعدوها حتى نزلوا ذا خشب.

ص: ١٤٤

١- . الطبرى ١١٤/٥ و ١١٥، وط. اوربا ٢٩٨٤/١.

٢- . أنساب الاشراف، ٥٩/٥.

٣- . الطبرى ١٠٩/٥، وط. اوربا ٢٩٦٨/١.

وقال في حديث آخر له: ثم إنَّ عبد الله بن سعد خرج إلى عثمان في آثار المصريين وقد كان كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه فاذن له فقدم ابن سعد حتى إذا كان بآياله بلغه أنَّ المصريين قد رجعوا إلى عثمان وأنهم قد حصروه ومحَمَّد بن أبي حذيفة بمصر، فلَمَّا بلغ محمداً حصر عثمان وخروج عبد الله بن سعد عنه غلب على مصر فاستجابوا له، فاقبل عبد الله بن سعد يريد مصر فمنعه ابن أبي حذيفة فتوجه إلى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان (رض).

وروى الطبري (١) بسنده إلى الزبير بن العوام قال: كتب أهل مصر بالسقيا أو بذي خشب (٢) إلى عثمان بكتاب، ف جاء به رجل منهم حتى دخل به عليه، فلم يردَّ عليه شيئاً، فأمر به فأخرج من الدار، وكان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة الويه لها رؤوس أربعة، مع كل رجل منهم لواء، وكان جماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وكان من أصحاب النبي (ص)، وإلى عبدالرحمن بن عديس التجيبي، فكان في ما كتبوا:

بسم الله الرحمن الرحيم.

أميأ بعدد، فاعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فالله الله، ثم الله الله فانك على دنيا فاستتم معها آخره ولا تنس نصيبك من الآخره فلا تسوغ لك الدنيا، وأعلم أنا والله والله نغضب، وفي الله نرضى، وإننا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبه مصرحه أو ضلاله مجلحه مبلجه، (٣) فهذه مقاتلتنا لك وقضيتنا إليك، والله عذيرنا منك

ص: ١٤٥

-
- ١- . الطبري ١١١/٥-١١٢، وط. اوربا ٢٩٨٦-٢٩٨٧، والبلاذري ٤٤/٥-٤٥، وابن الاثير ٣/٦٨، وشرح النهج ١/١٦٣-١٦٤، وابن كثير ١٧٢/٧، وابن أعثم في ذكره ما نqm على عثمان وابن خلدون ٢/٣٩٦-٣٩٧.
 - ٢- . السقيا من أسافل أوديه تهامه وذى خشب على مسيره ليله من المدينه معجم البلدان.
 - ٣- . جلع على الشىء أقدم إقداماً شديداً. وجلح فى الامر: صمم وركب رأسه. مبلجه واضحه بينه.

والسلام.

وروى البلاذرى (١) وقال: واتى المغيرة بن شعبه عثمان فقال له: دعنى آت القوم فانظر ماذا يريدون، فمضى نحوهم، فلما دنا منهم صاحوا به:

يا أعور وراءك! يا فاجر وراءك! يا فاسق وراءك!

فرجع ودعا عثمان عمرو بن العاص، فقال له: إئت القوم فادعهم الى كتاب الله والعتبي ممّا ساءهم، فلما دنا منهم سلّم، فقالوا: لا سلّم الله عليك! إرجع يا عدوّ الله! إرجع يا ابن النابغه! فلست عندنا بأمين ولا مأمون.

فقال له ابن عمر، وغيره: ليس لهم إلاّ- علىّ بن أبى طالب، فلما أتاه قال: يا أبا الحسن! إئت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنّه نبيّه.

قال: نعم إن أعطيتنى عهد الله وميثاقه على أنّك تفى لهم بكلّ ما أضمنه عنك.

قال: نعم، فأخذ علىّ عليه عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظ.

وخرج إلى القوم.

فقالوا: وراءك!

قال: لا. بل أمامى، تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم. فعرض عليهم ما بذل.

فقالوا: أتضمن ذلكك عنه.

قال: نعم.

قالوا: رضينا. وأقبل وجوههم وأشرفهم مع علىّ حتى دخلوا على عثمان وعاتبوه، فأعتبهم من كلّ شيء.

فقالوا: أكتب بهذا كتابا، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين

ص: ١٤٦

والمسلمين؛ أن لكم أن تعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه. يُعطى المحروم. ويؤمن الخائف. ويرد المنفي. ولا تجمر في البعوث، ويوفر الفيء، وعليّ بن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء بما في هذا الكتاب.

شهد الزبير بن العوام. وطلحه بن عبيدالله.

وسعد بن مالك أبي وقاص. وعبدالله بن عمر.

وزيد بن ثابت. وسهل بن حنيف.

وأبو أيوب خالد بن زيد. وكتب في ذي القعدة سنة ٣٥.

فأخذ كل قوم كتاباً فانصرفوا.

ويظهر من روايه البلاذري وغيره أنّ الخليفة كان قد كتب للمصريين خاصه كتابا آخر غير هذا عزل فيه ابن أبي سرح عنهم وولّى عليهم بدله محمّد ابن أبي بكر فقد جاء في روايه للبلاذري:

فقام طلحه إلى عثمان فكلمه بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشه (رض) تسأله أن ينصفهم من عامله، ودخل عليه عليّ بن أبي طالب وكان متكلم القوم فقال له: إنّما يسألك القوم رجلاً مكان رجل، وقد ادعوا قبله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم، فان وجب عليه حقّ فأنصفهم منه. فقال لهم: إختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه. فأشار الناس عليهم بمحمّد بن أبي بكر الصّيديق (١) فقالوا: استعمل علينا محمّد بن أبي بكر. فكتب عهده وولاه ووجه معهم عدّه من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح.

وقال عليّ بن أبي طالب (٢) لعثمان: أخرج فتكلم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليه، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والانابه فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمن ركبا آخرين يقدمون من الكوفه فتقول: يا عليّ!

ص: ١٤٧

١- . يغلب على الظن أن أمّ المؤمنين عائشه أخت محمد، وطلحه ابن عمها وغيرهما من بنى تيم لم يكونوا بعيدين عن هذه الاشاره.

٢- . عدنا الى الروايه السابقه التي ذكرنا مصادرها في الهامش ٩٣.

إركب إليهم. ولا أقدر أن أركب إليهم، ولا أسمع عذراً، ويقدم ركب آخرون من البصره فتقول: يا عليّ! إركب إليهم؛ فان لم أفعل رأيتني قطعت رحمك، واستخففت بحقك.

قال: فخرج عثمان فخطب الخطبه التي نزع فيها، وأعطى من نفسه التوبه، فقام فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

أما بعد أيها الناس! فوالله ما عاب من عاب منك شيئاً أجهله وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه، ولكنني متنتي نفسي وكذبتني وضلّ عني رشدي، ولقد سمعتُ رسول الله (ص) يقول: من زلّ فليتّب، ومن أخطأ فليتّب، ولا يتمادي في الهلكه. إن تمادي في الجور كان أبعد من الطريق وأنا أول من اتعظ. استغفر الله ممّا فعلتُ وأتوب إليه فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم، فوالله لئن ردّني الحقّ عبداً لاستنّ بسنّه العبد، ولا ذلّ العبد، ولا كوننّ كالمرقوق. إن ملكك صبر، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه، فلا يعجزنّ عني خياركم أن يدنوا إليّ، فان أبت يميني لتتابعنّ شمالي.

قال: فرّق الناس له يومئذ وبكى من بكى منهم، وقام إليه سعيد بن زيد، فقال: يا أمير المؤمنين ليس بواصل لك من ليس معك الله الله في نفسك، فأتمم علي ما قلت، فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيداً ونفراً من بني أميه، ولم يكونوا شهدوا الخطبه، فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين! أتكلّم أم أصمت؟

فقال نائله بنت الفرافصه إمراه عثمان الكلبيه: لا بل اصمت فانهم والله قاتلوه ومؤثّموه. إنّه قد قال مقاله لا ينبغي له أن ينزع عنها. فاقبل عليها مروان وقال:

ما أنت وذاك فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضّأ، فقالت له: مهلا يامروان عن ذكر الالباء؛ تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه، وإنّ أباك لا يستطيع أن يدفع عنه، أما والله لولا أنّه عمّه وإنّه يناله غمّه لاخبرتك عنه

ما لن أكذب عليه. قال: فأعرض عنها مروان ثم قال: يا أمير المؤمنين! أتكلم أم أصمت، قال: بل تكلم. فقال مروان: بأبي أنت وأمي والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أول من رضى بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطيبين، (١) وخلف السيل الزبي، (٢) وحين أعطى الخطه الذليله الذليل والله لا قامه على خطيئه تستغفر الله منها أجمل من توبه تخوف عليها وإنك إن شئت تقربت بالتوبه ولم تقرّر بالخطيئه، وقد اجتمع عليك بالباب مثل الجبال من الناس، فقال عثمان: فاخرج اليهم فكلمهم فإني أستحي أن أكلمهم قال: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضا، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم! كأنكم قد جئتم للنهب! شاهت الوجوه! كل إنسان آخذ يأذن صاحبه إلا من أريد؟ جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! أخرجوا عنا. أما والله لئن رتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم؟ إرجعوا إلى منازلكم فأنا والله ما نحن مغلوبين على ما فى ايدينا. قال: فرجع الناس وخرج بعضهم حتى أتى علياً فأخبره الخبر فجاء على (ع) مغضبا حتى دخل على عثمان، فقال:

أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحرّفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينه يقاد حيث يسار به! والله ما مروان بذى رأى فى دينه ولا- نفسه، وايم الله إنى لاراه سيوردك ثم لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك وغلبت على أمرك.

فلما خرج على دخلت عليه نائله بنت الفرافصه إمرأته، فقالت أتكلم أم أسكت فقال: تكلمى. فقالت قد سمعت قول على لك، وإنه ليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء قال: فما أصنع؟ قال: تتقى الله وحده لا شريك له وتتبع سنه صاحبيك من قبلك؛ فانك متى أطعت مروان قتلك،

ص: ١٤٩

١- . أصل المثل: جاوز الحزام الطيبين. والطّبي: حلمه الضرع، وهو كناية عن المبالغه فى تجاوز حد الشرّ والاذى.

٢- . أصل المثل: بلغ السيل الزّبي، وهى جمع زبيّه وهى الرايه التى لا يعلوها الماء.

ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبه ولا محبته، وإنما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلى عليّ فاستصلحه فإن له قرابه منك وهو لا يعصى. قال فأرسل عثمان إلى عليّ فأبى أن يأتيه، وقال: قد أعلمته أنني لست بعائد. فبلغ مروان مقاله نائله فيه فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه فقال: أتكلّم أو أسكت فقال: تكلم. فقال: إن بنت الفرافسه. فقال عثمان لا تذكرها بحرف فأسوء لك وجهك فهي والله أنصح لي منك. فكف مروان.

وأخرج الطبرى (1) بسنده إلى عبدالرحمن بن الاسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم قال:

قتبّح الله مروان! خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحيه عثمان مخضّله من الدموع وهو يقول:

اللهمّ إنّي أتوب إليك، اللهمّ إنّي أتوب إليك، اللهمّ إنّي أتوب إليك. والله لئن ردّنى الحقّ إلى أن أكون عبداً فناً لارضين به، إذا دخلت منزلي فادخلوا عليّ، فوالله لا احتجب منكم، ولا أعطينكم، ولا يزيدنكم على الرضا، ولا نحين مروان وذويه.

قال: فلمّا دخل أمر بالباب ففتح ودخل بيته ودخل عليه مروان، فلم يزل يفتله فى الذروه والغارب حتى فتله عن رأيه، وأزاله عمّا كان يريد: فلقد مكث عثمان ثلاثه أيام ما خرج استحياء من الناس، وخرج مروان إلى الناس فقال: شأهت الوجوه إلا من أريد، إرجعوا إلى منازلكم فإن يكن لأمير المؤمنين حاجه بأحد منكم يرسل إليه وإلا قرّ فى بيته، قال عبدالرحمن فجئت إلى عليّ فأجده بين القبر والمنبر فأجد عنده عمار بن ياسر ومحمّد بن أبى بكر (2) وهما يقولان: صنع مروان بالناس وصنع قال: فأقبل عليّ عليّ.

ص: ١٥٠

١- . الطبرى ١١٢/٥، وط. اوربا / ٢٩٧٧-٢٩٧٩، وراجع ابن الاثير ٩٦/٣، وقد أخرج البلاذرى قسماً منه فى الانساب ٦٥/٥.

٢- . يظهر من هذه الروايه أنّ هذه المحاوره فى المسجد وقعت بعد رجوع المصريين.

فقال: أحضرت خطبه عثمان؟

قلت: نعم.

قال: أفحضرت مقاله مروان للناس؟

قلت: نعم.

قال عليّ: عياذ الله يا للمسلمين، إنّي إن قعدت في بيتي قال لي تركتني وقرابتي وحقّي، وإنّي إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيّقه له يسوقه حيث شاء بعد كبر السنّ وصحبه رسول الله (ص).

قال عبدالرحمن بن الاسود: فلم يزل حتّى جاء رسول عثمان إئتني، فقال عليّ بصوت مرتفع عال مغضب:

قل له: ما أنا بداخل عليك ولا عائد.

قال: فانصرف الرسول، فلقيت عثمان بعد ذلك بليتين جائيا فسألت ((ناتلا)) غلامه: من أين جاء أمير المؤمنين؟ فقال: كان عند عليّ، فقال عبدالرحمن بن الاسود: فغدوت فجلست مع عليّ (ع) فقال لي: جاءني عثمان بارحه فجعل يقول: إنّي غير عائد وإنّي فاعل، قال: فقلت له. بعدما تكلمت به علي منبر رسول الله (ص) وأعطيت من نفسك، ثمّ دخلت بيتك، وخرج مروان إلى الناس فشتهم علي بابك ويؤذيهم؟ قال: فرجع وهو يقول: قطعت رحمتي وخذلتني وجرأت الناس عليّ، فقلت: والله إنّي لاذب الناس عنك، ولكنتي كلّما جئتك بهنه أظنها لك رضى جاء بأخرى فسمعت قول مروان عليّ واستدخلت مروان. قال: ثم انصرف إلى بيته فلم أزل أرى عليّاً منكباً عنه لا يفعل ما كان يفعل... الحديث.

أخرج الطبري(1) بسنده إلى عكرمه مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: لما حصر عثمان الحصر الاخر قال عكرمه: فقلت لابن عباس: أو كانا حصرين؟ فقال ابن عباس: نعم الحصر الأوّل حصر اثنتي عشرة وقدم

ص: ١٥١

المصريون فلقبهم عليّ بندي خشب فردّهم عنه، وقد كان واللّه عليّ له صاحب صدق حتّى أوغر نفس عليّ عليه، جعل مروان وسعيد وذو وهما يحملونه عليّ عليّ فيتحمل ويقولون: لو شاء ما كلمك أحد؛ وذلك أنّ عليّاً كان يكلمه وينصحه، ويغلظ عليه في المنطق في مروان وذويه، فيقولون لعثمان هكذا يستقبلك وأنت إمامه وسلفه وابن عمّه وابن عمّته، فما ظنك بما غاب عنك منه، فلم يزلوا بعليّ حتّى أجمع ألاّ يقوم دونه، فدخلت عليه اليوم المذى خرجت فيه إلى مكة فذكرت له أنّ عثمان دعاني إلى الخروج، فقال لي: ما يريد عثمان أن ينصحه أحد؛ اتّخذ بطانه أهل غش ليس منهم أحد إلاّ قد تسبّب بطائفه من الارض يأكل خراجها ويستذلّ أهلها. فقلت له أنّ رحماً وحقاً فإن رأيت أن تقوم دونه فعلت، فإنك لا تُعذر إلاّ بذلك، قال: قال ابن عباس: فاللّه يعلم أنّي رأيت فيه الانكسار والرّفقه لعثمان، ثمّ إنّني لاراه يؤتى إليه عظيم... الحديث.

وأخرج (١) في حديث آخر له: أنّ عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، فقام رجل فقال: أقم كتاب اللّه، فقال عثمان: إجلس فجلس حتّى قام ثلاثاً، فأمر به عثمان فجلس، فتحاووا بالحصباء حتّى ما ترى السماء وسقط عن المنبر وحمل فأدخل داره مغشياً عليه فخرج رجل من حجاب عثمان ومعه مصحف في يده وهو ينادى:

((إنّ الذين فارقوا (٢) دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنّما أمرهم إلى اللّه)).

ودخل عليّ بن أبي طالب عليّ عثمان (رض) وهو مغشّى عليه وبنو أمّيه حوله، فقال: مالك يا أمير المؤمنين؟ فأقبلت بنو أمّيه بمنطق واحد فقالوا: يا عليّ! أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمر المؤمنين أما واللّه لئن بلغت الذي تريد لنمرن عليك الدنيا. فقام عليّ مغضباً.

ص: ١٥٢

١- الطبرى ١١٣/٥، وط. أوربا ١/٢٩٧٩-٢٩٩٠.

٢- كذا وردت الكلمه فى الطبرى ١١٣/٥، أمّا فى القرآن الكريم فقد جاءت: فرّقوا.

وأخرج في حديث آخر (١) وقال: كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسون عنه أبدا حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله، فلما خاف القتل شاور نصحائه وأهل بيته، فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه امداده.

فقال: إن القوم لن يقبلوا التعليل وهم محملي عهدا وقد كان مني في قدمتهم الاولى ما كان، فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به.

فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين! مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب، فأعطهم ما سألوك، وطاولهم ما طاولوك فأنما هم بغوا عليك فلا عهد لهم، فأرسل إلى علي فدعاه فلما جاءه قال:

يا أبا حسن! إنه قد كان من الناس ما قد رأيت وكان مني ما قد علمت، ولست آمنهم على قتلي، فارددهم عني، فإن لهم الله عز وجل أن أعتبهم من كل ما يكرهون، وأن أعطيهم من نفسى ومن غيرى وإن كان في ذلك سفك دمي. فقال له علي: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإنى لأرى قوما لا يرضون إلا بالرضا وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الاولى عهداً من الله لترجعن عن جميع ما نعموا، فرددتهم عنك، ثم لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تغرني هذه المره من شيء، فأنى معطيهم عليك الحق.

قال: نعم، فأعطهم فوالله لافين لهم.

فخرج علي إلى الناس فقال: أيها الناس! إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه إن عثمان زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره، وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه ووكدوا عليه.

ص: ١٥٣

١- . الطبرى ١١٦/٥-١١٧، وط. أوربا ٢٩٨٧/١-٢٩٨٩، وابن الاثير ٧١/٣-٧٢ وابن أبى الحديد ١١٦/١.

قال الناس: قد قبلنا. فاستوثق منه لنا فإننا والله لانرضى بقول دون فعل.

فقال لهم عليّ: ذلك لكم، ثم دخل عليه فأخبره الخبر.

فقال عثمان: إضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة فأنى لا أقدر على ردّ ما كرهوا في يوم واحد.

قال عليّ: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك.

قال: نعم، ولكن أجلني في ما بالمدينة ثلاثة أيام.

قال عليّ: نعم. فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجله فيه ثلاثاً على أن يرّد كلّ مظلّمه، ويعزل كل عامل كرهوه، ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والانصار، فكفّ المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفى لهم بما أعطاهم من نفسه، فجعل يتأهب للقتال ويستعدّ بالسلاح، وقد كان اتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس، فلما مضت الايام الثلاثة وهو على حاله لم يغيّر شيئاً ممّا كرهوه، ولم يعزل عاملاً، ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الانصارى حتّى أتى المصريين وهم بذي خشب فأخبرهم الخبر وسار معهم حتّى قدموا المدينة فأرسلوا إلى عثمان:

ألم نفارقك على أنك تائب من احداثك، وراجع عمّا كرهنا منك وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه

قال: بلى أنا على ذلك.

قالوا: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك وكتبت به إلى عاملك!

قال: ما فعلت ولا لي علم بما تقولون!

قالوا: بريدك على جملك، وكتاب كتابك عليه خاتمك!

قال: أمّا الجمل فمسروق، وقد يشبه الخطّ الخطّ، وأمّا الخاتم فقد انتقش عليه.

قالوا: فإننا لا نعجل عليك وإن كنا قد اتهمناك: اعزل عنّا عمالك

الفَسَاق، واستعمل علينا من لايتهم على دماننا وأموالنا، واردة علينا مظالمنا.

قال عثمان: ما أرانى إذاً فى شىء إن كنت استعمل من هويتهم وأعزل من كرهتهم. الامر إذاً أمركم.

قالوا: واللّه لتفعلنّ، أو لتعزلنّ، أو لتقتلنّ. فانظر لنفسك أو دع، فأبى عليهم وقال:

لم أكن لاخلع سربالاً سربلنى الله.

وقصه عثور المصريين على الكتاب فى ما أخرجه البلاذرى وغيره (١)

واللفظ للبلاذرى عن أبى مخنف قال: لما شخص المصريون بعد الكتاب الذى كتبه عثمان فصاروا بأيله (٢) أو بمنزل قبلها رأوا راكبا خلفهم يريد مصر فقالوا له: من أنت فقال: رسول أمير المؤمنين إلى عبد الله بن سعد، وأنا غلام أمير المؤمنين وكان أسود. فقال بعضهم لبعض: لو أنزلناه وقتلناه ألا يكون صاحبه قد كتب فىنا بشىء، ففعلوا فلم يجدوا معه شيئاً، فقال بعضهم لبعض: خلّوا سيبله، فقال كنانة بن بشر: أما والله دون أن أنظر فى إداوته فلا. فقالوا: سبحان الله أيكون كتاب فى ماء؟ فقال: إنّ الناس حيلاً. ثمّ حلّ الاداوه فإذا فيها قاروره مختومه - أو قال مضمومه - فى جوف القاروره كتاب فى أنبوب من رصاص فأخرجه فقرأ فإذا فيه:

أمّا بعد: فإذا قدم عليك عمرو بن بديل فاضرب عنقه، واقطع يدي ابن عديس، وكنانه وعروه، ثمّ دعهم يتشطحون فى دمانهم حتى يموتوا. ثمّ أوثقهم على جذوع النخل.

فيقال: إنّ مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان، فلمّا عرفوا ما فى

ص: ١٥٥

١- أنساب الاشراف ٢٦/٥-٦٩ و ٩٥، والطبرى ١١٩/٥-١٢٠، وط. أوربا ٢٩٨٤-٢٩٩٧، والرياض النضره ١٢٣/٢-١٢٥، وراجع المعارف لابن قتيبه ٨٤، والعقد الفريد ٢٦٣/٢، وابن الاثير ٧٠/٣-٧١، وابن أبى الحديد ١٦٥/١-١٦٦، وابن كثير ١٧٣/٧-١٨٩، وتاريخ الخميس ٢٥٩/٢.

٢- آخر الحجاز وأول الشام.

الكتاب، قالوا: عثمان محلّ، ثمّ رجعوا عودهم على بدئهم حتّى دخلوا المدينة فلقوا عليّاً بالكتاب، وكان خاتمه من رصاص، فدخل به عليّ على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه، وقال: أما الخط فخط كاتبى وأما الخاتم فعلى خاتمى، قال عليّ: فمن تتهم قال: أتهمك وأتهم كاتبى. فخرج عليّ مغضباً وهو يقول: بل هو أمرك.

قال أبو مخنف: وكان خاتم عثمان بدءاً عند حمران بن أبان، ثمّ أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه.

وفى روايه أخرى: ثمّ وجدوا كتاباً إلى عامله على مصر أن يضرب أعناق رؤساء المصريين، فرجعوا ودفعوا الكتاب إلى عليّ فأتاه به فحلف له أنّه لم يكتبه ولم يعلم به.

فقال له عليّ: فمن تتهم فيه

فقال: أتهم كاتبى وأتهمك يا عليّ! لأنك مطاع عند القوم ولم تردّهم عنّى.

وجاء المصريون إلى دار عثمان فأحدقوا بها، وقالوا لعثمان وقد أشرف عليهم:

ياعثمان! أهذا كتابك فجحد وحلف.

فقالوا: هذا شرٌّ، يكتب عنك بما لا تعلمه، ما مثلك يلى أمور المسلمين، فاختلع من الخلافه.

فقال: ما كنت لأنزع قميصاً قمصنيه الله.

وقالت بنو أميه: يا عليّ! أفسدت علينا أمرنا ودسست وألبت.

فقال: ياسفهاء! إنكم لتعلمون أنّه لا ناقه لى فى هذا ولا جمل، وإنّى

رددت أهل مصر عن عثمان ثمّ أصلحت أمره مرّه بعد أخرى، فما حيلتى؟ وانصرف وهو يقول: اللهمّ إنّى برى ممّا يقولون ومن دمه إن حدث به حدث.

قال: وكتب عثمان حين حصروه كتاباً قرأه ابن الزبير على الناس - وقيل بل قرأه الزبير والاول أصحّ - يقول فيه:

والله ما كتبت الكتاب، ولا أمرت به، ولا علمت بقصيته، وأنتم معتبون من كل ماساءكم، فأمرؤا على مصركم من أحببتكم، وهذه مفاتيح بيت مالكم فادفعوها إلى من شئتم.

فقالوا قد آتهمناك بالكتاب فاعتزلنا.

وفى روايه أخرى للطبرى: (١) حتى إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد فكروا وانتهوا إلى المدينة وقد تخلف بها من الناس الا شتر وحكيم بن جبلة فأتوا بالكتاب فأنكر عثمان أن يكون كتبه وقال: هذا مفتعل.

قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك؟

قال: أجل، ولكنّه كتبه بغير أمرى.

قالوا: فإنّ الرسول الذى وجدنا معه الكتاب غلامك

قال: أجل ولكنّه خرج بغير إذنى.

قالوا: فالجمل جملك.

قال: أجل ولكنّه أخذ بغير علمى.

قالوا: ما أنت إلاّ- صادق أو كاذب. فان كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دماننا بغير حقّها، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك، لأنّه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقتطع مثل هذا الامر دونه لضعفه وغفلته، وقالوا له: إنك ضربت رجالا- من أصحاب النبى (ص) وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعته الحقّ عندما يستنكرون من أعمالك فأقد من نفسك من ضربته وأنت له ظالم.

فقال: الامام يخطئ ويصيب فلا أقيد من نفسى لاني لو أقدت كلّ من أصبته بخطأ آتى على نفسى.

قالوا: إنك قد أحدثت أحداثاً عظاماً فاستحققت بها الخلع، فإذا كلّمت

ص: ١٥٧

فيها أعطيت التوبه، ثم عدت إليها وإلى مثلها، ثم قدمنا عليك فأعطينا التوبه والرجوع إلى الحق ولا منا فيك محمد بن مسلمه
وضمن لنا ما حدث من أمر فاحضرته فتبرأ منك وقال: لا أدخل في أمره، فرجعنا أول مره لنقطع حججتك ونبليغ أقصى الاعذار
إليك نستظهر بالله عز وجل عليك فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب وزعمت أنه كتب بغير
علمك وهو مع غلامك وعلى جملك وبخط كاتبك وعليه خاتمك فقد وقعت عليك بذلك التهمه القبيحه مع ما بلونا منك
قبل ذلك من الجور في الحكم والاثره في القسم، والعقوبه للامر بالتبسيط من الناس، والاظهار للتوبه ثم الرجوع إلى الخطيئه،
ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله (ص) من لم يحدث مثل ما جربنا
منك، ولم يقع عليه من التهمه ما وقع عليك فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا، فإن ذلك أسلم لنا منك، وأسلم لك منا.

فقال عثمان: فرغتم من جميع ما تريدون؟

قالوا: نعم.

قال: - بعد الحمد والثناء - أما بعد: فأنكم لم تعدلوا في المنطق ولم تنصفوا في القضاء، أما قولكم: تخلع نفسك. فلا أنزع قميصا
قمصنيه الله عز وجل وأكرمني به وخصني به على غيري ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإني والله الفقير
إلى الله الخائف منه.

قالوا: إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه ولم تقم عليه لكان علينا أن نقبل منك، وأن ننصرف عنك، ولكنه قد كان
منك من الاحداث قبل هذا ما قد علمت ولقد انصرفنا عنك في المره الاولى وما نخشى أن تكتب فينا ولا من اعتلتت به بما
وجدنا في كتابك مع غلامك، وكيف نقبل توبتك، وقد بلونا منك أنك لا تعطى من نفسك التوبه من ذنب إلا عدت إليه؟
فلسنا منصرفين حتى نغزلك ونستبدل بك، فان حال من معك من قومك وذوي رحمك وأهل الانقطاع دونك بقتال قاتلناهم
حتى نخلص إليك فنقتلك أو

ص: ١٥٨

تلحق أرواحنا بالله.

فقال عثمان: أما أن أتبرأ من الاماره فإن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته، وأما قولكم: تقاتلون من قاتل دوني. فإني لا-أمر أحداً بقتالكم فمن قاتل دوني فإتما قاتل بغير أمري، ولعمري لو كنت أريد قتالكم لقد كتبت إلى الاجناد، فقادوا الجنود، وبعثوا الرجال أو لحقت ببعض أطرافى بمصر أو عراق فالله الله فى أنفسكم؛ أبقوا عليها إن لم تبقوا على؛ فإنكم مجتلبون بهذا الامر إن قتلتموني دماً. قال: ثم انصرفوا عنه وآذنوه بالحرب وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلمه أن يردهم فقال: والله لا أكذب الله فى سنه مرتين.

وفى روايه أخرى للبلاذرى: (١)

ان المصريين لما قدموا فشكوا عبدالله بن سعد بن أبى سرح، سألوا عثمان أن يولى عليهم محمد بن أبى بكر. فكتب عهده وولاه ووجه معهم عدّه من المهاجرين والانصار ينظرون فى ما بينهم وبين ابن سرح، فشخص محمد بن أبى بكر وشخصوا جميعاً؛ فلما كانوا على مسيره ثلاث من المدينه إذا هم بغلام أسود على بعير وهو يخطب البعير خبطاً كأنه رجل يطلب أو يطلب.

فقال له أصحاب محمد بن أبى بكر: ما قصتكم وما شأنك كأنك هارب أو طالب.

فقال لهم مرّه: أنا غلام أمير المؤمنين وقال مرّه أخرى: أنا غلام مروان، وجّهنى إلى عامل مصر برساله.

قالوا: فمعك كتاب؟

قال: لا. ففتشوه، فلم يجدوا معه شيئاً، وكانت معه إداوه قد يبست فيها شىء يتقلقل فحرّكوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الاداوه فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبى سرح.

ص: ١٥٩

فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه:

إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان، فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمد وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي، واحبس من يجيء إلي متظلماً منك إن شاء الله.

فلما قرأوا الكتاب فرعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر ممن كان معه، ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة، فجمعوا علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب النبي (ص) ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم، وأخبروهم بقصه الغلام وأقرأوهم الكتاب، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان، وزاد ذلك من كان غصب لابن مسعود وعمار بن ياسر وأبي ذر حنقاً وغيظاً، وقام أصحاب النبي بمنزلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم لما في الكتاب.

وحاصر الناس عثمان، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم، وأعانته على ذلك طلحة بن عبيدالله، وكانت عائشه تقرصه كثيراً... الحديث.

وفي البدء والتاريخ: (١) كان أشد الناس على عثمان طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وعائشه، وخذله المهاجرون والانصار، وتكلمت عائشه في أمره، وأطلعت شعره من شعرات رسول الله (ص) ونعله وثيابه وقالت: ما أسرع ما نسيت سنه نبيكم، فقال عثمان في آل أبي قحافه ما قال وغضب حتى ما كان يدرى ما يقول، إنتهى.

كان أشد الناس على عثمان رؤوس آل تيم الثلاثة: أم المؤمنين عائشه وأخوها محمد بن أبي بكر وابن عمهما طلحة بن عبيدالله وذكروا من مواقف أم المؤمنين مع عثمان شيئاً كثيراً.

ص: ١٦٠

منها ما ذكره اليعقوبى فى تاريخه (١) حيث قال: كان عثمان يخطب إذ دلت عائشه قميص رسول الله ونادت: ((يا معشر المسلمين! هذا جلباب رسول الله لم يبل وقد ابلى عثمان ستته)) فقال عثمان: ((رب اصرف عنى كيدهنّ إن كيدهنّ عظيم)).

وقال ابن أعثم (٢) ولما رأت أمّ المؤمنين اتّفاق الناس على قتل عثمان، قالت له:

أى عثمان! خصّيت بيت مال المسلمين لنفسك، وأطلقت أيدي بنى أميه على أموال المسلمين، ووليتهم البلاد، وتركت أمه محمّد فى ضيق وعسر، قطع الله عنك بركات السماء وحرّمك خيرات الارض، ولولا أنّك تصلّى الخمس لنحروك كما تنحر الابل. (٣)

فقرأ عليها عثمان: (ضرب الله مثلا للّذين كفروا إمراه نوح وامراه لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل أدخلا النار مع الداخلين). (٤) إنتهى.

إن هذه الكلمات القارصه من الخليفه فى أمّ المؤمنين عائشه ذات الطبع الحادّ والّتى لم تكن لتملك نفسها عند سوره الغضب، والكتاب الّذى عثر عليه اخوها محمّد فى طريقه إلى مصر والّذى فيه أمر صريح بقتله وآخرين من رفقته ممّن أدركوا صحبه النبى وغيرهم من المسلمين؛ قد دفعت أمّ المؤمنين - الّتى كانت تذهب نفسها فى سبيل الدفاع عن ذوى قرباها - أن تصدر الفتوى

ص: ١٦١

١- . أنساب الاشراف ١٧٥/٢.

٢- . كتاب الفتوح / ص ١١٥.

٣- . ينبغى أن تكون هذه المحاوره قبل عثور أخيها محمد على كتاب عثمان فى طريق مصر يأمر فى بقتلهم، فإنّها بعد ذلك كانت تفتى بقتله غير مباليه بصلاته.

٤- . الايه العاشره من سوره التحريم وكان عثمان يعرض بها الى ما أطبق عليه المفسرون من أنّ منشأ قصه التحريم ما قامت به أمّ المؤمنين عائشه واخرى معهما من أمّهات المؤمنين فنزلت فيهما سوره التحريم.

الصريحه بقتل الخليفه عثمان و كفره. فتقول فيه:

((أقتلوا نعتلاً فقد كفر))^(١) وقالت: أشهد أن عثمان جيفه على الصراط.

انطلقت هذه الكلمه من فم أم المؤمنين، فانتشرت بين الناس انتشار النار فى الهشيم فتلقفها منها غيرها ممن لم يكن يجرؤ على التفوه بمثلا وجابره قريش فى المدينه حصر ممن سذكهم بعد تدبر معنى الكلمه ومغزاها.

وكلمه نعتل فى ما ذكره بمعاجم اللغه:

أ - الذكر من الضباع.

ب - الشيخ الاحمق.

ج - وقالوا: كان رجل من أهل مصر طويل اللحيه يسمى نعتلا.

د - وقالوا: إن نعتلا كان يهوديًا بالمدينه شبه به عثمان.^(٢)

إن هذه المعانى لكلمه نعتل لم تغرب عن بال أم المؤمنين ذات العارضه القويه، وإنما رمتها بها بعد أن استمدت من فصاحتها وبلاغتها فرمتها من قوارضها بمقدعه أصابته فى الصميم، وبقيت وصمه عليه، وذهبت فى الدهر مثلاً، وجرت بعد قولها على لسان أعدائه حتى بعد حياته، فقد جاء فى أبيات للاعور الشنئى:^(٣)

برئت إلى الرحمن من دين نعتل ودين ابن صخر أيها الرجالن

وقال محمد بن أبى سبره بن أبى زهير القرشى:^(٤)

نحن قتلنا نعتلا بالسيره إذ صدّ عن أعلامنا المنيره

ص: ١٦٢

١- الطبرى ٤/٤٧٧، ط. القاهره سنه ١٣٥٧، وط. أوربا / ٣١١٢، وابن أعثم ص ١٥٥، وابن الاثير ٣/٨٧، وابن أبى الحديد ٢/٧٧،

ونهايه ابن الاثير ٤/١٥٦، وشرح النهج ٤/٤٥٨.

٢- راجع لغه نعتل فى النهايه لابن الاثير والقاموس وتاج العروس ولسان العرب.

٣- أنساب الاشراف ٥/١٠٥.

٤- صفين، لنصر بن مزاحم ص ٤٣٦.

ولمّا نادى ابن العاص يوم صفين بأبيات قال فيها:

(ردّوا علينا شيخنا كما كان)

يأجابه أهل العراق:

أبت سيوف مذحج وهمدان بأن تردّ نعثلا كما كان

ثمّ نادى عمرو بن العاص ثانيه: (ردّوا علينا شيخنا ثمّ بجل).

فردّ عليه أهل العراق: (كيف نردّ نعثلا وقد قحل).^(١)

أفتت أمّ المؤمنين بقتل الخليفة، وإذا كان هناك أمل ضئيل - قبل هذه الفتيا - في الاصلاح بين المسلمين والخليفة يقوم به عليّ أو غيره، فقد وقعت الواقعة بعد صدور هذه الفتوى الصريحه، وانطلاقها من فم أمّ المؤمنين، وقضى الامر.

وذلك لما بلغت إليه أمّ المؤمنين منذ عهد الخليفين من مكانه مرموقه بين المسلمين بما كانا يعظمانها في كلّ شيء ويُرجعان إليها في الفتيا، وزاد في تأثير فتياها صدورها في أوانها حيث بلغ السيل الزبى والحزام الطيبين.^(٢) وبعد حصول الانشقاق بين الاسره الحاكمه من آل أمّيه في البلاد وأفراد المسلمين بطبقاتهم كافه ممّا أوردنا بعضا منها وأعرضنا عن ذكر أكثرها روماً للاختصار. وبعد هذه الفتيا والتي كانت الجماهير الاسلاميه من الصحابه وغيرهم قد صمّمت على تنفيذها؛ لم يبق أمام أحد مجال إلا في طريقتين: الاعتزال أو القتال. والقتال إمّا في صفّ الخليفه المحاصر من قبل الجماهير وأما في صفّ الجماهير الهادره الثائره. فاخترت عليّ وسعد من أهل الشورى الاعتزال، وطلحه والزبير القتال في صفّ الجماهير.

إنتشرت على الافواه كلمه أمّ المؤمنين: ((اقتلوا نعثلا)) فقالها غيرها لما كانوا

ص: ١٦٣

١- صفّين لنصر بن مزاحم ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٤٥٤، وباب أبى الحديد ٤٨٢/١ وثمّ بجل أى ثمّ حسب. وقد قحل أى قد يبس.

٢- قال ابن الاثير فى النهايه وفى حديث عثمان (رض): أمّا بعد فقد بلغ السيل الزبى.

ينقمون على عثمان - وإن كانت هي (أول من سمى عثمان نعتلاً) (١) - وممن قالها في حياه الخليفه جبلة بن عمرو الساعدي في ما أخرجه الطبري حيث قال: مرّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ومعه جامعه، فقال: يا نعتل! والله لاقتلنك، ولاحملنك على قلوب جرباء ولاخرجنك إلى حرّ النار... الحديث.

وفي حديث البلاذري بعد هذا:

وأناه يوماً بجامعه (٢) فقال: والله لا طرحنها في عنقك، أو لتتركن بطانتك هذه، أطعمت الحارث بن الحكم السوق وفعلت وفعلت، وكان عثمان ولّى الحارث السوق فكان يشتري الجلب بحكمه ويبيعه بسومه، ويجبي مقاعد المتسوقين، ويصنع صنيعاً منكراً، فكلم في إخراج السوق من يده فلم يفعل، وقيل لجبله في أمر عثمان وسئل الكفّ عنه فقال: والله لا ألقى الله غدا فأقول: إنّنا أطعنا سادتنا وكبراءنا، فأضلونا السبيل. (٣)

وفي حديث آخر للطبري:

(فلما مرّ عثمان سلّم فردّ القوم فقال جبلة: لم تردّون على رجل فعل كذا وكذا؟ قال: ثمّ أقبل على عثمان فقال: والله لا طرحنّ هذه الجامعه في عنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه. قال عثمان: أي بطانه؟ فوالله إنّى لا- أتخير الناس. فقال: مروان تخيرته، ومعاويه تخيرته، وعبدالله بن عامر بن كريز تخيرته، وعبدالله بن سعد تخيرته، منهم من نزل القرآن بدمه وأباح رسول الله دمه... الحديث. (٤)

ص: ١٦٤

- ١- . ابن أبي الحديد ٧٧/٢.
- ٢- . الجامعه: سلسله أو قيد من حديد.
- ٣- . أنساب الاشراف ٤٧/٥.
- ٤- . الطبري ١١٤/٥، وط. أوربا ٢٩٨١/١-٢٩٨٢، والبلاذري ٤٧/٥، وراجع ابن الاثير ٧٠/٣، وابن أبي الحديد ١٦٥/١، وابن كثير ١٥٧/٧. وهذه تراجم بعض المذكورين في الحديث ممن لم يسبق ذكرنا ترجمتهم: أ - جبلة بن عمرو الانصارى اختلفوا في نسبه وقالوا فيه:... كان فاضلاً من فقهاء الصحابه شهد صفين مع على وسكن مصر. ترجمته في أسد الغابه ٢٦٩/١. -

وممن جبه الخليفه بهذه الكلمه؛ إجهجاه فيما اخرجہ الطبری والبلاذری (١) بسندهما إلى حاطب قال:

ص: ١٦٥

١- . الطبری ١١٤/٥، وط. أوربا ٢٩٨٢/١، والبلاذری ٤٧/٥-٤٨، والریاض النضره ١٢٣/٢، وابن الاثیر ٧٠/٣، وابن أبی الحدید ١٦٥/١، وابن کثیر ١٧٥/٧، والاصابه ٢٥٣/١، والخمیس ٢٦٠/٢.

أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا رسول الله (ص) التي كان يخطب عليها أبو بكر وعمر (رض) فقال له جهجاه: قم يانعثل: فأنزل عن هذا المنبر... الحديث.

وفى حديث آخر عن أبي حبيبه فقام إليه جهجاه الغفاري(١) فصاح: ياعثمان؛ ألا إنّ هذه شارف قد جئنا بها عليها عباءه وجامعه فانزل فلندرعك العباءه ولنطرحك فى الجامعه ولنحملك على الشارف ثمّ نظرحك فى جبل الدخان.

فقال عثمان: قبحك الله وقبح ماجئت به. قال أبو حبيبه ولم يكن ذلك منه إلاّ عن ملا من الناس، وقام إلى عثمان خيرته وشيعته من بنى أميه فحملوه وأدخلوه الدار قال أبو حبيبه فكان آخر ما رأيتة فيه. إنتهى. وآخر الحديث السابق: فما خرج بعد ذلك إلاّ خرجة أو خرجتين حتّى حصر فقتل. إنتهى.

حاصر الناس عثمان بعد أن لم يتنازل إلى تلبيه مطالبهم، وبعد أن أفتت فيه أمّ المؤمنين ما أفتت، وتحلبوا عليه من البلاد بعد أن ضاقوا ذرعا بولاته. وبعد أن وصلت من أمّ المؤمنين (كتب إلى البلاد تحرّض المسلمين على الخروج عليه). (٢)

((وكان طلحه قد استولى على أمر الناس فى الحصار(٣))) ولمّا اشتدّ الامر على عثمان أمر مروان بن الحكم وعبدالرحمن بن عتاب بن اسيد(٤) فأتيا

ص: ١٦٦

١- . جهجاه الغفاري اختلفوا فى نسبه. شهد بيعه الرضوان الى بنى المصطلق تناول العصا التي كان يخطب عليها عثمان فكسرها على ركبتة فدخلت منها شظيه فى ركبتة وبقي الجرح فيها حتّى مات بعد قتل عثمان بسنه. ترجمته فى أسد الغابه.

٢- . أنساب الاشراف ١٠٣/٥.

٣- . أنساب الاشراف ٨١/٥.

٤- . عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد بن أبى العيص بن أميه بن عبد شمس. قتل يوم الجمل تحت رايه عائشه وقطعت يده فاخطفها نسر وفيها خاتمه فطرحها ذلك اليوم باليمامه، فعرفت يده بخاتمه. (١٨٧-١٩٣ جمهره نسب قريش).

عائشه وهي تريد الحجّ فقالا لها:

لو أقمت، فلعلّ الله يدفع بك عن هذا الرجل، ((وقال مروان: ويدفع لك بكل درهم انفقته درهمين(١))).

فقلت: قد قرنت ركائبي واوجبت الحج على نفسي ووالله لا أفعل! فنهض مروان وصاحبه، ومروان يقول:

وحرق قيسُ عليّ البلاد فلما اضطرت أحجما

ورد البيت في الانساب ٧٥/٥ هكذا:

وَحَرَّقَ قَيْسٌ عَلِيَّ الْبِلَادِ إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْذَمًا

فقلت عائشه: يامروان: ((العلك تری انی فی شكّ من صاحبك(٢))) والله لوددت أنّه في غراره من غرائري هذه وأنّي طوّقت

حملة حتّى ألقيه في البحر.(٣)

خرجت أمّ المؤمنين من المدینه متوجهه إلى مكه وخرج ابن عباس(٤) اميراً على الحاج من قبل عثمان فمرّ بعائشه في

الصلصل(٥) وهي في طريقها

ص: ١٦٧

١- . هذه الزيادة في تاريخ اليعقوبي ١٢٤/٢.

٢- . هذه الزيادة في تاريخ اليعقوبي ١٢٤/٢.

٣- . أخرج هذه الروايه كل من البلاذري في الانساب ٧٥/٥، وابن أعثم ص ١٥٥ وابن سعد في الطبقات ط. ليدن ٢٥/٥ بترجمه مروان، وذكر في من أتى عائشه زيد بن ثابت. والغراره: الجوالق.

٤- . عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، كُنّي بأبيه العباس وهو أكبر ولده، وأمّه لبابه الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلاليه ولد والنبيّ بالشعب من قبل الهجره بثلاث. شهد مع عليّ الجمل وصفين والنهروان ثمّ ولاه البصره، وترك البصره في آخر خلافه عليّ وذهب الى مكه، ولما وقعت الفتنه بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك ألح ابن الزبير عليه وعليّ محمد بن الحنفية ان يبايعا. فأبيا فجمع الحطب على دورهم حتّى بلغ رؤوس الجدر ليحرقهم فجاءتهم أربعة آلاف فارس من الكوفه. وانقذتهم وخاف ابن الزبير فتعلق باستار الكعبه وقال: أنا عائذ بالبيت فمنعهم عنه ابن عباس. وتوفى بالطائف سنه ثمان وستين أو سبعين وهو ابن سبعين أو احدى وسبعين سنه. الاستيعاب ٣٧٢-٣٧٤، الترجمة رقم ١٥٩١، وأسد الغابه ١٩٢/٣-١٩٥، والاصابه ٢٢/٢-٢٦.

٥- . الصلصل: من نواحي المدينه على مسيره أميال منها: الحموى.

إلى مكة - فقالت: يا ابن عباس! انشدك الله فانك أعطيت لسانا ازعيلاً(١) - ان تخذّل عن هذا الرجل. وفي الانساب: إياك أن تردّ عن هذا الطاغية(٢) وان تشكك فيه الناس فقد بانت لهم بصائرهم وانهجت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان الامر قد جمّ، وقد رأيت طلحة بن عبيدالله قد اتخذ على بيوت الاموال والخزائن مفاتيح، فان يل يسرّ ابن عمه أبي بكر.

قال: قلت: يا أمه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا.

فقالت: ايهاً عنك انى لست اريد مكابرتك ولا مجادلتك.(٣)

ولمّا رأى عثمان استيلاء طلحة على بيوت الاموال واشتداد الحصار عليه بعث عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بهذا البيت إلى على:

فإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي والأ فأدركنى ولما أمزّق(٤)

وكان علىّ عند حصر عثمان بخبير فقدم المدينة والناس مجتمعون عند طلحة وكان ممن له فيه اثر فلما قدم علىّ أتاه عثمان وقال له:

أما بعد! فإنّ لى حقّ الاسلام، وحقّ الاخاء، والقرايه، والصهر، ولو لم يكن من ذلك شىء وكنا فى الجاهليه لكان عاراً على بنى عبد مناف أن ينتزع اخو بنى تيم - يعنى طلحه - أمرهم.

ص: ١٦٨

١- . أزعيلاً: الازعيل: الذلق، وفى القاموس النسيط.

٢- . وفى الانساب ٧٥/٥.

٣- . الطبرى ١٤٠/٥، وط. أوربا ٣٠٤٠/١، وابن أعثم ص ١٥٦، واللفظ للطبرى والبلاذرى.

٤- . أنساب الاشراف ٧٨/٥، وقد أورد محاوره عثمان وعلى كل من الطبرى ١٥٤/٥، وابن الاثير ٦٤/٣، والكنز ٣٨٩/٦ الحديث ٥٩٦٥، وقد تخيرنا لفظ ابن الاثير لانه أتم وأخصر، وراجع الكامل للمبرد ص ١١ ط. ليدن وزهر الاداب ٧٥/١ ط الرحمانيه وابن أعثم ١٥٦-١٥٧.

فقال له عليّ: سيأتيك الخبر ثمّ خرج إلى المسجد فرأى أسامه (١) فتوكّأ على يده حتّى دخل دار طلحه وهي رجّاس (٢) من الناس فقال له: ياطلحه! ما هذا الامر الذي وقعت فيه! (٣)

فقال: ياأبا الحسن بعدما مس الحزام الطيبين، فانصرف عليّ ولم يحر اليه شيئاً حتّى أتى بيت المال، فقال افتحوا هذا الباب، فلم يقدر عليّ المفاتيح فقال:

اكسروه فكسر باب بيت المال، فقال: اخرجوا المال فجعل يعطى الناس فبلغ الذين في دار طلحه الذي صنع عليّ، فجعلوا يتسلّلون اليه حتّى ترك طلحه وحده، وبلغ عثمان الخبر فسّر بذلك، ثمّ اقبل طلحه يمشى عائدا الى دار عثمان... فلمّا دخل عليه قال: ياأمير المؤمنين استغفر الله وأتوب اليه أردت أمراً فحال الله بيني وبينه، فقال: عثمان انك والله ماجئت تائباً ولكنك جئت مغلوباً. الله حسيبك ياطلحه... إنتهى.

وروى الطبرى وقال: فحصروه أربعين ليله وطلحه يُصلّى بالناس. (٤)

وروى البلاذرى وقال: لم يكن أحد من أصحاب النبيّ (ص) أشدّ على عثمان من طلحه. (٥)

ص: ١٦٩

١- . أسامه مولى رسول الله وابن مولاة زيد بن حارثة وابن مولاته وحاضنته أم أيمن وكان يسمى حبّ رسول الله (ص)، أمّره رسول الله في مرض موته على جيش كان قد انتدبهم لغزو الشام واستوعب في الجيش المهاجرين الاولين. توفّي سنة ٥٤، أو ٥٨، أو ٥٩. ترجمته في الاستيعاب م ١٢ وأسد الغابه ١/٦٥-٦٦ والاصابه.

٢- . رجّاس، الرجس: الصوت الشديد. سحاب ورعد رجّاس: شديد الصوت.

٣- . وفي روايه الطبرى ط. أوربا ١/٣٠٧، منه أنّ عليّاً قال لطلحه: أنشدك الله الأرددت الناس عن عثمان، قال: لا والله حتّى تعطى بنو أميّة الحق من أنفسها.

٤- . الطبرى ١/١١٧، وط. أوربا ١/٢٩٨٩.

٥- . أنساب الاشراف ٨١/٥.

روى البلاذري (١) وقال: وكان الزبير وطلحه قد استوليا على الامر ومنع طلحه عثمان أن يدخل عليه الماء العذب فأرسل عليّ إلى طلحه وهو في أرض له على ميل من المدينة أن دع هذا الرجل فليشرب من مائه ومن بثره يعنى من رومه ولا تقتلوه من العطش فأبى... الحديث.

وقال الطبرى: (٢) ولما اشتد الحصار بعثمان ومنع عنه الماء أرسل عثمان إلى عليّ يستسقيه، فجاء فكلم طلحه في أن يدخل عليه الروايا وغضب غضباً شديداً حتى دخلت الروايا على عثمان). وقال البلاذري: (٣) (فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال: أفيكم عليّ؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم سعد؟ فقالوا: لا، فسكت، ثم قال: ألا أحد يبلغ عليّاً فيسقيننا، فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءه فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدّه من موالى بنى هاشم وبنى أميه، حتى وصلت إليه) ومرّ مجمّع بن جاريه الانصارى (٤) بطلحه بن عبيدالله فقال: يا مجمّع ما فعل صاحبك؟

قال: أظنّكم والله قاتليه!

فقال طلحه: فان قُتل فلا ملك مقرب ولا نبيّ مرسل. (٥)

وروى الطبرى (٦) عن عبدالله بن عياش ابن أبي ربيعه أنّه قال: دخلت على عثمان فتحدثت عنده ساعه. فقال: يا ابن عياش: تعال. فأخذ بيدي

ص: ١٧٠

- ١- . أنساب الاشراف ٩٠/٥.
- ٢- . الطبرى ١١٣/٥.
- ٣- . أنساب الاشراف ٦٨/٥-٦٩.
- ٤- . مجمّع بن جاريه بن عامر الانصارى الاوسى وكان أبوه ممّن اتخذ مسجد الضرار وكان هو غلاماً حدثاً قد جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) إلاّ سورة أو سورتين. ترجمته فى أسد الغابه ٣٠٣/٥-٣٠٤.
- ٥- . أنساب الاشراف ٧٤/٥.
- ٦- . الطبرى ١٢٢/٥، وط. اوربا ٣٠٠٠/١، وابن الاثير ٧٣/٣.

فاسمعى كلام من على عثمان فسمعنا كلاماً؛ منهم من يقول: ماتنتظرون به؟ ومنهم من يقول: أنظروا عسى أن يراجع. فيينا أنا وهو واقفان إذ مرّ طلحه بن عبيدالله فوقف فقال: اين ابن عديس. (١)

فقيل: ها هو ذا.

قال: فجاءه ابن عديس فناجاه بشىء، ثم رجع ابن عديس فقال لاصحابه: لاتتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل ولا يخرج منه عنده. فقال عثمان: اللهم اكفنى طلحه بن عبيدالله فإنه حمل على هؤلاء والبهم. والله انى لارجو ان يكون منها صفرأ وان يسفك دمى، إنه انتهك منى مالا- يحلّ له... قال ابن عياش: فأردت ان اخرج فمنعونى حتى مرّ بى محمّد بن أبى بكر، فقال: خلّوا سبيله فخلّونى...

وبلغ علياً أن القوم يريدون قتل عثمان... فقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل اليه...

فخضب الحسن بالدماء على بابيه وشجّ قبر مولى على فلما رأى ذلك محمّد بن أبى بكر خشى أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيروها فتنه، فأخذ بيد رجلين فقال لهما؛ إن جاءت بنو هاشم فرأت الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقلته من غير أن يعلم فتسور محمّد وصاحباها من دار رجل من الانصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممّن كان معه لأنهم كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته، فقال محمّد بن أبى بكر: أنا ابدأ كما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجّاه حتى تقتلاه، فدخل محمّد فأخذ بلحيته، فقال عثمان: لو رآك أبوك لساء مكانك منى، فتراخت يده ودخل الرجلان فتوجّاه

ص: ١٧١

١- . هو عبد الرحمن بن عديس البلوى. وكان ممّن بايع النبى تحت الشجرة وشهد فتح مصر واختم بها. وكان ممّن سار الى عثمان من مصر. وسجنه معاويه بعد بفسطين وقتل سنة ٣٦ هجرى بعد أن هرب من السجن. الاصابه، حرف العين، القسم الاول .١٧١/٤

وفى روايه لابن أبي الحديد: أن طلحه كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب استتر به عن أعين الناس يرمى الدار بالسهم.

وروى أيضاً: أنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحه إلى دار لبعض الانصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه (٢).

وروى الطبري: (٣) أنهم دخلوا دار عمرو بن حزم - وكانت إلى جنب دار عثمان - فناوشوهم شيئاً منه مناوشه؛ وقال: فوالله ما نسينا أن خرج سودان بن حمران فأسمعه يقول: أين طلحه بن عبيدالله؟ قد قتلنا ابن عفان.

وقال البلاذري: (٤) أن علياً لم يلبغ الخبر جاء وقال لابنيه: كيف قتل وأنتما على الباب؟! فلطم هذا وضرب صدر ذاك وخرج وهو غضبان يرى أن طلحه أعان على ما كان، فلقبه طلحه، فقال: ما لك يا أبا الحسن فقال عليك لعنه الله، أقتل رجل من أصحاب رسول الله... فقال طلحه: لو دفع مروان لم يقتل... وخرج علي فأتى منزله... إنتهى.

دفن الخليفة:

اتفقت الروايات على أن عثمان ترك ثلاثاً لم يدفن حتى توسط علي في ذلك. روى الطبري: أنهم كلّموا علياً في دفنه وطلبوا إليه أن يأذن لاهله ذلك، ففعل وأذن لهم علي، فلما سمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسيرون من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينه يقال له حش.

ص: ١٧٢

- ١- . أنساب الاشراف ٦٩/٥، وذكر فعل محمد بن أبي بكر هذا بألفاظ أخرى، وط. أوربا ٣٠٢١/١، كل من الطبري في ١١٨/٥، وابن الاثير في تاريخ الكامل ٦٨/٣-٧٠.
- ٢- . ابن أبي الحديد ٤٠٤/٢.
- ٣- . الطبري ج ١٢٢/٥.
- ٤- . أنساب الاشراف ٦٩/٥-٧٠.

كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم؛ فلما خرج به على الناس رجموا سريره وهموا بطرحه؛ فبلغ ذلك علياً، فأرسل اليهم يعزم عليهم ليكفّن عنه ففعلوا، فانطلق به حتى دفن في حشّ كوكب؛ فلمّا ظهر معاويه بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حت افضى به إلى البقيع؛ فأمر الناس ان يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتّصل ذلك بمقابر المسلمين.

وفي حديث آخر له قال: دفن عثمان (رض) بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه، وأخذ الناس الحجارة وقالوا: نعثل، نعثل، وكادت ترجم... الحديث (١).

بيعه علي:

قتل عثمان ورجع إلى المسلمين أمرهم وانحلّوا من كل بيعه سابقه توثقهم فتهافتوا على علي بن أبي طالب يطلبون يده للبيعه.

قال الطبري (٢) فأتاه أصحاب رسول الله (ص)، فقالوا: إنّ هذا الرجل قد قتل ولا بدّ للناس من إمام ولا نجد اليوم أحقّ بهذا الامر منك، لا أقدم سابقه، ولا أقرب من رسول الله (ص) فقال: لا تفعلوا فإنّي أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد فإنّ بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضى المسلمين...

وروى بسند آخر وقال: اجتمع المهاجرون والانصار فيهم طلحه والزبير فأتوا علياً. فقالوا: يا أبا الحسن، هلّم نبايعك، فقال: لا حاجه لي في

ص: ١٧٣

-
- ١- . الطبري ١٤٣/٥-١٤٤، وط. أوربا ٣٠٤٦/١، وابن الاثير ٧٦/٣، وابن أعثم ١٥٩، وراجع الرياض النضرة ١٣١/٢-١٣٢.
 - ٢- . الطبري ١٥٢/٥-١٥٣، وط. أوربا ٣٠٦٦/١، وراجع كنز العمال ١٦١/٣ الحديث ٢٤٧١، فأنه يروى تفصيل بيعه علي ومجىء طلحه والزبير اليه وامتناعه عن البيعه.... وكذلك حكاها ابن أعثم بالتفصيل في ص ١٦٠-١٦١ من تاريخه.

أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا والله، فقالوا: والله ما نختار غيرك، قال: فاختلّفوا إليه بعدما قتل عثمان (رض) مراراً ثم أتوه في آخر ذلك فقالوا له: إنّه لا يصلح الناس إلّا بإمره وقد طال الامر فقال لهم: أنكم قد اختلفتم إليّ وأنتم وإني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلّا فلا حاجه لي فيه.

قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله، فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال: إني قد كنت كارهاً لامركم فأبيتم إلّا أن أكون عليكم. ألا وإنّه ليس لي أمر دونكم، ألا إنّ مفاتيح مالكم معي. ألا وإنّه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم.

قال: اللهم اشهد عليهم. ثمّ بايعهم على ذلك.

وروى البلاذري (١) وقال: وخرج عليّ فأتى منزله، وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى عليّ، أصحاب النبيّ وغيرهم، وهم يقولون:

((إنّ أمير المؤمنين عليّ)) حتّى دخلوا داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك فإنّه لا بدّ من أمير، فقال عليّ: ليس ذلك إليكم إنّما ذلك إلى أهل بدر فمن رضى به أهل بدر فهو خليفه، فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا أتى عليّاً (ع)، فقالوا: مانرى أحداً أحقّ بهذا الامر منك... فلمّا رأى عليّ ذلك صعد المنبر وكان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحه بيده، وكانت إصبع طلحه شلاء فتطير منها عليّ وقال: ما أخلقه أن ينكث.

وروى الطبري: (٢) أنّ حبيب بن ذؤيب نظر إلى طلحه حين بايع فقال: أوّل من بدأ بالبيعه يد شلاء لا يتم هذا الامر... إنتهى.

وبينا الناس في المدينه يتشاءمون من مبادءه البيعه بيد طلحه الشلاء

ص: ١٧٤

١- . أنساب الاشراف ٧٠/٥، وقد روى الحاكم في المستدرک ١١٤/٣ تشاؤم عليّ من بيعه طلحه.

٢- . الطبري ١٥٣/٥، وط. أوربا ٣٠٦٨/١.

كانت عائشه فى طريقها إلى مكّه وبمكّه تتفاهل بتسابق الناس إلى بيعه تلك اليد الشلاء وقد كانت تتنسم أخبار المدينة بتلّهف شديد.

وقد روى الطبرى(١) أنّه قدم على أمّ المؤمنين مكّه رجل يقال له: الاخضر، فقالت: ما صنع الناس؟

فقال: قتل عثمان المصرين!

فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أيقتل قوماً جاءوا يطلبون الحقّ وينكرون الظلم! والله لا نرضى بهذا. ثمّ قدم آخر.

فقالت: ما صنع الناس؟

قال: قتل المصريون عثمان!

قالت: العجب لاخضر زعم أنّ المقتول هو القاتل، فكان يضرب المثل، ((اكذب من أخضر)).

وقال البلاذرى:(٢) فلمّا بلغها أمره وهى بمكّه أمرت بقبّتها فضربت فى المسجد الحرام وقالت: إنى أرى عثمان سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر.

وقد روى عن طرق مختلفه(٣) أنّ عائشه لمّا بلغها قتل عثمان وهى بمكّه قالت: أبعدّه الله. ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلام للعبيد، وكانت تقول: أبعدّه الله، قتله ذنبه، وأقاده الله بعمله، يامعشر قريش لايسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه، إنّ أحقّ الناس بهذا الامر ذو الاصبع. ثمّ أقبلت مسرعه إلى المدينة وهى لاتشك فى أنّ طلحه هو صاحب الامر، وكانت تقول: بعداً لنعتل وسحقاً، إيه ذا الاصبع، إيه أبا شبل، إيه ابن عمّ، لله أبوك أما

ص: ١٧٥

١- الطبرى ١٦٦/٥، وط. أوربا ٣٠٩٨/١.

٢- أنساب الاشراف ٩١/٥، وكنز العمال ١٦١/٣ الخلافه والاماره.

٣- كالمدائنى فى كتابه الجمل، وأبو مخنف لوط بن يحيى على روايه ابن أبى الحديد عنهما فى شرحه: ومن كلام له بعد فراغه من حرب الجمل فى ذم النساء: (معاشر الناس، النساء نواقص الايمان) ج ٦ من تجزئه المؤلف ج ٧٦/٢ ط. مصر.

إنهم وجدوا طلحه لها كفوًّا، لكأني أنظر إلى إصبغه وهو يبايع، حثوا الأبل ودعدعوها. (١)

ولما انتهت إلى سرف (٢) في طريقها إلى المدينة لقيها عبيد بن أمّ كلاب (٣) فقالت له: مهيم

قال: قتلوا عثمان (رض) ثم مكثوا ثمانياً.

قالت: ثم صنعوا ماذا؟

قال: أخذها أهل المدينة بالاجماع فجازت بهم الامور إلى خير مجاز؛ اجتمعوا إلى علي بن أبي طالب، فقالت:

والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الامر لصاحبك، ويحك انظر ماتقول!!

قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين، فولوت، فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين! والله لا أعرف بين لابتيتها (٤) أحداً أولى بها منه ولا أحق ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته فلماذا تكرهين ولايته إنتهى.

صاحت أم المؤمنين: ردوني. ردوني. فانصرفت إلى مكّه وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لا طلبنّ بدمه! فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لانت، فلقد كنت تقولين: أقتلوا نعتلاً فقد كفر،

ص: ١٧٦

١- . دعدعوها: حرّكوها.

٢- . سرف على بعد ستّة أميال أو أكثر من مكّه. معجم البلدان.

٣- . هو عبيد بن أبي سلمه الليثي ينسب الى أمه، وقد روى ما دار بينها وبين عبيد كل من الطبرى ١٧٢/٥، وط. أوربا ٣١١١/١-
٣١١٢، وابن الاثير ٨٠/٣، وكنز العمال ١٦١/٣، وابن سعد ٨٨/٤ بترجمه عبيد ابن أمّ كلاب مختصراً. وابن أعثم (٢٤٨/٢-٢٥٠)
ط. حيدر آباد ١٣٨٨ هجرى، ١٩٦٨ م، وجأ اسمه فى الطبرى عبد تحريف.

٤- . لابتيتها مفرد لها لابه، واللابه الحره. وفى الحديث أنّ النبى حرم ما بين لابتى المدينة وهما حرتان يكتنفانها. لسان العرب.
ومهميم كلمه استفهام ومن معانيها: ما وراءك.

قالت:

إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا: وقولي الاخير خير من قولي الاول، فقال لها ابن أم كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت الحجر ففسرت واجتمع إليها الناس، فقالت:

يا أيها الناس إن عثمان قتلَ مظلوماً والله لا طلبن بدمه. وكانت تقول:

يامعشر قريش إن عثمان قد قتل، قتله علي بن أبي طالب، والله لانمله - أو قالت - ليله من عثمان خير من علي الدهر كله. (١)

علي والمتخلفون عن بيعته:

وتخلف عن البيعة عبدالله بن عمر، ومحمد بن مسلمه، وأسامة بن زيد، وحسان بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، فجاء عمّار والاشتر إلى علي فقال

ص: ١٧٧

١- . في روايه البلاذري في الانساب ٩١/٥. وروى أبو مخنف عن قيس بن أبي حازم أنه حج في العام الذي قتل فيه عثمان وكان مع عائشه ثم ذكر قريباً مما مرّ آنفاً، راجع ابن أبي الحديد في شرحه: ومن كلام له بعد فراغه من الجمل، وروى أيضاً أنها لما بلغتها بيعه علي قالت: تعسوا، تعسوا، لا يردون الامر في تيم أبداً.

يا أمير المؤمنين! قد بايعك الناس كافة إلا هؤلاء نفر فلو دعوتهم إلى البيعه كي لا يتخلفوا في ذلك عن المهاجرين والانصار.

فقال: يا عَمَار! لاحاجه لنا في من لا يرغب فينا.

فقال الاشر: إن هؤلاء وإن كانوا سبقوا بعضنا إلى رسول الله غير أن هذا الامر يجب أن يُجمعوا عليه ويرغبوا فيه...

فقال عليّ: يا مالك! إنني أعرف بالناس منك، دع هؤلاء يعملوا برأيهم.

فجاء سعد إلى عليّ وقال: والله يا أمير المؤمنين لا ريب لي في أنك أحقّ الناس بالخلافه وأنتك أمين على الدين والدنيا غير أنه سينازعك على هذا الامر أناس، فلو رغبت في بيعتي لك أعطني سيفاً له لسان، يقول لي: خذ هذا، ودع هذا.

فقال عليّ: أترى أحداً خالف القرآن في القول أو العمل؟ لقد بايعني المهاجرون والانصار على أن أعمل فيهم بكتاب الله وسننه نبيه فإن رغبت بايعت وإلا جلست في دارك فأنتي لست مكرهك عليه. إنتهى. (١)

أما من تخلف من بني أمية فقد ذكروا عن بيعتهم ما قاله اليعقوبي (٢) في تاريخه حيث قال:

إن مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبه حضروا عند عليّ، فقال الوليد - وكان لسان القوم -: يا هذا! إنك قد وترتنا جميعاً؛ أما أنا، فقد قتلت أبي صبراً يوم بدر، وأما سعيد، فقد قتلت أباه يوم بدر، وكان أبوه ثور قريش، وأما مروان فقد شتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمّه إليه، وإننا نبايعك على أن تضع عنّا ما أصبنا وتعفى لنا عمّا في أيدينا وتقتل قتله

ص: ١٧٨

١- كتاب الفتوح لابن أعمش ص ١٦٣.

٢- اليعقوبي ١٧٨/٢، والمسعودي عند ذكره بيعه على، وكتاب الفتوح لابن أعمش ص ٢٥٩/٢-٢٦٠ ط. حيدر آباد، واللفظ لليعقوبي.

وقال:

((أما ما ذكرت من وترى إياكم فالحقّ وتركم، وأما وضعى عنكم عمّا فى أيديكم ممّا كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم، وأما قتلى قتله عثمان فلو لزمى قتلهم اليوم لزمى قتالهم غدًا، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله، وسنّه نبيّه. فمن ضاق الحقّ عليه، فالباطل عليه أضيّق. وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم)).

فقال مروان: ((بل نبايعك، ونقيم معك. فترى ونرى)).

غايّتنا من عرض هذه الحوادث:

لا يهّمنا من عرض هذه الحوادث ما يهّم الكتاب العقائديين - المتكلّمين - من هجوم ودفاع، أو مدح وذمّ، ولا نبحت بحث الفقيه عن حكم قتل الخليفة وقاتله فى الشريعة الاسلاميه. وصواب اجتهاد أمّ المؤمنين أو خطأه، ولسنا بصدد سرد الوقائع التاريخيه لنلّم بها من جميع نواحيها. ليس كلّ ذلك ما يهّمنا، وإنّما يهّمنا من هذا العرض ما يكون سبيلًا ممهدًا لفهم أحاديث أمّ المؤمنين من حيث دراسته شخصيتها كما ذكرنا ذلك غير مرّه، ولذلك فقد تركنا ذكر حوادث لا تتصل بموضوع بحثنا كاللّاتى نقيم فيها على عثمان ممّا لم يكن لأمّ المؤمنين فيها دور مذكور، وأوجزنا ذكر غيرها ممّا لا يتصل ببحثنا إتصالاً مباشراً كواقعه الدار، وبيعه على إلى نظائرها السابقه الذكر أو الاتيه، ممّا ذكرناها لا تتصلها ببعض الابحاث التى نروم بحثها، ولما فيها من مواقف لافراد من أسره أمّ المؤمنين كأخيها محمّد وابن عمّها طلحه، ممّا نريد أن نعرف منها مدى مقدره أمّ المؤمنين السياسيه، وعظم نفوذها فى الناس، وخبرتها بما يؤثّر فى النفوس، وكيف أنّها استطاعت أن تززع كيان خليفتين من الراشدين، فأفتت بقتل خليفه فقتل، وأنّه لولاها لما تعدّى الامر حصره إلى قتله، ولم يجرؤ أحد على إراقه دم الخليفه، وهتك حرمة الخلافه، وكيف انقلبت من مفتيه بقتله إلى طالبه بتأره بعد فشلها فى خطتها المدبّره بتأمير ابن عمّها طلحه، وكيف

استطاعت أن تبرئ القاتل وتجعله مطالباً بئثار القتل ومن أذّب الناس عنه، وكيف استطاعت أن تجمع بين القاتلين والموتورين في جيش واحد، وكيف استطاعت أن تتهم علياً بقتل عثمان وكان أنصح الناس له وأجداهم نفعاً في الدفاع عنه، وكيف استطاعت أن تتور المسلمون على علي مع سوابقه الشهيرة. هذه المقدره السياسيه الفذه في التاريخ امتازت بها أم المؤمنين على غيرها. ولم يُعَنَّ إلى اليوم بدراستها دراسه موضوعيه صحيحه(1) فنسأل الله أن يوفّقنا للسير في هذا الطريق وإكماله.

بواعث حرب الجمل:

إضطرّ طلحه والزبير تحت ضغط الرأي العام أن يقطعوا أملهما في الخلافة، ويبادرا إلى بيعه عليّ قبل غيرهما ليمتد بذلك عليه، ويكون لهما السبب الاوفر في عهده، غير أنه لم يميّز بينهما وبين الآخرين من أفراد المسلمين، فخاب فألهما، وضاع أملهما في عليّ، وكانا يراجعان في ماكانا يبغيان من الحظوه بالامرّه على ما ذكره اليعقوبى(2) في تاريخه وقال:

أتاه طلحه والزبير، فقالا: إنّه قد نالتنا بعد رسول الله جفوه فأشركنا في أمرك، فقال:

((أنتما شريكاي في القوه والاستقامه وعوناى على العجز والاود)).

وروى بعضهم: انه ولى طلحه اليمن والزبير اليمامة والبحرين، فلما دفع إليهما عهديهما، قال له: وصلتك رحم، قال:

ص: ١٨٠

١- . قد أصدر بعض العلماء الباحثين دراسات عن أم المؤمنين غير أنهم استندوا في حل أبحاثهم التاريخيه، ومحاكماتهم الحديثيه الى موضوعات سيف؛ المتهم بالزندقه، فجاءت دراساتهم التي أجهدوا فيها أنفسهم زهاء عشر سنوات - ويا للاسف - مغلوطة من أساسها، وليتهم يراجعون كتاب عبد الله بن سبأ ليطلعوا على زيف أحاديث سيف، ثم يعودوا الى هذه الدراسات من جديد، فيتحفونا بدراسه صحيحه حقه غير مجحفه.

٢- . اليعقوبى ١٧٩/٢-١٨٠، عند ذكره كيفيه بيعه عليّ من تاريخه.

((وإنما وصلتكما بولايه أمور المسلمين)) واستردَّ العهدين منهما، فعتبا من ذلك وقالوا: ((آثرت علينا)) فقال: ((لولا ما ظهر من حرصكما فقد كان لي فيكما رأي)).(١)

وفى الطبرى:(٢) وسأل طلحه والزبير ان يؤمرهما على الكوفه والبصره فقال: ((تكونان عندي فاتجمل بكما فإني وحش لفراقكما)). وقد أورد ابن أبي الحديد فى شرح النهج(٣) تفصيل ما دار بينهما وبين ابن أبى طالب وكيف تلقيا مساواه على بين المسلمين فى العطاء عندما وزع بيت المال على المسلمين فأعطى لكل واحد منهم ثلاثه دنانير سواء المولى والعربى خلافا لما كان عليه الامر فى عهد الخليفه عمر، وما دار من كلام واحتجاج حول ذلك.(٤)

وروى الطبرى(٥) ان طلحه قال: ((مالنا من هذا الامر إلا كلحسه الكلب أنفه)).

بقى طلحه والزبير فى المدينه أربعه أشهر يراقبان علياً من قريب، حتى إذا أيسا منه وبلغهما موقف أم المؤمنين بمكّه عزموا على الخروج من المدينه، فأتيا علياً، فقالا:

إننا نريد العمرة، فائذن لنا فى الخروج، فقال على لبعض أصحابه: ((والله ما أرادا العمرة، ولكنهما أرادا الغدره))(٦) فأذن لهما فى الخروج بعد أن جددا له البيعه فخرجا من المدينه، والتحقا بركب أم المؤمنين عائشه.

كما التحق بركبها بنو أميه، فإنهم كانوا يترصون فى المدينه، فلما بلغهم

ص: ١٨١

١- . كان النبى لا يولى الحريص على الاماره. البخارى ١٥٦/٤ ومسلم ٦/٥.

٢- . الطبرى ١٥٣/٥، ط. أوربا ٣٠٦٩/١، وابن كثير ٢٢٧/٧-٢٢٨.

٣- . شرح النهج ١١ من تقسيم المؤلف. (١٧٠/٢-١٧٣).

٤- . راجع كتاب الفتوح لابن أعم ٢٤٨/٢.

٥- . الطبرى ١٥٣/٥، وط. أوربا ٣٠٦٩/١.

٦- . يعقوبى ١٨٠/٢، وابن أعم ٢٧٥/٢، ط. حيدر آباد ١٣٨٨ هجرى / ١٩٦٨ م بلفظ مختلف.

مجاهره أم المؤمنين بالخلاف على عليّ، غادروا المدينة الى مكّه، والتحق بها أيضاً ولاء عثمان الذين عزلهم عليّ عن الامصار، وهم يحملون معهم من أموال المسلمين ما يحملون.

أخرج الطبري(١) عن الزهري أنّه قال: ثمّ ظهرا - يعني طلحه والزبير - إلى مكّه بعد قتل عثمان بأربعة أشهر، وابن عامر بها يجزّ الدنيا، وقدّم يعلى بن أميّه معه بمال كثير، وزيادة على اربعمائه بعير، فاجتمعوا في بيت عائشه (رض)، فاداروا الرأى، فقالوا: نسير إلى عليّ فنقاتله، فقال بعضهم: ليس لكم طاقه باهل المدينة ولكننا نسير حتّى ندخل البصره والكوفه، ولطلحه بالكوفه شيعه وهوى، وللزبير بالبصره هوى ومعونه. فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصره وإلى الكوفه، فاعطاهم عبدالله بن عامر مالاً كثيراً وإبلاً، فخرجوا في سبعمائه رجل من أهل المدينة والكوفه، ولحقهم الناس حتّى كانوا ثلاثه آلاف رجل.

وفى روايه أخرى للطبري قال:(٢) أعان يعلى بن أميّه الزبير بأربعمائه ألف، وحمل سبعين رجلاً من قريش، وحمل عائشه (رض) على جمل يقال له: عسكر؛ أخذه بثمانين ديناراً.

وقالت أم سلمه لعائشه لما همّت بالخروج:(٣)

يا عائشه! إنك سدّه بين رسول الله (ص) وبين أمته، حجابك مضروب على حرمته، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه، وسكن الله عُقيراك، فلا

ص: ١٨٢

١- . الطبري ١٦٨/٥، وط. أوربا ٣١٠٣/١. ابن عامر هو عبد الله بن عامر ابن خال عثمان وواليه على البصره.

٢- . الطبري ١٦٧/٥، وط. أوربا ٣١٠٢/١، عن عوف بن يعلى كان على اليمن فعزله عليّ.

٣- . ابن طيفور بلاغات النساء ص ٨ وفى نسخه كتبت اليها أم سلمه، وراجع الفائق للمخشرى ٢٩٠/١، والعقد الفريد ٦٩/٣، وشرح النهج ٧٩/٢، وفى روايه اليعقوبى بعض الاختلاف مع ما أوردها.

تصحريها، الله من وراء هذه الأمه، قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد فيك؛ عهد، بل قد نهاك عن الفرطه في البلاد، ما كنت قائله لو أن رسول الله (ص) قد عارضك بأطراف الفلوات ناصه قلو صك قعوداً من منهل إلى منهل؟! إن بعين الله مثواك! وعلى رسول الله (ص) تعرضين، ولو أمرت بدخول الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً هاتكه حجاباً جعله الله علي، فاجعليه سترك، وقاعه البيت قبرك حتى تلقيه وهو عنك راض - وفي روايه بعده (١) - ولو أنني حدثتك بحديث سمعته من رسول الله (ص) لَنَهَشْتِنِي نهش الحيه الرقشاء المطرقه والسلام.

فقال عائشه: يا أم سلمه! ما أقبلني لوعظك، وأعرفني بنصحك ليس الامر كما تقولين، ولنعم المطلع مطلعاً أصلحت فيه بين فئتين متناجزتين. (٢)

وروى الطبري (٣) وقال:

خرج أصحاب الجمل... من مكه وأذن مروان حين فصل من مكه، ثم جاء حتى وقف عليهما فقال: على أيكما أسلم بالامر واذن بالصلاه.

فقال عبدالله بن الزبير: على أبي عبدالله.

وقال محمد بن طلحه: على أبي محمد، فارسلت عائشه (رض) الى مروان

ص: ١٨٣

- ١- هذه الزيادة في روايه العقد الفريد ٣١٦/٤-٣١٧ ط. دار الكتاب العربي وفي الفاظه بعض الاختلاف مع روايه ابن طيفور.
- ٢- ((السد)) الباب ((ولا تندحيه)) لا تفتحيه وتوسعيه ((والعقير)) مصغر: عقر الدار، واصحر: خرج الى الصحراء. أى جعل الله عقر دارك لك سكناً فلا تبرحها ((والنهش)) العض و ((الرقشاء)) الافرعي المنقطه و ((المطرقه)) من صفات الافرعي. وفي المحاسن والمساوي للبيهقي ط. مكتبه نهضه مصر (٤٨١/١): أن ام سلمه حلفت أن لا تكلم عائشه من أجل مسيرها الى حرب علي. فدخلت عليها عائشه يوماً وكلمتها فقالت أم سلمه: ألم أنهك؟ ألم أقل لك؟ قالت: إنني استغفر الله. كلميني، فقالت أم سلمه: يا حائط ألم أنهك؟ ألم أقل لك؟ فلم تكلمها ام سلمه حتى ماتت.
- ٣- راجع الطبري ١٦٨/٥-١٦٩، وط. اوربا ٣١٠٦/١-٣١٠٧، حول النزاع على الصلاه ومكالمه سعيد مع بنى اميه الاتيه.

فقال: ما لك؟ أتريد أن تفرّق أمرنا؟ ليصلّ ابن أختي، فكان يصلّي بهم عبد الله بن الزبير حتّى قدم البصره، فكان معاذ بن عبد الله يقول: والله لو ظفرنا لافتنّا. ما خلّى الزبير بين طلحه والامر ولا خلّى طلحه بين الزبير والامر. (١)

ولقى سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال: أين تذهبون وثاركم على أعجاز الابل؟! أقتلوهم، ثمّ ارجعوا إلى منازلكم. لا تقتلوا أنفسكم، قالوا: بل نسير، فلعلنا نقتل قتله عثمان جميعاً، فخلا سعيد بطلحه والزبير، فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الامر أصدقاني، قالوا: لاحدنا أيّنا اختاره الناس، قال: بل اجعلوه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه، قالوا: ندع شيوخ المهاجرين، ونجعلها لابنائهم، قال: أفلا أراني أسعى لآخرجها من بني عبد مناف، فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن اسيد (٢) فقال المغيرة بن شعبه: من كان ههنا من ثقيف فليرجع. فرجع ومضى القوم معهم أبان ابن عثمان، والوليد بن عثمان، فاختلفوا في الطريق فقالوا: من ندعو لهذا الامر؟ فخلا الزبير بابنه عبد الله، وخلا طلحه بعلقمه ابن وقاص الليثي، وكان يؤثره على ولده، فقال أحدهما: إئت الشام، وقال الآخر: إئت العراق،

ص: ١٨٤

١- . وفي طبقات ابن سعد ٢٣/٥ بترجمه سعيد ولم يذكر قول سعيد: ان ظفرتما لم تجعلان الامر؟ وسعيد هذا، هو ابن العاص بن اميّه، وجدّه المعروف بأبي أحيحة كان من أشرف قريش وأمه أمّ كلثوم بنت عمرو العامريه، قتل عليّ أباه يوم بدر، وكان سعيد من أشرف قريش وفصحائهم، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان واستعمله عثمان على الكوفه بعد الوليد، ولما قتل عثمان اعتزل ولم يشهد الجمل وصفين، وكان معاويه يوليه المدينه اذا عزل عنها مروان ويولي مروان اذا عزله، توفي سنه تسع وخمسين. أسد الغابه ٣٠٩/٢-٣١٠.

٢- . عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن اميّه ابن أخي عتاب بن أسيد، استعمله زياد على بلاد فارس، واستخلفه على الكوفه زياد حين مات فصلى على زياد وأقرّه معاويه على الولايه. أسد الغابه ١٤٩/٣.

وحوار كل منهما صاحبه، ثم اتفقوا على البصره.

وأخرج في روايه الزهرى قبل هذا وقال:

فبلغ علياً مسيرهم فأمر على المدينة سهل بن حنيف الانصارى، فخرج فسار حتى نزل ذا قار، وكان مسيره إليها ثمانى ليالٍ، ومعه جماعه من أهل المدينة.

وروى ابن عبد البر بترجمه طلحه: فى الاستيعاب (١) أن علياً قال فى خطبته حين نهوضه إلى الجمل:

((إن الله عز وجل فرض الجهاد وجعل نصرته وناصره، وما صلحت دنيا ولا دين إلا به، وإني بليت بأربعة: أدهى الناس وأسخاهم طلحه، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس فى الناس عائشه، وأسرع الناس إى فتنه يعلى بن أميه (٢) والله ما أنكروا على شيئاً منكراً، ولا استأثرت بمال ولا ملت بهوى، وإنهم ليطلبون حقاً تركوه، ودماً سفكوه، ولقد ولوه دونى، وان كنت شريكهم فى الانكار لما أنكروه، وما تبعه عثمان إلا- عندهم، وإنهم لهم الفئه الباغيه، بايعونى، ونكثوا بيعتى وما استأنسوا بى حتى يعرفوا جورى من عدلى، وأنى لراض بحجه الله عليهم، وعلمه فيهم، وأنى مع هذا لداعيهم ومعدر إليهم

ص: ١٨٥

١- . ورواه ابن عبد ربّه فى ذكره الجمل من العقد الفريد مع اختلاف فى بعض ألفاظه، والاغانى ١١٩/١١.

٢- . يعلى بن أميه بن أبى عبيده بن همام التميمى الحنظلى. كنيته أبو صفوان أو أبو خالد وهو المعروف بيعلى بن منيه وهى أمه منيه بنت غزوان أخت عتبه بن غزوان وقيل ان منيه هى بنت الحارث بن جابر عمه عتبه، ويّده يعلى أم أبيه، وجدّه الزبير بن العوام أم أبيه. أسلم يوم الفتح وشهد حيننا والطائف وتبوك، واستعمله عمر على بعض اليمن فحمى لنفسه حمى فجلبه عمر فمات قبل أن يصل اليه، فاستعمله عثمان على صنعاء وكان ذا منزله عظيمه عند عثمان ولما بلغه قتل عثمان أقبل لينصره فسقط عن بعيره فى الطريق فانكسرت فخذه فقدم بعد انقضاء الحج واستشرف اليه الناس فقال: من يخرج بدم عثمان فعلى جهازه فأعان الزبير باربعمائه ألف وحمل سبعين من قريش وحمل عائشه على الجمل الذى شهدت القتال عليه ثم شهد الجمل مع عائشه ثم صار من أصحاب على وقتل معه بصفين. أسد الغابه ٥/١٢٩٠١٢٨٠ وترجمته فى الاستيعاب والاصابه.

فإن قبلوا فالتوبه مقبوله، والحقّ أولى ما أنصرف إليه، وإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافياً من باطل وناصرًا، والله إنّ طلحه والزبير وعائشه ليعلمون أنّي على الحقّ وهم مبطلون)).

وروى الطبري(١) أنّه لما بلغ طلحه والزبير منزلاً علىّ بذي قار انصرفوا إلى البصره فأخذوا على المنكدر، فسمعت عائشه (رض) نباح الكلاب فقالت: أيّ ماء هذا؟

فقالوا: الحوآب.

فقالت: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون إنّى لهيه، قد سمعت رسول الله (ص) يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيتكن تنبجها كلاب الحوآب، فأرادت الرجوع، فأتاها عبدالله بن الزبير فرعم أنّه قال: كذب من قال إنّ هذا الحوآب، ولم يزل بها حتّى مضت، فقدموا البصره.

ولمّا انتهت عائشه وطلحه إلى حفر أبي موسى(٢) قريباً من البصره أرسل عثمان بن حنيف(٣) - وهو يؤمئذ عامل علىّ على البصره - إلى القوم أبا الاسود الدؤلى يعلم له علمهم، فجاء حتّى دخل على عائشه، فسألها عن مسيرها.

فقالت: أطلب بدم عثمان.

قال: إنّه ليس بالبصره من قتله عثمان أحد!

قالت: صدقت ولكنهم مع علىّ بن أبي طالب بالمدينه وجئت استهنض أهل البصره لقتاله، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من

ص: ١٨٦

١- . الطبري ١٧٨/٥، وط. أوربا ٣١٢٧/١، وراجع تفصيل الحوآب في: عبد الله بن سبأ ص ١٠٠-١٠٣.

٢- . الامامه والسياسه ٥٧/١ وابن أبي الحديد ٨٠/٢-٨١.

٣- . عثمان بن حنيف بن واهب بن الحكيم الانصارى الاويسى أبو عمرو أو أبو عبد الله. شهد أحداً وما بعدها. استعمله عمر على مساحه العراق واستعمله علىّ على البصره فبقى عليها الى أن قدمها طلحه والزبير وعائشه وسكن عثمان بعدها الكوفه وكان حياً الى زمان معاويه. أسد الغابه ٣٧١/٣.

سيوفكم؟ فقال لها: ما أنت من السوط والسيف؟ إنما أنت حبيسه رسول الله (ص) أمرك أن تقرى في بيتك، وتتلى كتاب ربيك، وليس على النساء قتال، ولا لهنّ الطلب بالدماء، وإنّ علياً لاولى منك وأمسّ رحماً، فإنهما ابنا عبدمناف. فقالت: لست بمنصرفه حتى أمضى لما قدمت إليه، أفتظنّ أبا الاسود! أنّ أحداً يقدم على قتالي؟ قال: أما والله لتقاتلنّ قتالاً أهونه الشديد. ثمّ قام فأتى الزبير، فقال: يا أبا عبدالله عهد الناس بك وانت يوم بويج أبو بكر آخذ بقائم سيفك، تقول: لا أحد أولى بهذا الامر من ابن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك؟ فذكر له دم عثمان، قال: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا. قال: فانطلق إلى طلحه فاسمع مايقول فذهب إلى طلحه، فوجده سادراً في غيّه مصرّاً على الحرب والفتنه... الحديث.

وروى عن أبي الاسود قال: بعثني وعمران بن حصين(1) عثمان بن حنيف إلى عائشه، فقلنا: يا أمّ المؤمنين اخبرينا عن مسيرك هذا، أعهدتّ عهده رسول الله (ص) ام رأى رأيته، قالت: بل رأى رأيته حين قتل عثمان إنّنا نقمنا عليه ضربه السوط، وموقع المسحاح المحماه، وامره سعيد والوليد، فعدوتم عليه، فاستحللتم منه الحرم الثلاث حرمه البلد وحرمه الخلافه وحرمه الشهر الحرام، بعد ان مصناه كما يماص الاناء فاستبقيناها. فركبتم منه هذه ظالمين، وغضبنا لكم من سوط عثمان، ولا نغضب لعثمان من سيفكم.

قلت: ((ما أنت وسيفنا وسوط عثمان وأنت حبيس رسول الله (ص)، أمرك أن تقرى في بيتك، فجئت تضربين الناس بعضهم ببعض!!)).

قالت: ((وهل أحد يقاتلني، أو يقول غير هذا))؟

قلت: ((نعم)).

ص: ١٨٧

١- . عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي أسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله (ص) بعدها بعثه عمر معلماً للبصره، ولما ولي ابن عامر استقضاه فأقام قاضياً يسيراً، ثمّ استعفى وكان به استسقاء فتقب له سرير، فبقي عليه ثلاثين سنه، وتوفى بالبصره سنه اثنتين وخمسين. أسد الغابه ١٣٧/٤-١٣٨.

قالت: من يفعل ذلك أزنيم بنى عامر... الحديث.(١)

وقال ابن قتيبه:

لَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْبَصْرَةِ، خَرَجَ إِلَيْهِمْ عَثْمَانُ بْنُ حَنْيْفٍ عَامِلٌ عَلَيَّ عَلَيْهَا، وَتَقَابَلُوا فِي الْمَرْبَدِ؛ فَخَطَبَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ:

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَثْمَانَ كَانَ قَدْ غَيَّرَ وَبَدَّلَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَغْسِلُ ذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ حَتَّى قَتَلَ مَظْلُومًا تَائِبًا، وَإِنَّمَا نَقَمُوا عَلَيْهِ ضَرْبَهُ بِالسُّوْطِ، وَتَأْمِيرَهُ الشَّبَانَ، وَحِمَايَتَهُ مَوْضِعَ الْغَمَامَةِ، فَقَتَلُوهُ مُحْرَمًا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَحَرَمَهُ الْبَلَدَ ذَبْحًا كَمَا يَذْبَحُ الْجَمَلُ، أَلَا وَإِنَّ قَرِيشًا رَمَتْ غَرَضَهَا بِنِبَالِهَا، وَأَدَمَتْ أَفْوَاهَهَا بِأَيْدِيهَا، وَمَا نَالَتْ بِقَتْلِهَا إِيَّاهُ شَيْئًا، وَلَا سَلَكْتَ بِهِ سَبِيلًا قَاصِدًا. أَمَا وَاللَّهِ لَيُرَوْنَهَا بِلَايَا عَقِيمِهِ، تَتَّبِعُهُ النَّائِمُ وَتَقِيمُ الْجَالِسِ، وَلَيْسَلَطَنَّ عَلَيْهِمْ قَوْمٌ لَا يَرْحَمُونَهُمْ يَسُومُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ.

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهُ مَا بَلَغَ مِنْ ذَنْبِ عَثْمَانَ مَا يَسْتَحِلُّ دَمَهُ، مَصْتَمُوهُ كَمَا يَمَاصُ الثَّوْبُ الرَّحِيضَ، ثُمَّ عَدَوْتُمْ عَلَيْهِ، فَقَتَلْتُمُوهُ بَعْدَ تَوْبَتِهِ وَخُرُوجِهِ مِنْ ذَنْبِهِ وَبَايَعْتُمْ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ مِنْ غَيْرِ مَشُورِهِ مِنَ الْجَمَاعَةِ: ابْتِرَازًا وَغَضَبًا. تَرَوْنِي أَغْضِبُ لَكُمْ مِنْ سُوْطِ عَثْمَانَ وَلِسَانِهِ وَلَا أَغْضِبُ لِعَثْمَانَ مِنْ سِيُوفِكُمْ؟

أَلَا- إِنَّ عَثْمَانَ قَتَلَ مَظْلُومًا فَاطْلَبُوا قَتْلَهُ؛ فَإِذَا ظَفَرْتُمْ بِهِمْ فَاقْتَلُوهُمْ، ثُمَّ اجْعَلُوا الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ الرَّهْطِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرًا، وَلَا يَدْخُلُ فِيهِمْ مِنْ شَرِكٍ فِي دَمِ عَثْمَانَ.(٢)

ص: ١٨٨

١- . بلاغات النساء ص ٩، وراجع العقد الفريد ٩٨/٣. والبيان والتبيين للجاحظ، ط. السندوبي ٢٠٩/٢-٢١٠. المسحاه المحماه: موضع لسرف كان عثمان قد حماه لخيله وخيل بين أميه وكان عمر قد حماه لخييل المسلمين، و الموص: الغسل اللين والدلك باليد.

٢- . الامامه والسياسه ٦٠/١، وابن أبي الحديد ٤٩٩/٢. والمريد: كان به سوق للابل قديماً، ثم سكنها الناس، وأصبحت محله عظيمه يجتمع فيها الادباء ويتبارون فيها. و ((الموص)):: الغسل اللين والدلك باليد. و ((الرحيض)):: المغسول.

وفى روايه الزهرى(١) قام طلحه والزبير خطيبين، فقالا: يا أهل البصره؛ توبه بحوبه، إننا أردنا أن يستعتب أمير المؤمنين عثمان، ولم نرد قتله، فغلب سفهاء الناس الحلما حتى قتلوه، فقال الناس لطلحه: يا أبا محمد: قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا، فقال الزبير: فهل جاءكم منى كتاب فى شأنه؟

ثم ذكر قتل عثمان (رض) وما أتى إليه وأظهر عيب على، فقام إليه رجل من عبد القيس، فقال: أيها الرجل أنصت حتى نتكلم فقال عبدالله بن الزبير: ومالك والكلام.

فقال العبدى: يامعشر المهاجرين! أنتم أول من أجاب رسول الله (ص) فكان لكم بذلك فضل، ثم دخل الناس فى الاسلام كما دخلتم، فلما توفى رسول الله (ص) بايعتم رجلاً منكم، والله ما استأمرتمونا فى شىء من ذلك، فرضينا واتبعناكم، فجعل الله عز وجل للمسلمين فى إمارته بركه، ثم مات (رض)، واستخلف عليكم رجلاً منكم، فلم تشاورونا فى ذلك، فرضينا وسلمنا، فلما توفى الامير جعل الامر إلى سته نفر، فاخترتم عثمان، وبايعتموه عن غير مشوره منا، ثم أنكرتم من ذلك الرجل شيئاً فقتلتموه عن غير مشوره منا، ثم بايعتم علينا عن غير مشوره منا، فما الذى نقتم عليه فنقاتله؟ هل استأثر بفىء أو عمل بغير الحق أو عمل شيئاً تنكرونه فنكون معكم عليه وإلا فما هذا؟ فهموا بقتل ذلك الرجل، فقام من دونه عشيرته، فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه، فقتلوا سبعين رجلاً.

وأخرج الطبرى(٢) عن نصر بن مزاحم: قال: وأقبل جاريه بن قدامه السعدى،(٣) فقال: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان بن عفان أهون من

ص: ١٨٩

١- . الطبرى ١٧٨/٥، وط. أوربا ٣١٢٧/١-٣١٢٨.

٢- . الطبرى ١٧٦/٥، وط. أوربا ٣١٢٠/١-٣١٢١.

٣- . جاريه بن قدامه بن مالك بن زهير التميمى السعدى، اختلفوا فى ادراكه النبى، شهد حروب على، وهو الذى حصر عبد الله بن الحضرمى بالبصره وحرق عليه الدار بالبصره لما أرسله معاويه اليها. أسد الغابه ٢٤٣/١.

خروجك على هذا الجمل الملعون عرضه للسلح؛ إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سترك وأبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك؛ إن كنت أتينا طائعه فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتينا مستكرهه فاستعيني بالناس، قال: فخرج غلامٌ شابٌ من بني سعد إلى طلحه والزبير فقال: أما أنت يا زبير! فحواري رسول الله (ص) وأما أنت يا طلحه: فوقيت رسول الله (ص) بيدك وأرى أمكما معكما، فهل جئتما بنسائكما قالا: لا، قال: فما أنا منكما في شيء. واعتزل، وقال السعدي في ذلك:

صنتم حلائلكم وقُدمتُم أممكم

وأقبل غلامٌ من جهينه على محمد بن طلحه، وكان محمّداً رجلاً عابداً، فقال: أخبرني عن قتله عثمان، فقال: نعم، دم عثمان ثلاثه أثلاث ثلث علي صاحبه الهودج - يعني عائشه - وثلث علي صاحب الجمل الأحمر - يعني طلحه - وثلث علي علي بن أبي طالب، فضحك الغلام وقال: لا أراني علي ضلال، ولحق بعلي وقال:

سألت ابن طلحه عن هالك

وقال الطبري: (١) فقدموا البصره وعليها عثمان بن حنيف، فقال لهم عثمان: ما نتمتم علي صاحبكم؟ فقالوا: لم نره أولى بها منّا وقد صنع ما صنع.

ص: ١٩٠

١- . الطبري ١٧٨/٥، وط. أوربا ٣١٢٧/١.

قال: فإنَّ الرَّجُلَ أَمْرُنِي فَأَكْتُبُ إِلَيْهِ فَأَعْلِمُهُ مَا جِئْتُمْ لَهُ عَلَيَّ أَنْ أَصَلِّيَ بِالنَّاسِ حَتَّى يَأْتِينَا كِتَابُهُ؛ فَوَقَفُوا عَلَيْهِ، وَكُتِبَ فَلَمْ يَلْبِثْ إِلَّا يَوْمَيْنِ حَتَّى وَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَاتَلُوهُ بِالزَّبَاقِ عِنْدَ مَدِينَةِ الرَّزْقِ فَظَهَرُوا، وَأَخَذُوا عَثْمَانَ فَأَرَادُوا قَتْلَهُ، ثُمَّ خَشُوا غَضَبَ الْإِنصَارِ فَنَالُوهُ فِي شَعْرِهِ وَجَسَدِهِ...

وذكر اليعقوبي في تاريخه والمسعودي في مروجہ وابن عبد البرّ بترجمه حكيم ابن جبلة من الاستيعاب - واللفظ للاخير :-

إنَّ عَثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ لَمَّا كُتِبَ الْكِتَابُ (١) بِالصَّلْحِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الزَّبِيرِ وَطَلْحَةَ وَعَائِشَةَ عَلَيَّ أَنْ يَكْفُوا عَنِ الْحَرْبِ وَيَبْقَى هُوَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ خَلِيفَةً لِعَلِيِّ عَلَيَّ حَالَهُ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيَّ (رض) فَيُرُونَ رَأْيَهُمْ، قَالَ عَثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ لِأَصْحَابِهِ: إِرْجِعُوا وَضَعُوا سِلَاحَكُمْ. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ فِي لَيْلِهِ ذَاتَ رِيحٍ، وَبُرْدٌ شَدِيدٍ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ عَسْكَرِهِمْ، فَطَرَقُوا عَثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَأَخَذُوهُ، ثُمَّ انْتَهَوْا بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، فَوَجَدُوا نَاسًا مِنَ الرِّطِّ يَحْرَسُونَهُ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا.

وقال المسعودي: قتل منهم سبعون رجلاً غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت أعناقهم صبراً من بعد الاسر.

وفي الطبري (٢) والاستيعاب - واللفظ للطبري: إنَّهم لَمَّا أَخَذُوا عَثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ أَرْسَلُوا أَبَانَ بْنَ عَثْمَانَ إِلَى عَائِشَةَ يَسْتَشِيرُونَهَا فِي أَمْرِهِ.

قالت: أُقْتَلُوهُ.

قالت امرأه: نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله (ص).

قالت: ردّوا أبانا، فردّوه.

ص: ١٩١

١- . وفي العقد الفريد: ثمَّ اصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً ان يكفوا عن القتال حتّى يقدم على ابن أبي طالب، ولعثمان بن حنيف دار الاماره والمسجد الجامع وبيت المال فكفوا.

٢- . الطبري ١٧٨/٥، وط. أوربا ٣١٢٦/١.

فقال: إحبسوه ولا تقتلوه.

قال: لو علمت أنّك تدعيني لهذه لم أرجع.

فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطاً، وبتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه.

وقال الطبرى: (١) ولما كانت الليله التي أخذ فيها عثمان بن حنيف وفي رحبه مدينه الرزق طعام يرتزقه الناس، فأراد عبد الله أن يرتزقه أصحابه. وبلغ حكيم ابن جبلة (٢) ما صيغ بعثمان بن حنيف، فقال: لست أخاف الله ان لم أنصره، فجاء في جماعه من عبدالقيس وبكر ابن وائل؛ وأكثرهم من عبدالقيس، فأتى ابن الزبير بمدينه الرزق، فقال: مالك يا حكيم قال: نريد أن نرتزق من هذا الطعام، وأن تخلوا عثمان فيقيم في دار الاماره على ما كتبتم بينكم حتى يقدم عليّ، والله لو أجد أعواناً عليكم أخطبكم بهم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم، ولقد أصبحتم وأنّ دماءكم لنا حلال بمن قتلتم من إخواننا؛ أما تخافون الله عز وجل؟! بما تستحلون سفك الدماء! قال: بدم عثمان بن عفان (رض) قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان؟! أما تخافون مقت الله؟ فقال له عبد الله بن الزبير: لا نرزقكم من هذا الطعام، ولا نخلى سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع علينا!!

قال حكيم: اللهم إنك حكم عدل فاشهد، وقال لأصحابه: إني لست في شك من قتال هؤلاء، فمن كان في شك فليصرف، وقتلهم فاقتتلوا قتالا شديداً، وضرب رجل ساق حكيم فقطعها، فأخذ حكيم ساقه فرماه بها، فأصاب عنقه فصرعه وقذه ثم حبا إليه فقتله واتكأ عليه، فمرّ به رجل فقال

ص: ١٩٢

١- . الطبرى ١٨٢/٥، وط. أوربا ٣١٣٥/١، وراجع ترجمه جبله من الاستيعاب.

٢- . حكيم بن جبله بن حصين بن أسود العبدى، قيل إنه أدرك النبى وكان رجلاً صالحاً له دين، مطاعاً في قومه، وهو الذى بعثه عثمان الى السند. وكان حكيم ممن يعيب على عثمان من أجل عبد الله بن عامر وغيره من عماله. وتأتى حكاية قتله فى ما بعد. الاستيعاب ص ١٢١، الترجمة رقم ٤٩٨، وأسد الغابه ٢/٤٠.

من قتلک قال: وسادتی، وقُتِلَ سبعون رجلاً من عبدالقیس.

وقال الطبری (١) لَمَّا قتل حکیم بن جبَلَه أرادوا أن یقتلوا عثمان بن حنیف؛ فقال: ماشئتم. أما إن سهل بن (٢) حنیف وال علی المدینة، وإن قتلتمونی انتصر؛ فخلّوا سبیله واختلفوا فی الصلاة...) الحدیث.

وقال الیعقوبی: (٣) وانتهبوا بیت المال، وأخذوا ما فیہ؛ فلَمَّا حضر وقت الصلاة، تنازع طلحه والزبیر، وجذب کلُّ منهما صاحبه، حتّی فات وقت الصلاة، وصاح الناس: الصلاة، الصلاة، یا أصحاب محمّد! فقالت عائشه: یصلّی محمّد بن طلحه یوماً وعبداللّٰه ابن الزبیر یوماً.

وفی الطبقات: (٤) تدافع طلحه والزبیر حتّی کادت الصلاة تفوت، ثمّ اصطلحا علی أن یصلّی عبداللّٰه بن الزبیر صلاةً، ومحمّد بن طلحه صلاةً فذهب ابن الزبیر یتقدّم، فأخّره محمّد بن طلحه، وذهب محمّد بن طلحه یتقدّم فأخّره عبداللّٰه بن الزبیر عن أوّل صلاة فافترا فقرعه محمّد بن طلحه فتقدّم فقراً: سأل سائل بعذاب واقع.

وفی الاغانی: وقال شاعرهم فی ذلك: (٥)

تباری الغلامان اذ صلّیا

ص: ١٩٣

- ١- . الطبری ١٨١/٥، وط. أوربا ٣١٣٥/١.
- ٢- . سهل بن حنیف بن واهب بن الحکیم الاویسی. شهد بدرًا وما بعدها، وثبت یوم وأحد مع رسول اللّٰه حین انهزمت الصحابه عنه. استخلفه علی علی المدینة عندما توجه الی البصره، وشهد صفین مع علیّ وولّاه بلاد فارس فأخرجه أهلها فاستعمل علیهم زیاد بن أبیه، ومات سهل بالكوفه سنه ثمان وثلاثین وصلّی علیہ علیّ وکبر علیہ ستاً وقال انه بدری. أسد الغابه ٣٦٤/٢-٣٦٥.
- ٣- . الیعقوبی فی ذکره حرب الجمل من تاریخه.
- ٤- . فی الطبقات ٣٩/٥ بترجمه محمد بن طلحه وفیه أن طلحه والزبیر ختما بیت المال جمیعاً.
- ٥- . الاغانی ١٢٠/١١ عن أبی مخنف و ذکر المسعودی فی مروج الذهب أيضاً تشاحهما علی الصلاة.

فأمّهما اليوم غرّتهما ويعلى بن منيه دلاهما

وأخرج الطبري (١) عن جون بن قتاده: قال:

كنت مع الزبير (رض) فجاء فارس يسير، وكانوا يسلمون على الزبير بالامرء.

فقال: السلام عليك أيها الأمير.

قال: وعليك السلام.

قال: هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا، فلم أر قوماً أرث سلاحاً ولا أقلّ عدداً ولا أرفع قلباً من قوم أتوك، ثم انصرف عنه، قال ثم جاء فارس فقال: السلام عليك أيها الأمير.

فقال: وعليك السلام.

قال: جاء القوم حتى أتوا مكان كذا وكذا، فسمعوا بما جمع الله عز وجلّ لكم العدد والعدّة والحدّ فقذف الله في قلوبهم الرعب فولّوا مدبرين.

قال الزبير: إيها عنك الان فوالله لو لم يجد ابن أبي طالب إلا العرفج لدبّ إلينا فيه.

ثم انصرف، ثم جاء فارس، وقد كادت الخيول أن تخرج من الريح. (٢)

فقال: السلام عليك أيها الأمير.

قال: وعليك السلام.

قال: هؤلاء القوم قد أتوك فلقيت عمّاراً فقلت له، وقال لي.

فقال الزبير: إنه ليس فيهم.

فقال: بلى والله إنه لفيهم.

قال: والله ما جعله الله فيهم.

فقال: والله لقد جعله الله فيهم.

١- . الطبرى ٢٠٥/٥، وط. أوربا ٣١٨٧/١-٣١٨٨.

٢- . العرفج: ضرب من النبات سريع الانقياد، والرهج: الغبار.

قال: واللّٰه ما جعله اللّٰه فيهم. فلمّا رأى الرجل يخالفه، قال لبعض أهله: إركب فانظر أحمقٌ ما يقول؟ فركب معه، فانطلقا وأنا أنظر إليهما حتّى وقفا في جانب الخيل قليلاً، ثم رجعا إلينا، فقال الزبير لصاحبه: ما عندك؟

قال: صدق الرجل.

قال الزبير: يا جدع أنفاه أو يا قطع ظهراه!

ثمّ أخذه افكلاً (١) فجعل السلاح ينتفض، فقال جون: ثكلتني أمي، هذا المذى كنت أريد أن أموت معه أو أعيش معه، واللّٰه نفسى بيده، ما أخذ هذا ما أرى إلّا لشىء قد سمعه أو رآه من رسول اللّٰه (ص).

وأخرج الطبرى (٢) عن علقمه بن الوقاص اللّٰثى (٣) قال:

لمّا خرج طلحه والزبير وعائشه (رض) رأيت طلحه وأحبّ المجالس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره، فقلت: يا أبا محمّد! أرى أحبّ المجالس إليك أخلاها، وأنت ضارب بلحيتك على زورك؛ إن كرهت شيئاً فاجلس، قال: فقال لى: يا علقمه بن وقاص بينا نحن يد واحده على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً. إنّه كان منى فى عثمان شىء لیس توبتى إلّا أن يسفك دمی فى طلب دمه.

وأخرج الطبرى (٤) عن عوف الاعرابى، قال: جاء رجل إلى طلحه والزبير وهما فى المسجد بالبصره، قال: نشدتكما باللّٰه فى مسيركما أعهد إليكما فيه رسول اللّٰه (ص) شيئاً؟ فقام طلحه ولم يجبه فناشد الزبير، فقال: لا ولكن بلغنا أنّ عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها.

ص: ١٩٥

١- . الافكّل: رِعه تعلق الانسان.

٢- . الطبرى ١٨٣/٥، وط. أوربا ٣١٣٧/١، والمستدرک ١١٨/٣ بتفصيل أوفى، وفى ص ٣٧٢ أيضاً.

٣- . علقمه بن وقاص اللّٰثى ولد على عهد رسول اللّٰه وشهد الخندق وتوفى أيام عبد الملك بن مروان بالمدينه. اسد الغابه ١٥/٤.

٤- . الطبرى ١٨٣/٥، وط. أوربا ٣١٣٦-٣١٣٧.

وأخرج بعده عن أبي عمره مولى الزبير، قال: لَمَّا بايع أهل البصره الزبير وطلحه، قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى عليّ فأما بيته وإمّا صبّحتَه لعلّي أقتله قبل أن يصل إلينا، فلم يجبه أحد، فقال: إنّ هذه لهي الفتنة التي كُنّا نحدّث عنها، فقال له مولاه: أتسمّيها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك إنّنا نبصّر ولا نبصّر؛ ما كان أمر قط إلاّ علمت موضع قدمي في غير هذا الامر فإنّي لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر.

وأخرج الطبري (1) عن مجالد بن سعيد قال: لَمَّا قدمت عائشه (رض) البصره، كتبت إلى زيد بن صوحان (2).

من عائشه ابنه أبي بكر أمّ المؤمنين حبيبه رسول الله (ص) إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أمّا بعد. فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم، وانصرنا على أمرنا هذا، فان لم تفعل، فخذل عن عليّ.

فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشه ابنه أبي بكر الصديق (رض) حبيبه رسول الله (ص) أمّا بعد. فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت هذا الامر ورجعت إلى بيتك، وإلاّ فأنا أول من نابذك.

قال زيد بن صوحان: رحم الله أمّ المؤمنين أمّرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل، فتركت ما أمّرت به، وأمّرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتتنا عنه.

ص: ١٩٦

١- . الطبري، ط. أوروبا ٣١٣٨/١، وفي شرح النهج ٨١/٢، وفي العقد الفريد مع اختلاف في الفاظه، وفي جمهره رسائل العرب ج ٣٧٩/١، أخرج كتاب أمّ المؤمنين وجواب زيد إليها أيضاً.

٢- . زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث الربعي العبدى، يكنى أبا سلمان أو سليمان، أدرك النبيّ وصحبه، وكان فاضلاً ديناً سيداً في قومه، هو وإخوته صعصعه وسيحان أبناء صوحان، روى أنّ النبيّ (ص) كان في مسير له، اذ هوّم فجعل يقول: زيد ومازيد. وجندب وماجندب فسئل عن ذلك فقال: رجلان من أمتي، أمّا أحدهما فتسبّقه يده إلى الجنة ثمّ يتبعها سائر جسده، وأمّا الآخر فيضرب ضربه تفرق بين الحق والباطل. فكان زيد بن صوحان قطعت يده يوم جلولاء، وقتل هو يوم الجمل. وأمّا جندب فهو الذي قتل الساحر. أسد الغابه ٢٣٣/٢-٢٣٤.

ذكر أبو مخنف (١) وقال: لما نزل عليُّ ذا قار (٢) كتبت عائشه إلى حفصه بنت عمر:

أما بعد. فإني أُخبرك أنّ عليّاً قد نزل ذا قار، وأقام به مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدّتنا وجماعتنا، فهو بمنزله الاشفر إن تقدّم عُقر، وأن تأخّر نُحر، فدعت حفصه جوراً لها يتغنين ويضربن بالدفوف، فأمرتهنّ أن يقلن في غنائهن:

ما الخبر؟ ما الخبر؟ عليّ في السفر! كالفرس الاشفر، إن تقدّم عُقر، وإن تأخّر نُحر.

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصه، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء، فبلغ أمّ كلثوم بنت عليّ فلبست جلابيبها، ودخلت عليهنّ في نسوة متنكرات، ثمّ أسفرت عن وجهها؛ فلما عرفتها حفصه خجلت واسترجعت، فقالت أمّ كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم لقد تظاهرتما عليّ أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل (٣).

فقالت حفصه: كفى، رحمك الله! وأمرت بالكتاب فمزّق واستغفرت الله.

وأخرج الطبري (٤) أن محمّداً بن الحنفية قال: قدم عثمان بن حنيف على عليّ بالربذه وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه فقال: يا أمير المؤمنين بعثني ذا لحيه وجتتك أمرد. قال:

((أصبت أجراً وخيراً، إنّ الناس وليهم قبلي رجلاًن فعملاً بالكتاب، ثمّ نكثا بيعتي وألبا الناس عليّ، ومن العجب انقيادهما لابي

ص: ١٩٧

- ١- راجع ابن أبي الحديد ط. إيران ١٥٧/٢ في شرحه ومن كتاب له الى أهل الكوفه عند مسيره من المدينه الى البصره.
- ٢- ذو قار: ماء قريب من الكوفه على طريق واسط وبه سميت الوقعه الشهيره بين العرب والفرس وانتصر فيها العرب.
- ٣- تشير امّ كلثوم الى نزول سوره التحريم في شأنها مع الرسول ومن ضمنها الايه: ((وان تظاهرا عليه...)).
- ٤- الطبري ١٨٦/٥.

بكر وعمر (رض) وخلافهما عليّ واللّه إنّهما ليعلمان أنّي لست بدون رجل ممّن قد مضى، اللّهمّ فاحللّ ماعقدا، ولا تُبرم ماقد أحكما في أنفسهما وأرهما المساء فيما قد عملا)).

وأخرج (١) عن ابن أبي ليلى.

قال: كتب عليّ إلى أهل الكوفة:

بسم الله الرحمن الرحيم، أمّيا بعد فيّ اخترتكم والنزول بين أظهركم لما أعرف من موذتكم وحبكم لله عزّ وجلّ ولرسوله (ص)؛ فمن جاءني ونصرني فقد أجاب الحقّ وقضى الذي عليه.

وعن أبي الطفيل (٢) قال: قال عليّ: يأتكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل، فقعدت على نجفه ذى قار، فأحصيتهم فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً.

وروى الطبري (٣) وقال: وبلغ الخبر عليّاً ((يعنى خبر السبعين الذين قتلوا مع العبدى - بالبصره فأقبل - يعنى عليّاً - فى اثنى عشر ألفاً فقدم البصره وجعل يقول:

يا لهف نفسى على ربيعه ربيعه السامعه المطيعه

سنتها كانت بها الوقيعه

وفى تذكره سبط ابن الجوزى فى ذكر حرب الجمل: (٤)

ثمّ إنّ عليّاً قارب البصره كتب إلى طلحه والزبير وعائشه ومن معهم كتاباً لتركيب الحجّه عليهم:

بسم اللّهمّ الرحمن الرحيم. من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى طلحه والزبير وعائشه سلامّ عليكم! أمّيا بعد يا طلحه والزبير! قد علمتما

ص: ١٩٨

١- . الطبرى ١٨٤/٥، وط. أوربا ٣١٣٩/١.

٢- . الطبرى ١٩٩/٥، وط. أوربا ٣١٧٣-٣١٧٤.

٣- . الطبرى ٢٠٤/٥، وط. أوربا ٣١٨٤-٣٤٨٥.

٤- . تذكره الخواص، الباب ٤، فى ذكر خلافته (ع)، ص ٦٩.

أنتى لم أرد البيعه حتى أكرهتُ عليها، وأنتما ممن رضى ببيعتى، فإن كنتما بايعتما طائعين فتوبا إلى الله تعالى، وارجعا عما أنتما عليه، وإن كنتما بايعتما مكرهين، فقد جعلتما لى السبيل عليكما بإظهاركما الطاعة وكتمانكما المعصية. وأنت يا طلحه! يا شيخ المهاجرين! وأنت يا زبير! يا فارس قريش! ودفعكما هذا الامر قبل أن تدخلوا فيه فكان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما؛ وأنت يا عائشه! فإنك خرجت من بيتك عاصيه لله ولرسوله تطلين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أن تريدين الاصلاح بين المسلمين فخبيريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال والوقوع بين أهل القبلة، وسفك الدماء المحترمه؟! ثم إنك طلبت على زعمك دم عثمان، وما أنت وذاك وعثمان رجل من بنى أمية وأنت من تيم؟! ثم أنت بالامس تقولين فى ملا من أصحاب رسول الله: اقتلوا نعثلاً- فقد كفر، ثم تطلين اليوم بدمه! فأتقى الله وارجعى إلى بيتك، واسبلى عليك سترك والسلام.

فما أجابوه بشيء.

وفى روايه أخرى (1) فأجابت:

((يا ابن أبى طالب! جلّ الامر عن العتاب، ولن ندخل فى طاعتك أبداً فاقض ما أنت قاض والسلام)).

وفى تاريخ ابن أعثم: أن طلحه والزبير لم يكتبا إليه ولكنهما أجاباه ((إنك سرت مسيراً له ما بعده، ولست راجعاً وفى نفسك منه حاجه، فامض لامرك.

أما أنت فلست راضياً دون دخولنا فى طاعتك، ولسنا بداخلين فيها أبداً فاقض ما أنت قاض)).

وقد روى المؤرخ الواسع الاطلاع بأخبار العراق - أبو مخنف لوط بن يحيى

ص: ١٩٩

١- الامامه والسياسه ٥٥/١ و ٦٢، وجمهره رسائل العرب ٣٧٩/١، وكتاب الفتوح لابن أعثم ٣٠١/٢-٣٠٢ ط. حيدر آباد.

فى كتابه... ((الجمال)) (١) تفصيلاً وافياً عن ورود عائشه وطلحه والزبير البصره حيث قال: إنَّ الزبير وطلحه أَعَدَّا السَّير بعائشه حتَّى انتهوا إلى حفر أبى موسى الاشعريّ (٢) وهو قريب من البصره، وكتبا إلى عثمان بن حنيف الانصارى وهو عامل على البصره أن اخل لنا دار الاماره، فلمَّا وصل كتابهما إليه بعث إلى الاحنف بن قيس (٣) فقال له: إن هؤلاء القوم قدموا علينا، ومعهم زوجه رسول الله، والناس إليها سراع كما ترى.

ص: ٢٠٠

١- . أخرجه ابن أبى الحديد فى شرحه خطبته عليه السلام: ((فخرجوا يجرون حرمه رسول الله)) فى الجزء التاسع من تجزئه المؤلف. (٤٩٧/٢-٥٠١). وأبو مخنف هو لوط بن يحيى بن مخنف بن سليمان الأزدي كان جدّه مخنف من أصحاب عليّ، وكان أبو مخنف راوياً اخبارياً صاحب تصانيف وقد عدّ النديم لابي مخنف فى فهرسه ص ١٣٦-١٣٧: ثلاثه وثلاثين مؤلفاً منها: ((كتاب الجمال)). الذى ينقل منه ابن أبى الحديد ما يرويه عن أبى مخنف فى حرب الجمال. قال النديم فى ترجمته ((قالت العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره. والمدائنى بأمر خراسان والهند وفارس. والواقدى بالحجاز والسيره وقد اشتركوا فى فتوح الشام)). توفى أبو مخنف سنه سبع وخمسين ومائه. فوات الوفيات ٢٨٨/٢.

٢- . أَعَدَّ السَّير: أسرع، و حفر بفتحتين من معانيها: البئر إذا وسعت فوق قدرها. ويقال لها حفير أيضاً والاحفار المعروفه فى بلاد العرب ثلاثه. منها حفر أبى موسى وهو مياه عذبه على جاده البصره الى مكه حفره أبو موسى الاشعري. بينه وبين البصره خمس ليال. معجم البلدان.

٣- . أبو بحر الضحّاك وقيل: صخر بن قيس بن معاويه بن حصين المعروف بالاحنف التميمى السعدى. وأمّه امرأه من باهله. وسمّى الاحنف لحنف رجله فانه كان يطاءً على وحشيها - أى ظهرها - أسلم فى عهد النبىّ ولم يره وكان سيّد قومه موصوفاً بالعقل والدهاء والعلم والحلم. شهد بعض الفتوح فى زمن عمر وعثمان، واعتزل الجمال وشهد صفين مع على. ولما بايع معاويه ليزيد تلکم الناس فى مدحه، فقال له معاويه ((ما بالك لا تقول يا أبا بحر؟)) فقال: ((أخاف الله ان كذبت. وأخافکم ان صدقت)). وخرج مع مصعب بن الزبير الى الكوفه ومات بها سنه سبع وستين - على الاشهر - عن ثمانين سنه ودفن عند قبر زياد ((بالثويه)) والثويه - بالضم والفتح - كان موضعاً بظاهر الكوفه فيه ماء عذب وفيه قبور جماعه من الصحابه. الاستيعاب ٥٦/١ ترجمه ١٦٠ وأسد الغابه ٥٥/١، ووفيات الاعيان ١٨٦/٢-١٩٢ ترجمه ٢٨٢.

فقال الاحنف: إنهم جاءوك للطلب بدم عثمان، وهم الذين أبوا على عثمان الناس وسفكوا دمه، أراهم والله لا يزالونا حتى يلقوا العداوة بيننا، ويسفكوا دماءنا، وأظنهم والله سيركبون منك خاصه ما لا قيل لك به إن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم في من معك من أهل البصره، فإنك اليوم الوالى عليهم، وأنت فيهم مطاع، فسر إليهم بالناس وبأدرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحده، فيكون الناس لهم أطوع منهم لك.

فقال عثمان بن حنيف: الرأي ما رأيت. لكنني أكره الشر، وأن أبدأهم به، وأرجو العافيه والسلامه إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين ورأيه فأعمل به. ثم أتاه بعد الاحنف. حكيم بن جبلة من بنى عمرو بن وديعه، فأقرأه كتاب طلحه والزبير، فقال له: مثل قول الاحنف، وأجابه عثمان بمثل جوابه للاحنف فقال له حكيم: فأذن لي حتى أسير إليهم بالناس، فإن دخلوا في طاعه أمير المؤمنين وإلا نأذتهم على سواء.

فقال عثمان: لو كان ذلك رأبي لسرت إليهم بنفسى.

قال حكيم: والله لو دخلوا عليك هذا المصر لينتقلن قلوب كثير من الناس إليهم وليزيلنك عن مجلسك هذا، وأنت أعلم فأبى عليه عثمان.

قال: وكتب علي إلى عثمان لما بلغه مشارفه القوم البصره:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف. أما بعد. فإن البغاه عاهدوا الله، ثم نكثوا، وتوجهوا إلى مصرك، وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به، والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، فاذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعه والرجوع إلى الوفاء بالعهد، والميثاق المذى فارقونا عليه، فإن أجابوا فأحسن جوارهم ماداموا عندك، وإن أبوا إلا التمسك بحبل النكث والخلاف، فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم، وهو خير الحاكمين. وكتبت كتابي هذا إليك من الربذه وأنا معجل المسير إليك إن شاء الله.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في سنة ست وثلاثين: (١)

فلَمَّا وصل كتاب عليّ إلى عثمان أرسل إلى أبي الاسود الدؤلي (٢) وعمران بن الحصين الخزاعي فأمرهما أن يسيرا حتّى يأتياه بعلم القوم، وما الذي أقدمهم، فانطلقا حتّى إذا أتيا حفر أبي موسى، وبه معسكر القوم، فدخلوا على عائشه، فسألاها، ووعظاها، وأذكراها، وناشداها الله، فقالت لهما: إقيا طلحه والزبير، فقاما من عندها ولقيا الزبير فكلماه، فقال لهما: إنا جئنا للطلب بدم عثمان، وندعو الناس إلى أن يردّوا أمر الخلافة شورى ليختار الناس لانفسهم، فقالا له: إن عثمان لم يقتل بالبصره ليطلب دمه فيها، وأنت تعلم قتله عثمان من هم، وأين هم، وإنك وصاحبك وعائشه كنتم ٤١ شدّ الناس عليه، وأعظمهم إغراء بدمه فأقيدوا من أنفسكم؛ وأمّا إعادته أمر الخلافة شورى، فكيف وقد بايعتم عليّاً طائعين غير مكرهين، وأنت يا أبا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله أخذ قائم سيفك تقول: ما أحدٌ أحقّ بالخلافه منه، ولا أولى بها منه. وامتنعت عن بيعه أبي بكر، (٣) فأين ذلك الفعل من هذا القول، فقال لهما: اذهبا فالتقيا

ص: ٢٠٢

- ١- . عبيد الله بن أبي رافع المدني القبطي، مولى النبي وابن مولاه ومولاته، وقد سبقت ترجمتهما. إنَّخذ عليّ عبيد الله هذا كتاباً له وخازناً راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ج ١٠/٦ الترجمة ٢٠.
- ٢- . أبو الاسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الديلي بكسر الدال ويقال: الدؤلي بضم الدال وفتح الهمزة. نسبه الى الدئل بكسر الهمزة، وهي قبيله من كنانة. قال ابن خلكان في اسمه ونسبه اختلاف كثير، وقال: كان من سادات التابعين وأعيانهم. صحب عليّاً وشهد صفين معه. وعلمه أصول علم النحو فنحنا نحوه. توفّي بالبصره وعمره خمس وثمانون سنه واختلفوا في وفاته فقيل: كانت سنه تسع وستين في طاعون جارف. وقيل: قبله. وقيل: توفّي في خلافه عمر بن عبد العزيز، وكانت خلافته ٩٩-١٠١ هجرى وفيات الاعيان ٢/٢١٦-٢١٩ والفهرست للنديم ٦٠-٦٢.
- ٣- . راجع: ((عبد الله بن سبأ)). المدخل ص ٤٧-٥٢ لتطلع على موقف الزبير يومذاك. وأورد تفصيل محاوره الرسولين مع عائشه وطلحه والزبير ثمّ مقاتله عائشه وطلحه والزبير لابن حنيف؛ كلٌّ من ابن قتيبه في الامامه والسياسه ١/٦٠-٦١ وابن أعثم في ص ١٧٠ من تاريخه، والعقد الفريد ٤/٣١٣ ومروج الذهب بهامش ابن الاثير ٥/١٨٤-١٨٥ واليعقوبي ٢/١٥٧.

طلحه، فقاما الى طلحه فوجداه خشن الملمس، شديد العريكة، قوى العزم فى اثاره الفتنة واضرام نار الحرب، فانصرفا الى عثمان بن حنيف، فاخبراه وقال له ابو الاسود الدؤلئى:.

يا ابن حنيف قد اتيت فانفر *** وطاعن القوم، وجالد، واصبر

وابرز لها مستلثما وشمر

فقال ابن حنيف: اى والحرمين لافعلن، وامر مناديه، فنادى الناس: السلاح، السلاح فاجتمعوا اليه وقال ابو الاسود الدؤلئى:

اتينا الزبير فدانى الكلام *** وطلحه كالنجم او ابعده

واحسن قوليهما فادح *** يضيق به الخطب مستنكد

وقد اوعدوننا بجهد الوعيد *** فاهون علينا بما اوعدوا [٥٩].

فاقبل القوم فلما انتهوا الى المرید *** قام رجل من بنى جشم فقال:

ص: ٢٠٣

أيها الناس! أنا فلان الجشمي، وقد أتاكم هؤلاء القوم، فإن أتوكم خائفين، لقد أتوكم من المكان الذي يأمن فيه الطير والوحش والسباع، (١) وإن أتوكم للطلب بدم عثمان، فغيرنا ولي قتله، فأطيعوني أيها الناس! ورُدّوهم من حيث أقبلوا، فإنكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصماء (٢) التي لا تبقى ولا تذر فحصبه ناس من أهل البصره فأمسك.

وقال: اجتمع أهل البصره إلى المربد حتى ملأوه مشاءً وركباناً، فقام طلحه فأشار إلى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد فقال:

أمياً بعد، فإن عثمان بن عفان كان من أهل السابقة والفضيله ومن المهاجرين الأوّلين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، ونزل القرآن ناطقاً بفضلهم، وأحد أئمة المسلمين الوالين عليكم بعد أبي بكر وعمر صاحبي رسول الله (ص) وقد كان أحدث أحداثاً نقمناها عليه فأتيناه فاستعتبناه فأعتبنا، فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الأمة أمرها غصباً بغير رضا منها ولا مشوره، فقتله (٣) وساعده على ذلك قوم غير أتقياء ولا أبرار فقتل محرماً بريئاً تائباً، وقد جئناكم أيها الناس! نطلب بدم عثمان وندعوكم إلى الطلب بدمه، فإن نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به، وجعلنا هذا الامر شورى بين المسلمين، وكانت خلافه رحمه للأمة جميعاً فإن كل من أخذ الامر من غير رضا من العامه ولا مشوره منها ابتزازاً كان ملكه عضوضاً وحدثاً كبيراً. (٤)

ثم قام الزبير فتكلّم بمثل كلام طلحه، فقام إليهما ناس من أهل البصره فقالوا لهما: ألم تبايعا علياً في من بايعه، فميم بايعتما ثم نكتما؟

ص: ٢٠٤

١- . يقصد به مكه.

٢- . ((حرب ضروس)): أكل، عضوض. و ((الفتنة الصماء)) هي التي لا سبيل الى تسكينها. (لسان العرب).

٣- . يقصد به علي بن أبي طالب.

٤- . ملك عضوض: شديد فيه عنف، وعنفة للرعيه كأنهم يعضون فيه عضاً (لسان العرب).

فقالا: ما بايعناه، وما لاحد فى أعناقنا بيعه، وإنما استكرهنا على بيعته.

فقال ناس: قد صدقا، وأحسننا القول، وقطعنا بالثواب، وقال ناس: ما صدقا، ولا أصابا فى القول؛ حتى ارتفعت الاصوات، قال: ثم أقبلت عائشه على جملها، فنادت بصوت مرتفع، أيها الناس! أقلوا الكلام واسكتوا، فأسكت الناس لها، فقالت:

إن أمير المؤمنين عثمان قد كان غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبه حتى قتل مظلوماً تائباً، وإنما نقموا عليه ضربه بالسوط وتأميره الشبان، وحمايته موضع الغمامه، فقتلوه محرماً فى حرمة الشهر، وحرمة البلد. ذبحاً كما يذبح الجمل، ألا وإن قريشاً رمت غرضها بنبالها، وأدمت أفواها بأيديها، وما نالت بقتلها إياه شيئاً، ولا سلكت به سبيلاً قاصداً. أما والله ليرونها بلايا عقيمة تتبعه النائم، وتقيم الجالس، وليسطن عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب، أيها الناس! إنه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحل به دمه، مصتموه كما يماص الثوب الرحيض (١) ثم عدوتم عليه، فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه، وبايعتم ابن أبى طالب بغير مشوره من الجماعه، ابتزازاً وغصباً، أترونى أغضب لكم من سوط عثمان ولسانه، ولا أغضب لعثمان من سيوفكم؟! الا إن عثمان قتل مظلوماً، فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرت بهم فاقتلوهم، ثم اجعلوا الامر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؛ ولا يدخل فيهم من شرك فى دم عثمان.

قال: فماج الناس واختلطوا، فمن قائل يقول: القول ما قالت؛ ومن قائل يقول: وما هى وهذا الامر؟ إنما هى امرأه مأمره بلزوم بيتها؛ وارتفعت الاصوات، وكثر اللغط، حتى تضاربوا بالنعال، وتراموا بالحصا. ثم إن الناس تمايزوا فصاروا فريقين: فريق مع عثمان بن حنيف، وفريق مع عائشه

ص: ٢٠٥

١- . الموص: الغسل اللين، والدلك باليد. والرحيض: المغسول.

قال أبو مخنف: فلما أقبل طلحه والزبير من المزيدي يريدان عثمان بن حنيف، فوجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فمضوا حتى انتهوا إلى موضع الدباغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحه والزبير وأصحابهما بالرماح، فحمل عليهم حكيم بن جبلة، فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك، ورمتهم النساء من فوق البيوت بالحجارة فأخذوا إلى مقبره بنى مازن، فوقفوا بها ملياً حتى ثابت إليهم خيلهم، ثم أخذوا على مسنأه البصره حتى انتهوا إلى الزابوقه ثم سبخته دار الرزق(٢) فنزلوها وأتاهما عبدالله بن حكيم التميمي لما نزل السبخه بكتب كانا كتبها إليه، فقال لطلحه: يا أبا محمّد! أما هذه كتبك إلينا؟

قال: بلى.

قال: فكتبت أمس تدعوننا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه؟ فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلا هذه الدنيا مهلاً. إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعه، فبايعته طايحاً راضياً، ثم نكثت بيعتك، ثم جئت لتدخلنا في فتنتك؟ فقال: إن علياً دعاني إلى بيعته بعدما بايع الناس، فعلمت أنني لو لم أقبل ما عرضه علي لم يتم لي، ثم يغري بي من معه.

قال: ثم أصبحنا من غد، فصفاً للحرب، وخرج عثمان بن حنيف إليهما في أصحابه، فناشدهما الله والاسلام وأذكرهما بيعتهما علياً، فقالا: نطلب بدم عثمان.

ص: ٢٠٦

١- . قد أورد هذه المقابلة والمقاتله أيضاً ابن قتيبه في الامامه والسياسه ١/٦٤-٦٥.

٢- . ((المستنى)) ما يبنى في وجه السيل. و ((مقبره بنى مازن)) منسوبه الى بنى مازن بن الازد بن الغوث بن نبت. راجع الجمهوره ٣١١، و ((السبخه)): بالتحريك الارض الملحه النازه. موضع بالبصره. و ((الزابوقه)) في اللغه: شبه دغل في بناء، أو بيت: يكون له زوايا معوجه. وموضع قرب البصره كانت فيه وقعه الجمل أول النهار. معجم البلدان.

فقال لهما: وما أنتما وذاك، أين بنوه؟ أين بنو عمّه الذين هم أحقُّ به منكم؟ (١) كلاً- والله، ولكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه، وكنتما ترجوان هذا الامر وتعملان له، وهل كان أحد أشدَّ على عثمان قولاً منكما؟! فشتماه شتماً قبيحاً وذكر أُمَّه، فقال: للزبير أما والله لولا صفتيه ومكانها من رسول الله فإنها أدنتك إلى الظلِّ وإنَّ الامر بيني وبينك يا ابن الصعبة (٢) - يعنى طلحه - أعظم من القول؛ لاعلمتكما من أمركما ما يسوء كما. اللهم إنِّي قد أعذرت إلى هذين الرجلين.

ثمَّ حمل عليهم واقتل النَّاس قتالاً شديداً ثمَّ تجاوزوا واصطلحوا على أن يُكتب بينهم كتاب الصلح، فكتب:

هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الانصارى ومن معه من المؤمنين من شعيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وطلحه والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما. إن لعثمان بن حنيف دار الاماره، والرحبه، والمسجد، وبيت المال، والمنبر. وإن لطلحه والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصره ولا يضار بعضهم بعضاً فى طريق، ولا فرضه (٣) ولا سوق، ولا شريعته، ولا مرفق، حتّى يقدم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فإن أحبوا دخلوا فى ما دخلت فيه الأئمّه، وإن أحبوا لحق كلُّ قوم بهواهم وما أحبوا من قتال أو سلم أو خروج أو إقامة، وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه. وأشدَّ ما أخذه على نبيّ من أنبيائه من عهد وذمّه. وختم الكتاب.

ورجع عثمان بن حنيف حتّى دخل دار الاماره، وقال لاصحابه: الحقوا رحمكم الله بأهلكم، وضعوا سلاحكم وداووا جرحاكم، فمكتوا أياماً ثمَّ إنَّ

ص: ٢٠٧

١- . لعلّه يقصد: أن هذا الامر يجب أن يقوم به أولاد عثمان وبنو عمه، فانهم هم الذين ينبغى أن يسوقوا الجيوش للطلب بثار عثمان.

٢- . صفتيه أمّ الزبير كانت ابنه عبد المطلب وعمه رسول الله، والصعبه أمّ طلحه، بنت عبد الله بن مالك الحضرمى.

٣- . الفرضه من النهر: الثلثه ينحدر منها الماء وتصعد منها السفن ويستقى منها.

طلحه والزبير قالوا: إن قدم عليٌّ ونحن على هذا الحال من القلّة والضعف ليأخذن بأعناقنا، فأجمعنا على مراسله القبائل، واستماله العرب، فأرسلا إلى وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف، يدعونهم إلى الطلب بدم عثمان، وخلع عليّ، وإخراج ابن حنيف من البصره، فبايعهم على ذلك الازد وضبّه وقيس عيلان،^(١) كلّه إلا الرجل والرجلين من القبيله كرهوا أمرهم فتواروا عنهم، وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي^(٢) فلم يأتهم فجاءه طلحه والزبير إلى داره، فتواري عنهما، فقالت له أمّه: ما رأيت مثلك! أتاك شيخا قريش، فتواريت عنهما، فلم تزل به حتّى ظهر لهما، وبايعهما، ومعه بنو عمرو بن تميم كلّهم وبنو حنظله إلا بنى يربوع، فإن عامتهم كانوا شيعه لعلّي، وبايعهم بنو دارم كلّهم إلا نفر من بنى مجاشع ذوى دين وفضل.^(٣)

ص: ٢٠٨

١- الازد: قال ابن منظور: الازد لغه في الاسد. تجمع قبائل وعمائر كثيره في اليمن. وأزد: أبو حى من اليمن. وهو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ. وهو أسد، بالسین أفصح. يقال أزد شنوأة. وأزد عمان. وأزد السراه، راجع: الاشتقاق ٤٣٥ و ٤٦٨ وجمهره أنساب العرب ٣١١-٣٦٤. وضبّه بن أد بن طابخه. وأكبر قبائل بنى ضبه: بنو بكر بن سعد بن ضبه؛ قتل منهم سبعمائيه بين يدى أمّ المؤمنين يوم الجمل، وكان من أشرف المقتولين فيهم يوم ذاك عمرو بن يثربى، والحصين بن ضرار. جمهره الانساب ١٩٢-١٩٥، وراجع الاشتقاق ١٨٩.

٢- هلال بن وكيع بن بشر بن عمرو الدارمي التميمي. قال ابن دريد: وكيع بن بشر، كان سيد بن تميم، رأسه عمر بن الخطاب، وابنه هلال رأسه عمر بعد أبيه. الاشتقاق ص ٢٣٥ وفي الاستيعاب ص ٥٩٨: قتل مع عائشه يوم الجمل، وراجع أسد الغابه ٦٩/٥.

٣- وهؤلاء قبائل تميم الذين ذكرهم أبو مخنف: تميم بن مرّه بن أد. وبنوه ثلاثه: أ - الحارث بن تميم. ب - عمرو بن تميم. وبنوه سبعة. وإياهم يقصد بقوله: ((بنو عمرو بن تميم)). ج - زيد مناه. وبنوه خمسه. منهم: مالك بن زيد مناه. وبنو مالك أربعه، منهم: حنظله، وفيهم البيت والعدد. وبنو حنظله ثمانيه منهم: يربوع. ومالك. وبنو يربوع ثمانيه. وإياهم يقصد فى قوله: ((إلا بنى يربوع)). وبنو مالك أحد عشر وفيهم البيت والعدد من بنى حنظله. ومن بنى مالك: دارم واليه كان ينتسب هلال بن وكيع الدارمي. وبنو دارم تسعة، منهم مجاشع. وإياهم يقصد فى قوله: ((من بنى مجاشع)). ومجاشع هو ابن دارم بن مالك بن حنظله بن مالك بن زيد مناه بن تميم. راجع جمهره أنساب العرب ص ١٩٧-٢٢٠، والاشتقاق ٢٠١-٢٦١.

فلما استوثق لطلحه والزبير أمرهما خرّجا في ليله مظلمه ذات ریح ومطر، ومعهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب، فانتھوا إلى المسجد وقت صلاه الفجر، وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه، وأُقيمت الصلاه فتقدّم عثمان ليصلّي بهم فأخّره أصحاب طلحه والزبير وقدموا الزبير، فجاءت السبابجه (١) وهم الشرط حرس بيت المال، فأخّروا الزبير وقدموا عثمان؛ فغلبهم أصحاب الزبير فقدموا الزبير وأخّروا عثمان؛ ولم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس أن تطلع، وصاح بهم أهل المسجد: ألا- تتقون الله يا أصحاب محمّد، وقد طلعت الشمس فغلب الزبير فصلّي بالناس، فلمّا انصرف من صلاته صاح بأصحابه المستسلحين: أن خذوا عثمان بن حنيف، فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما؛ فلمّا أُسر ضرب ضرب الموت، ونُتف حاجباه وأشفار عينيه وكلّ شعره في رأسه ووجهه؛ وأخذوا السبابجه وهم سبعون رجلاً، فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عائشه؛ فقالت: لابان بن عثمان: أخرج إليه فاضرب عنقه فإنّ الانصار قتلت أباك، وأعانت على قتله؛ فنادى عثمان: يا عائشه! ويا طلحه! ويا زبير! إنّ

ص: ٢٠٩

١- . السبابجه قوم ذوو جلد من السند والهند، يكونون مع رئيس السفينه البحريه وأحدهم سبيجي وجمعت على سبابجه كالبرابره وربما قالوا: السابج، وقال الجوهري: السبابجه قوم من السند كانوا بالبصره جلاوزه وحراس السجن. لسان العرب

أخى سهل بن حنيف خليفه علي بن أبي طالب على المدينة وأقسم بالله إن قتلتموني ليضعنّ السيف في بنى أبيكم، وأهلكم، ورهطكم، فلا يبقى منكم أحداً، فكفوا عنه وخافوا أن يوقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة، فتركوه، وأرسلت عائشه إلى الزبير: أن اقتل السباجه، فإنه قد بلغنى الذى صنعوا بك، قال: فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم. ولى ذلك منهم عبدالله ابنه، وهم سبعون رجلاً، وبقيت منهم طائفه مستمسكين بيت المال قالوا: لن ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين، فسار إليهم الزبير فى جيش ليلاً، فأوقع بهم وأخذ منهم خمسين أسيراً، فقتلهم صبراً.

قال أبو مخنف: فحدثنا الصقعب بن زهير قال: كانت السباجه القتلى يومئذ أربعمائى رجل؛ قال: فكان غدر طلحه والزبير بعثمان بن حنيف أول غدر كان فى الاسلام، وكان السباجه أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً؛ قال: وخيروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلي؛ فاختار الرحيل؛ فخلوا سبيله فلحق بعلي، فلمّا رآه بكى، وقال: فارقتك شيخاً وجئتك أمرد؛ فقال علي: إنا لله وإنا إليه راجعون، قالها ثلاثاً؛

فلما بلغ حكيم بن جبلة ماصنع القوم بعثمان بن حنيف خرج فى ثلاثمائى من عبدالقيس مخالفاً لهم ومنازلاً، فخرجوا إليه، وحملوا عائشه على جمل، فسعى ذلك اليوم يوم الجمل الاصغر. ويوم علي يوم الجمل الاكبر، وتجالد الفريقان بالسيوف، فشدّ رجل من الازد من عسكر عائشه على حكيم بن جبلة، فضرب رجله فقطعها، ووقع الازدى عن فرسه، فجثا حكيم فأخذ رجله فرمى بها الازدى، فصرعه؛ ثم دبّ إليه، فقتله متكئاً عليه، خانقاً له حتى زهقت نفسه؛ فمّر بحكيم إنسان وهو وجود بنفسه، فقال: من فعل بك؟ قال: وسادى، فنظر فإذا الازدى تحته. وكان حكيم شجاعاً مذكوراً. قال: وقتل مع حكيم إخوه له ثلاثه، وقتل أصحابه كلهم وهم ثلاثمائى من عبدالقيس، والقليل منهم من بكر بن وائل. (١)

ص: ٢١٠

١- . إنتهت روايه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه. عبد القيس هم ولد عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديله بن أسد بن ربيعه بن نزار. والنسبه اليه عبدى. منهم حكيم بن جبلة. وبنو صوحان: زيد، وصعصعه، وسيحان، الجمهوره ٢٧٨-٢٨٢، ولسان العرب. وبكر بن وائل نسبه الى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى، والنسبه اليه بكرى، الجمهوره ٢٨٥ و ٢٩٠-٣٠٨ ولسان العرب.

فلَمَّا صفت البصره لطلحه والزبير بعد قتل حكيم وأصحابه وطرده ابن حنيف عنها؛ اختلفا في الصلاة، وأراد كلُّ منهما أن يؤمَّ بالناس، وخاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليماً ورضاءً بتقدّمه، فأصلحت بينهما عائشه، بأن جعلت عبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحه يصلّيان بالناس هذا يوماً، وهذا يوماً. وروى المعتزلي: (١) أن طلحه والزبير تدافعا الصلاة، فأمرت عائشه عبد الله أن يصلّي قطعاً لمنازعتهما، فإن ظهروا كان الامر إلى عائشه، تستخلف من شاءت...

واختلفت الروايات في كيفيه السلام على الزبير وطلحه، فروى أنّه كان يسلم على الزبير وحده بالامر، فيقال: السلام عليك، أيها الامير، لأنّ عائشه ولّته أمر الحرب.

وروى أنّه كان يسلم على كلِّ واحد منهما بالامر.

قال أبو مخنف: ثم دخل بيت المال في البصره، فلَمَّا رأوا ما فيه من الاموال، قال الزبير: (وعدكم الله مغانم كثيره تأخذونها فعجل لكم هذه (٢)). فنحن أحقّ بها من أهل البصره. فأخذنا ذلك المال كلّهُ: فلَمَّا غلب عليّ ردّ تلك الاموال إلى بيت المال وقسّمها في المسلمين، انتهت روايه أبي مخنف في كتابه: ((الجمل)). (٣)

ص: ٢١١

١- . ابن أبي الحديد ١٦٦/٢ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، وابن أعثم ٢٩٠/٢ ط. حيدر آباد ١٣٨٨ هجرى باختصار. من الجائز ان أمّ المؤمنين كانت قد عينت كلا الابنين للصلاه والابوين للاماره، ثم خصت عبد الله للصلاه وأباه للحرب، لان عبد الله بن الزبير كان أحبّ الناس الى خالته أمّ المؤمنين وذا تأثير بالغ عليها.

٢- . سورة الفتح الايه ٢٠.

٣- . وقد استخرجناه كما ذكرنا من ابن أبي الحديد ٤٩٧/٢-٥٠١.

أما عليّ كان أرسل ابنه الحسن إلى أهل الكوفة يستنفرهم؛ فلما قدموا إليه قام فيهم خطيباً فقال:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين؛ أما بعد. فإن الله بعث محمداً (ص) إلى الثقلين كافة، والناس في اختلاف والعرب بشر المنازل، مستضعفون لما بهم، فرأب الله به التأى، (١) ولأم به الصدع، (٢) ورتق به الفتق، وأمن به السبيل، وحقن به الدماء، وقطع به العداوة الموغرة (٣) للقلوب، والضغائن المشحنة (٤) للصدور؛ ثم قبضه الله تعالى مشكوراً سعيه، مرضياً عمله، مغفوراً ذنبه، كريماً عند الله نزله. فيا لها من مصيبة عمّت المسلمين، وخصّت الاقربين، وولى أبو بكر فسار فينا بسيره رضاً، رضى بها المسلمون. ثم ولى عمر فسار بسيره أبى بكر رضى الله عنهما. ثم ولى عثمان فنال منكم ونلتم منه. ثم كان من أمره ما كان، أتيتموه فقتلتموه، ثم أتيتموني فقتلتم: لو بايعتنا؟ فقلت: لا أفعل، وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم كفى فجدبتموها وقتلتم: لا نرضى إلا بك، ولا نجتمع إلا عليك، وتراكمتم عليّ تراكم الابل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتل بعضاً، فبايعتموني، وبايعنى طلحة والزبير، ثم مالبتنا أن أستاذناني إلى عمره. فسارا إلى البصرة فقاتلا بها المسلمين، وفعلا بها الافاعيل، وهما يعلمان والله أنى لست بدون من مضى، ولو أشاء أن أقول لقلت: اللهم إنهما قطعاً قرابتي، ونكثا بيعتي، وألبا

ص: ٢١٢

- ١- . رأب الله بن التأى: أصلح به الفساد.
- ٢- . لام به الصدع: أصلحه.
- ٣- . الموغرة: الموقده فى الصدر.
- ٤- . المشحنة أى الموغرة، يقال شحن عليه، كفرح - إذا حقد.

عَلَيْ عَدُوِّي. اللَّهُمَّ فَلَا تَحْكَمْ لِهَمَّا مَا أْبْرَمَا. وَأَرْهَمَا الْمَسَاءَ فِيْمَا عَمَلَا. (١)

تلاقى الجيشين والمراسله:

وروى الطبرى (٢) وقال: سار عليٌّ من الزاويه (٣) يريد طلحه والزبير وعائشه وساروا يريدون عليّاً فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد...

فاقاموا ثلاثه ايام لم يكن بينهم قتال، يرسل إليهم عليٌ ويكلّمهم ويردعهم، انتهى.

ولم يذكر الطبرى مادار بينهم من كتب ومحاججات، وإنما ذكر بعضها ابن قتيبه وابن اعثم والرضى فى نهج البلاغه ومنها الكتاب الاتى (٤) الذى كتبه إلى طلحه والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعى. قال فيه: أمّا بعد. فقد علمتما - وإن كتمتما - أنى لم أُرِدْ الناسَ حتّى أُرادونى، ولم أباعهم حتّى بايعونى. وإنكما ممّن أُرادنى وباعينى، وإنّ العامّه لم تباعينى لسلطان غالب، ولا لعرض حاضر وإن (٥) كتمتما بايعتمانى طائعين فارجعاً وتوباً إلى الله من قريب، وإن كتمتما بايعتمانى كارهين فقد جعلتما لى عليكما السبيل (٦) بإظهاركما الطاعه، وإسراركما المعصيه، ولعمرى ما كتمتما بأحق المهاجرين بالتقيّه والكتمان، وإن دفعكما هذا الامر من قبل أن تدخلوا فيه (٧) كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به؛ وقد زعمتما أنى قتلت عثمان، فبينى وبينكما من تخلف عني

ص: ٢١٣

- ١- .العقد الفريد ٣١٨/٤.
- ٢- . الطبرى ١٩٩/٥، وط. أوريا ٣١٧٥/١.
- ٣- . الزاويه على ما ذكره الحموى عده مواضع، منها: موضع قرب البصره وأخرى قريه على شاطئ دجله بين اواسط البصره يقال لها: الزاويه ومقابلها قريه اخرى يقال لها الهنيئه.
- ٤- . نهج البلاغه ١٢٢/٣ والامامه والسياسه ص ٦٥ ط. مصطفى محمد وتاريخ ابن اعثم ص ١٧٣.
- ٥- . العرض الحاضر: ما سوى النقيدين من المال.
- ٦- . أى جعلتما الحجّه لى عليكما.
- ٧- . يعنى الخلافه.

وعنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كل امرئٍ بقدر ما احتمل؛ فارجعاً أيها الشيخان عن رأيكما، فإنّ الان أعظم أمر كما العار من قبل أن يجتمع العار والنار والسلام.

ثم أرسل عليّ ابن عباس إلى الزبير خاصّة وقال له: لا تلقينّ طلحه فإنّك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعب ويقول: هو الذلول، ولكن القى الزبير فإنّه ألين عريكه فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق، فما عدا ممّا بدا؟! (١)

وفى روايه ابن عساکر: يقول لك عليّ: نشدتك الله ألسنتي بايعتني طائعا غير مكره فما الذي أحدثت فاستحللت به قتالي؟!

قال ابن عباس: قلت الكلمه للزبير فلم يزدني على أن قال: قل له: إنا مع الخوف الشديد لنطمع. (٢)

وقال لى ابنه عبد الله: قل له: بيننا وبينك دم خليفه ووصيه خليفه، واجتماع اثنين، وانفراد واحد، وأمّ مبروره، ومشاوره العامه، قال: فعلمت أنّه ليس وراء هذا الكلام إلا الحرب، فرجعت إلى عليّ (ع) فأخبرته. (٣)

ص: ٢١٤

١- . (عقص الشعر) ضفره فتله، ولواه. وهو تمثيل له في تغطرسه وكبره وعدم انقياده (والعريكه) الطيبعه. عرفه بالحجاز. فبايعه، وأنكره بالعراق، فنكث بيعته وخرج عليه. (فما عدا ممّا بدا) أى فما صرفك عن الذى ظهر منك، قال الشريف الرضى، وهو أول من سمعت منه هذه الكلمه.

٢- . رواه محمد بن اسحاق والكلبي، راجع شرح النهج ١٦٥/٢ تحقيق: ((محمد أبو الفضل ابراهيم)) وفى الاغانى ١٢٦/١٦ قريب منه.

٣- . لقد نسب ابن عبد ربّه هذا الجواب الى الزبير نفسه فى العقد الفريد ٣١٤/٤ غير أنّ الزبير بن بكار نسبه الى عبد الله بن الزبير وهو الاشبه بالصواب، كما فى شرح النهج ١٦٩/٢، وابن عساکر ٣٦٣/٥، ويقصد بدم الخليفه: دم عثمان الذى يتهم به على بن أبى طالب، ووصيه خليفه: عهد عمر بالشورى، واجتماع اثنين: اجتماع طلحه والزبير من أهل الشورى على نقض بيعته وانفراد واحد: انفراد عليّ بالامر، وأمّ مبروره: عائشه، التى كانت معهم ضد عليّ.

ثم أرسل عبدالله بن عباس وزيد بن صوحان إلى عائشه (١) وقال لهما ما خلاصته: اذهبا إلى عائشه وقولا لها: إن الله أمرك أن تقرى في بيتك وألا تخرجى منه، وإنك لتعلمين ذلك غير أن جماعه قد أغروك، فخرجت من بيتك، فوقع الناس لا تفاقك معهم في البلاء والعناء، وخير لك أن تعودى إلى بيتك ولا تحومى حول الخصام والقتال، وإن لم تعودى ولم تطفئى هذه النائره فإنها سوف يعقب القتال، ويقتل فيها خلق كثير فاتقى الله يا عائشه! وتوبى إلى الله، فإن الله يقبل التوبه من عباده ويعفو. وإياك أن يدفعك حب عبدالله بن الزبير وقرابه طلحه إلى أمر تعقبه النار.

فجاء إلى عائشه وبلغا رساله على إليها، فقالت: إنى لا- أرد على ابن أبى طالب بالكلام، لأنى لا أبلغه فى الحجاج، فرجعا إليه وأخبراه بما قالت.

وفى روايه أخرى أن طلحه نادى بأصحابه: ناجزوا القوم فإنكم لا تقومون لحجاج ابن أبى طالب.

وخطب عبدالله بن الزبير وقال:

أيها الناس! إن على بن أبى طالب قتل الخليفه بالحق عثمان، ثم جهز الجيوش إليكم ليستولى عليكم، ويأخذ مدينتكم، فكونوا رجالاً- تطالبون بئار خليفتم، واحفظوا حريمكم، وقاتلوا عن نساءكم وذرائكم وأحسابكم وأنسابكم، أترضون لاهل الكوفه أن يردوا بلادكم، اغضبوا فقد غوضبتم، وقاتلوا فقد قوتلتهم، ألا وإن على لا يرى أن معه فى هذا الامر أحداً سواه، والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم.

وأكثر من هذا القول ونحوه، فبلغ ذلك علىاً، فقال لولده الحسن: قم يا بنى فاخطب. فقام الحسن خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال:

ص: ٢١٥

أيها الناس! قد بلغنا مقالته ابن الزبير في أبي، وقوله فيه: إنّه قتل عثمان. وأنتم يا معشر المهاجرين والانصار وغيرهم من المسلمين علمتم بقول الزبير في عثمان، وما كان اسمه عنده، وما كان يتجنّى عليه.

وإن طلحه يومذاك راکز رايته على بيت ماله، وهو حيٌّ؛ فأنتى لهم أن يرموا أبى بقتله وينطقوا بدمه، ولو شئنا القول فيهم لقلنا. وأمّا قوله: إنّ عليّاً ابتزّ الناس أمرهم، فإنّ أعظم حجّة لاييه زعم أنّه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه، فقد أقرّ بالبيعه وأدعى الوليجه فليأت على ما أدعاه ببرهان، وأنتى له ذلك.

وأما تعجبه من تورّد أهل الكوفه على أهل البصره، فما عجبه من أهل حقّ تورّدوا على أهل باطل.

أما أنصار عثمان فليس لنا معهم حرب ولا قتال، ولكننا نحارب راکبه الجمل وأتباعها. (١)

ولمّا رجعت رسل عليّ (ع) من عند طلحه والزبير وعائشه يؤذنونه بالحرب، (٢) قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثمّ قال:

((أيها الناس! إننى قد راقبت هؤلاء القوم كى يرفعوا أو يرجعوا، ووبختهم بنكتهم، وعزفتهم بغيهم، فلم يستحيوا، وقد بعثوا إلى أن ابزّ للطعان، واصبر للجلاذ، وإنما تمّيك نفسك أمانى الباطل، وتعدك الغرور؛ ألا هبلتهم الهبول (٣) لقد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أُرهب بالضرب! ولقد أنصف القاره من رامها (٤)

فليرعدوا وليبرقوا، فقد رأونى قديماً وعرفوا نكايتى، فكيف رأونى!

ص: ٢١٦

١- . روى الخطبتين ابن أعثم فى ص ١٧٤، وفى طبعه حيدر آباد الدكن ٣٠٢/٢-٣٠٥، والمفيد فى الجمل ١٥٨-١٥٩ والوليجه: الدخيله والامر يسر ويكتم.

٢- . تاريخ ابن أعثم ١٧٥، وابن أبى الحديد ١٠١/١ طبعه مصطفى الحلبي بمصر، واللفظ لابن أبى الحديد.

٣- . هبلتهم الهبول: ثكلتهم الشواكل من النساء.

٤- . القاره من بنى الهون بن خزيمه بن مدركه بن الياص، أخو بنى أسد وكانوا حلفاً لبنى زهره من قريش، ابن خلدون ١٣٩/٢؛ وكانوا مشهورين بجوده الرمي وفى لسان العرب: كانوا رماه الحدق فى الجاهليه، وزعموا أنّ رجلا من بنى قاره وآخر من بنى أسد التقيا، فقال القارى: إن شئت صارعتك، وإن شئت راميتك، فقال الاسدى، اخترت المراماه. فقال القارى: لقد انصفتنى وأنشد: قد أنصف القاره من رامها إننا إذا ما فته نلقاها نردّ أولاهها على اخراها ثمّ انتزع له سهماً فشك فؤاده، وقيل غير ذلك، راجع تاريخ يعقوبى ٢٦٥/١: ط بيروت.

أنا أبو الحسن العزى فقلت حدّ المشركين، وفرّقت جماعتهم، وبذلك القلب ألقى عدوى اليوم وإنّى لعلّى ما وعدنى ربّى من النصر والتأييد وعلى يقين من أمرى، وفى غير شبهه من دينى، أيها الناس: إنّ الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب. ليس عن الموت محيداً ولا محيصاً. من لم يقتل مات. إنّ أفضل الموت القتل. والذى نفس علىّ بيده، لالف ضربه بالسيف أهون من موته واحده على الفراش. ثمّ مديده بالدعاء وقال: اللهم إنّ طلحه نكث بيعتى وألب على عثمان حتى قتله ثمّ عضهنى به (١) ورمانى. اللهم فلا تمهله. اللهم إن الزبير قطع رحمى ونكث بيعتى، وظاهر علىّ عدوى فاكفنيه اليوم بما شئت)). ثمّ نزل.

قال ابن أعثم: ثمّ دنت العساكر بعضها إلى بعض واستعرض علىّ جيوشه فبلغوا عشرين ألفاً، واستعرض طلحه والزبير فبلغوا ثلاثين ألفاً.

الاعذار قبل الحرب:

قال الطبرى: (٢) والتقوا فى النصف من جمادى الاخره سنه ٣٦ يوم الخميس.

ص: ٢١٧

١- . العضه: الافك. البهتان.

٢- . الطبرى ١٩٩/٥، وط. أوربا ٣١٧٥/١، والاعانى ١٢٦/١٦.

وروى الحاكم (١) عن عمّ يحيى بن سعيد أنّه قال:

لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجَمَلِ نَادَى عَلِيٌّ فِي النَّاسِ:

((لا يرمينّ رجل بسهم، ولا يطعن برمح، ولا يضرب بسيف، ولا تبدأوا القوم بالقتال، وكلّموهم بلطف الكلام، فإنّ هذا مقامٌ من أفلح فيه فلح يوم القيامة)).

قال: فلم نزل وقوفاً حتّى تعالى النهار، ونادى القوم بأجمعهم: ((يا لثارات عثمان))، قال وابن الحنفية أماننا بربوه معه اللواء: يا أمير المؤمنين، فناداه عليٌّ، قال: فأقبل علينا يعرض بوجهه؛ فقال له عليٌّ: ما يقولون؟ فقال: يقولون: ((يا لثارات عثمان)) فرفع يديه فقال: اللهم اكب اليوم قتله عثمان بوجههم.

وقال غيرهم من أهل السير والخبار (٢) لَمَّا تَزاحف النَّاسُ يَوْمَ الْجَمَلِ والتقوا قال عليٌّ:

لا- تقاتلوا القوم حتّى يبدأوكم، فإنّكم بحمد الله على حجّه، وكفاكم عنهم حتّى يبدأوكم حجّه أخرى، وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح، وإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً، ولا تكشفوا عورته، ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستره، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً.

ص: ٢١٨

١- . المستدرک ٣/٣٧١ وفي تلخيصه للذهبي بهامشه كذلك.

٢- . رواه اليعقوبي، والمسعودي، وابن أعثم، وكلما نقل عنهم الى آخر ما نوره في حرب الجمل فما كان عن اليعقوبي فقد نقلناه عن تاريخه ٢/١٨٠-١٨٤، والمسعودي فقد نقلناه عن موجه بهامش ابن الاثير ٥/١٨٨-٢٠١، وأمّا ابن أعثم فعن تاريخه ص ١٧٥-١٨٣، وقد ذكر هؤلاء الثلاثة ما أوردناه وأخرجه أبو الفرج في الاغانى ١٦/١٢٧، وأبو مخنف في كتابه: ((الجمل)) بروايه ابن أبي الحديد عنه في شرحه ٢/٤٣٠ و ٨١ منه، وفي عباراتهم بعض الاختلاف، وبعضهم قد ذكره ملخصاً وقد تخيرنا اللفظ من الاخير.

وفى روايه المسعودى بعده: ولا تقربوا من أموالهم إلا ما تجدونه فى عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمه، وما سوى ذلك فهو لورثتهم على كتاب الله، (١) ولا تهيجوا امرأه يأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القوى والانفس والعقول، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأه بالهراوه والجريده فيغير بها عقبه من بعده. (٢)

وروى الحاكم أن الزبير قال للاساوره - الذين كانوا معه - ارموهم برشق كأنه أراد أن ينشب القتال. (٣)

وقال ابن أعثم وغيره: إن عائشه قالت: ناولونى كفاً من الحصاه، وحصبت بها وجوه أصحاب على، وصاحت بأعلى صوتها: شامت الوجوه! - كما صنع رسول الله يوم حنين - فناداها رجل من أصحاب على وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى. (٤)

وذكر الطبرى وغيره واللفظ للطبرى (٥) قال: أخذ على مصحفاً يوم الجمل فطاف به فى أصحابه وقال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقام إليه فتى من أهل الكوفه عليه قباء أبيض محشوء، فقال: أنا،

ص: ٢١٩

١- . عدنا الى روايه أبى مخنف السابقه.

٢- . ابن الاثير ١١٦/٤، و الهراوه العصا الضخمه. و الجريده: قضب النخل.

٣- . الاسوار بفتح الهمزه. والاسوار بكسرهما: قائد الفرس، والفارس المقاتل منهم، وقيل هو الذى يجيد الرمي بالسهم، أو الجيد الثبات على ظهر الفرس، والجمع منه أساوره وأساور والاساوره: قوم من العجم بالبصره قديماً كالأحمره بالكوفه. لسان العرب. و ((الرشق)) أن يرمى أهل النبال ما معهم من السهام، ثم يعودوا، فكل شوط من ذلك رشق. وإذا رمى الرماه بأجمعهم بجمع سهامهم فى جهه واحده قالوا رمينا رشقا واحداً.

٤- . ابن أعثم ص ١٧٩-١٨٠، وفى شرح النهج ٨٥/١.

٥- . رواه كل من المتقى فى الكنز ٨٥/٦ الحديث ١٣١٣ والروايه الأولى من الطبرى ٢٠٥/٥، وط. أوروبا ٣١٨٨/١-٣١٨٩، والثانيه ٢٠٤ منه، وابن الاثير ١٠٤/٣، وتاريخ ابن أعثم والجمل لابی مخنف على روايه المعتزلى عنه فى ٤٣١/٢، وفى الجمل للمفيد أن عائشه قالت: أشجروه بالرماح.

فأعرض عنه، ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوه إلى ما فيه وهو مقتول فقال الفتى: أنا، فدفعه إليه، فدعاهم فقطعوا يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى، فدعاهم فقطعوا يده اليسرى؛ فأخذه بصدرة والدّماء تسيل على قبائه، فقتل!

وفى روايه أخرى للطبرى: فقال عليٌّ لأصحابه: أيكم يعرض عليهم هذا المصحف وما فيه فإن قطعت يده، أخذه بيده الأخرى، وإن قطعت أخذه بأسنانه قال فتىٌّ شابٌّ: أنا؛ فطاف عليٌّ على أصحابه يعرض عليهم ذلك فلم يقبله إلا ذلك الفتى، فقال له عليٌّ: أعرض عليهم هذا، وقل: هو بيننا وبينكم من أوله إلى آخره، واللّه فى دمائنا ودمائكم، فحمل على الفتى وفى يده المصحف. فقطعت يده. فأخذه بأسنانه حتّى قتل.

فقال عليٌّ: الـاين وجب قتالهم، فقالت أمُّ الفتى - أمُّ ذريح العبديّه - بعد ذلك فيما ترثى: وقال أبو مخنف: فقالت أمُّ ذريح العبديّه فى ذلك:

لا هم! إنّ مسلماً دعاهم

قد خضّبت من علّق لحاهم(١)

وقال ابن أعثم: إنّ الفتى كان من مجاشع، وتقدّم أحد خدم عائشه فضربه بالسيف وقطع يده.

قال المسعودى: وقام عمّار بن ياسر بين الصّفيين وقال: أيها النّاس! ما أنصفتم نبيكم حيث كففتم عتقاء تلك الخدور، وأبرزتم عقيلته للسيوف. وعائشه على جمل فى هودج من دفوف الخشب(٢) وقد ألبسوه المُسوح(٣) وجلود البقر وجعلوا دونه اللبود(٤) قد عشى على ذلك بالدروع، فدنا عمّار

ص: ٢٢٠

١- . الطبرى، ط. أوربا ٣١٨٦/١.

٢- . الدفوف: واحدها الدف وهو صفحه الشىء.

٣- . المسوح: واحدها المسح؛ وهو الكساء من الشعر، بساط من الشعر.

٤- . اللبود: واحدها اللبد؛ ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج.

من موضعها فنأدى: إلى ماذا تدعيني؟ قالت: إلى الطلب بدم عثمان. فقال: قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق، ثم قال: أيها الناس! إنكم لتعلمون أين الممالي في دم عثمان، ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل:

فمنك البداء ومنك العويل

وتواتر عليه الرمي واتصل. فحرّك فرسه وزال عن موضعه، فقال: ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلا الحرب!

وقال أبو مخنف وغيره واللفظ لابي مخنف: (١)

فرمى أصحاب الجمل عسكر عليّ بالنبل رمياً شديداً متتابعاً فضجّ إليه أصحابه وقالوا: عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين! وجرىء، برجل إليه وإنه لفي فسطاط له صغير، فقيل: هذا فلان قد قتل، فقال: اللهم اشهد، ثم قال: اعذروا إلى القوم، فأتى برجل آخر، فقيل: وهذا قد قتل، فقال: اللهم اشهد، اعذروا إلى القوم، ثم أقبل عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو من أصحاب رسول الله (ص) يحمل أخاه عبدالرحمن بن بديل (٢) قد أصابه

ص: ٢٢١

١- ابن أعثم في تاريخه ص ١٧٦ و ١٧٧، وأبو الفرج في الاغانى ١٢٧/١٦، كلاهما أورد بعض هذا الحديث واليعقوبى في تاريخه ١٥٨/٢، ملخصاً، وأورده أبو مخنف في الجمل على روايه ابن أبي الحديد عنه في شرح النهج ٨١/٢ و ٤٣٠. وقد تخيرنا اللفظ من الاخير.

٢- عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي. اختلفوا في نسبه وكان سيد خزاعه أسلم هو وأبوه يوم الفتح أو قبله، وشهدا حيناً والطائف وتبوك. توفي أبوه بديل قبل وفاه النبي وأرسل النبي عبد الله وأخاه عبد الرحمن بن بديل الى اليمن. وشهد مع علي صفين وخطب في أصحابه وقال: قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الامر أهله وقد قاتلتموهم مع رسول الله (ص)، فوالله ما هم في هذه بأزكى ولا أتقى ولا أبر. وحارب يومئذ وعليه درعان وسيفان، فلم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى الى معاويه فأزاله عن موقفه وأزال أصحابه الذين كانوا معه، فأقبلوا يرمونه حتى أثنخوه وقتل. فقال معاويه: ان نساء خزاعه لو قدرت أن تقاتلنى فضلا عن رجالها فعلت. هذا هو عبد الله وقد ذكر بعضهم ان أخاه عبد الرحمن قتل معه بصفين، راجع الاستيعاب ص ٧٠، والترجمه ص ٢٢٠ وص ٣٣٩ الترجمه ١٤٥٨، وص ٣٩٧ الترجمه ١٧٠٣ وأسد الغابه ١٢٤/٣ و ٢٨٢ والاصابه ٢٧٢/٢ الترجمه ٤٥٥٩ والمستدرک ٣/٣٩٥ و صفين ٢٧٦-٢٧٧.

سهم فقتله، فوضعه بين يدي عليّ وقال: يا أمير المؤمنين! هذا أخي قد قتل؛ فعند ذلك استرجع عليّ ودعا بدرع رسول الله (ص) ذات الفضول فلبسها فتدلّت على بطنه فرفعها بيده، وقال بعض أهله فحزم وسطه بعمامه وتقلّد ذا الفقار ورفع إلى ابنه محمّد رايه رسول الله (ص) السوداء وتعرف بالعقاب، وقال لحسن وحسين: إنّما رفعت الرايه إلى أخيكما وتركتكما لمكانكما من رسول الله (ص) وفي تاريخ ابن أعثم ١٧٦، انه ركب (دُلْدُل) بغله رسول الله (ص) وروى البلاذري في الانساب ٥١١/١ انها كانت هديه المقوقس ملك الاسكندريه الى رسول الله (ص)، وانها بقيت الى زمان معاويه، والطبري (١٧٨٣/١) ط. اوربا في ذكر اسماء بغال رسول الله (ص)، وطبقات ابن سعد (٤٩١/١) في ذكر خيل رسول الله (ص) ط. دارى صادر وبيروت.

قال أبو مخنف: وطاف عليّ على أصحابه وهو يقرأ (أم حسبتم أن تدخلوا الجنّه ولّمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّيتهم البأساء والضراء وزلزلوا حتّى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا إنّ نصر الله قريب).

ثمّ قال: أفرغ الله علينا وعليكم الصبر، وأعزّ لنا ولكم النصر، وكان لنا ولكم ظهيراً فى كل أمر.

مقتل الزبير:

وقال الطبرى: فلّمّا توافقوا خرج عليّ على فرسه فدعا الزبير. فتواقفا. فقال عليّ للزبير: ما جاء بك؟ قال: أنت، ولا أراك لهذا الامر أهلاً ولا أولى به منّا، فقال له عليّ: لست له أهلاً بعد عثمان (رض)؟ قد كنّا نعدّك من بنى

عبدالمطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء، ففرّق بيننا وبينك، وعظّم عليه أشياء، فذكر أنّ النبي (ص) مرّ عليهما فقال لعليّ: ما يقول ابن عمّتك؟ ليقاتلتك وهو لك ظالم، فانصرف عنه الزبير، وقال: فإنّي لا أقاتلك فرجع إلى ابنه عبد الله فقال: ما لي في هذه الحرب بصيره فقال له ابنه: قد خرجت على بصيره، ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب، وعرفت أنّ تحتها الموت فجئت، فأحفظه حتى أردد وغضب وقال: ويحك! إنّي قد حلفت له: ألاّ أقاتله فقال له ابنه: كفر عن يمينك بعق غلامك سرجس، فأعتقه وقام في الصفّ معهم وكان عليّ قال للزبير: أطلب مني دم عثمان وأنت قتلته؟ سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره. (١)

قد أورد الطبري في هذه الرواية ملخص ما دار بين عليّ والزبير بين الصّفين، وأورد تفصيله في الرواية الآتية حيث قال فيها: خرج الزبير على فرس عليه سلاح، فقيل لعليّ: هذا الزبير قال: أما إنّه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكر؛ وخرج طلحه فخرج إليهما عليّ، فدنا منهما حتى اختلف أعناق دوابهم؛ فقال عليّ: لعمرى لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً؛ إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله سبحانه ولا تكونا كالتى ((نقضت غزلها من بعد قوّه أنكاثاً))، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرّمان دمي وأحرّم دماءكما؟ فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟ قال طلحه: ألّبت الناس على عثمان (رض)، قال عليّ: (يومئذ يوفّيهم الله دينهم الحقّ ويعلمون أنّ الله هو الحقّ المبين) (النور / ٢٥)، يا طلحه! تطلب بدم عثمان (رض)! فلعن الله قتله عثمان، يا زبير! أتذكر يوم مررت مع رسول الله (ص) في بنى غنم فنظر إليّ فضحك وضحكت إليه، فقلت: لا يدع ابن أبي طالب؟ زهوه فقال لك رسول الله (ص):

((صه إنّه ليس به زهوّ ولتقاتلنّه وأنت له ظالم)). (٢)

ص: ٢٢٣

١- . تاريخ الطبري، وط. أوروبا ٣١٨٥/١.

٢- . تاريخ الطبري، وط. أوروبا ٣١٧٥-٣١٧٦.

وفى تاريخ ابن أعمش (فقال له: ما حملك يا أبا عبد الله على ما صنعت؟ فقال: الزبير حملنى الطلب بدم عثمان، فقال له: أنت وطلحه وليتماه، وإنما نوبتك من ذلك أن تقيد به نفسك وتسلمها إلى ورثته؛ ثم قال: نشدتك الله أتذكر... الحديث (١).

وفى روايه الطبرى بعده: (٢).

فقال: اللهم نعم، ولو ذكرت ما سرت مسيرى هذا، والله لا أقاتلك أبداً، فانصرف على أصحابه، فقال: أما الزبير فقد أعطى عهد الله ألا يقاتلكم، ورجع الزبير إلى عائشه، فقال لها: ما كنتُ فى موطن منذ عقلتُ إلا وأنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا. قالت: فما تريد أن تصنع، قال: أريد أن أدعهم وأذهب، فقال له ابنه عبد الله: جمعت بين هذين الغارين حتى إذا حدّد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب؟! أحسست رايات ابن أبى طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد.

قال: إنى قد حلفت ألا أقاتله. وأحفظه ما قال له.

فقال له: كفر عن يمينك وقاتله، فدعا بسلام له يقال له: ((مكحول)) فأعتقه.

فقال عبدالرحمن بن سليمان التميمي:

لم أر كالיום أخوا إخوان أعجب من مكفر الايمان

بالعتق فى معصيه الرحمان

وقال رجل من شعرائهم:

يعتق مكحولاً لصون دينه كفاره الله عن يمينه

والنكت قد لاح على جبينه

انتهى حديث الطبرى.

ص: ٢٢٤

١- . كتاب الفتوح، ٣٠٩/٢، ط. حيدر آباد الدكن.

٢- . عدنا الى روايه الطبرى.

وفى مروج المسعودي: (١) وخرج علي بن نفسه حاسراً على بلغه رسول الله (ص) لا سلاح عليه، فنادى يا زبير اخرج إلي! فخرج شاكاً سلاحه، فقيل لعائشه، فقالت: وا حرباه بأسماء! فقيل لها: إنَّ علياً حاسراً فاطمأنت، واعتنق كل واحد منهما صاحبه.

فقال له علي: ويحك يا زبير! ما الذي أخرجك!؟

قال: دم عثمان.

قال: قتل الله أولانا بدم عثمان. أما تذكر.. الحديث.

فقال الزبير: أستغفر الله، ولو ذكرت ما خرجت.

فقال: يا زبير! ارجع، فقال: وكيف أرجع الان وقد التقت حلقتا البطان؛ هذا والله العار الذي لا يغسل.

فقال: يا زبير! ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار، فرجع الزبير وهو يقول:

اخترت عاراً على نار مؤججه

فقال ابنه عبد الله: أين تدعنا!

فقال: يا بُنَيَّ أذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته.

فقال: لا والله ولكنك فررت من سيوف بني عبدالمطلب فإنها طوال حداد، تحملها فتية أنجاد.

في روايه ابن أعثم وشرح النهج بعده: ((فقال الزبير: مالك! أخزأك الله من ولد! ما أشأمك! (٢))

وفى روايه المسعودي:

ص: ٢٢٥

١- . مروج الذهب، ط. بيروت ٣٦٢/٢-٣٦٣.

٢- . ابن أعثم في تاريخه، وشرح النهج ١٧٠/٢.

قال الزبير: لا والله، ولكنى ذكرت ما أنسانيه الدهر، فاخترت العار على النار. أبالجين تعيرنى؟ لا أبأ لك! ثم أمال سنانه وشد في الميمنه.

فقال علي: أفرجوا له فقد هاجوه، ثم رجع فشد في الميسره، ثم رجع فشد في القلب ثم عاد إلى ابنه فقال: أيفعل هذا جبان؟ ثم مضى منصرفاً حتى أتى وادى السباع والاحنف بن قيس معتزل في قومه من بنى تميم، فأتاه آت فقال: هذا الزبير ماراً، فقال: ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضاً وهو مار إلى منزله سالمًا، فلحقه نفر من بنى تميم فسبقهم إليه عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير إلى الصلاه فقال: أتؤمنى أو أوئك؟ فأمه الزبير فقتله عمرو بن جرموز في الصلاه. (١)

ص: ٢٢٦

١- . وذكر المسعودى وأبو مخنف كلاهما قالا: فجاء بسيفه الى علي. فقال: والله ما كان ابن صفيه جباناً ولا لثيماً ولكن الحين ومصارع السوء. ثم أخذ سيفه وهزه وقال: سيف طال ما جلا به الكرب عن وجه رسول الله (ص). فقال ابن جرموز: الجائزه يا أمير المؤمنين! فقال: أما إني سمعت رسول الله (ص) يقول: قاتل ابن صفيه في النار. فخرج ابن جرموز خائباً وقال: أتيت علياً برأس الزبير وقد كنت أرجو به الزلفه فبشر بالنار يوم الحساب فبئست بشاره ذى التحفه *** لسيان عندى قتل الزبير وضرطه عنز بذى الجحفه وقال أبو مخنف: ثم خرج ابن جرموز على علي مع أهل النهف فقتله معهم فيمن قتله. قد أوردنا ما دار بين علي والزبير من الطبرى ١٩٩/٥ و ٢٠٤، وط. أوربا ٣١٧٥/١، والاعانى ١٢٦/١٦ وأبو مخنف على روايه ابن أبى الحديد عنه كما فى شرح النهج ٧٨/١، وتاريخ ابن أعثم ٢٨١/١-٣١٤، ط. حيدر آباد الدكن، ومروج الذهب للمسعودى، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٦٤/٥ وورد تذكير علي للزبير قول الرسول له ورجوعه عن الحرب فى الاستيعاب ص ٢٠٣، وأسد الغابه ١٩٩/٢، وتاريخ ابن الاثير ٩٤/٣-٩٥، والعقد الفريد ٣٢٢/٤-٣٢٣، والمستدرک ٣٦٦/٣-٣٦٧، والكنز ٨٢/٦-٨٣ و ٨٥ منه الحديث ١٢٨٣ و ١٢٩٠ و ١٢٩١ و ١٣١٨ و ١٣١٩ و ١٣٢٠. عن نذير الضبى، وعن ابن عباس - مختصراً - وعن ابن جرير، والاسود بن قيس، وعبد السلام. والذهبي فى النبلاء ٣٨/١-٣٩ واليعقوبى فى تاريخه ١٥٨/٢ والاصابه ٥٢٧/١ ترجمه ٢٧٨٩.

هكذا انتهت حياة الامير الاول لجيش أم المؤمنين، ثم صفت إماره الجيش لابن عمها (اي ابن عم عائشه) طلحه.

مقتل طلحه:

قال ابن عساكر: وبعث عليّ إلى طلحه أن القنى، فلقية فقال له: أنشدك الله أسمعك رسول الله (ص) يقول:

((من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)) قال: نعم. فقال له: فلم تقاتلني!؟

وقال الطبرى: قال عليّ ياطلحه! جئت بعرس رسول الله (ص) تقاتل بها وخيأت عرسك فى البيت؟ أما بايعتنى؟ قال: بايعتك وعلى عنقى اللج. (١)

وروى ابن عساكر والذهبيّ عن أبي رجاء قال: رأيت طلحه على دابته وهو يقول: يا أيها الناس! أنصتوا، فجعلوا يركبونه ولا ينصتون، فقال: أف فراش النار وذئاب طمع.

وفى تاريخ ابن أعثم: إن طلحه نادى بأعلى صوته: يا عباد الله! اصبروا، فإنّ الصبر والظفر قرينان، وإنّ أجر الصابرين كثير، وإنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب.

وروى أبو مخنف بسنده إلى جندب بن عبد الله قال: مررت بطلحه وإنّ معه عصابه يقاتل بهم وقد فشت فيهم الجراح وكثرهم الناس فرأيته جريحاً والسيف فى يده وأصحابه يتصدّعون عنه رجلاً فرجلاً واثنين فائنين وأنا أسمعهم وهو يقول: عباد الله الصبر الصبر فإنّ بعد الصبر النصر والاجر... الحديث.

وقال ابن عبد البرّ واليعقوبى وابن عساكر وابن عبد ربّه وابن الاثير وابن حجر: فلمّا اشتبكت الحرب قال مروان: لا أطلب بثارى بعد اليوم، ثمّ رماه

ص: ٢٢٧

- طلحه - بسهم فأصاب ركبته فما رقى الدم (١) حتى مات، وقال: لا يختلف العلماء الثقات: في أن مروان قتل طلحه يومئذ وكان في حربه.

وفي طبقات ابن سعد قال طلحه: والله ما بلغت إلينا سهامهم.

وروى المسعودي أن مروان قال لَمَّا رأى طلحه: ما أبالي رميت هاهنا أم هاهنا - جيش عليّ أو جيش البصره - فرماه في أكحله فقتله. (٢)

وروى ابن سعد وقال: كان مروان مع طلحه في الخيل فرأى فرجاً في درع طلحه فقتله. وروى أيضاً وقال: فلَمَّا رأى انكشاف الناس نظر إلى طلحه واقفاً، فقال: والله إن دم عثمان عند هذا؛ هو كان أشدّ الناس عليه، وما أطلب أثراً بعد عين. ففوق له سهماً فقتله. (٣)

وفي المستدرک وابن عساكر وأسد الغابه:

فالتفت إلى أبان بن عثمان وهو معه، فقال: لقد كفيتك أحد قتله أبيك.

وروى ابن أعمش تفصيل قتل طلحه هكذا قال: قال مروان لغلّامه: إنّي لأعجب من طلحه فإنّه لم يكن أشدّ منه على عثمان، فقد كان يحزّض أعداءه ويسعى حثيثاً في إراقه دمه واليوم جاء يطلب ثاره! أريد أن أرميه وأريح المسلمين من شرّه فلو تقدّمت أمامي وحجبتني كي لا أرى فيعلم أنّي رميته، فأنت حرّ، ففعل، فأخرج مروان سهماً مسموماً من كنانته فرماه فشكّ قدمه إلى ركابه. (٤) فقال - طلحه - لغلّامه: خذني إلى الظلّ، فقال: لا أرى هاهنا ظلاً، فقال طلحه: سبحان الله! لا أرى في قریش اليوم أضيع دماً مني ولا أدري من رمانى وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وروى المدائني وقال: لَمَّا أدبر طلحه وهو جريح يرتاد مكاناً ينزله جعل يقول: لمن يمرّ به من أصحاب عليّ: أنا طلحه من يجيرني يكررها.

ص: ٢٢٨

١- ما رقى الدم: ما انقطع.

٢- ((الاکحل)): عرق في الذراع يفصد.

٣- فوق السهم: جعل فوقته في الوتر ليرمي، والفوقه: رأس السهم.

٤- شكه بالرمح: طعنه، وخرقه الى العظم: شك الشيء الى الشيء ضمه إليه.

قال: فكان الحسن البصرى إذا ذكر ذلك يقول: لقد كان في جوار عريض.

وقالوا: ثم مات ودفنوه بالسبخه.

وقال ابن عبد ربّه وابن عبد البرّ والذهبي:

إنّه كان أوّل قتيل. (١)

قتل أمير جيش أمّ المؤمنين ولم يؤثّر ذلك في نفوس جيشها فقد كان الجمل رايتهم فازداد التفاهم حوله واستماتوا دونه واشتدّ الحرب ضراماً.

لواء الجيشين:

ثمّ خرج عليّ وقد تعمّم بعمامه سوداء، فعبأ أصحابه، وخرجت أمّ

المؤمنين راکبةً على الجمل الذي اشتراه لها يعلى بن أمّيه، وعبأت أصحابها. (٢)

وكان الجمل لواء أهل البصره لم يكن لواء غيره (٣) وأعطى عليّ رايته في أوّل الحرب إلى ابنه محمّد بن الحنفية قال محمّد: (٤) دفع إلى أبي الرايه يوم

ص: ٢٢٩

١- الطبرى ٢٠٤/٥، واليعقوبى فى تاريخه ١٥٨/٢، وابن أعثم فى تاريخه، والمسعودى فى مروه وبن سعد فى الطبقات ط. بيروت ٢٢٣/٣، والمستدرک ٣٧١/٣، وابن عساکر فى تهذيب تاريخه ٨٤/٧-٨٧، ابن عبد البر فى الاستيعاب ص ٢٠٧-٢٠٨ الترجمة ٨٧٥، واسد الغابه ٦٠/٣-٦١ والذهبي فى النبلاء ٨٢/١-٨٣، وابن حجر فى الاصابه ٢٢٢/٢ الترجمة ٤٢٦٦، والعقد الفريد ٣٢١/٤، وأبو مخنف والمدائنى بروايه شرح النهج ٤٣١/٢.

٢- تاريخ ابن أعثم ١٧٦.

٣- ابن أبى الحديد ١ و ٨١/٢ قال: وكان جمل عائشه رايه عسكر أهل البصره قتلوا دونه كما تقتل الرجال تحت راياتها وفى تاريخ ابن أعثم ١٧٦ ان أهل البصره كانوا قد حملوا رايتهم على الجمل المذكور، وقریب منه ما ذكره اليعقوبى فى تاريخه.

٤- الطبرى ٢٠٧/٥-٢٠٨، وأمّ محمد خوله بنت جعفر بن قيس بن مسلمه بن عبيد بن ثعلبه بن يربوع بن حنيفه من جدم بكر بن وائل، سبيت ثم أخذها على واختلفوا فى كيفيه سبيها، روى ان أبى الحديد فى ٨١/١ من شرحه عن أنساب البلاذرى أن بنى أسد أغارت على بنى حنيفه فى أيام أبى بكر فسبوا منهم وقدموا بها المدينه فباعوها الى على وبلغ قومها خبرها فأتوا علياً واخبروه بموضعها منهم، فأعتقها ومهرها وتزوجها فولدت محمّداً فكانه أب القاسم وقيل: ان خالداً قاتل أهلها فى حروب الرده وسبها ودفنها أبو بكر الى على.

الجمال وقال: تقدّم، فتقدّمت حتّى لم أجد متقدّماً إلّا على رمح، قال تقدّم لا أمّ لك. فتكأ كأت(1) وقلت: لا أجد متقدّماً إلّا على سنان رمح فتناول الرايه من يدي متناولاً لا أدري من هو فنظرت فإذا أبى بين يدي وهو يقول:

أنت التي عرّك منّي الحُسنى يا عيشُ إنّ القوم قوم أعدا

الخفض خيّر من قتال الابنا

الموت حول الخطام:

وكان كعب بن سور يوم الجمال أخذاً بخطام جمال عائشه وفي عنقه المصحف وفي يده عصاً فجاءه سهم غرب فقتله.(2)

ص: ٢٣٠

١- . تكأ كأت: نكصت.

٢- . ((غرب)) بفتحين و ((غرب)) بفتحه وسكون: سهم لا يدري من رماه. (لسان العرب). وكعب بن سور هو ابن بكر بن عبد الازدى من القسامل من بنى لقيط؛ أسلم في عهد النبي ولم يصحبه فعدوه من التابعين قال ابن عبد البر: بعثه عمر بن الخطاب قاضياً على البصره لخبر عجيب مشهور له معه: وحكى هو وغيره وقال: إنّ كعباً كان جالساً عند عمر اذ جاءت امرأه فقالت: ما رأيت رجلاً أفضل من زوجي أنّه ليبت ليله قائماً ويظل نهاره صائماً في اليوم الحار ما يفطر فاستغفر لها عمر وأثنى عليها وقال: مثلك أثنى بالخير وقاله، فاستحيت المرأة وقامت راجعه فقال كعب: يا امير المؤمنين هلا أعديت المرأة على زوجها اذ جاءتك تستعديك؟ فقال: أكذلك أرادت؟ قال: نعم، قال: ردّوا علىّ المرأة فرّدت، فقال لها: لا بأس بالحق أن تقوليه ان هذا يزعم أنك جئت تشتكين أنه يجنب فراشك، قالت: أجل! إنني امرأة شابّه وإنّي أبتغي ما تبتغي النساء. فأرسل ال زوجها فجاء فقال لكعب: اقض بينهما، فقال: أمير المؤمنين أحق؛ فقال: عزمت عليك لتقضيّن بينهما فأنك فهمت من أمرهما ما لم أفهم فقضى لها يوماً وليله من أربع فقال عمر: والله ما رأيك الاول بأعجب من الاخر، اذهب فأت قاض على أهل البصره. فلم يزل قاضياً حتّى قُتل يوم الجمال. راجع في ما ذكرناه عن كعب: الطبرى ٢١٦/٥، وط. أوربا ٣٢١١/١، والاستيعاب ص ٢٢١-٢٢٢ الترجمة ٩٣٣، وأسدالغابه ٢٤٢/٤-٢٤٣، والاصابه ٢٩٧/٣ الترجمة ٧٤٩٥، والاشتقاق ٥٠٠، وشرح النهج ٨١/٢، وتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٢٥٨/١، وطبقات ابن سعد ٩٢/٧-٩٧ ط. بيروت والجمال للمفيد ١٥٦-١٥٧، والكامل للمبرد ٢٤٢/٣، ط. مصر وتحقيق ابراهيم الدلجمونى.

ولم يكن لكعب رأى في القتال، فقد روى الطبرى عنه: أنه قال يومذاك:

أنا والله كما قالت القائله: ((يابنى لاتبن ولا تقاتل)).

وروى ابن سعد: أن كعب بن سور لما قدم طلحه والزبير وعائشه البصره دخل فى بيت وطین عليه بابه، وجعل فيه كُوّه يناول منه طعامه وشرابه اعتزلاً للفتنه، فقيل لعائشه: إن كعب بن سور إن خرج معك لم يتخلف من الازد أحد، فركبت إليه فنادته وكلمته، فلم يجبه فقالت: يا كعب ألسْتُ أُمك:

ولى عليك؟ حق فكلمها.. الحديث.

إن ابن سعد لم يعين القائل لعائشه: (إن كعب بن سور إن خرج لم يتخلف عنك الازد)، والمفيد قد نسبه إلى طلحه والزبير ورواه هكذا:

وتأخر عنهما الازد لعود كعب بن سور القاضى عنهما وكان سيد الازد وأهل اليمن بالبصره، فأنفذا إليه رسوليهما يسألانه النصره لهما، والقتال معهما فأبى عليهما، وقال: أنا أعتزل الفريقين، فقالا: لئن قعد عنا كعب خذنا الازد بأسرها ولا غنى لنا عنه، فصارا إليه واستأذنا عليه فلم يأذن لهما وحجبهما، فصارا إلى عائشه فخبّرها خبره، وسألاها أن تسير إليه فأبت وأرسلت إليه تدعوه إلى الحضور عندها فاستعفاها من ذلك.

فقال طلحه والزبير: يا أم! إن قعد عنا كعب قعدت عنا الازد كلها وهى حى البصره فاركبي إليه، فإنك إن فعلت لم يخالفك وانقاد لرأيتك، فركبت بغلاً وأحاط بها نفر من أهل البصره وذهبت إلى كعب... الحديث.

وقال: المبرّد فى الكامل: فلَمّا كان يوم الجمل خرج مع إخوه له، قالوا: ثلاثه وقالوا: أربعه، وفى عنقه مصحف فقتلوا جميعاً فجاءت أمهم

حتى وقفت عليهم فقالت:

يا عين جودي بدمع سرب

الخطام بيد قريش:

وأخذ الخطام عبدالرحمن بن عتاب وارتجز يقول:

أنا بن عتاب وسيفي ولول والموت عند الجمل المجلل

فقطعت يده وقُتِل. (١).

وأخذ خطام الجمل سبعون من قريش، قُتِلوا كلهم، ولم يكن يأخذ بخطام الجمل أحد إلاّ -سالت نفسه، أو قطعت يده، (٢)- وجاءت بنو ناجيه، فأخذوا بخطام الجمل، ولم يكن يأخذ الخطام أحد إلاّ سألت عائشه من هذا؟ فسألت عنهم، فقيل بنو ناجيه، فقالت عائشه: صبراً يا بنى ناجيه: (٣) فإني

ص: ٢٣٢

١- . عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص القرشي الاموي وأمه جويزيه بنت أبي جهل، وكان اسم سيفه و ((لول)) وقطعت يده وفيها خاتمه قالوا: فخطفها نسر ذلك اليوم وطرحها بالمدينه أو اليمامة فعرفت يده بخاتمه. راجع الطبري ٢١٠/٥ واسد الغابه ٣٠٨/٣ ونسب قريش ١٩٣.

٢- . هذه روايه أبي مخنف في كتابه: ((الجمل)) بروايه المعتزلي عنه في شرح النهج ٢٦٥/١-٢٦٦؛ وقال الطبري: قتل سبعون على خطام الجمل الطبري ٢٠٤/٥.

٣- . بنو ناجيه نسبه الى امهم ناجيه وكانت ناجيه زوجه سامه بن لؤي بن غالب القرشي، وخرج سامه الى ناحيه البحرين مغاضباً لـأخيه كعب بن لؤي في مخاصمه كانت بينهما فنهش ساقه أفعى فقلته. وقال من يدفعهم عن قريش من نسابي قريش: وكانت معه امرأته ناجيه. فلما مات تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولدت منه الحارث، ومات أبوه وهو صغير فطمعت أمه أن تلحقه بقريش، فرحلت به الى مكه وتعرفت الى كعب، وقالت له انّ الحارث هو ابن أخيه سامه فصدّقها ومكث - الحارث - عنده مدّه حتى قدم ركب من البحرين فأخبروا كعباً انّ الحارث ابن رجل فنفاه كعب ونفى أمه فرجعا الى البحرين وتزوج الحارث هناك وأعقب هذا العقب. وقال ابن الكلبي: ان الحارث نكح أمه ناجيه نكاح مقت ومات هو وأخوه غالب ولم يعقب. وانّ قوماً من بنى ناجيه بن جرم بن علاف ادعوا أنّهم بنو سامه من ناجيه، وانهم ولد الحارث هذا الذي قلنا أنّه لم يعقب، وقال ابن حزم في الجمهره ص ١٦٢: وفيهم يقول بعض شعراء قريش. وسامه منّا فأما بنوه فأمرهم عندنا مظلم الاغانى ٢٠٣/١٠-٢٠٥، وشرح النهج ١٢٠/٣-١٢١ تحقيق محمد أبو الفضل.

أعرف فيكم شمائل قريش. قالوا: وبنو ناجيه مطعون في نسبهم إلى قريش، فقتلوا حولها جميعاً.

الخطام بيد ضبه:

وأخذ عمرو بن يثربى خطام الجمل وكان فارس أصحاب الجمل

وشجاعهم ثم دفعها إلى ابنه وبرز للقتال وارتجز، وقتل اثنين من جيش عليّ ثم رجع إلى الخطام ثم أراد أن يخرج لطلب البراز فقال الازد: يا معشر الازد إنكم قوم لكم حياء وبأس، وإني وترت القوم وهم قاتلي، وهذه أممكم نصرها دينٌ وخذلانها عقوقٌ... الحديث. ثم برز وقاتل، فقتل. (١).

وروى الطبري (٢) وقال: كان عمرو بن يثربى يحضض قومه يوم الجمل وقد تعاوروا الخطام (٣) يرتجزون:

ص: ٢٣٣

١- عمرو بن يثربى بن بشر بن الرحب الضبي كان من رؤوس ضبه في الجاهليه، ثم أسلم واستقصاه عثمان وقيل أنّ الذي استقصاه عثمان إنّما هو أخوه عميره، ولما ولي البصره عبد الله بن عامر بن كريز أعاد الى قضائها كعب بن سور؛ وأنّ عمرو بن يثربى هذا غير عمرو بن الضمرى الصحابي الذي ترجمه ابن عبد البرّ في الاستيعاب في ص ٤٤٣، وفي أسد الغابه ١٣٥/٤. وقد ذكر ان الضمرى الصحابي الذي استقصاه عثمان؛ راجع ترجمه عمرو الضبي في الاشتقاق ٤١٢ والجمهره ١٩٤-١٩٥ والاصابه ١١٩/٤ وذكر أبو مخنف تفصيل قتال عمرو بن يثربى في ((الجمل)) راجع شرح النهج ٢٥٨/١-٢٦٠.

٢- الطبري ٢١٠/٥.

٣- تعاوروا الخطام: تداولوه فيما بينهم.

نحن بنو ضبّه لا نفرُّ

حتّى نرى جماجماً تحرُّ

يخرُّمنها العلق المحمّر^(١)

يا أمّنا يا عيشُ لن تراعى

كل بنيك بطلُ شجاع

يا أمّنا يا زوجة النبيّ

يا زوجة المبارك المهدىّ

حتّى قتل على الخطام أربعون رجلاً.

وقالت عائشه (رض): ما زال جملى معتدلاً حتّى فقدت أصوات بنى ضبّه... الحديث.

وروى الطبرى أيضاً: (٢) أن ضبّه والآنزد أطافت بعائشه يوم الجمل وإذا رجال من الازد يأخذون بعرجل الجمل فيفتونه (٣) ويشمونه ويقولون: بعرجل أمّنا ريحه ريح المسك... الحديث.

الافتراس عند الموت:

ذكر المدائنى (٤) أنه رأى بالبصره رجلاً مصطلم الاذن فسأله عن قصّيته فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى، فنظر إلى رجل يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول:

لقد أوردتنا حومه الموت أمّنا

ص: ٢٣٤

١- . العلق: الدم الجامد الغليظ قبل أن يببس.

٢- . الطبرى ٢١٢/٥ وابن الاثير ٩٧/٣.

٣- . يفتونه: يكسرونه بأصابعهم.

٤- . روى عنه المسعودى فى مروه بهامش الكامل ١٩٩/٥ وراجع ابن الاثير ١٠٠/٣.

أطعنا بني تيم بن مرّه شقوه وهل تيم إلا أعبد وإماء (١).

فقلت: سبحان الله أتقول هذا عند الموت؟ قل: لا إله إلا الله.

فقال: يا ابن اللّخناء! إياي تأمر بالجزع عند الموت. فولّيت عنه متعجباً منه فصاح بي! أدن منّي، ولقّني الشهاده، فصرت إليه فلما قربت منه استدانني، ثمّ التقم أذني فذهب بها، فجعلت ألعنه وأدعو عليه، فقال: إذا صرت إلى أمك، فقلت: من فعل هذا بك؟ فقل عمير بن الاهلب الصّبيّ مخدوع المرأه التي أرادت أن تكون أميره المؤمنين.

وفى روايه الطبري: قال: ادن منّي ولقّني فإن في أذنيّ وقرأ فدنوت منه، فقال ممّن أنت؟ قلت: رجلٌ من أهل الكوفه. فوثب عليّ فاصطلم أذني.

وفى روايه أخرى للطبري (فمرّ به رجلٌ من أصحاب عليّ وهو في الجرحي...) الحديث.

اراجيز ضبه والازد:

وروى ابن أبي الحديد (٢) عن المدائني والواقدي أنّهما قالا: ما حفظ رجز قطّ أكثر من رجز قيل يوم الجمل، وأكثره لبني ضبه والازد، الذين كانوا حول الجمل يحامون عنه...

ونقل من أراجيز أهل البصره قول بعضهم:

يا أمنا يكفيك مّا دنوه لن يؤخذ الدهر الخطام عنوه

ص: ٢٣٥

١- . قد ورد البيتان الاخيران في روايه الطبري ٢١٣/٥، وط. أوربا ٣٢٠٥/١، وفي روايه المسعودي بعد البيت الاول: أطعنا بني تيم لشقوه جدناوما تيم إلا- أعبد وإماء يقصد بقوله: (امنا) و (امّه) أمّ المؤمنين، و (تيم) قبيله أمّ المؤمنين، وطلحه، و (المصطلم): مقطوع الاذن والانف من أصلهما.

٢- . قد أوردنا هنا قسماً من روايه ابن أبي الحديد عن المدائني والواقدي راجع تفصيل ما نقله عنهما في شرحه للنهج ٢٥٣/١-٢٥٦، ط. مصر تحقيق محمد أبو الفضل.

وحولك اليوم رجال شنوه

قالوا: وخرج من أهل البصره شيخ صبيح الوجه، نبيل، عليه جبّة وشى، يحضّ الناس على الحرب، ويقول:

يا معشر الازد عليكم أمكم

قال المدائني والواقدي: وهذا الرجز يصدّق الروايه أن الزبير وطلحه قاما في الناس فقالا: إنّ عليّاً إن يظفر فهو فناؤكم يا أهل البصره، فاحموا حقيقتكم، فإنّه لا- يبقى حرمة إلا انتهكها، ولا حرماً إلا هتكه، ولا ذرية إلا قتلها، ولا ذوات خدر إلا سباهنّ، فقاتلوا مقاتله من يحمى عن حرime، ويختار الموت على الفضيحة يراها في أهله.

وقال أبو مخنف: لم يقل أحدٌ من رجّاز البصره قولاً كان أحبّ إلى أهل الجمل من قول هذا الشيخ. استقتل الناس عند قوله، وثبتوا حول الجمل وانتدبوا، وخرج عوف بن قطن الضبي؛ وهو ينادى ليس لعثمان ثارٌ إلا- عليّ ابن أبي طالب وولده، فأخذ خطام الجمل وقال:

يا أمّ يا أمّ خلا منّي الوطن

ثمّ تقدّم، فضرب بسيفه حتّى قتل.

ص: ٢٣٦

قتل بنو ضبّه حول الجمل، فلم يبق فيهم إلا من لا نفع عنده وأخذت الازد بخطامه فقالت عائشه: ((من أنتم؟)) قالوا: الازد قالت: ((فإنما يصبر الاحرار.

مازلت أرى النصر مع بنى ضبّه، فلما فقدتهم أنكرته)) فحرّضت الازد بذلك فقاتلوا قتالاً شديداً. (١)

وأخذ الخطام عمرو بن الاشرف الازدى العتكى وكان لا يدنو منه أحدٌ إلاّ أخبطه بسيفه، إذ أقبل الحارث بن زهير الازدى وهو يقول:

يا أمنا ياخير أمّ نعلم أما ترين كم شجاعاً يُكَلِّمُ

وتُختلى هامته والمعصم

فاختلفا ضربتين فسقطا يفحصان الارض برجليهما حتّى ماتا. قتل عمرو وقتل معه ثلاثة عشر من أهل بيته. (٢)

مقتل صاحب دار أم المؤمنين فى البصره:

قال أبو مخنف: وخرج عبدالله بن خلف الخزاعى، وهو رئيس أهل البصره؛ وأكثرها مالاً وضياعاً، فطلب البراز، وسأل ألا يخرج إلاّ علىّ وارتجز فقال:

أبا تراب ادن منى فترا فأننى دان إليك شبرا

وإنّ فى صدرى عليك غمرا

فخرج إليه علىّ فلم يمهل أن ضربه ففلق هامته. (٣)

ص: ٢٣٧

١- النهج ٨١/٢.

٢- رواه الطبرى ٢١١/٥-٢١٢ وابن الاثير ٩٨/٣، ولم يذكر نسب عمرو بن الاشرف هذا. وقد ذكر نسبه ابن دريد فى الاشتقاق ٤٨٣ وراجع الجمهوره ٣٥٠ وكان أزدياً من عتيك والحارث أيضاً كان أزدياً فى جيش علىّ، فهذان ولدا عمّ يقتل أحدهما الآخر. ((خبطه)): ضربه ضرباً شديداً، و ((يكلم)) يجرح، و ((تخلى)) تقطع.

٣- عبد الله بن خلف أسعد بن عامر الخزاعى: أبو طلحه الطلحات، وكان كاتباً على ديوان البصره لعمر وعثمان وشهد أخوه عثمان بن خلف حرب الجمل مع علىّ، على ما ذكره فى أسد الغابه. وروى مبارزته أبو مخنف فى الجمل على روايه ابن أبى الحديد فى شرحه ٢٤١/١-٢٤٢ تحقيق محمد أبو الفضل، وابن أعثم فى تاريخه، وراجع ترجمته فى: الاشتقاق ٤٧٥، والمحبر ٣٧٧، والاستيعاب ص ٣٤٨، وأسد الغابه ١٥١/٣. و ((الغمر)): الحقد والعداوه.

وروى الطبرى عن ابن الزبير قال: مشيت يوم الجمل وبى سبع وثلاثون جراحه من ضربه وطعنه، وما رأيت مثل يوم الجمل قطُّ ما ينهزم منّا أحدٌ، وما نحن إلا كالجبل الأسود. وما يأخذ بخطام الجمل أحدٌ إلا قُتِلَ، فجئت فأخذت بالخطام.

فقال عائشه: من أنت؟

قلت: عبدالله بن الزبير.

قالت: وا ثكل أسماء. ومرّ بى الاشر فعرفته، فعانقته فسقطنا جميعاً

وناديت: اقتلونى ومالكاً؛ فجاءنا ناسٌ منّا ومنهم، فقاتلوا عنا حتّى

تجازنا، وضاع الخطام. (١)

وقال الواقدي: دعا عبدالله بن الزبير إلى المبارزه، فبرز إليه الاشر، فقالت عائشه: من برز إلى عبدالله، قالوا: الاشر، فقالت: وا ثكل أسماء، فضرب كلُّ منهما صاحبه فجرحه؛ ثمّ اعتنقا فصرع الاشر عبدالله وقعد على صدره واختلط الفريقان هؤلاء لينقذوا عبدالله؛ وهؤلاء ليعينوا الاشر وكان الاشر طاوياً ثلاثه أيام لم يطعم، وهذه عادته فى الحرب؛ وكان أيضاً شيخاً عالى السنّ، فجعل عبدالله ينادى: اقتلونى ومالكاً، فلو قال: اقتلونى والاشر لقتلوهما إلا أنّ أكثر من كان يمرّ بهما لا يعرفهما لكثره من وقع فى المعركه صرعى بعضهم فوق بعض، وأفلت ابن الزبير من تحته ولم يكد.

وفى العقد الفريد عن ابن الزبير قال: ثمّ جرّ برجلي فألقانى بالخندق،

ص: ٢٣٨

وقال: لولا قربك من رسول الله (ص) ما اجتمع فيك عضو إلى آخر! وروى الطبري عن علقمه قال: قلت للاشتر: قد كنت كارهاً لقتل عثمان (رض) فما أخرجك بالبصرة؟ قال: إن هؤلاء بايعوه ثم نكثوا وكان ابن الزبير هو الذي أكره عائشه على الخروج فكنت أدعو الله عز وجل أن يلقيني، فلقيني كفه لكفه فما رضيت بشده ساعدى أن قمت فى الركاب فضربته على رأسه فصرعته. قلنا: فهو القائل: اقتلوني ومالكاً.

قال: لا. ماتركته وفى نفسى منه شىء. ذاك عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد لقينى فاختلفنا ضربتين فصرعنى وصرعته فجعل يقول: اقتلوني ومالكاً، ولا يعلمون من مالك، فلو يعلمون لقتلوني.

وفى روايه أخرى للطبرى فجرح ابن الزبير فألقى نفسه فى الجرحى فاستخرج فبرأ^(١) وهذا ثالث الرؤوس يسقط من جيش الجمل، والحرب مع ذلك قائمه على قدم وساق جمل أم المؤمنين عائشه، والموت والدماء حوله، والابطال تتساقط أمامه كما تساقط أوراق الشجر فى الخريف.

إستداد الحرب:

وروى الطبرى^(٢) وقال: حملت ميمنه أمير المؤمنين على مىسره أهل البصره فاقتتلوا؛ ولاذ الناس بعائشه (رض) أكثرهم ضبه والازد.

قال أبو مخنف^(٣) وبعث على إلى الاشتر: أن احمل على مىسرتهم،

ص: ٢٣٩

١- . الطبرى ٢٠٤/٥ و ٢١٠ و ٢١١، وط. أوربا ٣١٨٩/١، عن علقمه وعن دينار بن عيزار، والواقدى بروايه شرح النهج ٨٧/١ فى شرح الخطبه ((كنتم جند المرأه)). وراجع ابن الاثير ٩٩/٣ والعقد الفريد ٣٢٦/٤، ط. لجنه التأليف، تاريخ ابن أعثم. ومروج الذهب مختصراً.

٢- . الطبرى ٢٠٧/٥.

٣- . فى شرح النهج ٨١/٢.

فحمل عليها وفيها هلال بن وكيع، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتِلَ هلال، قتله الاشر، فمالت الميسره إلى عائشه، فلاذوا بها، وأعظمهم بنو ضبّه وبنو عدى، (١) ثم عطف الازد، وضبّه، وناجيه، وباهله (٢) إلى الجمل فأحاطوا به، واقتتل الناس حوله قتالاً شديداً.

وروى المدائني والواقدي (٣) عن ضبّه والازد: أنهم كانوا حول الجمل يحامون عنه ولقد كانت الرؤوس تُنَدِرُ عن الكواهل، (٤) والايدي تطيح من المعاصم، وأقتاب البطن تندلق من الاجواف، وهم حول الجمل كالجراد الثابته لا تتحلحل ولا تتزلزل حتى لقد صرخ عليٌّ بأعلى صوته: ويلكم! اعقروا الجمل فإنه شيطان؛ ثم قال: اعقروه وإلا فنيت العرب؛ لا يزال السيف قائماً وراكعاً حتى يهوى هذا البعير إلى الارض.

قالوا: (٥) واستدار الجمل كما تدور الرحاه، وتكاثف الرجال حوله واشتدَّ رُغَاؤُه واشتدَّ زحام الناس عليه، ونادى الحتات المجاشعي: (٦) أيها

ص: ٢٤٠

١- . في القبائل العربية تسعه عشر بطناً تسمى بنى عدى ولم نعرف من أيهم كان هؤلاء. راجع: نهايه الارب للقلقشندى ص ٣٢٨-٣٣١، والجمهوره ١٤٠-٣٩٤.

٢- . بنو باهله هم بنو مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان؛ من العدنانيه، تزوج مالك من باهله بنت صعب بن سعد العشيره من مذحج، فولدت له سعد مناه، ثم مات مالك فخلف ابنه الاخر معن بن مالك على باهله فولدت له اولاداً، وحضنت سائر ولد معن من غيرها، فنسب جميعهم الى باهله. الجمهوره ص ٢٣٣-٢٣٥ ونهايه الارب للقلقشندى ص ١٦٠-١٦١، والاشتقاق ٢٦٩-٢٧٤.

٣- . بروايه ابن أبي الحديد عنهما ٨٤/١.

٤- . ((تندر)) تقطع و ((اقتاب البطن تندلق)) الامعاء تخرج من مكانها.

٥- . أبو مخنف وغيره، راجع ابن أبي الحديد ٨٧/١.

٦- . الحتات بن يزيد بن علقمه بن حوى التميمي الدارمي المجاشعي؛ وفد مع بنى تميم على النبي، وأسلم وأخى رسول الله بينه وبين معاويه بن أبي سفيان، ولما اجتمعت الخلافه لمعاويه قدم عليه الحتات، وجاريه بن قدامه، والاحنف بن قيس، وكلاهما من تميم، وكان الحتات عثمانياً، وكان جاريه والاحنف من أصحاب علي، فأعطاهما معاويه أكثر مما أعطى الحتات فرجع اليه، فقالت: فضلت عليّ محرراً ومخذلاً، قال: اشتريت منهما دينهما ووكلتك الى هواك في عثمان، قال: فأنا أيضاً فاشتر منى ديني! يعنى بالمحرر جاريه بن قدامه لأنه أحرق ابن الحضرمي في دار الاماره بالبصره لما أرسله معاويه اليها في أيام علي، والمخذل الاحنف حيث خذّل الناس عن عائشه يوم الجمل. قيل ان الحتات وَفِدَ على معاويه - في غير هذه المره - فمات عنده فورثه معاويه بتلك الاخوه. الاستيعاب ص ١٥٠ الترجمه ٦٠٧ وأسد الغابه ٣٧٩/١ والجمهوره ص ٢١٩.

الناس أممكم أممكم، واختلط الناس وضرب بعضهم بعضاً، وتقصّيد أهل الكوفة قصد الجمل، ودونه كالجبال كلّها خفّ قوم جاء أضعافهم؛ فنادى عليّ: ويحكم! ارشقوه بالنبل، اعقروه؛ لعنه الله، فرثّق بالسهم، فلم يبق فيه موضع إلاّ أصابه النبل وكان متجفجفاً (١) فتعلقت السهام به فصارت كالقنفذ.

ونادت الازد، وضبه: يا لثارات عثمان! فأخذوها شعاراً؛ ونادى أصحاب عليّ: يا محمّد: فاتخذوها شعاراً، واختلط الفريقان؛ ونادى عليّ بشعار رسول الله (ص): يا منصور أمت!.

عقر الجمل وانتهاء الحرب:

وروى الطبري (٢) عن أحدهم أنّه قال: حاص الناس حيصه، ثمّ رجعنا وعائشه على جمل أحمر في هودج ما شبهته إلاّ القنفذ من النبل.

وقال أبو مخنف: (٣) ورمى الجمل بالنبل حتّى صارت القبة عليه كهيئه القنفذ، وقال عليّ: لمّا فنى الناس على ختام الجمل، وقطعت الايدي وسالت النفوس: ادعوا لى الاشتر، وعمّاراً، فجاء! فقال: اذها فاعقرا هذا الجمل،

ص: ٢٤١

-
- ١- . تجفجف الطائر: انتفش فوق البيضه وألبسها جناحيه؛ وذلك لما كانوا ألبسوا عليه من الجلود والخشب وغير ذلك بحيث كان الجمل مستوراً تحتها كالبيضه تحت جناحي الطائر.
 - ٢- . الطبري ٢١٨/٥ وحاص عن العدو: انهزم عنه.
 - ٣- . بروايه المعتزلى عنه فى شرح النهج ٨١/٢.

فإنَّ الحرب لا يبوخ ضرامها(١) ما دام حيًّا؛ إنَّهم اتَّخذوه قبله.

وقال الطبرى: ونادى عليُّ أن اعقروا الجمل، فإنَّه إن عقر تفرَّقوا، فضربه رجل فسقط، فما سمعت صوتاً أشدَّ من عجيج الجمل.

وفى روايه أخرى لابي مخنف:(٢) فلما رأى عليُّ أن الموت عند الجمل، وأنَّه مادام قائماً فالحرب لا تُطفأ، وضع سيفه على عاتقه، وعطف نحوه، وأمر أصحابه بذلك، ومشى نحوه والخطام مع بنى ضبَّه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، واستحرَّ القتل فى بنى ضبَّه، فقتل منهم مقتله عظيمه، وخلص عليُّ فى جماعه من النخع وهمدان(٣) إلى الجمل، وقال لرجل من النخع اسمه ((بجير)): دونك الجمل يا بجير! فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه، وضرب بجرانه الارض وعجَّ عجيجاً لم يسمع بأشدَّ منه، فما هو إلا أن صرع الجمل حتَّى فرّت الرجال كما يطير الجراد فى الريح الشديده الهبوب، فنادى عليُّ: اقطعوا أنساع اليهودج؛ واحتملت عائشه يهودجها، وأمر بالجمل أن يُحرَّق ثمَّ يدْرَى فى الريح، وقال: لعنه الله من دابَّه، فما أشبهه بعجل بنى إسرائيل، ثمَّ قرأ: (وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفاً لنحرِّقنه ثمَّ لنسفنه فى اليمِّ نسفاً).

رعايه أم المؤمنين:

ثمَّ أمر عليُّ محمَّد بن أبى بكر، فضرب عليها قبَّه، وقال: انظر هل وصل إليها شيء: فأدخل رأسه.

فقال: من أنت؟

ص: ٢٤٢

١- . باخ الحر والغضب والنار: سكن وفتى وخمد.

٢- . لابي مخنف فى شرح النهج ٨٩/١.

٣- . النخع وهمدان بطنان من كهلان من القحطانيه. وهم بنو نخع بن عامر بن عله، ومنهم مالك الاشتر، وكميل بن زياد الجمهره ٣٨٩ وهمدان بن مالك بن زيد قال القلقشندى فى النهايه ص ٣٩٧: وكانت همدان شيعه عليّ عند وقوع الفتن بين الصحابه، وراجع الجمهره ٣٦٨-٣٧٢.

فقال: أبغض أهلك إليك.

قالت: ابن الخثعمية؟

قال: نعم.

قالت: بأبي أنت وأمي، الحمد لله الذي عافاك.

وفي مروج الذهب للمسعودي: قال لها: أقرب الناس قرابه، وأبغضهم إليك، أنا محمد أخوك، يقول لك أمير المؤمنين: هل أصابك شيء؟

قالت: ما أصابني شيء، إلا سهم لم يضرنى.

فجاء علي حتى وقف عليها، فضرب الهودج بقضيب، وقال: يا حميراء! أرسول الله أمرك بهذا؟ ألم يأمرك أن تقرى في بيتك؟ والله ما أنصفك الذين صانوا عقائلهم وأبرزوك.

وفي روايه أخرى للطبري: واحتمل محمد بن أبي بكر عائشه فضرب عليها فسطاطاً فوقف علي عليها، فقال لها: استفزرت الناس وقد فزوا، وألّبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً.... في كلام كثير، فقالت: ملكت فاسجح. (١)

وقال عمار بن ياسر لعائشه (رض) - حين فرغ القوم -: يا أم المؤمنين! ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك.

قالت: أبو اليقظان؟

قال: نعم.

قالت: والله إنك - ما علمت - قوال بالحق.

قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك. (٢)

ص: ٢٤٣

١- . الطبري ٢٠٤/٥ والعقد الفريد ٣٢٨/٤ واليعقوبي في تاريخه.

٢- . الطبري ٢٢٥/٥-٢٢٦ وابن الاثير ١٠٢/٣ وأنساب الاشراف للبلاذري ١٦٧/١ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري واللفظ للاول.

ثم نادى منادى عليّ ألا يُجْهَر على جريح، ولا يُتَبَع مَوْلٌ، ولا يطعن في وجه مدبرٍ، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. ثم آمن الاسود والاحمر.

وفى الكنز بعده: ولا يستحلن فرج ولا مالاً،^(١) وانظروا ما حضر به الحرب من آنيه فاقبضوه، وما كان سوى ذلك فهو لورثته، ولا يطلبنَّ عبد خارجاً من العسكر وما كان من دابته أو سلاح فهو لكم، وليس لكم أمُّ ولد، والمواريث على فرائض الله، وأئى امرأه قتل زوجها فلتعتدَّ أربعة أشهر وعشراً.

قالوا: يا أمير المؤمنين! تحلُّ لنا دماؤهم ولا تحلُّ لنا نساؤهم؟

فقال: كذلك السيره في أهل القبلة، فخاصموه.

قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوا على عائشه فهي رأس الامر وقائدهم، فعرفوا وقالوا: نستغفر الله، فخصمهم عليّ.

وقال عليّ يوم الجمل: نمنّ عليهم بشهاده أن لا إله إلا الله ونورث الابناء من الاباء.

وأورد في الكنز أيضاً تفصيل هذه المخاصمه بين عليّ وجيشه هكذا^(٢) وقال: وخطب عليّ في البصره بعد حرب الجمل وفيما هو يخطب قام إليه عمّار، فقال: يا أمير - المؤمنين! إنّ الناس يذكرون الفياء ويزعمون أنّ من قاتلنا فهو وماله وأهله فيّ لنا وولده.

فقام رجل من بكر بن وائل يدعى عبّاد بن قيس - وكان ذا عارضه ولسان شديد -.

فقال: يا أمير المؤمنين! والله ما قسمت بالسويّه، ولا عدلت في الرعيّه.

فقال عليّ: ولم ويحك!

ص: ٢٤٤

١- . اليعقوبى فى تاريخه، والكنز ٨٣/٦-٨٥، الحديث ١٣٠٢ و ١٣٠٥-١٣٠٧ و ١٣١٦، ط. حيدر آباد: ٣٢٥/١١ و ٣٢٧، ح ١٣٠٤ و ١٣٠٩.

٢- . الكنز ٢١٥/٨-٢١٧ ومنتخبه ٣١٥/٦-٣٣١.

قال: لأنك قسّمت ما فى المعسكر، وتركت الاموال والنساء والذريّه...

فقال عليّ:

((يا أخا بكر! إنك امرؤ ضعيف الرأى، أو ما علمت أنا لا نأخذ الصغير بذنوب الكبير،(١) وأنّ الاموال كانت لهم قبل الفرقه، وتزوّجوا على رشده، وولدوا على الفطره، وإنّما لكم ما حوى عسكرهم، وما كان فى دورهم فهو ميراث لذريّتهم، فإن عدا علينا أحدٌ منهم أخذناه بذبنيه، وإن كفّ عنّا لم نحمل عليه ذنب غيره، يا أخا بكر! لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله (ص) فى أهل مكّه، قسّم ما حوى العسكر، ولم يعرض لما سوى ذلك؛ وإنّما اتّبع أثره حذو النعل بالنعل. يا أخا بكر! أما علمت أنّ دار الحرب يحلّ ما فيها وأن دار الهجره يحرم ما فيها إلّا- بحقّ، فمهلاً- مهلاً- رحمكم الله، فإن أنتم لم تصدّقونى وأكثرتم عليّ - وذلك أنّه تكلم فى هذا وغير واحد - فأتيكم يأخذ أمّه عائشه بسهمه)).

قالوا: لا. أيتنا يا أمير المؤمنين! بل أصبت وأخطأها، وعلمت وجهلنا، ونحن نستغفر الله. وتنادى الناس من كلّ جانب: أصبت يا أمير المؤمنين! أصاب الله بك الرشاد والسداد.

فقام عمّار، فقال: يا أيّها الناس! إنكم والله إن اتّبعتموه واطعتموه لم يضلّ بكم عن منهاج نبيكم قيّد شعره؛ وكيف يكون ذلك وقد استودعه رسول الله (ص) المنايا والوصايا وفصل الخطاب على منهاج هارون بن عمران، إذ قال له رسول الله (ص): أنت منى بمنزله هارون من موسى إلّا- أنّه لا- نبيّ بعدى. فضلاً خصّه الله به إكراماً منه لنيّبه (ص) حيث أعطاه مالم يعطه أحداً من خلقه.

ثمّ قال عليّ: ((انظروا رحمكم الله ما تؤمرون به فامضوا له... فإننى حاملكم إن شاء الله إن أطعتمونى على سبيل الجنّه، وان كانت ذا مشقّه شديده ومراره عتيده... (٢) وأما عائشه فقد أدركها رأى النساء، وشئى كان

ص: ٢٤٥

١- . يعنى أنّه لا يُستترق المسلم الصغير والمرأه الحره المسلمه بذنوب الاب والزوج الباغى.

٢- . قد ورد فى نهج البلاغه ١/٦٣: يغلى فى صدرها.

فى نفسها على يغلى فى جوفها كالمِرجِل، ولو دعيت لتنال من غير ما أتت به إلى لم تفعل، ولها بعد ذلك حرمتها الأولى والحساب على الله يعفو عمّن يشاء، ويعذب من يشاء؛ فرضى بعد ذلك أصحابه، وسلّموا لامره بعد اختلاط شديد(1) فقالوا:

يا أمير المؤمنين حكمت والله فىنا بحكم الله غير أنّا جهلنا ومع جهلنا لم نأت ما يكره أمير المؤمنين؛ وقال ابن يساف الانصارى:

إنّ رأياً رأيتموه سفاهاً

فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا على مَ قاتلت طلحه والزبير؟

((قال: قاتلتهم على نقضهم بيعتى، وقتلهم شيعتى من المؤمنين حكيم بن جبله العبدى من عبد القيس، والسباجه، والاساوره. بلا حقّ استوجبوه منهما، ولا- كان ذلك لهما دون الامام. ولو أنّهما فعلا ذلك بأبى بكر وعمر لقاتلاههما، ولقد علم من ههنا من أصحاب النبى (ص) أن أبا بكر وعمر لم

ص: ٢٤٦

١- . إنّما التبس الامر عليهم فى ذلك لما كانوا قد شاهدوه من سيره أول الخلفاء مع من حاربه من المسلمين ممن امتنعوا من أداء الزكاه اليه، فإنّه لم يفرق بينهم وبين غيرهم من القبائل العربيه التى ارتدت فى الجزيره العربيه بعد رسول الله (ص) وسائر المشركين، وعامل الجميع معامله واحده.

يرضيا ممن امتنع من بيعه أبي بكر حتى بايع وهو كاره، ولم يكونوا بايعوه بعد الانصار فما بالي! وقد بايعاني طائعين غير مكرهين، ولكنهما طمعا مني في ولايه البصره واليمن، فلما لم اولهما، وجاءهما الالدى غلب عليهما من حبهما للدنيا وحرصهما عليهما، خفت أن يتخذا عباد الله خولاً، ومال المسلمين لانفسهما، فلما زويت ذلك (١) عنهما وذلك بعد أن جرّبتهما واحتججت عليهما...)) الحديث.

ثمّ خطب عليّ في أهل البصره وقال في خطبته:

((كنتم جند المرأه وأتباع البهيمة، رغا فاجبتم؛ وعقر فهربتم، أخلاقكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وماؤكم زُعاق، والمقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه، والشاخص عنكم متداركٌ برحمه من ربّه...)) الخطبه (٢).

إعادته أم المؤمنين إلى بيتها:

في فتوح ابن أعثم قال:

دعا عليّ ببغله رسول الله (ص) فاستوى عليها، واقل الى منزل عائشه، ثمّ استأذن ودخل، فإذا عائشه جالسه حولها نسوه من نساء اهل البصره وهى تبكى وهن يبكين معها. قال: ونظرت صفيه بنت الحارث الثقفيه (٣) امرأه

ص: ٢٤٧

١- . زوى عنه: نّحاه عنه.

٢- . أخلاقكم دقاق: دنيئه. وعهدكم شقاق: يصفهم بالغدر وأن ذمتهم لا يوثق بها. وماؤكم زعاق: مالح؛ قد نقلنا هذه الخطبه من نهج البلاغه شرح محمد عبده ١/٤٠ وقد أورد هذه الخطبه أيضاً كل من: ابن قتيبه في عيون الاخبار ص ٢١٧ ط. مصر ١٣٤٣ مع تغيير في بعض ألفاظها، والشيخ الطوسى في أماليه ص ٧٨ ط. ايران ١٣١٣، والمفيد في ((الجمال)) ٢٠١، والمسعودى في مروه بهامش ابن الاثير ١٩٧/٥ وقال هناك: وخطب الناس بالبصره خطبته الطويله التى يقول فيها... الخطبه والعقد الفريد ٣٢٨/٤ ط. لجنه التأليف، وفي ألفاظها اختلاف بعضها مع بعض، ويظهر أن كل واحد منهم قد أورد قسماً منها.

٣- . هى صفيه بنت الحارث بن طلحه العبدريه وهى قرشيه وليست بثقفيه إلا بالنسبه الى زوجها. وفي مغازى الواقدى ٣٠٧ ومن بنى عبد الدار طلحه بن أبى طلحه يحمل لواءهم. قتله عليّ بن أبى طالب. وراجع ترجمه صفيه فى الاصابه (٣٣٧/٤).

عبدالله ابن خلف الخزاعي فصاحت هي ومن كان معها هناك من النسوة وقلن بأجمعهن: يا قاتل الاحبه! يا مفرقاً بين الجميع! أيتم الله منك بنيك كما ايتمت ولد عبدالله بن خلف. فنظر إليها على فعرها فقال: أما إنى لا ألومك ان تبغضينى

وقد قتلت جدك يوم بدر وقتلت عمك يوم أحد، وقتلت زوجك الان، ولو كنت قاتل الاحبه كما تقولين، لقتلت من فى هذا البيت ومن فى هذه الدار.

قال: فأقبل على عاتشه فقال: الا تنحين كلابك هؤلاء عنى.

أما أنى قد هممت ان افتح باب هذا البيت فأقتل من فيه، ولولا حبى

للعافيه، لاخرجتهم الساعه فضربت أعناقهم صبراً.

قال: فسكتت عاتشه وسكتت النسوة فلم تنطق واحده منهن. (١)

قال على لابن عباس: إئت هذه المرأه فلترجع إلى بيتها الذى أمرها الله أن تقرّ فيه. قال - ابن عباس - فجئت فاستأذنت عليها، فلم تأذن لى، فدخلت بلا إذن ومددت يدي إلى وساده فى البيت فجلست عليها.

فقلت: تالله يا ابن عباس! ما رأيت مثلك! تدخل بيتنا بلا إذننا، وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا!

وفى روايه أخرى: ((قالت: أخطأت السنّه مرّتين دخلت بيتى بغير إذننى، وجلست على متاعى بغير أمرى، قال: نحن علمناك السنّه) (٢) والله ما هو بيتك، ولا- بيتك إلا الذى أمرك الله أن تقرّى فيه فلم تفعلنى، إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترجعنى إلى بلدك الذى خرجت منه.

قالت: رحم الله أمير المؤمنين، ذاك عمر بن الخطاب.

قلت: نعم وهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

ص: ٢٤٨

١- . فتوح ابن اعثم ٣٣٩/٢-٣٤٠.

٢- . هذه الجملة فى روايه المسعودى فى مروه، واليعقوبى فى تاريخه، فى ذكرهما حرب الجمل.

قالت: أبيت أبيت.

قلت: ما كان إباؤك إلا فُواقِ ناقهٍ بكَيْئهٍ (١) ثمَّ صرت ما تُحَلِّين ولا تُمْرِينَ (٢) ولا تأمرين ولا تنهين.

قال: فبكت حتى علا نسيجها. (٣) ثمَّ قالت: نعم، أرجع، فإنَّ أبغض البلدان إلىَّ بلدٌ أنتم فيه.

قلت: أما والله ما كان ذلك جزاؤنا منك إذ جعلناك للمؤمنين أمًّا، وجعلنا أباك لهم صديقًا.

قالت: أتمنُّ عليَّ برسول الله يا ابن عباس!

فقلت: نعم، نمنُّ عليك بمن لو كان منك بمنزلته منا لمننت به علينا.

قال ابن عباس: فأتيت عليًّا فأخبرته، فقبل بين عيني، وقال: بأبي ذرِّيه بعضها من بعض. (٤)

وقال ابن عبد ربّه: فجّهزها بأحسن الجهاز، وبعث معها أربعين امرأةً وقيل سبعين حتى قدمت المدينة.

وفى فتوح ابن أعثم (٣٤١/٢): وقد كان علي (رض) أوصاهن وأمرهن ان يتزين بزى الرجال عليهن العمائم فجعلت عائشه تقول

فى طريقها فعل بى علىّ وفعل ثمَّ وجّه معى رجالا يردونى الى المدينة، فسمعتها امرأه فحركت

ص: ٢٤٩

١- . فُواق: ما بين الحلبتين من الوقت فإنَّ الناقه تُحلب ثمَّ تُترك سويعه يرضعها الفصيل لتدرّ، ثمَّ تُحلب: ويقال: ما أقام عنده إلاّ

فواقًا، أى قدر ما بين الحلبتين. و ((البكيئه)) الناقه التى قلّ لبنها.

٢- . فلان مايمرّ وما يحلى: ما يتكلّم بحلو ولا مرّ، ولا يفعل حلوا ولا مرّا.

٣- . النسيج: أشدّ البكاء. مثل البكاء للصبى إذا ردّد صوته فى صدره.

٤- . لقد أوردت محاوره ابن عباس وأمّ المؤمنين من العقد الفريد ٣٢٨/٤-٣٢٩ ط. لجنه التأليف. وأوردها ابن أبى الحديد ٨٢/٢

ط. المصرية، كذلك وابن أعثم فى تاريخه ص ١٨١ بتفصيل أوفى، واليعقوبى فى ٢١٣/٢ مختصراً وكذلك المسعودى فى

مروجه ١٩٧/٥ بهامش ابن الاثير. وتفصيله فى ترجمه ابن عباس من مجمع الرواه (١٤/٤)، وفتوح ابن اعثم ٣٣٩/٢.

بغيرها حتى دنت منها ثم قالت: ويحك يا عائشه أما كفاك ما فعلت حتى إنك لتقولين في أبي الحسن ما تقولين ثم تقدمت النسوة وسفرن عن وجوههن فاسترجعت عائشه واستغفرت.

وقال الطبري: فسرحها علي وأرسل معها جماعة من رجال ونساء، وجهازها وأمر لها باثني عشر ألفاً من المال، فاستقل ذلك عبدالله بن جعفر (1).

فأخرج لها مالاً عظيماً وقال: إن لم يجزه أمير المؤمنين فهو علي. وقال المسعودي: وقد بعث علي أخاها عبدالرحمن بن أبي بكر وثلاثين رجلاً وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس وهمدان، وقريب منه ما قاله اليعقوبي وابن أعثم، غير أنهما لم يذكر إرسال عبدالرحمن معها.

حصيلة الحرب:

ذكروا من هول هذه الحرب الضروس وشدته ما رواه الطبري وغيره عنهم أنهم قالوا: لَمَّا كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فويت، وتطاعنا بالرمح حتى تشبكت في صدورنا وصدورهم حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت.

وقال بعضهم: ما مررت بدار الوليد قط، فسمعت أصوات القصارين يضربون، إلا ذكرت قتالهم. (2).

ص: ٢٥٠

١- . الطبري ٢٠٤/٥-٢٠٥، والعقد الفريد ٣٢٨/٤. عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية؛ هاجر أبواه الى الحبشه فولد هناك وهو أول مولود للمسلمين في الحبشه وقدم مع أبيه المدينة، وتزوج أبو بكر أمه أسماء بعد مقتل جعفر فولدت له محمد بن أبي بكر فهما أخوه لأم، وتوفي رسول الله (ص) وهو ابن عشر سنين وكان كريماً جواداً حليماً يسمى بحر الجود؛ أشهر الاقوال في وفاته أنه توفي سنة ثمانين عام الجحاف بالمدينة، وقيل بل توفي سنة أربع أو خمس وثمانين وعمره تسعون، أو احدى أو اثنتان وتسعون سنة، وصلى عليه أمير المدينة يومذاك أبان بن عثمان. اسد الغابه ١٣٣/٣-١٣٥، والاستيعاب ص ٤٢٢ الترجمة ١٤٦٦.

٢- . الطبري ٢١٨/٥، وفي العقد الفريد ٣٢/٤ ما يؤيد ذلك و ((دار الوليد)) موضع بالبصره يجتمع فيه غاسلو الثياب و ((القصار)) و ((المقصر)) محوّر الثياب ومبيضها بالقصره وهي خشبه قصيره كانوا يضربون بها على الثياب عند غسلها.

ومرّ قولهم: ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل والأيدي تطيح عن المعاصم، وأقتاب البطون تندلق من الاجواف، وكانت حصيله هذه الحرب من الأيدي المقطوعه والعيون المفقوءه ما لم يُحص عدددها، أما القتلى فقد عدّهم الطبرى فى بعض رواياته ما يزيد على ستّ آلاف.

وقال ابن أعثم فى تاريخه: قتل من جيش على ألف وسبعمائته ومن أصحاب الجمل تسعه آلاف.

وقال ابن عبد ربّه فى العقد الفريد: قتل يوم الجمل من جيش عائشه

عشرون ألفاً، ومن أصحاب على خمسمائته.

وفى تاريخ اليعقوبى: قتل فى ذلك تيف وثلاثون ألفاً. (١)

كانت هذه حصيله المسلمين من الحرب يومذاك، وما أنتجت لهم بعده فكثيره لا تحصى، وهائله لا تقدّر.

وإنّ من نتائجها القريبه إشعال معاويه الحرب بصفّين، فإنّها فى حقيقتها كانت امتداداً لحرب الجمل، إذ أنّ قيام أمّ المؤمنين التيميّه بالحرب على على باسم الطلب بنار عثمان مهّد السبيل لمعاويه الأموى أن يقيمها عليه كذلك، كما مهّدت له السبيل أيضاً لأن يجعل الخلافه ملكاً وراثياً فى آل أميه أسره الخليفه القليل يورثها الاباء الابناء.

وكان من نتائج الحربين (الجمل وصفّين) خروج الخوارج على على وحربهم بنهروان، فإنّ هاتين الحربين شوّشتا على جماعه من المتنتّعين أمرهم

ص: ٢٥١

١- الطبرى ٢٢٥/٥، والعقد الفريد ط. لجنه التأليف ٢٢٦/٤، وابن أعثم واليعقوبى عند ذكرهما الجمل من تاريخهما. إنّ المؤرخين غالباً يختلفون فى عدد قتلى المعارك وقد يكون منشأ ذلك أنه لم يكن هناك احصاء دقيق صحيح عن الجيوش المحاربه والمفقودين فيها. وقد يكون مبعثه الاهواء والعصبيات الى غير ذلك.

فخرجوا على المسلمين كافةً؛ يكفرونهم، ويريقون دماءهم ويقطعون السبيل ويسلبون الامن بما أقاموا من حروب امتد مداها إلى عصر الخلافة العباسية.

وى كأنّ حرب الجمل لم تقع فى فتره قصيره من الزمن بل امتدّت إلى آمام بعيده فى الدهر.

التحرّب والحرب الكلاميه:

وكان طبيعياً أن يستتبع ذلك تفريق كلمه المسلمين وانقسامهم إلى شيع وأحزاب فأصبحوا علويّه وعثمانيّه وخوارج وبكريّه إلى غير ذلك من طوائف متخاصمه تقوم بينها حروب دمويه أحياناً وكلاميه أُخرى.(١)

وكان من مجالات حروبهم الكلاميه واقعه الجمل نفسها ومن قام بها

ورضى عنها؛ فقد قالت الخوارج فيها:

إنّ عائشه وطلحه والزبير كفروا بمقاتلتهم عليّاً، وقالوا: إنّ عليّاً كان يوم ذاك على الحقّ ولكنّه كفر بعد التحكيم.(٢)

ولعنوا عليّاً فى تركه اغتنام أموالهم وسبى ذراريهم ونسائهم.(٣)

وقال فريق من المعتزله بفسق كلا الفريقين من أصحاب حرب الجمل وأنهم خالدون مخلصون فى النار.(٤)

وقال آخرون منهم: إنّ أحد الفريقين فاسق لا محاله وأقلُّ درجات الفريقين أنه لا تقبل شهادته.(٥) وأن لو شهدوا جميعاً على باقه بقل لم

ص: ٢٥٢

١- . راجع كتاب: ((العثمانيه)) للجاحظ (١٥٥-٢٥٠) ونقده لمعاصره أبى جعفر الاسكافى؛ ترجمه ابن أبى الحديد فى شرح النهج ١٥٩/٢. وكذلك أورد ابن أبى الحديد كثيراً من محاربتهم القولية نظماً ونثراً فى مجلدات شرح النهج.

٢- . التبصير ٤١ والملل والنحل ١٨٥/١، والفصل ١٥٣/٤، والفرق بين الفرق ٥٥-٥٦ ويقصدون بالتحكيم تحكيم أبى موسى وعمرو بن العاص بعد اقع صقّين.

٣- . الملل ١٧٦/١ التبصير ٢٧ والفرق ٥٨.

٤- . التبصير ٤٢ عن عمرو بن عبيد.

٥- . الملل ٦٥/١ عن واصل بن عطاء، والفصل لابن حزم ١٥٣/٤، والتبصير ٤١.

تقبل. (١).

وقال فريق ثالث منهم: كلُّ أهل الجمل هالكون إلاّ من ثبتت توبته وكذلك طلحه والزبير، أما عائشه فإنها اعترفت لعليّ يوم الجمل بالخطأ وسألته العفو. (٢).

وروى الجاحظ عن بعض السلف: أنّهم كانوا يقولون إذا ذكروا يوم الجمل: ((هلكت الاتباع ونجت القاده!!)). (٣).

وقال أكثر الاشاعره: إنّ أصحاب الجمل أخطأوا ولكنّه خطأ مغفور كخطأ المجتهد في بعض مسائل الفروع ولا يلزم به الكفر ولا الفسق ولا التبري ولا العداوه. (٤).

وقال قسم منهم: إنّ عائشه وطلحه رجعوا عن الخطأ. (٥).

وقال غيرهم: إنّهم اجتهدوا فلا إثمّ عليهم ولا نحكم بخطأهم وخطأ عليّ وأصحابه. (٦).

وإنّ أكرم القول في أمّ المؤمنين وأطيبه ما قاله فيها عليّ حيث قال: ((ولها بعد حرمتها الأولى والحساب على الله)). (٧).

أمّ المؤمنين من خلال هذه الحرب:

استعرضنا من حرب الجمل ما يساعدنا على دراسته شخصيه أمّ المؤمنين من قريب أو بعيد.

ص: ٢٥٣

- ١- . التبصير ٤١. وقال ابن الاثير في لغه (العمرى) من اللباب ١٥٢/٢ ((والى عمرو بن عبيد المعتزلى البصرى وكان قدريا... ويقول انه لو شهد على وطلحه والزبير (رض) على شىء لم تقبل شهادتهم)).
- ٢- . شرح النهج ٢٩٦/٣، وفي ٤٤٨/٢ منه يشير إشاره عابره الى ذلك.
- ٣- . العثمانيه للجاحظ ص ٢٤٦ ط. دار الكتاب بمصر سنه ١٣٧٤ هجرى.
- ٤- . شرح النهج ٢٦٦/٣.
- ٥- . التبصير ص ٤١.
- ٦- . الملل والنحل ١٤٤/١، والفصل ١٥٣/٤.
- ٧- . نهج البلاغه ٦٣/٢، وكنز العمال ٢١٥/٨-٢١٧، ومنتخبه ٣١٥/٥-٣٣١.

فوجدناها في هذه الحرب تجمع الناس على حرب عليّ بعدما بويع بالخلافه باسم الطلب بثار عثمان، وتؤمّر على جيشها أشدّ المؤلّين على عثمان (طلحه والزبير) من بعد بيعتهما لعلّي. وعلّيّ ينادى في خطبه ويقول: ((بايعني طلحه والزبير ثمّ ما لبثا أن أستأذناني إلى العمرة، فسارا إلى البصره فقاتلا فيها المسلمين وفعلا بها الافاعيل، ونكثا بيعتي، وألبا عدوي)). ويقول لهما: إنكما بايعتماني، ونكثتما بيعتي، وزعمتما أنّي قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينه، ثمّ يلزم كلُّ امرئٍ ما احتمل.

يقول هذا وأمثال هذا في كلِّ مجتمع ويتبرأ من دم عثمان، والناس يصدّقون التهمه عليه، وذلك لمكانه أمّ المؤمنين في النفوس. على أنّ براهه عليّ من دم عثمان وتبعه طلحه والزبير وعائشه في دم عثمان كانتا معروفتين يوم ذاك.

فقد قال ابن سيرين: ما علمت أنّ عليّاً أتّهم بدم عثمان حتّى بويع، فلمّا بويع اتّهمه الناس. (1)

وقال أبو الاسود لطلحه والزبير: إنكما وعائشه كنتم أشدّ الناس عليه

وأعظمهم إغراء بدمه فأقيدوا من أنفسكم، وأما إعادته الخلافه شورى فكيف وقد بايعتم عليّاً طائعين غير مكرهين.

وقال عمّار لعائشه:

ومنك الرّيح ومنك المطر وأنتِ أمرتِ بقتل الامام

وجاء عبدالله بن حكيم بكتب كانا كتبها إليه، فقال لطلحه: يا أبا

محمّد! أما هذه كتبك إلينا؟ قال: بلى! قال فكتبت أمس تدعوننا إلى خلع عثمان وقتله حتّى إذا قتلتنا أتيتنا ثائراً بدمه؟!!

وقال سعيد بن العاص الأموي لمروان بعد خروج الجيش من مكّه: أين تذهبون وثأركم على أعجاز الابل؟! - يقصد بهم عائشه وطلحه والزبير -

ص: ٢٥٤

اقتلوهم ثمَّ ارجعوا إلى منازلكم! ولذلك لما التحم الجيشان في البصره رمى مروان طلحه بسهم فقتله.

وإنما تمكنت من تجهيز جيشٍ لجِبِّ لمقاتله على البريء من دم عثمان باسم الطلب بدم عثمان لمكانتها في النفوس، وطواعيه الناس لها، ومقدرتها السياسيَّة والخطائيَّة، وإدراكها ما يؤثر في النفوس.

وأما مقدرتها الخطائيَّة - بلاغتها في المحاورات - فمن مواردِها جوابها لأُمِّ سلمه عندما أخرجتها أُمُّ سلمه بخطابها الطويل تلومها فيه على خروجها، فقالت عائشه في جوابها: ((لنعم المطعم مطلعاً أصلحتُ فيه بين فئتين متناجرتين)) وليست شعري. أين كان التناجز لو جلست هي في بيتها ولم تتجشَّم الاهوال لاقامه الحرب على علي! وأين كانت الفتتان المتناجرتان لو لم توجد هما هي بخروجها إلى البصره!

ومنها قولها لاهل البصره في المرِيد - عندما اختلفوا بعد خطاب طلحه والزيبر - ((قتلتموه بعد توبته...)) وهي في هذا القول كما قالت القائله: رمتني بدائها وأنسلت. فمن قتل عثمان إن لم يكن بنو تيم البوا عليه وجلبوا حتى قتلوه!

وتفصح بعد هذا عن مكنون خاطرها حين تقول: ((وبايعتم ابن أبي طالب بغير مشوره من الجماعه ابتزازاً وغصباً... ألا وإنَّ عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرت به فاقتلوه، ثمَّ اجعلوا الامر شورى بين الرهط الذين اختارهم عمر، ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان...)).

إنَّها بقولها هذا فسخت بيعه على وأبطلتها، ثمَّ أعادت الامر شورى بين من اختارهم عمر على شرط أن لا يكون ممن شرك في دم عثمان.

وإذا عرفنا أنَّ الباقيين من أهل الشورى يومذاك هم: طلحه والزيبر، وهما بريئان من دم عثمان في رأيها!! وعلى وهو المتهم به عندها!! وسعد، وليس بالعسير إشراكه في التهمه إذا اقتضى الامر ذلك؛ على أنه إن قدر له ان يجتمع مع طلحه والزيبر في الشورى، فهو واحد في مقابل اثنين. اذا عرفنا هذا عرفنا

أنها في ما عيّنت من قاعده لانتخاب الخليفه قد حصرت الامر في طلحه والزبير؛ وكان ذلك هو الهدف المنشود من قتل عثمان وإقامه هذه الحرب. ومن موارد مقدرتها الخطايه:

قولها لبني ناجيه عندما أخذوا بخطام جملها: ((صبراً يا بني ناجيه! فإني أعرف فيكم شمائل قريش)) من موارد معرفتها بما يؤثر في النفوس فإن بني ناجيه كانت مطعوناً في نسبها إلى قريش، فقد قال رسول الله في سامه الذي يتسبون إليه: ((عمى سامه لم يُعقّب)) (١) وإن أبا بكر وعمر لم يدخلاهم في قريش. (٢)

وهي بتشريفهم بهذا الخطاب أثارت فيهم النخوه، ودفعتهم إلى الاستبسال في القتال، فقاتلوا حول جملها حتى قتلوا.

وكذلك قولها للزرد عندما التّفوا حول جملها بعد ضبّه: ((صبراً فإنما يصبر الاحرار، مازلت أرى النصر مع بني نضبّه فلما فقدتهم أنكرته))، فإنها بهذا القول حرّضتهم على الاستماتة في الحرب فقاتلوا دون جملها قتالاً شديداً.

وكذلك هي في جوابها لعلّي حين قال لها بعدما انتصر عليها: ((استفزت الناس حتى فزوا وألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً. أرسل الله أمرك بهذا! ألم يأمرك أن تقعدى في بيتك؟!)). فأجابته بقولها: ((ملكك فاسجح)).

ما أبلغه من جواب وأوجزه؟ استعطاف في لفظ أمر وتهكّم، ومخاطبه ذي مروءة بما يؤثر في نفسه.

وأما طاعه الناس لها فقد نشأت عمّا مهّد لها في عصر الخليفين استناداً إلى أمومتها للمؤمنين وباسم حبّ رسول الله لها.

وكانت هي تدلى بأمومتها للمؤمنين في هذه الحرب فقد كتبت إلى زيد بن صوحان العبدى:

ص: ٢٥٦

١- الاغانى ١٠٠/٩ ط. ساسى بترجمه على بن الجهم.

٢- شرح النهج ١٢٦/٣ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.

من عائشه ابنه أبى بكر أم المؤمنين، حبيبه رسول الله (ص) إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان. أمّا بعد. فإذا أتاك كتابى هذا فأقدم فانصرنا على أمرنا هذا فإن لم تفعل فخذل الناس عن على. (١)

وقالت لكعب بن سور - حين اعتزل فى بيته وطّين عليه بابه فركت إليه وكلمته فلم يجبهها -: ((يا كعب! ألت أمّيك! ولى عليك حقّ)) فكلمها وخرج معها فاتبعته قبائل الازد، ولولا ذلك لعدت الازد كلّها.

وباسم أمومتها للمؤمنين كان التفاف الناس حول جملها فى هذه الحرب (٢) فقد كان راجزهم يقول:

ص: ٢٥٧

١- . الطبرى ١٨٣/٥-١٨٤.

٢- . على أن قسماً من المسلمين يومذاك لم تؤثر فيهم أمومتها لهم ليندفعوا ورأها فى هذه الحرب، فقد كتب زيد بن صوحان فى جوابها: أمّا بعد فأنا ابنك الخالص ان اعتزلت هذا الامر ورجعت الى بيتك والأ فأنا أول من نابذك. راجع الطبرى ١٨٤/٥. وقال أبو بكره لقد نفعنى الله بكلمه - وفى روايه عصمنى الله بكلمه - سمعتها من رسول الله أيام الجمل بعد أن كدت ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله (ص) أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى، قال: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأه. وفى روايه أخرى قال: لما قدم طلحه والزبير البصره تقلدت سيفى و أنا أريد نصرهما فدخلت على عائشه فإذا هى تأمر وتنهى، وإذا الامر أمرها فذكرت حديثاً كنت سمعته من رسول الله: لم يفلح قوم تدبر أمرهم امرأه، فانصرفت واعتزلت. وفى المستدرک ٥٢٥/٤ قال: لما كان يوم الجمل أردت أن آتيهم أقاتل معهم حتى ذكرت حديثاً سمعته من رسول الله (ص): إنّه بلغه أنّ كسرى أو بعض ملوك الاعاجم مات فولّوا أمرهم امرأه فقال رسول الله (ص): لا يفلح قوم تملكهم امرأه، وقال هذا حديث صحيح الا سناد. راجع البخارى ٦٣/٣ فى كتاب المغازى وفى ١٥٢/٤ منه باب الفتن مختصراً؛ والنسائى ٣٠٥/٤ باب النهى عن استعمال النساء فى الحكم، والمستدرک ٥٢٤/٤-٥٢٥ بعباره اخرى وفى صفحه ٢٩١ قريب مّياً أوردناه والروايه الاخيره أوردتها المفيد فى كتابه ((الجمل)) والترمذى فى أبواب الفتن ١١٩/٩ ومسند احمد ٣٨/٥، ٤٣، ٤٧، ٥١.

يا معشر الازد! عليكم أممكم فإنها صلاتكم وصومكم

والحرمة العظمى التي تعمكم

ويقول الاخر: هذه أممكم نصرها دين، وخذلانها عقوق.

وكانت الازد تأخذ بعرجلها، وتفتته وتشمه وتقول: بعرجل أمنا ريحه ريح المسك؛ وهذا ما لم يفعله أحد مع رسول الله نفسه!

ومن طواعية الناس لها: أن جعلها كان لواء أهل البصرة، ليس لهم

لواء دونه؛ فلم يؤثر في الجيش نكوص الزبير، ومقتل طلحة، وسقوط عبدالله بن الزبير، بل كانت الحرب قائمة مازال رأس جعلها معتدلاً، فلما عقر انهزم الرجال، وفزوا.

وأما مقدرتها السياسيّة فمن أجلى مظاهرها جمعها شتات ذلك الجيش المتنافر الذي يقتل بعضه بعضاً، وقد ظهرت آثار الشحنة والفرقة بينهم منذ انفصالهم عن مكة، فقد أراد مروان أن يضرب الجيش بعضه ببعض فأذن وجاء ووقف على طلحة والزبير وقال: على أيكما أسلم بالامر وأؤذن بالصلاة، فقال ابن الزبير: على أبي، وقال ابن طلحة: على أبي؛ وتنافروا فبلغ أم المؤمنين الخبر؛ فتداركت الامر وأرسلت إلى مروان تقول له: مالك؟ أتريد أن تفرق أمرنا! ليصل ابن أختي. وكذلك فعلت لما تنافس الشيخان على الصلاة في البصرة - بعد غلبتهما عليها - وتدافعا فإنها تداركت الامر مرة أخرى وأصلحت بينهما وعينت ابن أختها للصلاة على أن يكون الامر إلى عائشه إن ظهروا، تستخلف من شاءت.

إذن فهي ليست بأمره جيش الجمل فحسب. وإنما هي أميره المؤمنين تستخلف على المسلمين من تشاء وتحكم لمن تشاء وعلى من تشاء.

أما رباطه جأشها فلم نجد لها في ربات الخدور من نظير، تأمر بقتل الأسارى عندما ملكت البصرة في بادئ أمرها فيذبح العشرات منهم ذبح الغنم، وتباشر الحرب في هودجها آمرة ناهية، فتطيح حولها الرؤوس عن الكواهل، والامعاء تندلق من الاجواف، والايدي تُقطع من المعاصم، وهي

ثابته كالطود الاشم لا يُرى فيها ضعف النساء ورقتهنّ.

هذه أمّ المؤمنين في بلاغتها، وقدرتها السياسيّه، ونفوذ كلمتها ورباطه جأشها. غير أنّه كانت فيها نقطه ضعف أُتيت منها.

عبدالله بن الزبير وراء هذه الحرب:

كانت أمّ المؤمنين فدّه في ملكاتها، ومواهبها. فدّه في عاطفتها المشبوهه نحو ذوى قرباها، وخصّت من بينهم عبدالله بن الزبير (ابن أختها أسماء) بحبّها الجَمِّ، وحلّ منها محلّ الولد الفرد من الوالده الشفيقه، وتكّنت باسمه (١) ولم يكن أحدٌ أحبّ إليها يومذاك من ابن الزبير. (٢)

قال هشام بن عروه: ما سمعت تدعو لاحد من الخلق مثل دعائها له، وأعطت للذى بشرها بسلامته من القتل عشره آلاف درهم، ثمّ سجّدت شكراً لله تعالى، ولما اعتلّت دخل عليها بنو أختها، وفيهم عبدالله فبكى فرفعت رأسها تنظر إلى وجهه، فأبهت لبكائه فبكت، ثمّ قالت: ما أحقّنى منك يا بُنّي ما أرى؛ فما أعلم بعد رسول الله (ص) وبعد أبويّ أحدٌ أنزل عندي منزلتك، وأوصت له بحجرتها. (٣)

وعبدالله بن الزبير هذا كان قد نشأ على كره بنى هاشم حتّى استطاع أن يغيّر رأى أبيه الزبير على على وهو ابن خال أبيه.

قال عليّ: مازال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتّى نشأ ابنه المشؤوم عبدالله.

ص: ٢٥٩

١- . نسب قريش ص ٢٣٧، والاستيعاب بترجمه ابن الزبير المرقمه ١٥١٨ وأسد الغابه بترجمتها، وشرح النهج ٤٨٢/٤.

٢- . الاغانى ١٤٢/٩.

٣- . تهذيب ابن عساكر ٧/٤٠٠-٤٠٢ وشرح النهج ٤٨٢/٤-٤٨٣.

وبلغ (١) من بغضه لهم ما رواه عمر بن شبه، وابن الكلبي، والواقدي، وغيرهم من رواه السير أنه مكث أيام خلافته أربعين جمعه لا يصلّي فيها على النبي ويقول: لا يمنعني ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها، وفي روايه محمّد بن حبيب، وأبي عبيده، ومعمّر بن المثني أنه قال: إن له أهيل سوء ينغضون رؤوسهم عند ذكره. (٢)

وقال لعبدالله بن عباس: إني لاكنم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنه. (٣)

وكان يبغض عليّ بن أبي طالب خاصهً وينال من عرضه. (٤)

وجمع محمّد بن الحنفية وعبدالله بن عباس في سبعة عشر رجلاً من بني هاشم منهم: الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وحصرهم في شعب بمكة يعرف بشعب عارم وأراد أن يحرقهم بالنار، فجعل في فم الشعب حطباً كثيراً فأرسل المختار أربعة آلاف؛ فجذّوا السير حتى انتهوا إلى مكة فباغتوا ابن الزبير وأنقذوا بني هاشم. (٥)

أمّا أبو الفرج فقد قال: كان عبدالله بن الزبير قد أغرى بني هاشم يتبعهم بكلّ مكروه ويغري بهم ويخطب بهم على المنابر ويصرّح ويعرّض بذكرهم فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم، ثمّ بدا له، فحبس ابن الحنفية في سجن عارم ثمّ جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم فجعلهم في محبس وملاه حطباً وأضرم فيه النار، وقد كان بلغه أن أبا عبدالله الجدلي وسائر شيعة ابن الحنفية قد وافوا لنصرته ومحاربه ابن الزبير؛ فكان ذلك سبب إيقاعه

ص: ٢٦٠

١- نهج البلاغه ٢٦٠/٣، وتهذيب ابن عساكر ٣٦٣/٧، وابن عبد البر في الاستيعاب ص ٣٥٣ الترجمة ١٥١٨، وشرح النهج ١٦٧/٢، و ٤٨٠/٤.

٢- ذكر تركه الصلاة على النبيّ مراغماً لبني هاشم كل من المسعودي في موجه بهامش ابن الاثير ١٦٣/٥-١٦٤ واليعقوبي في تاريخه ٧/٣-٨ وشرح النهج ٣٨٥/١ و ٤٨٠/٤-٤٩٠.

٣- المسعودي ١٦٣/٥-١٦٤ وشرح النهج ٣٥٨/١، ٤٩٥/٤، ط. الحلبي بمصر.

٤- شرح النهج ٣٥٨/١ وراجع المسعودي ١٦٣/٥-١٦٤ واليعقوبي ٧/٣-٨.

٥- المسعودي ١٥٨/٥-١٦٠ وشرح النهج ٤٨٧/٤-٤٩٥ وأشار اليه ابن عساكر في تهذيبه ٤٠٨/٧.

بهم، وبلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعه أضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم. (١)

فابن الزبير هذا الذي يتّقد غيضاً وحنقاً على بنى هاشم، والذي استطاع أن يغيّر رأى أبيه على عليّ وهو ابن خاله؛ استطاع أن يسوق أمّ المؤمنين التي كان بينها وبين عليّ ما بينهما إلى هذه الحرب.

وقد روى ابن عبد البرّ أن عائشه قالت: إذا مرّ ابن عمر فأرونيه فلما مرّ ابن عمر قالوا: هذا ابن عمر! فقالت: يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيرى؟ قال: رأيت رجلاً قد غلب عليك وظننت أنك لا تخالفه (يعنى ابن الزبير) قالت: أما أنك لو نهيتني ما خرجت. (٢) وكتب عليّ قبل الحرب إلى عائشه يقول: ((لا يدعوك حبّ ابن الزبير وقرابه طلحه...)).

وقالوا: إنّها لما سمعت نباح كلاب الحوآب وتذكّرت حديث الرسول وأرادت أن ترجع أتاها عبد الله بن الزبير فزعم أنه كذب من قال: إنّ الحوآب، ولم يزل بها حتى مضت.

إذن فعبد الله بن الزبير كان وراء هذه الحرب وليس عبد الله بن سبأ الذي مازال المؤرّخون يلهجون باسمه منذ أكثر من ألف سنة كما سنذكره فيما يأتي.

ص: ٢٤١

١- . الاغانى ١٦/٩ ط. دار الكتب. وأبو عبد الله الجدلي هذا هو عبده بن عبد، وكان المختار أرسله لانقاذ بنى هاشم وقد ذكر الطبرى فى ١٣٦/٧ واليعقوبى ٧/٣-٨ وابن الاثير فى ٩٨/٤ ان عبد الله الجدلى سار بجيشه حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم ((الكافر كوبات)) وهم ينادون: يالثرات الحسين حتى انتهوا الى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم وكان قد بقى من الاجل يومان، فطردوا الحرس وكسروا أعواد زمزم ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا له: خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير، فقال لهم: إنى لا أستحل القتال فى حرم الله... الحديث. و ((الكافر كوبات)): نوع من الخشب تسلحوا بها بدلا من السيف حفظاً لحرمة الحرم فكان ابن الزبير لذلك يسميهم بالخشيه.

٢- . الاستيعاب ص ٣٥٤ بترجمه عبد الله المرقمه ١٥١٨، وشرح النهج ٤٨١/٤.

اعتمدنا في ما أوردنا من روايات في ((مقتل الخليفة عثمان)) و ((حرب الجمل)) على روايات موثوقة لدينا، ويقابل هذه الروايات روايات موضوعه وضعها راوٍ واحدٌ، ومنه أخذ الكتاب والمؤرخون كافةً، والواضع لتلك المجموعه من الروايات هو: ((سيف بن عمر التميمي البرجمي الكوفي)) المتوفى سنة ١٧٠ هـ، فإن هذا الراوي وضع أسطورة خرافية بطلها: ((عبدالله بن سبأ)) اليهودي الذي نسبه إلى صنعاء اليمن وعبر عنه بابن السوداء أحياناً.

وموجز الاسطورة: أن هذا الشخص الخرافي ((عبدالله بن سبأ)) أظهر الاسلام في عصر عثمان ليكيد المسلمين فتنقل في الحواضر الاسلاميه، مصر، والشام، والكوفه، والبصره مبشراً برجعه النبي وأن علياً هو وصيه وأن عثمان غاصبٌ حقّ هذا الوصي، فمال إليه وتبعه جماعات من كبار الصحابه والتابعين من أمثال عمّار بن ياسر، وأبي ذر، ومحمد بن أبي حذيفه، وغيرهم؛ واستطاع أن يجيش الجيوش لقتل الخليفة عثمان حتى قتلوه في داره، وهكذا يسلسل ((سيف بن عمر)) الحوادث في أسطوره الموضوعه حتى ينتهي إلى حرب الجمل، فيخلق هناك وسيطاً للصالح اسمه ((الققعاق بن عمرو))^(١) يقوم بالسفاره للصالح بين علي من جهة وعائشه وطلحه والزبير من جهة أخرى؛

ص: ٢٦٢

١- . وقد أوردنا مجمل ما نسب الى هذا الشخص الاسطوري ((الققعاق بن عمرو)) من بطولات في حروب الردّه، وفتوح الشام، القادسيه، الى غيرها؛ وصحبه للنبي وبعض ما نسب إليه من شعر في ص ١٣٦-١٥٢ من كتابنا عبد الله بن سبأ - المدخل - ضمن ذكرنا أربعين صحابياً ممن اختلقهم سيف، في أساطيره، وأبنا هناك: أن أولئك الصحابه لم يخلقهم الله وأن من ترجمهم من العلماء انما استند الى أحاديث سيف وحده، فراجعه، ففيه فوائد مهمه. ومما تركنا ذكره في استعراضنا لحوادث الجمل حكايتان عند المسعودي وابن أعثم: أولاهما ارسال عائشه أباها محمداً ليأتي بابن الزبير؛ والثانيه دخول علي على عائشه بعد الحرب، تركنا ذكر هاتين الحكايتين لاننا لم نجد لهما سنداً إلا عند الطبري ٢٢٠/٥-٢٢١ بسنده الى سيف.

حتى إذا تمَّ أمر المعسكرين على الصلح ورأى ((السيئون)) أتباع ((عبدالله بن سبأ)) ذلك؛ خافوا على أنفسهم من مغبته هذا الصلح، فاجتمعوا سرّاً في سواد الليل يتشاورون فأوعز إليهم رئيسهم (بطل القصه ((ابن سبأ))) أن يندسوا بين الجيشين، فيهجم من اندس منهم في جيش عليّ على جيش عائشه، ومن اندس منهم في جيش عائشه يهاجم جيش عليّ، ويثيروا الحرب فجأه، فراقت لهم الخطة، ونفذوها في غلس الليل دون علم عليّ وعائشه. وهكذا أنشبت الحرب خلافاً لرغبة قاده الجيشين. وهكذا وقعت حرب الجمل.

هذه الاسطوره الخرافيه وضعها ((سيف بن عمر)) قبل سنه ١٧٠ هـ، ومنه أخذ جميع المؤرخين، ثمَّ اشتهرت القصه وانتشرت في كتب التاريخ مدى القرون حتى يومنا هذا حتى أصبحت من الحوادث التاريخيه الشهيره التي لا يتطرق إليها الشك، وقد فات الغالب من الكتاب والمؤرخين من الشرقيين والمستشرقين: أنّ هذه الاسطوره وضعها راوٍ واحد، وأن هذا الراوى مشهور عند القدامى من علماء الحديث بالوضع، ومتّهم بالزندقه. (١)

قد أخذ من هذا الراوى الطبرى (٣١٠ هـ) في تاريخه.

وابن عساكر (٥٧١ هـ) في موسوعته ((تاريخ مدينه دمشق)).

وابن أبى بكر (٧٤١ هـ) في كتابه ((التمهيد والبيان في فضائل الخليفه عثمان)). (٢)

ص: ٢٤٣

١- راجع ص ١٧ من: ((عبد الله بن سبأ)) لترى ترجمته عند العلماء.

٢- راجعنا مصور دار الكتب المصريه بالقاهره رقم ٦٣٢٢. وقد ورد في الصفحه الاولى منه: ((أما بعد فهذا كتاب أذكر فيه مصرع الامام الشهيد ذى النورين عثمان بن عفان... أذكر ما نقلته الأئمه العلماء فى كتبهم وتواريخهم مثل... كتاب الفتوح لسيف بن عمر التميمي... وكتاب التاريخ للشيخ عبد الكريم المعروف بابن الاثير الجزرى.... وقال فى آخر الكتاب ص ٢٤٨ منه: (وفرغ من جمعه وتأليفه الفقير الى الله محمد بن يحيى بن أبى بكر... وذلك فى يوم الثلاثاء خامس عشر ذى القعدة من سنه تسع وتسعين وستمائيه...)). إذن فابن أبى بكر قد أخذ من ((سيف بن عمر)) مباشره عن كتابه الفتوح كما أخذ من تاريخ ابن الاثير أيضاً الذى لم يكتب عن أحوال الصحابه فى تاريخه عدا ما أورده الطبرى راجع: ((عبد الله بن سبأ)) المدخل ص ٨-٩.

ومن الطبري أخذ سائر الكتاب والمؤرخين إلى يومنا هذا مما بيناه مفضّلاً في كتابنا: ((عبدالله بن سبأ - المدخل -)) فراجعه إلى ص ١٧ منه. (١)

ونشير هنا مضافاً إلى ما بيناه هناك من استناد الكتاب والمؤرخين إلى الطبري فيما أورده من أسطوره ((السبئية)):

أولاً: من القدامى إلى فيلسوف المؤرخين ابن خلدون فإنه بعدما أورد فصلاً من القصه عند ذكره ((مقتل عثمان)) و ((حرب الجمل)) من تاريخه ((المبتدأ والخبر)) قال في ص ٤٢٥ من ج ٢ منه: هذا أمر الجمل ملخصاً من كتاب أبي جعفر الطبري، اعتمدها للوثوق به.

وقال في ص ٢٤٧ منه: ((هذا آخر الكلام في الخلافة الاسلاميه، وما كان من الردّه، والفتوحات، والحروب، ثمّ الاتفاق والجماعه، وأوردتها ملخصه عيونها ومجامعها من كتاب محمّد بن جرير الطبري، وهو تاريخه الكبير، فإنه أوثق ما رأينا في ذلك وأبعد عن المطاعن والشبه في كبار الأئمّه من خيارهم وعدولهم من الصحابه (رض) والتابعين...))

وثانياً من المتأخرين: إلى سعيد الافغانى في كتابه ((عائشه والسياسه)) فإنه أيضاً ذكر فصلاً من قصه السبئية فيه تحت عنوان ((اجتماع عثمان وتتابع الحوادث)) ص ٣٢-٣٥ منه و ((ابن سبأ البطل الخفيّ المخيف)) ص ٤٨-٥٢ منه و ((الاشراف على الصلح)) ١٤٥-١٤٧ منه و ((المؤامرات والدسيسه)) ص ١٥٥-١٨٥ منه.

وقد قال في ص ٥ منه: ((إنّي جعلت أكثر اعتمادي... على تاريخ الطبري خاصّه، وهو أقرب المصادر من الواقع، وصاحبه أكثر المؤرخين تحريّاً

ص: ٢٦٤

١- . وفي بقيه الكتاب مقارنات بين بعض روايات سيف والوقائع التاريخيه الثابته التي حدث عنها ثقات الرواه.

وأمانه، وعليه اعتمد كل من أتى بعده من الثقات... وحرصت هنا كل الحرص على عبارته ما وجدت إلى ذلك سيلاً...)).

وقال في ص ٦٧ منه: ((معظم اعتمادنا فيما نسوق على الطبري)).(١)

هكذا انتشرت هذه الأسطورة في الكتب التاريخية بعد أن رواها الطبري من ((سيف بن عمر)) وحده(٢) اعتماداً منهم على جلاله قدر الطبري. والجدل الآتي يبين سلسلة رواه أسطورة السبئية من واضعها الأول ((سيف بن عمر)) حتى رواها من المتأخرين.

ص: ٢٦٥

-
- ١- . ومضافاً إلى الطبري قد يستند في بيانه بعض أجزاء الاسطورة الخرافية ((السبئية)) وذيلها إلى: ((تهذيب تاريخ ابن عساكر)) كما فعل ذلك في الصفحات ٣٤ و ٤٩ و ٥١ و ١٨٧ من كتابه. ((التمهيد والبيان في مقتل الخليفة عثمان)) كما فعله في ص ٣٤ و ٥٨ منه، وقد علمنا أنّهما أيضاً يستندان إلى ((سيف بن عمر)) في بيانهما الاسطورة الخرافية.
 - ٢- . راجع ص ١٦ من عبد الله بن سبأ تجد بيان ذلك.

الصورة

□

إنَّ التاريخ المسجَّل في هذا الجدول هجرى ولا يشمل المستشرقين

ص: ٢٦٧

آبت أم المؤمنين عائشه إلى بيتها أسيفهً ثاكله، رجعت إلى بيتها بعد أن قتل ابن عمها طلحه الذي كانت تأمل أن تراه على عرش الخلافة. قتل ابن عمها هذا، وقتل ابنه محمّد، وقتل الزبير زوج أختها أسماء(١) إلى آخرين من ذويها. رجعت إلى بيتها وفي نفسها ألف حسره وندامه بعد أن لم تسمع لمشوره ناصحيتها.

رجعت إلى المدينة وصدورها يغلى على ابن أبي طالب كالمِرجل،(٢) وبقيت منطويه على غيظها عليه مدّه خلافته القصيره حتّى إذا جاء نعيه سجدت لله شكرًا(٣) وأضهرت السرور وتمثّلت:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافر

ثمّ قالت: من قتله؟

فقيل: رجل من مراد.

فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلامٌ ليس في فيه التراب

فقالت زينب ابنه أم سلمه:(٤) ألعلىّ تقولين هذا؟!

ص: ٢٦٨

١- أسماء بنت أبي بكر، وامها قيله أو قتيله بنت عبد العزى وكانت أسن من عائشه، سماها الرسول ذات النطاقين يوم الهجرة لأنها شقت نطاقها وصنعت للنبي سفره. تزوجها الزبير وولدت له عبدالله، وعروه، المنذر، وطلقها الزبير، وعاشت أسماء الى أن قتل ابنها عبدالله سنه ثلاث وسبعين وماتت بعده بايام، وعمرها مائه سنه اسد الغابه ٣٩٢/٥-٣٩٣.

٢- استعرنا هذه الجملة من خطبه على في البصره بعد حرب الجمل - راجع قبله - والمرجل: القدر الكبيره.

٣- ذكر سجدها لله عند سماعها نعي على: أبو الفرج في مقاتل الطالبين ص ٤٣.

٤- زينب بنت أبي سلمه بن عبد الاسد القرشيه المخزوميه ربيبه رسول الله وأمها أم سلمه تزوجت من عبد الله بن زمعه بن الاسود الاسدي. أسد الغابه ٤٦٨/٥.

فقال: إني أنسى، فإذا نسيت فذكروني. (١)

وفى روايه أبي الفرج بعد هذا: ثم تمثلت:

مازال إهداء القصائد بيننا

وقد أثر ذلك في علاقاتها بابناء عليّ، فقد روى (٢) أنها كانت تحتجب من حسن وحسين (٣) وقد قال ابن عباس. إن دخولهما عليها لحلّ.

وقد روى ابن سعد بعد هذا عن أبي حنيفة ومالك بن أنس (٤) أنهما

ص: ٢٦٩

١- . الطبرى ٨٧/٧، والطبقات ٤٠/٣، ومقاتل الطالبين ص ٤٢، وابن الاثير ١٥٧/٣. والبيتان هما لابن الحضرمي بن يحمان أخى بنى أسد وكان قد تمثل بهما ابن عباس عندما دخل بيتها بالبصره بعد الجمل. راجع ترجمه ابن عباس من مجمع الرجال (١٤/٤).
٢- . طبقات ابن سعد ٧٣/٨.

٣- . الحسن والحسين سبطا النبى (ص) أبوهما على بن أبى طالب وأمهما فاطمه بنت النبى محمد (ص)، وكنيه الحسن أبو محمد؛ ولد فى النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجره، وبويع بالخلافه بعد أبيه، وصالح معاويه بعد سبعة أشهر، ودس معاويه إليه السم وتوفى سنة تسع وأربعين أو خمسين أو احدى وخمسين، ودفن بالبقيع من المدينه. وأبو عبد الله الحسين ولد فى الثالث من شعبان سنة أربع من الهجره وقتله جيش ابن زياد فى طف كربلاء فى اليوم العاشر من المحرم سنة ٦٠ من الهجره وقتل معه رجالاً من أهل بيته وشيعته، ثم أخذوا رؤوسهم وسبوا نسوته وذريه الى ابن زياد فى الكوفه، ثم الى يزيد فى الشام وأحضرهم مجلسهما الى غير ذلك فى حوادث يطول شرحها. وقد قال فىهما رسول الله (ص) فأكثر، ومن حديثه فىهما: ((هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما... الحديث. أخرجه الحاكم فى مستدرکه ١٦٦/٣ وصحيحه، وقد نص الرسول فى هذا الحديث وغيره على أنهما ابناه. وقد انقطع نسل رسول الله الا ما كان من ذريتهما فان الرسول لم يخلف من الذريه الا ما كان من بطن ابنته فاطمه أمهما.

٤- . أبو حنيفة النعمان بنت ثابت بن زوطى الكابلى التيمى ولاء؛ كان زوطى مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبه فأعتقه. وقيل أن اسم أبى حنيفة كان عتيك بن زوطره فسمى نفسه النعمان وأباه ثابتاً. وقيل كان نبطياً وقيل غير ذلك، وهو أحد أئمه المذاهب، ولد سنة ثمانين وعاش فى الكوفه حتى استقدمه أبو جعفر المنصور الى بغداد، ومات سنة خمسين ومائه ودفن بمقام الخيزران فى بغداد. تاريخ بغداد ٢٢٣/١٣-٢٢٣ باختصار. - أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث القحطاني الاصبحي، جدّه أبو عامر صحابى، شهد أحداً وما بعدها. ولد مالك فى سنة ثلاث وتسعين أو سنة تسعين وذكره ابن سعد فى الطبقة السادسة من أهل المدينه وهو أحد أئمه المذاهب وقد عد كتابه الموطأ أحد كتب الصحاح فى الحديث، وجمله ما فيه من الحديث ألف وسبعمائه وعشرون حديثاً. توفى مالك فى شهر ربيع الاول سنة تسع وستين ومائه، تنوير الحوالك للسيوطى.

قالا: إنزوجه الرجل لا تحلّ لولده ولا لولد ولده الذكور أبداً ولا لاولاد البنات وهذا مجمع عليه، ولم يكن هذا خافياً على أم المؤمنين غير أنها كانت تقصد من وراء ذلك ما تقصد.

اختلفت أم المؤمنين عائشه مع بنى أميه فى ثورتها العارمه ضدّ الخليفه عثمان حتّى إذا صرعته واستخلف على بعد قتله جمعت بينها وبين بنى أميه الحرب على على فانضوا تحت لوائها يوم الجمل ولمّا غلبها ابن أبى طالب وأرجعها إلى بيتها مغلوبه على أمرها - ولم يكن من طبيعتها السكوت على الضيم - أعلنت عليه حرباً أخرى أشدّ ضراوه وأبقى أثراً من حرب الجمل إذا أقامت عليه حرب الدعايه: حرب اللسان؛ وهذه الحرب لم تنته بقتل ابن أبى طالب، بل اشتدّ أوارها بعده، واستمرت هي ماضيه فيها ضدّه إلى أخريات سنى حياتها، وأعلن معاويه فى عصره الحرب نفسها على ابن أبى طالب وبذل فى سبيلها ما كان له من مالٍ وسلطانٍ ودهاء فأصبحت الحرب حربيه وهى التى تعينه فيها. وهذا ما سندرسه فى الفصل الاتى عند دراستنا لسيرتها مع معاويه بحوله تعالى.

ص: ٢٧٠

مَعَ مَعَاوِيَه

اشاره

ص: ٢٧١

الاشهر انه أسلم يوم الفتح، وسار إلى الشام سنة اثنتي عشرة تحت لواء أخيه يزيد عندما سَير أبو بكر الجيوش لغزوها. ولما أُصيب أخوه في طاعون عمواس سنة ثمانى عشره، استخلفه على عمله بدمشق فأقرّه الخليفة عمر، وبعد أن استخلف عثمان جمع له الشام جميعها، وفي عهد عليّ تمرد عليه وجَهز جيشاً لقتاله باسم الطلب بدم عثمان، فتلاقيا بصفين في ذى الحجة سنة ست وثلاثين، وجرت بينهما تسعون واقعه في عشره أيام ومائه؛ ولما لاح النصر لجيش عليّ خدعهم معاوية برفع المصاحف، فانتخبوا أبا موسى الاشعري للتحكيم، وعين معاوية عمراً، فاجتمعا بدومه الجندل في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين، فغدر عمرو بأبي موسى، ثم تفرقا وهما يتسابقان، ولما قتل عليّ في شهر رمضان سنة أربعين، وبويع الحسن بالخلافه، وغدر به جيشه صالح، ومعاوية في ربيع الأوّل سنة إحدى وأربعين، فبويع معاوية بالخلافه فسميت تلك السنة بعام الجماعة. وتوفّي في شهر رجب سنة ستين ودفن في دمشق، وكانت أيامه تسع عشره سنة وثلاثة أشهر وأياما.

ولما كان عصر معاوية يمتاز في العصور الاسلاميه بانصراف السلطه الى وضع الحديث، وبكثره الحديث الموضوع فيه كثره هائله أثرت على الفكر الاسلامي مدى العصور، ينبغى دراسه ذلك العصر والسلطه القائمه فيه وتحليل أشخاصهم دراسه وتحليلا وافين يمكن من دراسه الحديث الكثير الموضوع فيه.

ونبدأ في هذه الدراسه بمعاوية وأسرته ثم عصره الى غيرها مما ينير لنا السبيل لفهم الحديث والتاريخ، ثم ندرس علاقه أم المؤمنين بمعاوية وولائه، ثم خاتمه حياتها.

نسب معاويه - اسرته في الجاهليه والاسلام - معاويه في عصر الرسول - على عهد الخليفين - في عصر عثمان وعلى - في عصره: الدور الاول. الدور الثاني - دواعي وضع الحديث - علاقه أم المؤمنين بمعاويه وولاته - فضائلها - وفاتها - نوادر - خلاصه البحث.

نَسْب معاويه:

معاويه بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّه بن عبد شمس وأمّ أبي سفيان: صفيه بنت حزن بن بجير بن الهزم.

وأمّ معاويه: هند (١) بنت عتبّه بن ربيعه بن عبد شمس وأمّها صفيه بنت أميّه ابن حارثه السلمى.

تزوجت هندُ الفاكه بن المغيره المخزومى، فقتل عنها بالغميصاء، (٢) ثمّ حفص ابن المغيره فمات عنها، ثمّ أبا سفيان، (٣) وفي روايه أن الفاكه بن المغيره

ص: ٢٧٥

- ١- . وكانت هند أمّ عتبّه بن أبي سفيان وجوريه، أمّا بقيه أولاد أبي سفيان فمن أمّهات شتى.
- ٢- . ترجمه الفاكه في نسب قريش ص ٣٠٠. ((الغميصاء)) موضع في بادية العرب قرب مكّه كان يسكنه بنو جذيمه بن عامر بن عبد مناه بن كنانه، وكانت بنو جذيمه قد قتلت الفاكه بن المغيره بن الوليد، وعوف بن المغيره في بضعه نفر من قريش في الجاهليه فلما كان يوم فتح مكّه بعث النبيّ خالدًا الى بنى جذيمه - فى من بعث الى قبائل العرب - يدعوهم الى الاسلام فغدر بهم خالد وقتل منهم؛ فوداهم رسول الله (ص). راجع خبرها فى سيره ابن هشام ٥٣/٤-٥٧ والاغانى ٢٨٢/٧-٢٩٠.
- ٣- . المحبر ص ٤٣٧ وفى طبقات ابن سعد ٢٣٥/٨ تزوجها الحفص بن المغيره بن عبد الله بن مخزوم فولدت له أباناً، ولم أجد عند غيره ذكر أبان، وترجمه حفص فى نسب قريش ص ٣٠١.

اتَّهَمَهَا بِالزَّنى فَبانت منه؛(١) وكانت هند تذكر فى مكَّه بفجورٍ وعُهرٍ،(٢) وذكروا فى كيفيَّه زواج هند بأبى سفيان: أنَّ المسافر بن عمرو بن أميَّه عشق هنداً، فاتَّهَم بها، وحملت منه، فلمَّا بان حملها أو كاد، خرج مسافر إلى النعمان بن المنذر(٣) يستعيِّنه على أمره، فتزوَّجها أبو سفيان بعده.(٤)

وقال الاصمعى وهشام بن محمَّد الكلبيّ فى كتاب المثلث: (٥) إنَّ معاويه كان يقال إنَّه من أربعه من قريش: عماره بن الوليد المخزومى، ومسافر بن عمرو، وأبى سفيان، والعبّاس بن عبد المطلب، وهؤلاء كانوا ندماء أبى سفيان، وكان كلُّ منهم يتَّهَم بهند؛ فأما عماره بن الوليد فقد كان من أجمل رجال قريش، وهو الذى وشى به عمرو بن العاص إلى النجاشى، فدعا الساحر فنفت فى إحليله فهام مع الوحش، وكانت امرأه النجاشى قد عشقته،(٦) وأمّا مسافر بن أبى عمرو فقال الكلبيّ: عامّه الناس على أنَّ معاويه منه، لأنَّه كان أشدَّ حبّاً لهند، فلمَّا حملت هند بمعاويه خاف مسافر أن يظهر أنَّه منه، فهرب إلى ملك الحيره وهو هند بن عمرو، فأقام عنده. ثمَّ إنَّ أباً سفيان قدم الحيره فلقى مسافر وهو مريض عشقه لهند، وقد سقى بطنه فسأله عن أهل مكَّه فأخبره. وقيل إنَّ أباً سفيان تزوَّج هنداً بعد انفصال مسافر عن مكَّه، فقال أبو سفيان: إنَّى تزوَّجت هنداً بعدك، فازداد مرضه، وجعل يذوب، فوصف له الكى، فأحضروا المكاوى والحجّام، فبينا الحجّام يكوِّيه إذ حبِق الحجّام، فقال مسافر: قد يحبِق العير والمكواه فى النار فسارت مثلاً؛

ص: ٢٧٦

١- .العقد الفريد ٨٦/٦-٨٧ والاغانى ٥٣/٩.

٢- .ابن أبى الحديد شرح النهج ٣٣٦/١ تحقيق محمد أبو الفضل.

٣- . من ملوك الحيره، ذكر نسبه فى الجمهوره ص ٣٩٧، وفى ص ١٣٥ منه نسب مسافر.

٤- . راجع الاغانى ٥٠/٩-٥٣.

٥- . على ماروى عنهما سبط ابن الجوزى فى التذكرة ص ١١٦.

٦- . تجد تفصيل قصّه عماره فى الاغانى ٥٥/٩-٥٨.

ثم مات مسافر من عشقه لهند (١) فهو أحد من قتله العشق. (٢)

وقال الزمخشري في ربيع الأبرار: (٣)

وكان معاوية يُعزى إلى أربعه: إلى مسافر بن أبي عمرو، (٤) وإلى عماره بن الوليد، وإلى العباس بن عبد المطلب، وإلى الصباح (٥) مغنّ لعمار بن الوليد، قال: وقد كان أبو سفيان دميماً قصيراً، وكان الصباح عسيفاً لابي سفيان شاباً فدعته هند إليها، فغشها.

وقالوا: إن عتبه بن أبي سفيان من الصباح أيضاً؛ وقالوا: إنها كرهت أن تدعه في منزلها، فخرجت إلى أجياد، فوضعت هناك، وفي هذا المعنى يقول حسان أيام المهاجات بين المسلمين والمشركين في حياه رسول الله (ص) قبل عام الفتح:

لَمَن الصبى بجانب البطحاء

وذكر هشام بن محمد الكلبي أيضاً في كتاب المثلث (٦) وقال:

كانت هند من المغيلمات، وكانت تميل إلى السودان من الرجال، فكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلتها، قال: وجرى بين يزيد بن معاوية وبين إسحاق بن طابه بن عبيد كلامٍ بين يدي معاوية وهو خليفه؛ فقال يزيد لاسحاق: إن خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلهم الجنة، أشار يزيد إلى أن أم إسحاق تتهم

ص: ٢٧٧

- ١- . انتهت روايه سبط ابن الجوزى عن الاصمعي وهشام بن محمد الكلبي وفي روايه قد يضرط...
- ٢- . رواه أبو الفرج في الاغانى ٥٣/٩ وروى فى ص ٥٥ منه عن ابن سيرين انه قال ((فما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا)).
- ٣- . ربيع الأبرار ج ٣ باب القرابات والانساب؛ راجع نسخه مكتبه الاوقاف ببغداد؛ المخطوطه المرقمه ٣٨٨، وابن أبى الحديد ٣٣٦/١ تحقيق محمد أبو الفضل.
- ٤- . أورد أبو الفرج ذكر مسافر ونسبه فى ج ٩ من الاغانى ص ٤٩-٥٥، وترجمه عماره بعده.
- ٥- . وضبطه فى شرح ديون حسان بن ثابت ص ١٥٧-١٥٨: ((الصياح)).
- ٦- . تذكره سبط ابن الجوزى.

ببعض بنى حرب، فقال له إسحاق: إن خيراً لك أن يدخل بنو العباس كلهم الجنة؛ فلم يفهم يزيد قوله وفهم معاويه، فلما قام إسحاق قال معاويه ليزيد: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيك؟ قال: قصدت شين إسحاق قال: وهو كذلك أيضاً، قال: وكيف؟ قال: أما علمت أن بعض قريش فى الجاهلية يزعمون أنى للعباس؟ فسقط فى يدى يزيد. وقال الشعبى: وقد أشار رسول الله (ص) إلى هند يوم فتح مكة بشيء من هذا، فإنها لما جاءت تباعه وكان قد أهدر دمها، فقالت: على ما أباعك؟ فقال: ((على أن لاتزين)) فقالت: وهل تزنى الحره؟ فعرفها رسول الله (ص) فنظر إلى عمر فتبسم. (١).

بيت معاويه فى الجاهليه:

كان عتبه والد هند وشيبه أخوه من سادات قريش فى الجاهلية. أما أبو سفيان فقد كان ربه من الرجال قصيراً دحداً ويكنى أبا حنظله بابنه المذى قتله على يوم بدر، وكان أيضاً من سادات قريش فى الجاهلية، وعده محمد بن حبيب من زنادقه قريش الثمانية، (٢) وكان رأساً من رؤوس الأحزاب على رسول الله (ص) فى حياته، (٣) ومن الذين اجتمعوا على منابذه رسول الله (ص) وتعجزه، (٤) وممن اجتمعوا على أبى طالب يخاصمونه فى حمايته لرسول الله (ص)، (٥) وممن حضر دار الندوه حين اجتمعوا فيها يتشاورون على قتل رسول الله (ص) وتعاهدوا على ذلك، (٦) ومن بعد هجره المسلمين إلى المدينه عدا على بعض دورهم بمكة فباعها، وفى السنه الثانيه من الهجره

ص: ٢٧٨

- ١- . انتهت روايه سبط ابن الجوزى عن هشام بن محمد الكلبي ص ١١٦ .
- ٢- . المحبر ص ١٦١ .
- ٣- . الاغانى ٣٤٣/٦-٣٤٤ .
- ٤- . سيره ابن هشام ٣١٥/١-٣١٨ .
- ٥- . سيره ابن هشام ٢٧٦/١-٢٧٩، و ٢٦/٢-٢٨ .
- ٦- . سيره ابن هشام ٩٢/٢-٩٥ .

عندما رجع أبو سفيان بتجاره قريش من الشام وخرج النبي يعترضه؛ استصرخ أهل مكة فخرجوا وحاربوا النبي على ماء بدر، فقتل فيها من بني عبد شمس ثمانية، وفيهم حنظلة بن أبي سفيان وعتبه وشيبه ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة خال معاوية، وقتل ستة من حلفائهم، وأسر منهم سبعة فيهم عمرو بن أبي سفيان، فعدا(١) أبو سفيان على شيخ من الانصار ذهب إلى مكة معتمراً؛ فحبسه بابنه عمرو؛ وكانت قريش قبل ذلك لا تعترض لاحد جاء حاجاً أو معتمراً؛ فأطلق المسلمون ابنه عمراً فخلّى هو سبيل الشيخ المعتمر.(٢)

ومن بعد غزوه بدر أصبح أبو سفيان سيّد مكة الوحيد، وزعيم قريش في حربها وسلمها، ونذر أن لا يمسّ رأسه مأ من جنابه حتّى يغزو محمّداً؛ فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتّى نزل في يهود بني النضير، واستخبر منهم، وأرسل رجالاً إلى ناحيه من المدينة فحرّقوا بها بعض النخيل، وقتلوا رجلين وجدوهما هناك وانصرفوا.(٣)

أما هنّد فقد أكثرت من رثاء أبيها عتبه وعمّها شيبه وبقية أفراد أسرتها من الذين قتلوا ببدر محرّضه قوما على طلب الثأر.(٤)

وصلت تجاره قريش إلى مكة بعد أن قتل في سبيلها سبعون منهم ببدر وأسر سبعون فقرّر أبو سفيان ومن كان له في تلك العير تجارة أن ينفقوها في حرب رسول الله (ص).

فنزلت فيهم: (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثمّ تكون عليهم حسره ثمّ يغلبون والذين كفروا إلى جهنّم

ص: ٢٧٩

١- . سيره ابن هشام ٣٥٥/٢-٣٦٤ ونسب قريش (ص ١٢٦) وفيه ليس له عقب.

٢- . سيره ابن هشام ٢٩٥/٢.

٣- . سيره ابن هشام ٤٢٢/٢-٤٢٣.

٤- . سيره ابن هشام ٤١٤/٢-٤١٦.

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله (ص) حين فعل ذلك أبو سفيان

وأصحاب العير وخرج أبو سفيان - وهو قائد الناس - معه هند بنت عتبة، وكانت هند كلما مرّت بوحشى أو مرّ بها، قالت: وَيَهَّأُ أبا دسمة اشف واشتف. (٢) وفي يوم أحد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء: يا بني عبد الدار! إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم؛ فإمّا أن تكفونا لواءنا وإمّا أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه. فقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع؟ وذلك ما أراد أبو سفيان. فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم وتقول هند:

ويَهَّأُ بنى عبد الدار وَيَهَّأُ حماه الادبار

ضرباً بكلّ بتار (٣)

وتقول:

نحن بنات طارق

فراق غير وامق (٤)

ورآها أحد الانصار تحرّض الناس تحريضاً شديداً، فعلاها بالسيف، ثمّ كفّ عنها لما وجد أنها امرأة. ثمّ قتل وحشى حمزه: عمّ النبيّ.

ووقعت هند والنسوة اللاتي معها يمتلن بالقتلى من أصحاب رسول

ص: ٢٨٠

١- . الايه ٣٦ من سوره الانفال.

٢- . كان وحشى غلام جبير بن مطعم يكنى بأبى دسمة.

٣- . ((ويَهَّأُ)): كلمه تحريض واغراء، و ((حماه الادبار)): الذين يحمون عقاب الناس، و ((البتار)) بتشديد التاء: السيف القاطع، و ((بنى عبد الدار)): حملة رايه المشركين فى بدر وأحد.

٤- . ((التمارق)) جمع نمرقه: الوساده الصغيره و ((الوامق)) المحب.

اللّٰه (ص) يَجِدَعْنَ الْاِذَانَ وَالْاَنْفَ حَتَّى اتَّخَذَتْ هِنْدٌ مِنْ اِذَانِ الرَّجَالِ وَانْفَهَمَ خَدَمًا وَقَلَائِدَ وَاَعْطَتْ خَدَمَهَا وَقَلَائِدَهَا وَقِرَطَتَهَا وَحَشِيًّا، وَبَقِرَتْ عَنْ كَبِدِ حَمْزِهِ فَلَاكْتِهَا فَلَمْ تَسْطِعْ اَنْ تَسِيغَهَا فَلَفْظَتَهَا؛(١) ثُمَّ عَلَتْ عَلَى صَخْرِهِ مَشْرِفَهُ فَصَرَخَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا فَقَالَتْ:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ

فَأَجَابَتْهَا هِنْدُ بِنْتُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَلِّبِ، فَقَالَتْ: (٢)

خَزِيَّتِي فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ

ص: ٢٨١

-
- ١- . ((يَجِدَعْنَ الْاِذَانَ)) يَقِطَعْنَهَا وَ ((الْخَدَمِ)) وَاحِدُهَا الْخَدْمَةُ: الْخَلْخَالُ وَ ((الْقِرَطَةُ)) وَاحِدُهَا الْقِرَاطُ: مَا يَلْقَى فِي شَحْمَةِ الْاِذَنِ، وَ ((بَقِرَتْ)) شَقَّتْ، وَ ((لَاكْتِهَا)) مَضَغْتَهَا وَ ((تَسِيغَهَا)) تَبْلَعُهَا، وَ ((لَفْظَتَهَا)) طَرَحْتَهَا مِنْ فَمِهَا.
 - ٢- . هِنْدُ بِنْتُ أَثَاثَةَ كَانَتْ مِنَ اللَّوَاتِي أُسْلِمْنَ بِمَكَّةَ تَرْجَمَتْهَا فِي أَسَدِ الْغَابَةِ ٥/٥٥٩.

إذ رامَ شيبٌ وأبوكِ غَدْرِي فَخَضَّبَا مِنْهُ ضَوَاحِي النحر(١)

ونذركَ السوءَ فشرَّ نذراً(٢)

ومرَّ الحليس، سيّد الاحاديث بأبي سفيان وهو يضرب في شذق حمزه بن عبدالمطلب بزج الرّمح ويقول ذُق عُقُق، فقال: يا بني كنانة! هذا سيّد قريش يصنع بابت عمّه ما ترون لحمًا فقال: ويحك اكنمها عني فإنّها زلّه(٣)

ثمّ إن أبا سفيان أشرف على الجبل، وصرخ بأعلى صوته فقال: أنعمتَ فعال، إن الحرب سجال يوم بيوم بدر، أعل هُبَل - أي أظهر دينك - فقال رسول الله (ص) أجيوبه ((الله أعلى وأجل)) ثمّ قال أبو سفيان: ألا لنا العزّي ولا عزّي لكم، فقال رسول الله (ص) أجيوبه: ((الله مولانا ولا مولى لكم)).(٤)

ولمّا انصرف نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل فقال.

ص: ٢٨٢

١- ((شيب)): تقصد به عمّ هند، و ((ضواحي)): ماظهر من الصدر.

٢- قال ابن هشام تركنا منها ثلاث أبيات أقذعت فيها.

٣- ((الحليس)) هو ابن علقمه بن عمرو بن الارقم الكنانى، راجع الجمهوره ص ١٧٧ و ((الاحايث)) الذين حالفوا قريشاً هم بنو المصطلق سعد بن عمرو وبنو الهون بنو خزيمه اجتمعوا بذنبه حبشى، وهو جبل بأسفل مكه فتحالفوا بالله: أنا ليدّ على غيرنا ما سجي ليل ووضح نهار ومارسا حبشى مكانه فسموا أحايث باسم الجبل. عيون الاثر ٢٥/١ والى ((كنانه)) ينتهى نسب قريش وحلفائها. راجع جمهوره أنساب العرب ص ٨٩-١٧٩ فان قريشاً هو فهر بن مالك بن النظر بن كنانه بن خزيمه، وبنو ليث هم ولد بكر بن عبد مناه بن كنانه بن خزيمه والقاره هم بنو الهون بن خزيمه و ((زج الرّمح)) الحديده التى فى أسفلها. و ((عقق)) بضم ففتح: العاق ((لحما)) يعنى بعد أن أصبح لحمًا.

٤- ((الفعال)) الفعل الحسن و ((الحرب سجال)): تاره لهم وأخرى عليهم و ((هبل)) كان أعظم الاصنام وكان على بئر فى جوف الكعبه وكان من عقيق أحمر على صوره انسان أدركته قريش ويده مكسوره فجعلوا له يداً من ذهب وأول من نصبه خزيمه؛ الاصنام لابن الكلبي ص ٢٧ و ٢٨ وابن هشام ٨٦/١ و ((العزّي)) بضم العين وتشديد الزاى كانت أعظم الاصنام عند قريش وبنى كنانه، وكانت بواد على مسيره ليلتين من مكه يقال لها مخله، الاصنام لابن الكلبي ص ١٧-١٩ وسيره ابن هشام ٨٨/١ و ٦٤/٤.

رسول الله (ص) لرجل من أصحابه: ((قل: نعم هو بيننا وبينكم موعد)).

ثم إن أبا سفيان بعد انصرافه يوم أحد بدا له الرجوع إلى المدينة ليستأصلوا أصحاب رسول الله (ص) فبلغهم أنّ رسول الله (ص) قد خرج لملاقاتهم فجنبوا ورجعوا أدبارهم. (١)

وقالت هند أيضاً:

شفيت من حمزه نفسى بأحد

وقال عمر بن الخطاب لحسان بن ثابت: يا ابن الفريعه! (٢) لو سمعت ما تقول هند ورأيت أشرها قائمه على صخره ترتجز بنا وتذكر ما صنعت بحمزه. قال حسان: أسمعني بعض قولها أكفيكموها، فأنشده عمر بعض ما قالت، فقال: حسان بن ثابت:

ص: ٢٨٣

١- . الى هنا لخصنا ما أوردنا عن غزوه أحد من سيره ابن هشام ٣/٣-٥٦ وقد وردت أبيات هند بنت أبي سفيان وجواب هند عليها في ترجمتها بالاصابه (٤٠٧/٤).

٢- . حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، وأمه الفريعه بنت خالد بن خنيس، وأبواه أنصاريان خزرجيان ويكنى أبا الوليد وأبا عبد الرحمن وأبا الحسام لمناصلته عن رسول الله (ص)، وكان النبي (ص) ينصب له منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً ينافح عن رسول الله (ص) ورسول الله (ص) يقول: ان الله يؤيد حساناً بروح القدس ما نافح عن رسول الله (ص). وأمره أن يذهب الى أبي بكر ويتعلم منه أنساب قريش، فكان يذهب الى أبي بكر فيقول له أبو بكر: كف عن فلانه وفلانه واذكر فلانه وفلانه، فجعل يهجوهم فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا: هذا شعر لم يغب عنه ابن أبي قحافه. عمر حسان مائه وعشرين سنه وتوفى على الاصح قبل سنه أربعين. الاستيعاب ص ١٢٥-١٢٩ الترجمه ٥٢٣ وأسد الغابه ٧-٤/٢.

أَشْرَتْ لِكَاعٍ وَكَانَ عَادَتَهَا لُؤْمًا إِذَا أَشْرَتْ مَعَ الْكُفْرِ (١).

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبياتٍ له تركناها وأبياتاً أيضاً له على الدال وأبياتاً أُخْرَ على الدال، لأنه أفذع فيها، انتهى. وقد أوردتها الطبرى - بعد هذا البيت هكذا. (٢).

أ - لعن الاله وزوجها معها

وأما الابيات التي قالها على الدال فقد وردت في ديوان حسان هكذا: (٣).

ص: ٢٨٤

- ١- ((الاشر)) أشد البطر و ((لكاع)) اللثيمه، ويقال: للرجال يا لكع بضم ففتح ولا تستعملها العرب في غير النداء.
- ٢- . الطبرى ٢٣/٣-٢٤ وديوان حسان ط. أوربا ص ٨٧ وشرحه ط. مصر ص ٢٢٩-٢٣٠ والاغاني ط. ساسى ١٤/١٦-٢١. ب - ((مقته على بكر)) أى شاده الرجل على إبل فتى. ج - ثفال: البطيء الذى لا ينبعث إلا كرها أى بطئ لا حركه له لا عن زجر ولا حث. ط وك - يقصد بهما ما كانت ترمى به من العهر والفجور. راجع قبله. الفهر: الحجر ملء الكف.
- ٣- . ديوان حسان ط. أوربا ص ٩١، مصر شرح البرقوقى ص ١٥٧-١٥٨. أ - البطحاء: أصله المسيل الواسع فيه دقاق الحصاه. ويقصد بالبطحاء هنا بطحاء مكه، ومهد الصبى: موضعه الذى يمهد له لينام، وفى الذكر: ((من كان فى المهد صبياً)). ب - ((نجلت به)): ولدت، والنجل: النسل والولد؛ و ((آنسه)) طيبه الحديث وقيل: جاريه آنسه، إذا كانت طيبه النفس تحب قربك وحديثك و ((صلته الخد)) ملساء الخد. ج - ((الصيواح)) بالصاد المفتوحه والياء المشدده وفى نسخه ((الصباح)) بالصاد المفتوحه والباء الموحده: مولى كان لعماره بن الوليد كانت هند ترمى به وكان أجيراً لأبى سفيان و ((صلبه الحرد)) شديده الغيظ. د - ((بمقطره)) المقطره: المجره من القطر وهو العود الذى يتبخر به و ((تذكى لها بألوه الهند)) توقد لها بالعود الهندى الذى يتبخر به. ه - يقول ان وليدها أشبه بها، وان كان قد ظهر سواد الصيواح فى شعره الاسود المجعد. و - أشرت لكاع سبق تفسيره و ((المشاش)) كل عظم لامخ فيه و ((الناجد)) أحد النواجد وهى الاضراس.

وقال لهند بنت عتبه بن ربيعه:

أ - لمن الصبي بجانب البطحاء

وقال أيضاً يهجوها. (١)

ص: ٢٨٥

١- . هكذا ورد في ديوان حسان ط. أوربا ص ٩١، وفي شرحه ط. مصر ص ١٥٨-١٥٩. وفي شرح النهج ٣/٣٨٧ ورد البيت الخامس بعد البيت الثاني هكذا: يظلّ يرجمه الصبيان منعفراً وخاله وأبوه سيّدا النادى أ - ((أجيات)) موضع بمكّه وقد كثر في الشعر وقيل: إنّه ممّا يلي الصفا قال الاعشى: ولا جعل الرحمن بيتك في الذرابأجيات غربي الصفا والمحطم ب - تمخض المرأه: أخذها الطلق ووجع الولاده و ((القوابل)) جمع قابله و ((الجنه)) اسم الجنّ. ج - ((أياد)) من الايد: القوه أو الشده. د - تقول ((وهناً)) أى ضعفاً وفي التنزيل ((حملته أمه وهناً على وهن)) و ((الشول)) جمع شائله وهى من النوق ما خفّ لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر أو ثمانية من يوم نتاجها. ه - ((حرّ الوجه)): الخد او ما أقبل عليك منه و ((منعفراً)): متمرغاً فى التراب.

وقد أورد ابن هشام ثيفاً وثلاثين قصيدهً للمشركين والمسلمين، فيها وصف هذه الواقعة، وذكر أبي سفيان وما فعلته هند. (١)

وفي شعبان سنة أربع من الهجرة خرج رسول الله (ص) إلى بدر لميعاد أبي سفيان. وخرج أبو سفيان في أهل مكه، ثم بدا له في الرجوع فقال: يا معشر قريش! إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب وإن عامكم هذا عام جذب؛ وإني راجع فارجعوا فرجع الناس. (٢)

ثم استعدت قريش لحرب رسول الله وحزبت الأحزاب من حلفائها واليهود الذين كانوا حول المدينة فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان وكان رسول الله (ص) قد حفر خندقاً حول المدينة فجاءت قريش وحلفاؤها حتى حاصرت المدينة قريباً من شهر وكان ذلك في شوال سنة خمس من الهجرة وقتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبد ود مبارزة وخافت اليهود؛ فلم تشترك في الحرب واشتد البرد والريح على قريش، فخطب فيهم أبو سفيان وقال: يا معشر قريش! إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، (٣) وأخلفتنا بنو قريظه وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بنائ؛ فارتحلوا فإني مرتحل. فارتحلوا في ليلتهم تلك من المدينة راجعين إلى

ص: ٢٨٦

١- . راجع سيره ابن هشام ٥٦/٣-١٥٩، وديوان حسان.

٢- . راجع سيره ابن هشام ٢٢١/٣-٢٢٢. وتاريخ يعقوبى ٥٣/٢.

٣- . ((الكراع)) الخيل، و الخف: الابل.

ولمّا عاهد رسول الله (ص) قريشاً يوم الحديبيه ونقضت العهد بعد ذاك جاء أبو سفيان إلى المدينه ليجدّد العهد، فلم يجبه رسول الله (ص) وجاء إلى عليّ أخيراً وقال له: يا أبا الحسن! إنّي أرى الأمور قد اشتدّت عليّ فانصحنى. قال: واللّه لا أعلم لك شيئاً يغنى عنك شيئاً ولكنك سيّد بنى كنانه فقم فأجر بين الناس، ثمّ الحق بأرضك. قال: أو ترى ذلك مغنياً عنّي شيئاً، قال: لا واللّه ما أظنّه ولكنّي لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان إلى المسجد، فقال: يا أيها الناس إنّي قد أجزت بين الناس ثمّ ركب بعيره فانطلق. (٢).

فهو إذن لم يكن سيّد قريش في الجاهليّه فحسب، وإنّما كان سيّد قريش وسائر قبائل كنانه في حربها لرسول الله (ص) وسلمها، واستمرّت له هذه السيادة حتّى فتح مكّه حيث كسر النبيّ (ص) سيادته مع كسره أصنام قريش.

وكان من خبره في فتح مكّه ما ذكره ابن هشام وغيره قالوا: (٣).

إن النبيّ لمّا قرب من مكّه ركب العباس بغله النبيّ وخرج يطلب أحداً يرسله إلى قريش ليأتوا إلى النبيّ ويستأمنوه؛ فأدرك ثلاثه من قريش، فيهم أبو سفيان خرجوا يتجسّسون، فقال العباس لابي سفيان: واللّه لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك، فأردفه خلفه وأخذه إلى رسول الله (ص) ليستأمن له، فقال له رسول الله (ص):

((ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنّه لا إله إلاّ الله؟)).

قال: بأبي أنت وأُمّي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك؟! واللّه لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنّي شيئاً بعد.

ص: ٢٨٧

١- . سيره ابن هشام ٣/٢٢٩-٢٥١.

٢- . سيره ابن هشام ٤/١٢-١٤.

٣- . سيره ابن هشام ٤/٣٢-٣٢ والاستيعاب ٢ ك ١٦٧٨-١٦٧٩.

((ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟)).

قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أمّا هذه والله فإن في النفس حتى الان منها شيئاً!

فقال له العباس: ويحك أسلم قبل أن تضرب عنقك. فشهد، وأسلم ثمّ سأل له العباس رسول الله (ص): أن يؤمن من دخل داره، وقال: إنّه رجل يحبّ الفخر والذكر، فأسعه رسول الله (ص) في ذلك وقال: ((نعم ممن دخل دار أبي سفيان فهو آمن؛ ومن أغلق بابه على نفسه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن)).

وقال للعبّاس: ((احبسه بمضيق الوادي حتى تمرّ به جنود الله فيراها)) ففعل: ومَرّت القبائل على راياتها كلّما مرّت قبيلته قال: يا عبّاس مَنْ هذا؟ فيقول ((سليم)) فيقول: مالي ولسليم حتى نفدت القبائل؛ وما تمرّ قبيلته حتى يسأله عنها فإذا أخبره قال: مالي ولبنى فلان، حتى مرّ رسول الله (ص) في المهاجرين والانصار، لا يرى منهم إلاّ الحدق من الحديد فقال: من هؤلاء قال: هذا رسول الله في المهاجرين والانصار قال: ما لاحدٍ بهؤلاء قبل ولا طاعه، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداه عظيماً، قال: يا أبا سفيان إنّه النبؤه. قال: فنعم إذن. ثمّ خلّى العباس سبيله، فذهب حتى دخل المسجد وصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش! هذا محمّدٌ قد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا هذا الحميت الدسم الاحمس؛ [\(1\)](#) قبح من طليعه قوم. قال: ويلكم لا تغرّنكم هذه من أنفسكم فإنّه قد جاءكم مالا قبل لكم به؛ فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: قاتلك الله وما تغني عنّا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرّق الناس

ص: ٢٨٨

١- ((الحميت)): زق السمن، و ((الدسم)): الكثير الودك، و ((الاحمس)): الشديد اللحم. شبهت هنا أبا سفيان بزق السمن لسمنه.

إلى دورهم وإلى المسجد ودخل رسول الله (١) مكة وجاء حتى قام على باب الكعبة وقال بعد خطبته لقريش: يا معشر قريش! ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً. أخ كريم وابن أخ كريم. قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء.

وهذا القول وإن كان في يومه منحه كريمه من النبى لهم غير أنه أصبح بعد ذلك سبه عليهم وعلى أولادهم أبد الدهر؛ فإنهم أصبحوا عتقاء رسول الله يعثرهم بذلك غيرهم.

أبو سفيان بعد إسلامه:

وطاف رسول الله (ص) بالبيت ولتمّ رأى أبو سفيان الناس يطأون عقب رسول الله (ص) قال في نفسه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل! فضرب رسول الله في صدره: ثمّ قال إذا يخزيك الله، فقال: أتوب إلى الله وأستغفر الله والله ما تنفّوت به إلا شيئاً حدثت به نفسى.

وقال مرّه أخرى في نفسه: ما أدرى بما يغلبنا محمّد؟! فضرب ظهره وقال: بالله يغلبك. فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول الله (٢).

وخرج رسول الله (ص) إلى حنين لحرب هوازن؛ (٣) وخرج معه جماعة من قريش. قال المقرئى: (ص ٤٠٥): ((وكان قد خرج رجال مكة على غير دين ينظرون على من تكون الدائره فيصيبون من الغنائم، منهم أبو سفيان بن حرب ومعه معاويه بن أبى سفيان خرج ومعه الازلام فى كنانته وكان يسير فى

ص: ٢٨٩

١- . كان قول رسول الله (ص) لابی سفيان من دخل دار أبى سفيان فهو آمن مع قوله من دخل داره فهو آمن كقول على له: قم وأجر بين الناس وانصرف الاستيعاب ص ٦٨٩.

٢- . بترجمه صخر من تهذيب ابن عساكر ٤٠٤/٦ والاصابه ١٧٢/٢.

٣- . ((حنين)): واد بجنب ذى المجاز، بينه وبين مكة ثلاث ليال (معجم البلدان) و ((هوازن)) هم بنو هوازن بن منصور بن عكرمه بن خصفه بن قيس عيلان، من العدنانية. راجع تراجمهم فى جمهره أنساب العرب ص ٢٥٢-٢٥٤. ونهايه الارب ص ٤٠٠.

أثر العسكر، كلما مرّ بترس ساقط أو رمح أو متاع حملة حتى أوقر جملة))، ولما انهزم المسلمون في أول الحرب؛ تكلم نفرٌ من قريش في ذلك كما ذكره ابن هشام وقال: (١)

فلما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله (ص) من جفاه أهل مكة الهزيمة، تكلم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الظغن (٢) فقال أبو سفيان بن حرب: ((لا تنتهي هزيمتهم دون البحر)) وأنّ الازلام لمعه في كنانته. وقال غيره: ((الآن بطل السحر)) اليعقوبى ٤٧/٢.

ثمّ انتصر رسول الله، وأعطى المؤلّفه قلوبهم من غنائم حنين مائه بعيرٍ يتألّفهم، وأعطى أبا سفيان وابنيه يزيد ومعاوية من الابل مائه مائه، ومن الفضة أربعين أوقيه، فقال أبو سفيان: والله إنك لكريمٌ، فداك أبي وأُمّي، حاربتك فلنعم المحارب كنت، ولقد سالمتك فنعم المسالم؛ فعتب على ذلك الانصار؛ فقال لهم النبيّ (ص): إنّي تالّفت بهم قومهم ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم. (٣)

دخل أبو سفيان في الاسلام، غير أن المسلمين لم ينسوا مواقفه منهم، فكانوا لا ينظرون إليه، ولا يقاعدونه، على ما رواه مسلم في صحيحه، (٤) وروى أيضاً أن أبا سفيان أتى على سلمان، وصهيب، وبلال في نفر؛ فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدوّ الله مأخذها. قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبيّ (ص)، فأخبره، فقال: يا أبا بكر! لعلك أغضبتهم؛ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك. فأتاهم أبو

ص: ٢٩٠

- ١- سيره ابن هشام ٧٢/٤، والطبرى ١٢٨/٣، وابن الاثير ١٠٠/٢، وامتاع الاسماع ٤١١/١.
- ٢- ((الظغن)): بكسر الظاء وسكون الغين: الحقد.
- ٣- ابن هشام ١٣٩/٤-١٤٨.
- ٤- صحيح مسلم ١٧١/٧.

بكر فقال: يا إخوانه أغضبتمكم قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي. (١)

كان ذلك في عصر رسول الله (ص). أمياً في عصر الخليفتين فكان ما ذكره ابن عساكر، وقال: (٢) إن أبا بكر أغلظ يوماً في الكلام لابي سفيان، فقال له أبو قحافه: يا أبا بكر! أتقول هذه المقالة لابي سفيان؟ فقال له: يا أبة! إن الله رفع بالاسلام بيوتاً، ووضع بيوتاً، وكان بيتي في ما رفع، وبيت أبي سفيان في ما وضع.

ص: ٢٩١

١- صحیح مسلم ١٧٣/٧، وفي ترجمه ((سلمان)) و ((صهيب)) و ((بلال)) من النبلاء ١٥/٢ واللفظ لمسلم. الاستيعاب ٦٣٩/٢ ط. مصر، تحقيق على محمد البجاوى. أ - أبو عبد الله سلمان الفارسي كان مجوسياً ثم تنصر قبل بعثه رسول الله (ص) وقصد المدينة ليدرك الرسول، فصحب قوماً من العرب فأسروه وباعوه لرجل من يهود المدينة، فرأى رسول الله (ص)، وعرف فيه علامات النبوه، وأسلم على يديه، فاشتراه رسول الله (ص)، وأعتقه، وهو الذى أشار على النبى يوم الخندق بحفر الخندق، وقال النبى في حقه يوم ذاك: سلمان منا أهل البيت، وتوفى في عصر عثمان سنة خمس وثلاثين في المدائن أميراً عليها ودفن هناك. أسد الغابه ٢٢٨/٢-٢٣٢. ب - صهيب بن سنان الربعى النمري، كان أبوه عاملاً لكسرى على الابله، فغارت الروم عليهم، وأسرت صهييباً فنشأ فيهم، ثم باعته الى كلب فجاءت به الى مكه، فباعته من عبد الله بن جدعان فأعتقه، وكان من السابقين الى الاسلام الذين عذبوا في مكه، وكانه الرسول أبا يحيى، وكان في لسانه لكنه. توفى بالمدينه سنة ثمان أو تسع وثلاثين، ودفن بها وكان ابن سبعين أو ثلاث وسبعين. أسد الغابه ٣١/٣-٣٣. ج - بلال بن رباح الحبشى، وأمه حمامه، كان من السابقين الى الاسلام، فعذبته قريش، فكانت تبطحه على وجهه في الشمس، وتضع الرحاء عليه حتى تصهره الشمس، ويقولون له: أكفر برب محمد، فيقول: أحد، أحد، واشتراه أبو بكر وأعتقه، وكان مؤذن رسول الله (ص)، وخازنه، وشهد معه مشاهدته كلها، وذهب بعد النبى الى الشام غازياً، وتوفى هناك في العشر الثاني بعد الهجره، وعمره بضع وستون سنة. أسد الغابه ٢٠٩/١.

٢- أوردت ما جرى بين أبي بكر وعمر وأبي سفيان ملخصاً من تهذيب ابن عساكر ٤٠٦/٦-٤٠٧ بترجمه أبي سفيان. المسعودى ٢٩٩/٢ ط. دار الاندلس.

وروى أن عمر بن الخطّاب قدم مكّه، فقالوا له: إن أبا سفيان ابنتى داراً، فألقى الحجارة فحمل علينا السيل؛ فانطلق معهم عمر، وحمل الحجارة على كتف أبي سفيان، فرفع عمر يده وقال: الحمد لله الذى أمر أبا سفيان ببطن مكّه فيطيعنى.

وروى أنّ عمر اجتاز فى سكك مكّه، وأمرهم أن يقيموا أفئنتهم، ثمّ اجتاز بعد ذلك فرأى الفناء كما كان، فعلا أبا سفيان بالدرّه بين أذنيه، فضربه، فسمعت هند قالت: أبصر به، أما والله لربّ يوم لو ضربته لاقشعرّ بك بطن مكّه، فقال عمر: صدقت ولكنّ الله رفع بالاسلام أقواماً ووضع به آخرين.

هكذا أذلّ الاسلام أبا سفيان وأعزّ غيره؛ فكان فى نفسه على الاسلام والمسلمين ما ظهر على فلتات لسانه؛ ومن ذلك ما رواه جمع من المؤرّخين عن ابن الزبير أنّه قال: كنت مع أبى باليرموك، وأنا صبئى لا أقاتل؛ فلما اقتتل الناس نظرت إلى ناس على تل لا يقاتلون، فركبت وذهبت إليهم وإذا أبو سفيان بن حرب ومشيخه من قريش من مهاجره الفتح؛ فأرونى حدّثاً، فلم يتقونى؛ قال: فجعلوا والله إذا مالت المسلمون وركبتهم الروم يقولون: ((إيه بنى الاصفر)) فإذا مالت الروم وركبتهم المسلمون قالوا: ((ويح بنى الاصفر)) فلما هزم الله الروم أخبرت أبى، فضحك، فقال: قاتلهم الله أبوا إلا ضغنأ؛ لنحن خير لهم من الروم. (1)

وفى روايه أخرى عنه: فكانت الروم إذا هزمت المسلمين، قال أبو سفيان: ((إيه بنى الاصفر)) فإذا كشفهم المسلمون، قال أبو سفيان:

وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

ص: ٢٩٢

١- . الطبرى ١٣٧/٤، وابن الاثير ١٥٩/٢، واللفظ له، والاصابه ١٧٢/٢ ترجمه ٤٠٤٦، وتهذيب ابن عساكر ٣٥٦/٥ و ٤٠٦/٦. و ((اليرموك)) واد بناحيه الشام، وقعت فيه حرب بين المسلمين والروم فى السنه الثالثه عشره.

فلما فتح الله عليهم، وحَدَّثت به أبي، أخذ بيدي يطوف على أصحاب رسول الله (ص) يقول: حَدِّثْهُمْ، فَأَحَدِّثْهُمْ، فيعجبون من نفاقه. (١)

وعندما ولي عثمان الخلافة دخل عليه أبو سفيان، فقال: يا معشر بني أمية! إن الخلافة صارت في تيم وعدى حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم فتلقفوها بينكم تلقف الصبي الكره؛ فوالله ما من جنه ولا نار؛ فصاح به عثمان: ((قم عني، فعل الله بك وفعل)). (٢)

وفي روايه أخرى أنه قال: يا بني أمية! تلقفوها تلقف الكره، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثته، فانتهره عثمان وساءه ما قال. (٣)

وفي روايه أخرى: دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كف بصره، فقال: هل علينا من عين قال: لا. فقال: يا عثمان! إن الامر أمرٌ عالمية، والملك ملكٌ جاهلية، فاجعل أوتاد الارض بني أمية. (٤)

وفي هذا العصر كان ما روى عنه: أنه مرَّ بقبر حمزه، وضربه برجله وقال: يا أبا عمارة! إن الامر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس صار في يد غلماننا اليوم يتلعبون به. (٥)

أدرك أبو سفيان أميته بولايه عثمان على الخلافة؛ وتوفى في عصره، سنة إحدى أو اثنتين، أو ثلاث، أو أربع وثلاثين؛ وقد تيف على الثمانين أو

ص: ٢٩٣

١- . الاغانى ٣٥٤/٦-٣٥٥، والاستيعاب ص ٦٨٩ ترجمه ٣٢١، وأسد الغابه ٢١٦/٥ مختصراً، وللفظ للاؤل.

٢- . الاغانى ٣٥٥/٦-٣٥٦، والاستيعاب ص ٦٩٠. راجع النزاع والتخاصم للمقريزي ص ٢٠ ط. النجف.

٣- . مروج الذهب بهامش ابن الاثير ١٦٥/٥-١٦٦.

٤- . الاغانى ٣٢٣/٦، وفي تهذيب ابن عساكر ٤٠٩/٦، وهذا لفظه: ((وعن أنس أن أبا سفيان دخل على عثمان بعدما عمى فقال هل ها هنا أحد؟ فقالوا: لا فقال: اللهم اجعل الامر أمر جاهليه، والملك ملك غاصبيه وأجعل أوتاد الارض لبني أمية)).

٥- . شرح النهج ٥١/٤، الطبعه المصريه الاولى، وطبعه تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ١٣٦/١٦ فى شرح الكتاب ٣٢.

أما هنأً؁ فكانت قد توفيت قبله فى عصر الخليفة عمر. (١)

معاويه:

أميا معاويه فلم يكن فى الجاهلية بدعاً عن أبويه وذويه فى حروبهم لرسول الله (ص) والمسلمين؛ ولما رأى أن أباه أقبل يسلم؁ خاطبه بقوله:

يا صخر؁ لا تسلمن فتفضحنا

وأسلم معاويه بعد الفتح فى من أسلم؁ وكان نصيبه من غنائم حنين مائه ناقة وأربعين أوقيه أسوه بغيره من المؤلفة قلوبهم الذين تالف النبى قلوبهم بذلك؁ ثم تكرم عليه واستكتبه فى من استكتب من أصحابه؁ وبعث النبى إليه ذات يوم ابن عباس يدعوه ليكتب له؁ فوجده ابن عباس يأكل؁ فأعاده النبى إليه يطلبه؁ فوجده يأكل؁ إلى ثلاث مرآت؛ قال النبى فيه

((لا أشبع الله بطنه)). (٢)

ص: ٢٩٤

١- . ترجمتها فى أسد الغابه ٥٦٣/٥.

٢- . أنساب الاشراف ٥٣٢/١؁ وفيه هذه التمه: فكان معاويه يقول: لحقنى دعوه رسول الله (ص)؁ وكان يأكل فى كل يوم ثلاث مرات أكلا كثيراً؁ وراجع صفين؁ ومسلم فى صحيحه ٢٧/٨؁ فى باب (من لعنه النبى...) وشرح النهج ٣٦٥/١. ومسند الطيالسى الحديث ٢٧٤٦ وابن كثير ١١٩/٨ وقد عدّه من فضائله.

وكان من خبره يوم ذاك، أن امرأة من المهاجرات استشارت النبي فيه وفي رجلين كانوا قد خطبوها؛ فقال رسول الله في معاويه: ((أما معاويه فصعلوكٌ لا مال له)).(١)

وخرج رسول الله في سفره، فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر وهو يقول:

يزال حوارىُّ لوح عظامه زوى الحرب عنه أن يُجن فَيُقبِرا

فقال النبي: ((انظروا من هما؟))، فقالوا: معاويه وعمرو بن العاص، فرفع رسول الله يديه فقال: ((اللهم أركسهما في الفتنة ركساً، ودّعهما إلى النار دَعَاً)).(٢)

وفي حديث آخر: أن رسول الله رأى في غزاه تبوك يسيران، وهما يتحدثان، فالتفت إلى أصحابه، فقال:

إذا رأيتوهما اجتماعاً ففرّقا بينهما، فإنهما لا يجتمعان على خير أبداً.(٣)

ص: ٢٩٥

- ١- . مسلم ١٩٥/٤ باب المطلقة ثلاثاً لا نفقه لها من كتاب الطلاق. وفي مسند الطيالسي ص ٢٢٨ الحديث ١٦٤٥ وكتاب النكاح من سنن أبي داود ٣٠٧-٣٠٨، وقريب من لفظه ما في سنن ابن ماجه، الحديث ١٨٦٩ من كتاب النكاح.
- ٢- . في مسند أحمد ٤٢١/٤ عن أبي برزّه الاسلمى ولفظه ((فقالوا فلان وفلان))، وفي صفين لنصر ابن مزاحم ص ٢٤٦ الحديث عن أبي برزّه كذلك، وفيه تصريح باسميهما - معاويه وعمرو بن العاص - وأخرجه ابن عقيل في ص ٥٩ من النصائح الكافية عن أبي يعلى بهذا السند، وعن الطبراني في الكبير بسنده الى ابن عباس. وأخرجه السيوطى فى اللالى المصنوعه، باب مناقب سائر الصحابه عن أبى يعلى عن أبى برزّه، وأخرجه أيضاً عن الطبراني فى الكبير عن ابن عباس وأخرجه عن سيف بعد أن مسخه راجعه فى: ٤٢٧/١. و ((يزال)) حذف منه ((لا-)) كما يقال ((زلت أفعل)) أى: ما زلت أفعل، و ((الحوارى)): الصاحب الناصح، وأنصار الانبياء و ((زوى عنه)): منع عنه و ((يجن)): يكفن ويدفن وفى بعض النسخ ((يحس)) والمعنى فى البيت لا يزال الناصر الناصح تلوح عظامه منع الحرب عن كفته ودفنه. و ((أركسه)): أعاده الى الحاله السيئه و ((أركسه)): نكسه، وفى القرآن الكريم ((والله أركسهم بما كسبوا)) و ((الدع)): الدفع الشديد، العنيف.
- ٣- . فى العقد الفريد ٣٤٥/٤-٣٤٦ أن معاويه بعث الى عباده بن الصامت يستنصره فى حرب على فلما جاء جلس بين عمرو ومعاويه وحدثهما بهذا الحديث.

وفى روايه: رأهما مجتمعين فنظر إليهما نظراً شديداً، ثم رأهما فى اليوم الثانى، واليوم الثالث، كل ذلك يديم النظر إليهما، فقال فى اليوم الثالث: ((إذا رأيتم معاويه وعمرو بن العاص مجتمعين، ففرقوا بينهما فإنهما لن يجتمعا على خير)).(١)

ونظر رسول الله ذات يوم إلى أبى سفيان وهو راكب ومعاويه وأخوه؛ أحدهما قائد والاخر سائق، قال: ((اللهم العن القائد والسائق والراكب(٢)).

هذا إلى غيره من حديث كثير لرسول الله فيه وفى أسرته(٣) ينبئنا عن مكانه معاويه فى ذلك العصر.

ومن بعد رسول الله لما استخلف أبو بكر، وأرسل يزيد بن أبى سفيان فى من أرسله من الامراء فى السنه الثالثه عشره من الهجره، سار معاويه تحت لواء أخيه يزيد.

وفى عهد عمر لَمَّا طعن يزيد سنه ثمانى عشره بالطاعون، واحتضر، استعمل أخاه معاويه على عمله - دمشق وجندها - فأقره الخليفه على ذلك.(٤)

ولَمَّا دخل عمر الشام، تلقاه معاويه فى موكب عظيم؛ فقال فيه عمر: ((هذا كسرى العرب)). فلَمَّا دنا منه، قال له: ((أنت صاحب الموكب العظيم))، قال: نعم يا أمير المؤمنين! قال: مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك؟ قال: مع ما يبلغك من ذلك؛ قال: ((ولم تفعل هذا!))

ص: ٢٩٦

١- . فى صفين ٢٤٥-٢٤٦ أن زيد بن أرقم دخل على معاويه فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير فلَمَّا رأى ذلك جاء حتى رمى بنفسه بينهما وحدثهما بهذا الحديث.

٢- . صفين ص ٢٤٧، وراجع الطبرى ٣٥٧/١١، والزبير بن بكار فى كتاب المفارقات بروايه ابن أبى الحديد عنه فى شرح النهج ١٠٣/٢، وتذكره سبط ابن الجوزى ١١٥، وفيه أن ذلك كان يوم الاحزاب.

٣- . كالحكم بن أبى العاص، وعقبه بن أبى معيط وغيرهما.

٤- . الطبرى ٢٠٢/٤ والنبلاء ٢٣٧/١-٢٣٨.

قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثيرٌ، فيجب أن نظهر من عزّ السلطان ما نرهبه... (١) الحديث.

ولمّا استخلف عثمان، جمع له الشام، وأرعى له زمامه، فانطلق معاويه على سجيّته، لا يردعه عمّا يشتهيهِ رادعٌ.

ومن قصصه في الشام ما كان بينه وبين عباده بن الصامت الخزرجي أحد نقباء الانصار، وكان أحد خمسهِ جمعوا القرآن على عهد رسول الله (٢) (ص)؛ فقد أرسله عمر بن الخطّاب في إماره يزيد بن أبي سفيان إلى الشام ليعلّم الناس القرآن؛ فأقام بحمص حتّى إذا مات يزيد وولى بعده معاويه، سار في جنده.

روى مسلم (٣) أنّ معاويه غزا غزاةً كان فيها عباده بن الصامت، فغنموا فيما غنموا آنيّةً من فضّه، فأمر معاويه رجلاً أن يبيعها في أعطيات الناس، فتسارع الناس إلى ذلك - وفي تهذيب ابن عساكر: فباع الاناء بمثل ما فيه أو نحو ذلك - فبلغ عباده ابن الصامت؛ فقام فقال: إنّي سمعت رسول الله (ص) ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضّه بالفضّه... إلّا سواء بسواء وعيناً بعين، فمن زاد أو ازداد فقد أربى. فردّ الناس ما أخذوه؛ فبلغ ذلك معاويه فقام خطيباً فقال: ألا ما بال رجال يتحدّثون عن رسول الله أحاديث قد كنّا نشهده ونصحه فلم نسمعها منه؛ فقام عباده بن الصامت، فأعاد القصّه، ثمّ قال: لنحدّثنّ بما سمعنا من رسول الله (ص) وإن كره معاويه أو

ص: ٢٩٧

-
- ١- ترجمه معاويه في الاستيعاب ٢٥٣/١ والاصابه ٤١٣/٣. وبتاريخ ابن كثير ١٢٠/٨ بتفصيل أوفى.
 - ٢- شهد عباده مشاهد رسول الله (ص) كلها وعاش الى سنه أربع وثلاثين، وتوفّي بالرملة أو بيت المقدس، ودفن هناك، ترجمته في الاستيعاب ص ٤١٢، وأسد الغابه ١٠٦/٣، وتهذيب ابن عساكر ٢٠٦/٧-٢١٤، والاصابه ٢٦٠/٢ والنبلا ١/٢-٥.
 - ٣- في صحيح مسلم ٤٦/٥، وتهذيب ابن عساكر ٢١٢/٥. وقد أوردته ملخصاً من صحيح مسلم.

قال: وإن رغم ما أبالي أن لا أصحبه في جنده ليله سوداء؛ وفي مسند أحمد ٣١٩/٥؛ والنسائي ٢٢٢/٢٠ إني والله لا- أبالي أن لا أكون بأرض يكون بها معاويه. وفي أسد الغابه والنبلاء بترجمه عباده: أن عباده أنكر على معاويه شيئاً فقال: لا أساكنك بأرض. فرحل إلى المدينه فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره بفعل معاويه؛ فقال له: إرحل إلى مكانك، فقبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك فلا إمرة له عليك. وفي النبلاء (١) أن عباده بن الصامت كان مع معاويه فأذن يوماً؛ فقام خطيباً يمدح معاويه ويشني عليه. فقام عباده بتراب في يده، فحشاه في فم الخطيب فغضب معاويه. فقال له عباده: إنك لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله (ص) بالعقبه - إلى قوله - وأن نقوم بالحق حيث كنا، لا- نخاف في الله لومه لائم وقال رسول الله (ص): إذا رأيتم المداحين فاحشوا في وجوههم التراب.

وذكر معاويه الفرار من الطاعون في خطبته. فقال له عباده: أميك هند أعلم منك، فأتهم خطبته ثم صلى ثم أرسل إلى عباده: فنفذت رجالاً من الانصار معه فاحتبسهم ودخل عباده؛ فقال معاويه: ألا تتقى الله وتستحي من إمامك؟ فقال عباده: أليس قد علمت أنني بايعت رسول الله (ص) ليله العقبه أتى لا أخاف في الله لومه لائم؟ ثم خرج معاويه عند العصر فصلى؛ ثم أخذ بقائمه المنبر فقال: أيها الناس! إني ذكرت لكم حديثاً على المنبر؛ فدخلت البيت؛ فإذا الحديث كما حدثني عباده فاقتبسوا منه فهو أفقه مني. (٢)

نرى أن هذا كله كان في عصر عمر؛ أما في عصر عثمان فإنه كان ما رواه ابن عساكر والذهبي، (٣) وقالوا:

ص: ٢٩٨

١- . النبلاء ٢/٢، وتهذيب ابن عساكر ٢١١/٧.

٢- . تهذيب ابن عساكر ٢١٣/٧-٢١٤.

٣- . في تهذيب ابن عساكر ٢١١/٧-٢١٢، والنبلاء ٣/٢-٤، ومسند أحمد ٣٢٥/٥ عن ابن خثيم حدثني اسماعيل بن عبيد الانصاري، غير أن الحديث حذف من أوله في مسند أحمد، وورد هكذا: ((ثنى اسماعيل بن عبيد الانصاري)) فذكر الحديث ((فقال عباده يا أبا هريره إنك لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله (ص)...)) ثم ساق الحديث الى آخره.

إن عباده بن الصامت مرّت عليه قطاره(1) وهو بالشام تحمل الخمر؛ فقال: ما هذه أزيّت قيل: لا، بل خمراً يباع لفلان. فأخذ شفره من السوق فقام إليها؛ فلم يذر فيها راويه إلا بقرها - وأبو هريره إذ ذاك بالشام - فأرسل فلان إلى أبي هريره؛ فقال: أتمسك عنا أخاك عباده؛ أمّا بالغدوات فيغدو إلى السوق يفسد على أهل الذمّه متاجرهم، وأمّا بالعشّي فيقعد في المسجد ليس له عمل إلا شتم

أعراضنا وعيينا! قال: فأتاه أبو هريره فقال: يا عباده، مالك ولمعاويه! ذره وما حمل. فقال: لم تكن معنا إذ بايعنا على السمع والطاعة؛ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وألاً تأخذنا في الله لومه لائم، فسكت أبو هريره.

وكتب معاويه إلى عثمان: أن عباده بن الصامت قد أفسد على الشام وأهله، فإمّا أن تكفّه إليك، وإمّا أن أُخلى بينه وبين الشام. فكتب إليه: أن رحّل عباده حتّى ترجعه إلى داره بالمدينه.

قال: فدخل على عثمان، فلم يفجأه إلا وهو معه في الدار؛ فالتفت إليه فقال:

ما لنا ولك؟ فقام عباده بين ظهرائي الناس؛ فقال: سمعت رسول الله (ص) يقول: سيلى أموركم بعدى رجالٌ يعزّفونكم ما تنكرون؛ وينكرون عليكم ما تعرفون؛ فلا طاعة لمن عصى ولا تضلّوا برّبكم.

وفي روايه ابن عساكر بعد هذا: فوالذي نفس عباده بيده إن فلاناً - يعنى معاويه - لَمِن أولئك فما راجعه عثمان بحرف؛ انتهى.

وقصّه معاويه مع الصحابه في شربه الخمر لم تقتصر على ما كان بين معاويه وعباده؛ فقد رووا أن عبدالرحمن بن سهل بن زيد الانصارى غزا في زمن عثمان ومعاويه أميراً على الشام، فمرّت به روايا خمر، فقام إليها برمحه، فبقر كل راويه منها؛ فناوشه الغلمان؛ حتّى بلغ شأنه معاويه؛ فقال: دعوه

ص: ٢٩٩

١- . ((القطاره)): الابل تشدّ على نسق واحد خلف واحد.

فإنه قد ذهب عقله، فبلغه فقال: كلاً- والله ما ذهب عقلي؛ ولكن رسول الله (ص) نهانا أن ندخل بيوتنا وأسقيتنا خمرًا وأحلف بالله لئن بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله (ص) لا بقرن بطنه أو لاموتنّ دونه. (١)

وأخرج ابن حنبل في مسنده ٣٤٧/٥ عن عبد الله بن بريده، قال: دخلت أنا وأبي على عاوية، فأجلسنا على الفرش، ثم أتينا بالطعام، فأكلنا، ثم أتينا بالشراب، فشرب معاوية، ثم ناول أبي، ثم قال - أي أبي -: ما شربته منذ حرّمه رسول الله (ص)... الحديث.

وله قصصٌ أخرى في الخمر أخرجها ابن عساكر في تاريخه. (٢)

وفي هذا العصر - عصر عثمان - كان لمعاوية مع أبي ذرّ قصصٌ يطول شرحها، ونحن نوردها هاهنا بايجاز.

مع أبي ذر:

كان أبو ذر يتأله في الجاهلية ويقول: لا إله إلا الله، ولا يعبد الاصنام (٣) فلمّا بلغه خبر النبي بمكّه ذهب إليها، أسلم رابعاً أو خامساً (٤) وأجهر

ص: ٣٠٠

- ١- . بترجمته في الاصابه ٣٩٤/٢، وفي أسد الغابه ٢٩٩/٣ الى قوله و ((أسقيتنا)) ثم قال: وأخرجه الثلاثة، وفي الاستيعاب ص ٤٠٠ أورده مبتوراً، وأشار اليه في آخر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٩٢/٦.
- ٢- . منها قصه أخرى له مع عباده بن الصامت عندما كان بانطرسوس، أخرجها في تهذيب ابن عساكر ٢١٣/٧ ومنها قصته مع عبد الله بن الحارث بن أميه بن عبد شمس ٣٤٦/٧، وأشار إليه ابن حجر بترجمته في الاصابه ٢٨٢/٢.
- ٣- . اللفظ لابن سعد في الطبقات ٢٢٢/٤-٢٢٣، وفي النبلاء ٣٨/٢: ((يوحد)) بدل ((لا إله إلا الله)) وبترجمته في أسد الغابه ٣٠١/١ أيضاً. وفي صحيح مسلم باب مناقب أبي ذر ١٥٣/٧-١٥٥، وبترجمته من طبقات ابن سعد، وتهذيب ابن عساكر ٢١٨/٧ والحليه ١٥٧/١، وصفوه الصفوه ٢٣٨/١ والنبلاء ٣٨/٢: أنه كان يصلي لله سنتين أو ثلاثاً أو أربعاً قبل إسلامه.
- ٤- . بترجمته في الطبقات، والاستيعاب، والمستدرک، والحليه، وأسد الغابه، والاصابه.

بإسلامه في مكة، فضرِبَ حتى غُشى عليه، ثم أمره النبي بالرجوع إلى قومه (١) ودعوتهم إلى الإسلام، وأنه يأتيه إذا بلغه نبأ ظهوره، فرجع أبو ذر إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام. وهاجر إلى المدينة بعد غزوه الخندق.

وأثنى عليه رسول الله (ص) في أحاديث صحيحة وردت عنه مثل قوله

((ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجه أصدق من أبي ذر)). (٢)

وفي غزوه تبوك تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره، فحمل متاعه على ظهره وتبع أثر رسول الله (ص) ماشياً حتى لحق به، فلما رآه رسول الله قال:

((رحم الله أبا ذر! يمشى وحده ويموت وحده ويُبعث وحده)). (٣)

ولمّا ولي عثمان، وأعطى مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث بن الحكم ثلاثمائة ألف درهم، وزيد بن ثابت الانصاري مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يتلو: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب آليم) وجرى بينه وبين عثمان في ذلك محاورات؛ فأمره أن يلتحق بالشام، فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، وبعث إليه معاوية بثلاث مائة دينار، فقال: إن كان من عطائي الذي حرمتونه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صله فلا حاجة لي فيها. وبني معاوية قصره الخضراء بدمشق، فقال: يا معاوية! إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف، فسكت معاوية. وكان أبو ذر يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنن نبيه، والله أني لارى حقاً يظفأ وباطلاً يحيي، وصادقاً يكذب، وأثرة بغير تقى، وصالحاً

ص: ٣٠١

١- المصادر السابقة ومسند أحمد ١٧٤/٥ وباب مناقبه في صحيح البخاري.

٢- جميع المصادر السابقة والترمذي في باب مناقبه، ومسند أحمد ١٦٣/٢ و ١٧٥ و ٢٢٣، و ١٩٧/٥ و ٤٤٢/٦، وفي بعضها: من يسره أن ينظر الى عيسى بن مريم زهداً وسمتاً فلينظر الى أبي ذر.

٣- سيره ابن هشام ١٧٩/٤، والطبري ٤٥/٣ وبترجمته من الطبقات، والاستيعاب، وأسد الغابه، والاصابه.

مستأثراً عليه (١) وكان الناس يجتمعون عليه، فنأدى منأدى معاويه ألا يجالسه أحد. (٢)

وفى روايه: أن معاويه بعث إليه بألف دينار فى جناح الليل فأنفقها، فلما صلى معاويه الصبح، دعا رسوله: فقال: اذهب إلى أبى ذر، فقل: أنقذ جسدى من عذاب معاويه، فأنى أخطأت. قال: يا بنى، قل له: يقول لك أبو ذر: والله ما أصبح عندنا منه دينار ولكن أنظرنا ثلاثاً حتى نجمع لك دنانيرك؛ فلما رأى معاويه أن قوله صدق فعله؛ كتب إلى عثمان: أما بعد؛ فإن كان لك بالشام حاجه أو بأهله؛ فابعث إلى أبى ذر فإنه وغل صدور الناس... الحديث. (٣)

وفى أنساب الاشراف: فكتب عثمان إلى معاويه. أما بعد فاحمل جندياً على أغلظ مركب وأوعره. فوجه معاويه من سار به الليل والنهار. (٤) وفى اليعقوبى: (٥) فكتب إليه أن احملة على قتب بغير وطاء؛ فقدم به إلى المدينه وقد ذهب لحم فخذيته. وفى مروج الذهب (٦) فحملة على بغير عليه قتب يابس معه خمس من الصقالبه يطرون به حتى أتوا به المدينه وقد تسلخت أفخاذه وكاد أن يتلف.

وفى الانساب: فلما قدم أبو ذر المدينه جعل يقول: تستعمل الصبيان، وتحمى الحمى، وتقرب أولاد الطلقاء؟! فسيره إلى الربذه، فلم يزل بها حتى مات.

ص: ٣٠٢

- ١- . أنساب الاشراف للبلاذرى ٥ بترجمه عثمان.
- ٢- . ابن سعد ٢٢٩/٤.
- ٣- . النبلاء ٥٠/٢.
- ٤- . ترجمه عثمان فى الجزء الخامس من أنساب الاشراف.
- ٥- . اليعقوبى ١٢٠/٢-١٢٢.
- ٦- . مروج الذهب بهامش ابن الاثير ١٦١/٥-١٦٣، وقد ذكر هناك تفصيل قصه أبى ذر و ((الصقالبه)): قوم كانت بلادهم تتاخم بلاد الخزر.

وكان مكث أبي ذر في الشام سنه واحده، فقد ذكر المؤرخون أن تسفيره من المدينه إلى الشام كان سنه تسع وعشرين؛ وفي سنه ثلاثين شكاه معاويه إلى عثمان، فجلبه إلى المدينه، ثم نفاه إلى الربذه، فتوفى بها سنه إحدى وثلاثين، أو اثنتين وثلاثين.

وما أوردنا من أسباب إبعاد أبي ذر إلى الشام، ثم جلبه إلى المدينه، ونفيه إلى الربذه هو الصحيح. وما أورد الطبري في ذلك (1) موضوع وضعه ((سيف

ص: ٣٠٣

١- قال الطبري في ٦٦/٥. ((وفي هذه السنه أعنى سنه ثلاثين كان ما ذكر من أمر أبي ذر، واشخاص معاويه إياه من الشام إلى المدينه، وقد ذكر في سبب اشخاصه إياه منها إليها أمور كثيره كرهت ذكر أكثرها، فأما العاذرون معاويه في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك قصه كتب إلى بها السرى يذكر أنّ شعيباً حدثه عن عطيه عن يزيد ا لفقعسى قال: لما ورد ((ابن السوداء)) الشام لقي أبا ذر فقال: يا أبا ذر. ألا تعجب إلى معاويه... الحديث، ثم أورد قصه ((عبد الله بن سبأ)) الذي لقبه سيف ب - ((ابن السوداء)) وقد بحثنا فيها وبيّنا زيفها في كتابنا ((عبد الله بن سبأ - المدخل -)) فراجع، وأشرنا إلى ذلك في ص ٢٧٢-٢٧٨ من هذا الكتاب. واقتدى بالطبري من جاء بعده من المؤرخين فقد قال ابن الاثير في ٤٣/٣ من تاريخه: ((في هذه السنه كان ما ذكر في أمر أبي ذر واشخاص معاويه إياه، من الشام إلى المدينه، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيره من سب معاويه إياه، وتهديده بالقتل، وحمله إلى المدينه من الشام بغير وطاء، ونفيه من المدينه على الوجه الشنيع لا يصح النقل به، ولو صح لكان ينبغي أن يعتذر عن عثمان، فان للامام أن يؤدب رعيته، وغير ذلك من الاعذار، لا أن يجعل ذلك سبباً للظعن عليه. كرهت ذكرها، وأمّا العاذرون فإنهم قالوا.... الحديث. ثم أورد قصه ((ابن سبأ)) وكذلك فعل ابن كثير، وابن خلدون، وغيرهما. وإذا رجعنا إلى كلام الطبري ها هنا عرفنا أنه لم يترك الامور الكثيره لعدم صحتها، بل لكرهه ذكرها. ورجح ذكر مارواه العاذرون معاويه والتي وصفها بانها ((قصه)) لما وجد فيها عذراً لمعاويه. وكذلك فعل ابن الاثير، فانه بعدما لمح إلى الامور الكثيره التي ذكروها في قصه أبي ذر لم يضعف سندها وإنما رأى أنه لا يصح النقل بها، لما في نقلها من عيب على السلطه. ولكننا اليوم لسنا بصدد العيب على أحد، كما لا نبحت عن عذر الاشخاص، وإنما نبحت عن واقع الحوادث التاريخيه بغيه العلم والمعرفه، ولا نقر هؤلاء الاعلام على كتمهم الحقائق طلباً للعذر ودفعاً عن السلطه.

بن عمر)) ومنه أخذ الطبري ومن جاء بعده تلك الاساطير، راجع قبله ص ٢٧٢-٢٧٦.

لمعاويه أيضاً قصصٌ طويلةٌ مع قراء أهل الكوفة الذين سيرهم عثمان إلى الشام.

روى البلاذري. أن عثمان لما عزل الوليد عن الكوفة، ولأها سعيد بن العاص، وأمره بمداراه أهلها. فكان يجالس قراءها ووجوه أهلها، ويسامرهم، وتذاكروا يوماً عنده السواد(١) والجبل، ففضّلوا السواد، وقالوا: هو ينبت ما ينبت الجبل وله هذا النخل، فقال صاحب شرطه سعيد: لوددت أن هذا السواد للامير، ولكم أفضل منه، فقال له الاشر: تمنّ للامير أفضل منه ولا تمنّ له أموالنا، فقال: ما يضرك من تمنّي حتّى تزوى ما بين عينيك، فوالله لو شاء

كان له، فقال الاشر: والله لو رام ذلك ما قدر عليه؛ فغضب سعيد وقال: إنّما السواد بستان لقريش، فقال: أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك، والله لو رامه أحد لقرع قرعاً يتصأصأ منه(٢) ووثب بصاحب الشرطه فأخذته الايدي.

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال: إنّى لا أملك من الكوفة مع الاشر وأصحابه الذين يدعون القراء - وهم السفهاء - شيئاً. فكتب إليه أن سيرهم إلى الشام، فخرج المسيرون من قراء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق فبرّهم معاويه وأكرمهم ثمّ إنّته جرى بينه وبين الاشر قولٌ حتّى تغالطا، فحبسه، ثمّ أخرجه من الحبس، وبلغ معاويه أن قوماً من أهل دمشق يجالسون الاشر وأصحابه، فكتب إلى عثمان: إنّك بعثت إلى قوماً أفسدوا

ص: ٣٠٤

-
- ١- ((السواد)): رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر؛ سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل، وحد السواد من حديثه الموصل طولاً- الى عبادان، ومن العذيب بالقادسية الى حلوان عرضاً، فيكون طوله مائة وستين فرسخاً، و ((الجبل)) ما بين اصبهان الى زنجان الى قزوين وهمدان ودينور وقرمسين والرى وما بين ذلك. معجم البلدان.
 - ٢- ((تصأصأ عنه)): خاف منه، ذلّ له.

مصرهم وأنغلوا، ولا آمن أن يفسدوا طاعه من قبلى ويعلموهم ما لا يجيدونه حتى تعود سلامتهم غائله واستقامتهم اعوجاجاً.

فكتب إلى معاوية يأمره أن يسيرهم إلى حمص ففعل. (١)

وروى المدائنى أنه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات بينهم، وأن معاوية قال لهم فى جملة ما قال: إن قریشاً قد عرفت أن أبا سفيان أكرمها وابن أكرمها إلا ما جعل لنبيّه فإنه انتجبه وأكرمه، ولو أن أبا سفيان ولّد الناس كلّهم لكانوا حلماً.

فقال له صعصعه بن صوحان: كذبت! قد ولّدهم خير من أبى سفيان من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البرّ والفاجر والكيس والاحمق. (٢)

وإنما كان معاوية يشكو من بقاء صحابه النبيّ كأبى ذرّ، وعباده بن

الصامت وغيرهما من التابعين وقراء المسلمين وأخيارهم فى الشام خشيه أن يعزّفوا أهل الشام بما خفى عنهم من الاسلام وأحكامه، فلا يستطيع معاوية آنذاك أن يعيش فيهم عيشه كسرى وقيصر، وبعد أن بلغ السيل الزبى، وثار

المسلمون بعثمان فى المدينة كتب عثمان إلى معاوية فيمن كتب إليه من ولاته يستمدّه ويقول:

بسم الله الرحمن الرحيم أمّيا بعد فإن أهل المدينة كفروا، وأخلفوا الطاعه، ونكثوا البيعه، فابعث إلى من قبلك من مقاتله أهل الشام على كلّ صعب وذلول.

فلما جاء معاوية الكتاب ترّبّص به وكره إظهار مخالفه أصحاب رسول الله (ص)، وقد علم اجتماعهم، فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى أهل الشام

ص: ٣٠٥

١- الانساب ٣٩/٥-٤٣، وقد أوردناها منه ملخصه.

٢- الطبرى ٨٨/٥-٩٠، وابن الاثير ٥٧/٣-٦٠، وشرح النهج ١٥٨/١-١٦٠.

يستنفرهم... (١) الحديث.

قال البلاذرى: ولما أرسل عثمان إلى معاوية يستمده بعث يزيد بن أسد القسرى (٢) وقال له: إذا أتيت ذا حُشب (٣) فأقم بها، ولا تتجاوز، ولا تفل: يرى الشاهد ما لا يرى الغائب، فأئني أنا الشاهد وأنت الغائب، قال: فأقام بذي حُشب حتى قتل عثمان، فاستقدمه حينئذ معاوية، فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه؛ وإنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان، فيدعو إلى نفسه (٤) انتهى.

ولما بويح لعلّي، ندم معاوية على ما فرّط في جنب عثمان؛ ورأى أن الخلافة قد زويت عنه، فكتب لطلحه والزبير يمنيها بالخلافه، ويدفعهما إلى قتال عليّ، حتى إذا قُتلا بالبصره (٥) وبعث عليّ إليه جريراً يطلب منه البيعه، فقال لجرير: (٦)

أكتب إلى صاحبك يجعل لى الشام ومصر جبايةً، فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لاحد بعده بيعه فى عنقى، وأسلم له هذا الامر، واكتب إليه بالخلافه. فقال جرير: اكتب بما أردت، واكتب معك، فكتب معاوية بذلك إلى عليّ فكتب عليّ إلى جرير:

((أقياً بعد، فإنما أراد معاوية ألا يكون لى فى عنقه بيعه، وأن يختار من أمره ما أحب، وأراد أن يريثك حتى يذوق أهل الشام، وإن المغيره بن شعبه كان

ص: ٣٠٦

- ١- . الطبرى ١١٥/٥-١١٦.
- ٢- . اختلفوا فى ادراكه صحبه النبى، راجع ترجمته بأسد الغابه ١٠٣/٥.
- ٣- . ((حشب)) بضم أوله وثانيه: واد على مسيره ليله من المدينه. ياقوت.
- ٤- . شرح النهج ٥٧/٤-٥٨.
- ٥- . صفين لنصر بن مزاحم ص ٥٢ وشرح النهج ٥٨٠/٢-٥٨١.
- ٦- . جرير بن عبد الله بن جابر وفد من اليمن الى النبى، وأسلم، واشترك فى الفتوح زمن عمر، وتوفى بقرقيسيا سنه احدى وخمسين، أو أربع وخمسين، الاصابه ٢٣٣/١، وأسد الغابه ٢٧٩/١-٢٨٠.

قد أشار عليّ أن استعمل معاوية على الشام، وأنا بالمدينة فأبيت ذلك عليه، ولم يكن الله ليراني أتخذ المضلين عضداً؛ فإن بايعك الرجل وإلا فأقبل)).

وفشا كتاب معاوية في العرب فبعث إليه الوليد بن عقبه:

معاوى إنّ الشّام شامك فاعتصم

قال: وكتب إليه أيضاً:

معاوى إنّ الملك قد جبّ غاربه

ص: ٣٠٧

وروى ابن كثير فى تاريخه أن الوليد بن عقبه بن أبى معيط كتب إلى معاوية يؤنبه ويلومه على ما كتب الى على، وسأل منه ولايه الشام ومصر وقال فيه:

معاوى إنَّ الشَّامَ شامك فاعتصم... الايات.

وقال ابن كثير: ثم أخذ معاوية البيعه من أهل الشام بالطلب بدم عثمان، وجهاز جيشاً لقتال على فالتقى بجيوش على فى صفين فى ربيع الاخر سنة ست وثلاثين.(١)

وطالت الحرب بينهما مائه يوم وعشره أيام، وبلغت الوقائع بينهما تسعين واقعه، ولما أن عصت الحرب معاوية كزر على على طلب الشام فأبى عليه،(٢) ثم بان الانكسار فى جيش معاوية، فأشار عليهم عمرو برفع المصاحف يطلبون الرجوع إليها، فانخدع جيش العراق، وقبلوا التحكيم فى صفر سنة سبع وثلاثين، فعين معاوية عمراً وأهل الكوفه أبا موسى، فخدع

ص: ٣٠٨

١- . البدايه والنهايه ١٢٩/٨.

٢- . صفين ٥٣٧، والامامه والسياسه، وشرح النهج ٤٢٤/٣.

عمروُ أبا موسى، فخلع أبو موسى عليّاً ومعاويه؛ ونصب عمروُ معاويه، فافتراقا يتسابقان، وأصيب بصفتين من أهل الشام خمسه وأربعون ألفاً، ومن أهل العراق خمسه وعشرون ألفاً. (١)

رجع معاويه إلى الشام بعد حرب صفتين في سنه سبع وثلاثين، وأخذ يبعث إلى أطراف عليّ من يغير عليهم، ويهلك الحرث والنسل، فوجه النعمان بن بشير، وسفيان بن عوف، وعبدالله بن مسعده، والضحاك بن قيس، وبسر بن أرطاه، وغيرهم فنفذوا ما رسم لهم من قتل وإرهابٍ ممّا سنذكره بعد إيراد تراجمهم.

أ - النعمان بن بشير الانصاري الخزرجي. ولد قبل وفاه النبي بثمانين سنين وسبعه أشهر، أو بست سنين؛ وكان في الفتن هواه مع عثمان، ثمّ مع معاويه، ثمّ يزيد، خلافاً لقومه الانصار؛ وهو الذي حمل قميص عثمان من المدينه إلى الشام، فرفعه معاويه على منبرها، يهيج به أهل الشام، وولى لمعاويه الكوفه، ثمّ حمص، ومن بعد معاويه بن يزيد دعا الى بيعه عبدالله بن الزبير، فقتله شيعة بني أميه بمرج راهط في ذي الحجه سنه أربع وستين. (٢)

وجه معاويه النعمان بن بشير هذا في سنه تسع وثلاثين إلى عين التمر (٣) في ألف رجل، فأغاروا عليها، وكان بها مسلحة لعليّ، فيها مائه رجل فكسروا جفون سيوفهم، واقتتلوا أشدّ قتالٍ وجاءهم خمسون رجلاً من القرى المجاوره، فلما رأهم أهل الشام ظنّوا أنّ لهم مدداً فانهزموا عند المساء. (٤)

ب - سفيان بن عوف بن المغفل الازدي الغامدي، وكان مع أبي عبيده

ص: ٣٠٩

١- . صفين ٦٤٣.

٢- . ترجمته بأسد الغابه ٢٢/٥-٢٣، والاصابه ٥٢٩/٣ الرقم ٨٧٣٠.

٣- . ((عين التمر)): بلده قريبه من الانبار غربي الكوفه على طرف البريه.

٤- . الطبري ٧٧/٦ في ذكره حوادث سنه ٣٩، وكذلك ابن الاثير ١٥٠/٣، وتفصيلها في شرح النهج ٢١٢/١-٢١٣، وتاريخ ابن

كثير ٣١٩/٧، ٣٢٤.

فى فتوح الشام، وكان معاويه يوليه غزو الروم فى الصائفتين؛(١) توفى فى أرض الروم سنة اثنتين، أو ثلاث. أو أربع وخمسين. وجّهه معاويه أيضاً فى سنة تسع وثلاثين، وقال له فيما أوصاه:

فاقتل من لقيته ممن ليس هو على رأيك، وأخرب كل ما مررت به من القرى، وأحرب الاموال، فإنّ حرب الاموال شبيهه بالقتل، وهو أوجع للقلب.(٢)

وفى روايه الطبرىّ وابن الاثير:(٣) وجّهه معاويه فى ستّه آلاف رجل، وأمره أن يأتى هيت،(٤) فيقطعها، وأن يغير عليها، ثمّ يمضى حتّى يأتى الانبار والمدائن،(٥) فيوقع بأهلها، فسار حتّى أتى هيت، فلم يجد بها أحداً، ثمّ أتى الانبار وبها مسلحة لعلّى فيها مائه رجل، فقتلوا منهم ثلاثين، واحتملوا ما كان فى الانبار من أموال وأموال أهلها، ورجعوا إلى معاويه.

وفى الاغانى:(٦) فقصد الغامدى(٧) إلى الانبار، فقتل عاملاً لعلّى،

ص: ٣١٠

- ١- ((الصائفتين)) غزو الروم فى الصيف والشتاء، راجع ترجمته فى تهذيب ابن عساكر ١٨/٥-١٨٢، والاصابه ٥٤/٢ الرقم ٣٣٢٣، ولم يثبت مارواه من ادراكه النبى، وشرح النهج تحقيق محمد أبو الفضل ٨٥/٢.
- ٢- .أورد هذا ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفى المتوفى (٢٨٠) فى كتابه الغارات بروايه ابن أبى الحديد عنه، راجع شرح النهج تحقيق محمد أبو الفضل ٥٨/٢-٩٠ تجد تفصيل الواقعه وخطبه على ومحاورته أهل الكوفه فى ذلك هناك.
- ٣- . الطبرى ٧٨/٦-٨٠، وابن الاثير ١٥٠/٣-١٥٣.
- ٤- . ((هيت)): بلده على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار مجاوره للبريه. ياقوت.
- ٥- . ((الانبار)): مدينه على الفرات غربى بغداد بينهما عشره فراسخ، و ((المدائن)) كان بها قصور ملوك الفرس الاكاسره، وبها مدفن الصحابى سلمان وهى تبعد عن بغداد سته فراسخ. ياقوت.
- ٦- . الاغانى: ط. ساسى ٤٣/١٥.
- ٧- . فى الاغانى ط. ساسى ((العامرى)) وهو تصحيف، وصحيحه الغامدى كما أثبتناه نسبه الى غامد قبيله من اليمن من أزد شنوءه. راجع شرح النهج تحقيق محمد أبو الفضل ٨٥/٢.

وقتل رجالاً- ونساء، فبلغ ذلك علي بن أبي طالب، فخطب أهل الكوفة، وقال في خطبته: ((وتركتكم قولي وراءكم ظهرياً حتى شئت عليكم الغارات، هذا أخو غامد، قد جاء الانبار، فقتل عاملها، وقتل رجالاً كثيراً ونساء؛ والله لقد بلغني أنه كان يأتي المرأه المسلمه والأخرى المعاهده، فينزعهما حجلها ورعاثها،(١) ثم ينصرفون موفورين لم يكلم أحد منهم كلماً، فلو أن امرأاً مسلماً مات دون هذا أسفاً لم يكن عليه ملوماً، بل كان به جديراً...). الخطبه.(٢)

ج - عبدالله بن مسعده بن حكيم بن مالك بن بدر الفزاري: سُبِيَ طفلاً في سريه زيد بن حارثه إلى بني فزاره بعد أن قُتِلَ في المعركه مالك جد أبيه مع ثلاثه عشر من ولده وحفيده مسعده والد عبدالله بن مسعده هذا، وغيرهم من أفراد أسرته ورُبِطت أم قرفه جدّه أبيه بين بعيرين وأُرسِلَ حتى انشقت نصفين، ووهب النبي عبدالله بن مسعده لابنته فاطمه فأعتقته، ثم كان عند علي، ثم صار إلى معاويه، وكان من أشد الناس على علي، وعاش حتى غزا المدينه في واقعه الحرّه وجرح في قتال ابن الزبير محاصراً الحرم، ولم نجد له ذكراً بعد ذلك.(٣)

وجّه معاويه عبدالله هذا في ألف وسبعمائيه، وأمره أن يُصدّق من مرّ به من أهل البوادي، وأن يقتل من امتنع من عطائه، ثم يأتي مكّه والمدينه والحجاز.(٤)

ص: ٣١١

١- ((رعاث)) بكسر الراء جمع رعثه: القرط. و ((الكلم)): الجرح.

٢- الخطبه المذكوره بتفصيلها في نهج البلاغه ١/٦٣، والبيان والتبيين للجاحظ ١/١٧٠، والكامل للمبرد ١/١٣، وعيون الاخبار ٢/٢٣٦، والعقد الفريد ٢/١٦٣.

٣- ترجمته باسد الغابه ٣/٢٥٥، والاصابه ٢/٣٥٩ الرقم ٤٩٥٣، ونسبه في جمهره أنساب العرب ٢٤٥، وقصه سريه زيد لبني فزاره في سيره ابن هشام ٤/٢٩٠، وطبقات ابن سعد ٢/٩٠، وفي ذكر حوادث سنه ست من الهجره في الطبري ٤/٨٣، واليعقوبي ٢/٤٤ ط. بيروت، والمحبر ٤٩٠، وامتاع الاسماع ٢٦٩-٢٧٠.

٤- الطبري ٦/٧٨، وابن الاثير ٣/١٥٠.

د - الضَّحَّاك بن قيس القُرشي الفهري، ولد قبل وفاه النبي نحواً من سبع سنين، له في حروب معاويه بلاءٌ عظيمٌ، وكان على شرطته، ولآه الكوفه سنه ثلاث وخمسين، وعزله سنه سبع وخمسين، وهو الَّذي وَلِيَ دفن معاويه، وأخبر يزيد بموته، وكان يزيد يوم ذاك خارج دمشق، وباع لابن الزبير بعد معاويه ابن يزيد، وقاتل مروان بمرج راهط، فقتل بها منتصف ذى الحِجّه سنه أربع وستين. (١)

قال الطبري: (٢) ووجه الضَّحَّاك بن قيس، وأمره أن يَمُرَّ بأسفل واقصه، وأن يغير على كل من يمرّ به ممّن هو في طاعه عليّ من الاعراب، ووجه معه ثلاثه آلاف رجل، فمرّ على الثعلبيّه، وأخذ أمتعتهم، ومرّ في القُطْقُطانه (٣) بعمر بن عميس بن مسعود، وهو يريد الحجّ، فأغار على من كان معه، وحبسه عن المسير.

وفي كتاب الغارات: (٤) فأقبل الضَّحَّاك، فنهب الاموال، وقتل من لقي من الاعراب حتّى مرّ بالثعلبيّه، فأغار على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم، ثمّ أقبل، فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الدّهليّ، وهو ابن أخي عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله (ص) فقتله في طريق الحاجّ عند القُطْقُطانه، وقتل معه ناساً من أصحابه.

ه - بسر بن أبي أرطاه القُرشيّ العامريّ كان من شيعة معاويه، وكان مع

ص: ٣١٢

١- . أسد الغابه ٣٦/٣-٣٧، وتهذيب ابن عساكر ٤/٧-٥.

٢- . الطبري ٧٨/٦، وابن الاثير ٣/١٥٠.

٣- . ((واقصه)) منزل بطريق مكه، و ((الثعلبيّه)) من منازل طريق مكه الى الكوفه، و ((القُطْقُطانه)): موضع قرب الكوفه من جهه البريه بالطف. ياقوت.

٤- . شرح النهج تحقيق محمد أبو الفضل ١١١/٢-١١٧، وفي النهج ج ١ خطبه عليّ بالكوفه بهذه المناسبه، والتي قال فيها: ((أى دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أى إمام بعدى تقاتلون؟)) الى قوله: ((مالكم مادواؤكم؟ ما طبكم القوم رجال أمثالكم..)) الخطبه.

معاويه بصفين، فأمره أن يلقي علياً في القتال، وقال له: سمعتك تتمنى لقاءه، فلو أظفرك الله به، وصرعته؛ حصلت على دنيا وآخره، ولم يزل يشجعه ويؤمّنه حتى رآه، فقصده في الحرب، فالتقيا: فطعنه عليٌّ فصرعه، فأنكشف له، فكف عنه كما عرض له ذلك مع عمرو بن العاص. فقال في ذلك الحارث بن النضر السهمي:

أفي كل يوم فارسٌ تندبونه

الآيات (١) وقال الاشر:

أكلُّ يوم رجلٌ شيخٍ شاغره

اختلفوا في أنّ بسراً أدرك النبي، وسمعه أم لا. وقالوا: إنه لم يكن له استقامه بعد النبي - يعني أنه كان من أهل الردّه - ولما بلغ علياً فعله بالمسلمين، وقتله الصبيين - كما يأتي - دعا عليه وقال: اللهم اسلب دينه، ولا تخرجه من الدنيا، حتى تُسلبه عقله، فأصابه ذلك، وفقد عقله، وكان يهذى بالسيف، ويطلبه، فيؤتى بسيف من خشب، ويجعل بين يديه زقاً منفوخاً فلا يزال يضربه حتى يسأم، وتوفّي في أيام معاويه. (٢)

ص: ٣١٣

١- . الاستيعاب ٦٤-٦٨ وفيه (ليس ينتهي) بدل (تندبونه) وصفين ص ٤٦٢ ط ٢، ١٣٨٢ هجري.

٢- . الاغانى ٤٥/١٥، وتهذيب ابن عساكر ٣/٢٢٠-٢٢٢.

قال الطبري: (١) وفي سنة أربعين بعث معاوية بسر بن أبي أرطاه في جيش، فسار حتى دخل المدينة، وأخاف أهلها، وبقيته الانصار فيها، وهدم فيها دوراً، ثم سار حتى أتى اليمن، ولقى ثقل عبداً لله بن العباس، وفيه ابنان له صغيران، فذبحهما؛ وقتل في مسيره ذلك جماعةً كثيره من شيعه عليّ.

وفي كتاب الغارات: (٢) بعثه في ثلاثه آلاف، وقال: سر حتى تمرّ بالمدينه، فاطرد الناس، وأخف من مررت به. وانهب أموال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن له دخل في طاعتنا.

وقال: وكانوا إذا وردوا ماء أخذوا إبل أهل ذلك الماء، فركبوها، وقادوا خيولهم حتى يردوا الماء الاخر، فيردون تلك الابل، ويركبون إبل هؤلاء؛ فلم يزل يصنع كذلك حتى قرب إلى المدينه.

وقال: ودخل بسر المدينه، فخطب الناس، وشمهم، وتهددهم يومئذ، وتوعدهم، وقال: شأهت الوجوه.

وفي تهذيب التهذيب: وكان معاويه وجهه إلى اليمن والحجاز في أول سنة أربعين، وأمره أن يستقرئ من كان في طاعه عليّ فيوقع بهم، ففعل بمكّه والمدينه أفعالاً قبيحه. (٣)

وفي تاريخ ابن عساكر: ليستعرض الناس، فيقتل من كان في طاعه عليّ: فقتل قوماً من بني كعب على مائهم في ما بين مكّه والمدينه، وألقاهم في البئر. (٤)

وفي مروج الذهب: (٥) قتل بالمدينه وبين المسجدين خلقاً كثيراً من خزاعه

ص: ٣١٤

- ١- . الطبري ٨٠/٦.
- ٢- . كتاب الغارات بروايه ابن أبي الحديد عنه في شرح النهج، تحقيق محمد أبو الفضل ١٤-٣/٢، وأورد قسماً منها اليعقوبي في تاريخه ١٤١/٢.
- ٣- . تهذيب التهذيب ٤٣٦/١.
- ٤- . ابن عساكر ٢٢٢/٣، وترجمه بني كعب في نهايه الارب للقلقشندی ص ٣٧١.
- ٥- . مروج الذهب بهامش ابن الاثير ٩٣/٦، وترجمه خزاعه في نهايه الارب ص ٢٣٠، وفي الجمهره ص ٢٢٨-٢٣١، و ((الجرف)): علي ثلاثه أميال من المدينه نحو الشام. ياقوت. و ((الابناء)) ثلاثه بطون في العرب. أ - بطن بني تميم، ب - وبطن من قيس عيلان، ج - وبطن من مصر؛ راجع نهايه الارب للقلقشندی ص ١٥٤. تحقيق وتعليق ونشر علي الخاقان ط. مطبعه النجاج - بغداد ١٣٧٨ هجري - ١٩٥٨ ميلادي.

وغيرهم، وكذلك بالجرف قتل بها خلقاً كثيراً من الابناء، ولم يبلغه عن أحد يُمالئ علياً أو يهواه إلا قتله.

وفى الاغانى: إن معاويه بعث إلى بُسر بعد تحكيم الحكيمين، وعلي بن أبي طالب (رض) يومئذ حى، وبعث معه جيشاً آخر، وأمر أن يسيروا فى البلاد، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعه علي بن أبي طالب وأصحابه، وأن يُغيروا على سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان؛ فمرَّ بُسر لذلك على وجهه حتى انتهى إلى المدينة، فقتل بها ناساً من أصحاب علي (ع)، وأهل هواه، وهدم بها دوراً، ومضى إلى مكه، فقتل نقرأ من آل أبي لهب، ثم أتى السراه فقتل بها من أصحابه وأتى نجران، فقتل عبدالله بن المدان الحارثى، وابنه، وكانا من أصهار بنى العباس عامل علي، ثم أتى اليمن، وعليها عبيدالله بن العباس عامل علي، وكان غائباً وقيل بل هرب لما بلغه خبر بُسر، فلم يصادفه بسر، ووحد ابنين له صبيين، فأخذهما بُسر لعنه الله وذبحهما بيده بمُديه كانت معه، ثم انكفأ راجعاً إلى معاويه (1).

قالوا: فقالت امرأه له: يا هذا! قتلت الرجال! فعلام تقتل هذين؟ والله ما كانوا يُقتلون فى الجاهليه والاسلام، والله يا ابن أبي أرتاه إن سلطاناً لا يقوم

ص: ٣١٥

١- . الاغانى ط. ساسى ٤٥/١٥ و ((نجران)) فى مخاليف اليمن و ((المخاليف)) واحده المخلاف و ((المخلاف)) فى اليمن قرى ومزارع متجاوره، وكل مخالف ينسب الى القبيله التى تسكنها. ياقوت. فى لغه نجران، وفيه ذكر لنسب بنى عبد المدان، وفى الجمهره ص ٣٩١-٣٩٢، و ((عبيد الله بن العباس)) ترجمته فى أسد الغابه ٣/٣٤٠ و ((السراه)) ناحيه بمكه، ياقوت.

إلّا بقتل الصبى الصغير، والشيخ الكبير، ونزع الرحمه، وعقوق الارحام لسلطان سوء. (١)

وقالوا: فولهت عليهما أمهما، وكانت لا تعقل، ولا تصغى إلا لمن يخبرها بقتلهما، ولا تزال تنشدهما فى المواسم:

ها من أحسّ يا بنى اللذين هما

وفى الاستيعاب وأسد الغابه: (٢) أغار بسر بن أرطاه على همدان، وقتل، وسبى نساءهم، فكُنَّ أولّ مسلمات سُبِين فى الاسلام، فأقمن فى السوق.

وفى كتاب الغارات: (٣) وأتاه وفد مأرب، فقتلهم، فلم ينبج منهم إلا رجلٌ واحدٌ، ورجع إلى قومه، فقال لهم: ((إنى أنعى قتلانا شيوخاً وشباناً)).

وقال: فندب على أصحابه لبعث سرّيه فى أثر بسر، فتناقلوا، وأجابه جاريه بن قدامه السعدى فبعثه فى ألفين.

وذكر اليعقوبى: أن علياً عهد لجاريه، وجاء فى عهده إليه: ((ولا تقاتل

ص: ٣١٦

١- ابن الاثير ١٥٣/٣-١٥٤، وفى ابن عساكر ٢٢٤/٣-٢٢٥ قريب منه، والاييات فى الاغانى ١٥، ٤٥، والغارات بروايه ابن أبى الحديد عنه

٢- الاستيعاب ١/٦٥-٦٦، وأسد الغابه ١/١٨٠، الى قوله: ((سبين فى الاسلام)) و ((همدان)) بطن من كهلان من القحطانيه، وديار همدان باليمن من شرقيه وكانت همدان من شيعه على. نهايه الارب للقلقشندى ص ٣٩٧-٣٩٨، وراجع الجمهريه ص ٣٩٦-٣٧٢.

٣- بروايه شرح النهج تحقيق محمد أبو الفضل ١٥/٢ و ((مأرب)): بلاد الازد باليمن. ياقوت.

إلا من قاتلك، ولا تُجهز على جريح، ولا تُسَيِّخَنَّ دَابَّهَ، وإن مشيت ومشى أصحابك، ولا تستأثر على أهل لمياه بمياههم، ولا تشرينَّ إلا- فضلهم عن طيب نفوسهم، ولا- تشتمنَّ مسلماً، ولا- مسلمةً، فتوجب على نفسك ما لعلك تؤدب غيرك عليه، ولا تظلمنَّ معاهداً ولا معاهده)).

وجاء فيه أيضاً ((واسفك الدم في الحق وأحقنه في الحق)).(١)

وقال في كتاب الغارات: فشخص إلى البصره، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن، وقال: وبلغ بسرّاً مسير جاريه، فانحدر إلى اليمامة، وأغدّ جاريه بن قدامه السير ما يلتفت إلى مدينه مرّ بها، ولا أهل حصن ولا يعرج على شيء.

وقال: وصمد نحو بسر، وبسر بين يديه يفرّ من جهه إلى جهه أخرى حتى أخرجه من أعمال عليّ.

وقال: ووثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جاريه، لسوء سيرته وفضاظته وظلمه وغشه.

وقال: وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً، وحرّق قوماً بالنار، فقال يزيد بن مفرغ. ثم ذكر آياته التي منها:

إلى حيث سار المرء بسر بجيشه فقتل بسرّاً ما استطاع وحرّقا

إنتهى.(٢)

وأرسل معاويه غارات أخرى إلى أطراف عليّ من غير ما ذكرناه،(٣) وكانت خيله أبداً تحذر من مواجهه خيل عليّ وحده وحديده، وإنما كانت تغير على الاطراف النائيه، والقرى غير المحصنه، أو ما كان له فيها مسلحه صغيره

ص: ٣١٧

١- . اليقوبى، فى تاريخه ١٤٣/٢، ط. بيروت ٢٠٠/٢ ط. دار صادر.

٢- . ترجمه يزيد بن مفرغ فى الاغانى ط. ساسى ٥١/١٧-٧٢، وأورد الابيات فى صفحه ٦٩ منه، ونسب يزيد فى الجمهره ٤٠٩.

٣- . تجد وصفها فى تاريخ ابن الاثير ١٥٣/٣، وكان ذلك قبل غارات بسر.

قليل عدده وإذا تصدّى لهم جيش لعلّى خنسوا عن طريقه.

وكان من الغارات التي التحم فيها الجيشان غاره جيش معاويه على أهل الجزيرة(١) فإنّ عامل عليّ هناك استنجد بكميل بن زياد(٢) وكان علي هيت،(٣) فسار إليهم كميل في ستمائه فارس، فقاتلهم وهزمهم وأكثر القتل في أهل الشام، وأمر أن لا يُجهز على جريح، ولا يتبع مدبر، وقتل من أصحاب كميل رجلاً. وتبع أحد ولاء عليّ الجيش الشامي المغير فلم يدر كههم، فعبر الفرات خلفهم، وبث خيله فأغارت على أهل الشام حتّى بلغ نواحي الرّقه(٤) فلم يدع للعثمانيه هناك ماشيه إلاّ استاقها ولا خيلاً ولا سلاحاً إلاّ أخذه، ووجّه معاويه إليه جيشاً لم يدر كه، فإنّه عاد إلى نصيبين(٥) سالماً، وكتب إلى عليّ بخبره فكتب إليه عليّ ينهاه عن أخذ أموال الناس إلاّ الخيل والسلاح الذي يُقاتلون به.(٦)

إنّ هاتين السياستين المتقابلتين، سياسه عليّ: أن لا يقاتل جيشه إلاّ من قاتله، ولا يسخرّ دابّه وإن مشوا، ولا يشربون إلاّ من فضل مياه أهل المياه، ولا يشتمنّ المسلم، ولا يظلمنّ المعاهد، ولا يسفكنّ الدم إلاّ في الحقّ، ونهيه أن لا يأخذوا من أموال الناس إلاّ الخيل والسلاح الذي يُقاتلون به.(٧)

وسياسه معاويه: أن يقتل جيشه من لقيه ممّن ليس على رأيه، ويخزّبوا كلّ

ص: ٣١٨

- ١- ((الجزيره)): بين دجله والفرات تشتمل على ديار مضر وديار بكر، بها مدن جليله، وحصون، وقلاع كثيره، وسماها ياقوت بجزيره أقور.
- ٢- كميل بن زياد النخعي كان من شيعة عليّ قتله الحجاج صبراً، الجمهره ٣٩٠.
- ٣- ((هيت)): بلده على الفرات من نواحي بغداد. ياقوت.
- ٤- ((رقه)): بفتحيتين مدينه مشهوره على الفرات معدوده في بلاد الجزيره.
- ٥- ((نصيبين)): مدينه عامره من بلاد الجزيره على جاده القوافل من الموصل الى الشام، بينها وبين الموصل سته أيام. ياقوت.
- ٦- ابن الاثير ١٥٢/٣-١٥٣.
- ٧- راجع قبله وصايا عليّ ومعاويه لجيشيهما في الغارات المذكوره آنفاً.

ما مرّوا به من القرى، ويحزّبوا الاموال،(١) وينهبوا أموال كل من أصابوا له مالا ممّن لم يكن دخل في طاعه معاويه، ويستعرضوا الناس، ويقتلوا من كان في طاعه عليّ، ولا يكفّوا أيديهم عن النساء والصبيان.

كان لابدّ لاحدى هاتين السياستين: السياسه التي تأمر بسلب أموال الناس أن تغلب التي تنهى عنها. ولذلك كان أهل العراق يتناقلون عن تلييه نداء عليّ، وأهل الشام يتبادرون إلى نداء معاويه، ولو سمح عليّ لأهل العراق ما أمر به معاويه أهل الشام، لضيعوا على معاويه سياسته ودهاءه؛ ولكنّ عليّاً كان يقول: ((أما والله إنّي لعالم بما يصلحكم ولكنّ في ذلك فسادى)).(٢)

حارب معاويه عليّاً باسم الطلب بدم عثمان، ولكن، هل كانت هذه القرى المسلمه الامنه من العراق إلى الحجاز حتّى اليمن مشاركه في دم عثمان؟ وهل أنّ عشرات الألوف من القتلى الذين أبادتهم غارات معاويه أهلكوا في سبيل الطلب بدم عثمان؟ وهل إنّ المسيّيات من المسلمات والقتلى من الاطفال الصغار، كان عليهم وزر دم عثمان كلاً! ولكنّ معاويه كان يبتغى الملك، وكانت الغايه - لديه - تبرّر الواسطه.

هذا معاويه في عصر عليّ. ولما قتل عليّ بسيف ابن ملجم، وباع المسلمون الحسن، كتب إلى معاويه يطلب منه البيعه، فأبى عليه، ثمّ سار معاويه بجيوشه نحو العراق فخرج الحسن في جيوشه، وساق أمامه ابن عمّه عبيدالله بن العباس ابن عبدالمطلب في اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقراء الكوفه، وآزره بقيس بن سعد بن عباده، ولما لقي عبيدالله بن العباس معاويه، ووقف بأزائه. جرت بعض المناوشات بين الجيشين. ثمّ احتال معاويه على عبيدالله، وأرسل إليه في الليل قائلاً له: إن الحسن قد راسلني في الصلح، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع،

ص: ٣١٩

١- ((حرب الرجل)): سلب ماله وتركه بلا شيء، فالرجل ((حريب)).

٢- .اليعقوبى ١٤٢/٢.

ولك إن جئني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، يعجزل في هذا الوقت النصف، وإذا دخلت الكوفه النصف الآخر، فانسيل
عبدالله ليلاً فدخل عسكر معاويه.(١)

ودس معاويه إلى عمرو بن حريث، والاشعث بن قيس، وإلى حجار بن أبجر، وشبث بن ربعي (٢) دسيساً: أفرد كل واحد منهم
بعين من عيونه إنك إن قتلت الحسن بن علي، فلنك مائه ألف درهم، وجند من أجناد الشام، وبت من بناتي، فبلغ الحسن
فاستلام، ولبس درعاً وكفراً، وكان يحترز، ولا يتقدم للصلاه بهم إلا كذلك، فرماه أحدهم في الصلاه بسهم، فلم يثبت فيه لما
عليه من اللامه... الحديث.(٣)

وقال اليعقوبي:(٤) كان معاويه يدس إلى عسكر الحسن، من يتحدث

ص: ٣٢٠

- ١- . ان ما أوردته في قصه بيعه الحسن الى هنا ملخصه من مقاتل الطالبين ص ٥٠-٦٥.
- ٢- . كان يجمع هؤلاء كرههم لاهل البيت، وقد اشتركوا مع الجيش الذي قاتل الحسين بن علي بالطف ماعدا الاشعث الذي كان
مات قبل ذلك وهذه تراجمهم باختصار: أ - أبو سعيد عمرو بن حريث بن عمرو القرشي المخزومي: توفى النبي وهو صغير
سكن الكوفه وهو أول قرشي ابنتى بها داراً. وولى لبنى أميه الكوفه، وكانوا يميلون اليه. ويثقون به. مات سنه خمس وثمانين.
أسد الغابه ٩٧/٤-٩٨. ب - الاشعث بن قيس الكندي: وفد مع قومه الى النبي سنه عشر من الهجره وارتد بعد النبي فأسر وجيء به
الى المدينه فقال لابي بكر: استبقني لحربك وزوجني أختك ففعل. وشهد مع علي صفين وألزم علياً بالتحكيم. مات بعد سنه
أربعين بالكوفه. أسد الغابه ٩٨/١. ج - حجار بن أبجر العجلي: مات أبوه نصرانياً بالكوفه، نسبه في طبقات ابن سعد ٢٣١/٦
والجمهره ص ٢٩٤-٢٩٥. د - أبو عبد القدوس، شبث بن ربعي التميمي: كان مع المتنبئه سجاح، ثم أسلم، ثم سار مع الخوارج،
ثم تاب، وعمر الى ما بعد المختار، الجمهره ص ٢١٦ وابن سعد ٢١٦/٦.
- ٣- . البحار ١٠٧/١٠ عن علل الشرايع. وكفر الشيء: ستره.
- ٤- . اليعقوبي ١٥٦/٢ وتفصيل قصه جرح فخذ الحسن في مقاتل الطالبين ص ٦٣-٦٤ وعبد الرحمن هو: عبد الرحمن بن عبد
الله الثقفي، ينسب الى أمه أم الحكم أخت معاويه بن أبي سفيان. ولآه خاله سنه سبع وخمسين فأساء السيره فيهم، فطردوه فلحق
بخاله معاويه، فقال له أولئك خيراً منها مصر، فتوجه اليها فتلقاه أهل مصر على مرحلتين منها، فردوه منها، وتفصيل القصه
بترجمته في أسد الغابه ٢٨٧/٣-٢٨٨ وتوفى أيام عبد الملك بن مروان، نسبه في الجمهره ٢٥٤. وسبق ذكر ترجمه عبد الله،
والمغيره. و ((مظلم سابط)): موضع قرب المدائن و ((المغول)): نصل طويل. سوط في جوفه سيف دقيق.

أن قيس بن سعد قد صالح معاويه، وصار معه، ووجه إلى عسكر قيس، من يتحدث أن الحسن قد صالح معاويه وأجابه، ووجه معاويه إلى الحسن المغيرة ابن شعبة، وعبدالله بن عامر بن كرز، عبدالرحمن بن أم الحكم، وافوه وهو بالمدائن نازل في مضاربه ثم خرجوا من عنده، وهم يقولون، ويسمعون الناس: إن الله قد حقن باين رسول الله الدماء، وسيكن به الفتنه، وأجاب إلى الصلح، فاضطرب العسكر، ولم يشكك الناس في حديثهم، فوثبوا بالحسن، فانتهبوا مضاربه وما فيها، فركب الحسن (ع) فرساً له، ومضى في مظلم سابط وقد كمن له الجراح بن سنان الاسدي فجرحه (ص) بمغول في فخذه وحمل الحسن إلى المدائن وقد نزع نزعاً شديداً، واشتدت به العله فافترق عنه الناس.

وقال الطبري (١) بايع الناس الحسن بن علي (ع) بالخلافه، ثم خرج بالناس حتى نزل بالمدائن - إلى قوله - فبينما الحسن في المدائن إذ نادى مناد في العسكر: ألا إن قيس بن سعد قد قتل فانفروا؛ فانفروا، ونهبوا سرادق الحسن حتى نازعوه بساطاً كان تحته.

وفي روايه - وعولجت خلاخيل أمهات أولاده (٢) -؛ وقال الطبري (٣) لم

ص: ٣٢١

١- . الطبري ٩٢/٦.

٢- . في البحار ١١٦/١٠ يرويها عن ابن أبي الحديد.

٣- . الطبري ٩٣/٦.

يلبث الحسن بعدما بايعوه إلا قليلاً حتى طعن طعنه أشوته فازداد لهم بغضاً وازداد منهم ذعراً.

قال أبو الفرج: وبعث معاويه إلى الحسن للصلح وشرط ألا يتبع أحدٌ بما مضى، ولا ينال من شيعة عليٍّ بمكروه، ولا يذكر عليّاً إلا بخير، وأشياء اشترطها الحسن.

ثم دخل معاويه الكوفة، وخطبهم فقال:

إني والله ما قاتلتكم لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. (١)

وقال: ألا إن كل شيء أعطيته الحسن فتحت قدمي هاتين. (٢)

معاويه في بادئ عهده:

صفا الجؤ لمعاويه بعد قتل عليٍّ، وتسليم الحسن الأمر إليه، غير أن البلاد الاسلاميه في الجزيرة العربيه كانت قد ضعفتها غارات جيش معاويه عليها، وقلوب الناس تغلى عليه كالمرجل بما قتل من رجالها في صفين، وما بعد صفين؛ باسم الطلب بدم عثمان؛ فاتبع معاويه سياسه المداراه، والمهادنه مع اعدائه في الخارج.

قال اليعقوبى: (٣) ورجع معاويه إلى الشام سنه إحدى وأربعين، وبلغه أن طاغية الروم قد زحف في جموع كثيره، وخلق عظيم؛ فخاف أن يشغله عما يحتاج إلى تدبيره، وإحكامه، فوجه إليه فصالحه على مائه ألف دينار.

ص: ٣٢٢

١- مقاتل الطالبين ص ٧٠، وابن كثير ١٣١/٨، واللفظ الاول، وابن أبي الحديد ١٦/٤.

٢- مقاتل الطالبين ص ٦٩، وابن أبي الحديد ١٦/٤.

٣- اليعقوبى ٢١٧/٢ وبهامشه الدوله العربيه تأليف فلهاوزن ص ٨٦ عن فتوح البلدان والطبرى والدينورى والمسعودى.

وفى داخل البلاد الاسلاميه اتبع سياسه اللين لتثبيت اساس ملكه حتى انه قيل فيه: إن معاويه عمل سنتين، عمل عمر ما يخرم فيه، ثم بعد عن ذلك. (١)

ونسى معاويه بعد أن استولى على الملك دم عثمان، والطلب بثأره:

قال ابن عبد ربّه: (٢) قدم معاويه المدينه بعد عام الجماعه، فدخل دار عثمان ابن عفان؛ فصاحت عائشه ابنه عثمان، وبكت، ونادت أباها: واعثماناه؛ تحرّض بذلك معاويه على القيام بطلب ثأره.

فقال معاويه: يا ابنه أخى إن الناس أعطونا طاعه وأعطيناهم أماناً، وأظهرنا لهم حلماً تحت غضب، وأظهروا لنا ذلاً تحت حقد؛ ومع كل انسان سيفه؛ ويرى موضع أصحابه، فإن نكثنا بهم نكثوا بنا، ولاندرى أعلينا تكون الدائره أم لنا، ولئن تكونى ابنه عم أمير المؤمنين خير من أن تكونى امرأه من عرض الناس.

وأغدق العطاء على الرؤساء، فمالوا إليه، قال الطبرى: (٣) إن الحتات بن يزيد المجاشعي وفد على معاويه فى جماعه من الرؤساء؛ فأعطى كلاً منهم مائه ألف، وأعطى الحتات سبعين ألفاً؛ فلما رجعوا، وكانوا ببعض الطريق، أخبر بعضهم بعضاً بجائزته، فرجع الحتات إلى معاويه يعاتبه؛ فقال له فيما قال: ما بالك خسست بى دون القوم! فقال: اشتريت من القوم دينهم، ووكلتك إلى دينك، ورأيتك فى عثمان؛ فقال: وأنا فاشتر منى دينى؛ فأمر له بتمام جائزته.

ص: ٣٢٣

١- ابن كثير ١٣١/٨.

٢- فى العقد الفريد ط. مصر ٣١ هـ ١٢٦/٣ وفى تاريخ ابن كثير ١٣٢/٨ مع تغيير وزياده وفيها: ((إنّ الناس قد أعطونا سلطاننا فإظهرنا لهم حلماً تحت غضب... فبعناهم هذا بهذا، وباعونا هذا بهذا...)) الحديث فى البيان والتبيين ١٨٢/٢.

٣- .أوردتها ملخصه من الطبرى ١٣٥/٦، وابن الاثير ٢٠١/٣.

وصانع الرجال ذوى الدَّهَاءِ والخطر، فولَّى المغيره بن شعبه الكوفه بعد أن كان قد أعطى مصر طعمه لعمر بن العاص مده حياته؛ وبقي زياد بن عبيد شوكة إلى جنبه، فأقضَّ أمره مضجعه (١) فعالجه علاج امرئ حازم في دنياه غير آبه لدينه حين استلحقه بنسبه؛ ووافق ذلك هوى في نفس زياد فرغب في ذلك أشدَّ الرغبه بما نقل نسبه من ثقيف إلى قريش، ومن عبيد إلى أبي سفيان، فأصبح أخاً لخليفه المسلمين بعد أن كان امراً وضع النسب خسيس الحساب.

وقصه الاستلحاق على ما ذكر المسعودى، وابن الاثير وغيرهما (٢) هي أنَّ سمَّيه كانت جاريه للحرث بن كلده الطيب الثقفى وكانت من البغايا ذوات الرايات بالطائف، وتوَدَّى الضريبه إلى الحرث بن كلده، وكانت تنزل في حاره البغايا خارجاً عن الحضرة؛ وكان الحرث قد زوّجها من غلام رومى له اسمه عبيد؛ ونزل ابو سفيان في أحد أسفاره في الجاهليه إلى الطائف على خمّار يقال له: أبو مريم السلولى، فقال له: قد اشتهيت النساء فالتمس لى بغياً؛ فقال له: هل لك في سُمَّيه فقال: هاتها على طول ثديها، وذفر بطنها، فأتاه بها فوق عليها، فعلمت زياد، ثمَّ وضعت سنة إحدى من الهجره، وذكروا في سبب استلحاق معاويه زياداً إلى نسبه: أنَّ علياً لمّا ولى الخلافه استعمل زياداً على فارس، فضبطها وحمى قلاعها؛ فساء معاويه ذلك، فكتب إليه يتهدده، ويعرّض له بولاده أبي سفيان، ولمّا قتل على، وصالح الحسن معاويه خاف معاويه منه، فأرسل إلى المغيره وقال له: ذكرت زياداً واعتصامه بفارس، وهو

ص: ٣٢٤

١- أخبار زياد والحجاج في العقد الفريد ٢٣٩/٣.

٢- قصه استلحاق زياد بترجمته في الاستيعاب؛ وابن عساكر ٤٠٩/٥، وأسد الغابه؛ والا صابه، وفي ذكر أيام معاويه وسيرته من مروج الذهب ٢٥٤/٢؛ واليعقوبى ١٩٥/٢؛ وابن كثير ٢٨/٨؛ وأبو الفداء ص ١٩٤؛ وفي حوادث سنة ٤٤ عند ابن الاثير ١٩٢/٣ بتفصيل واف؛ ولمح اليه الطبرى في ٢٥٩/٤؛ وبعض أخباره بترجمه يزيد بن المفرغ الشاعر من الاغانى ط. ساسى ٥١/١٧-٧٣.

داهيه العرب ومعه الاموال، وقد تحصن بأرض فارس وقلاعها يدبر الأمور، فما يؤمنني أن يبيع لرجل من أهل هذا البيت، فإذا هو قد أعادها حذعه، فذهب إليه المغيره، وقال له: إن هذا الامر لا يمدّ إليه أحد يداً إلا الحسن بن عليّ، وقد بايع لمعاويه، فخذها لنفسك قبل التوطين؛ قال زياد: فأشر عليّ، قال: أرى أن تنقل أصلك إلى أصله، وتصل حبلك بحبله، وتغير الناس أذنًا صماءً، فقال زياد: يا ابن شعبه! أغرسُ عوداً في غير منبته؟ ثمّ إنّ زياداً عزم على قبول الدعوى. وأخذ برأى ابن شعبه، ثمّ وفد إلى معاويه، فأرسلت إليه جويره بنت أبي سفيان عن أمر أخيها معاويه، فلما أتاها كشفت عن شعرها بين يديه، وقالت: أنت أخي، أخبرني بذلك أبو مریم، ثمّ أخرجه معاويه إلى المسجد وجمع الناس وحضر من يشهد لزياد وكان فيمن حضر أبو مریم السيلولي، فقال له معاويه: بم تشهد يا أبا مریم فقال أبو مریم: أنا أشهد أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف وأنا خمّار في الجاهليّه، فقال ابغني بغياً فقلت له: ليس عندي إلا جاريه الحرث بن كلده سمّيه، فقال: اتنتي بها على قدرها وذفرها، فقال له زياد: مهلاً يا أبا مریم إنّما بعثت شاهداً، ولم تبعث شاتماً، فقال أبو مریم: لو كنتم أعفتموني لكان أحبّ إليّ، وإنّما شهدت بما عاينت ورأيت، والله لقد أخذ بكمّ درعها، وأغلقت الباب عليهما، وقعدت دهشانا، فلم ألبث أن خرج عليّ يمسح جبينه، فقلت: مه يا أبا سفيان فقال: ما أصبت مثلها يا أبا مریم لولا استرخاء من ثديها، وذفر فيها، فقام زياد فقال: أيها الناس! هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم، ولست أدري حقّ ذلك من باطله، وإنّما كان عبيد والداً مبروراً، أو وليّاً مشكوراً، والشهود أعلم بما قالوا؛ فقام يونس بن عبيد بن أسد بن علاج الثقفي أخو صفيه مولاه سمّيه، فقال: يا معاويه! قضى رسول الله (ص) أنّ الولد للفراش، وللعاهر الحجر؛ وقضيت أنت أنّ الولد للعاهر، وأنّ الحجر للفراش مخالفةً لكتاب الله تعالى، وانصراًفاً عن سنّه رسول الله (ص) بشهاده أبي مریم على زنا أبي سفيان، فقال معاويه: والله يا يونس لتنتهين أو لا تطيرن بك طيره بطيئاً وقوعها، فقال يونس:

وهل إلا إلى الله، ثم أوقع؟ قال: نعم واستغفر الله، وقال عبدالرحمن بن الحكم:

ألا أبلغ معاويه بن حرب

قال ابن الاثير: وكان استلحاقه أول ما رُدت به أحكام الشريعة علانيه، فإن رسول الله (ص) قضى بالولد للفراش، وللعاهر بالحجر. (١)

اشترى معاويه دهاه الرجال في عصره بالامر والمال والاستلحاق بالنسب؛ وصانع الرؤساء، وداهن أعداءه، وبذل وافر المال، وتظاهر بالحلم والاغضاء عن خصومه أجمعين، حتى إذا اتسق له الامر، وتم له الملك؛ أظهر دخيله نفسه، وجعل الخلافه ملكاً عضوضاً. فأمر بأن تُصطفى له الصفراء والبيضاء، فلا يقسم بين الناس ذهب ولا فضة؛ (٢) واستصفى لنفسه ما كان لكسرى وآل كسرى من الصوافي في أرض الكوفه وسوادها. فبلغت جبايته خمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفه وسوادها.

وكتب إلى عبدالرحمن بن أبي بكره بمثل ذلك في أرض البصره، وأمرهم أن يحملوا إليه هدايا النيروز والمهرجان، فكان يحمل إليه في النيروز وغيره والمهرجان عشره آلاف ألف. (٣)

ص: ٣٢٦

- ١- . نقلتها ملخصه من مروج الذهب في ذكره لمعاً من أخبار معاويه، والكامل لابن الاثير في ذكره حوادث سنه أربع وأربعين هجرية، وأنساب الاشراف ج ١؛ ومن أراد المزيد فليراجع قصه استلحاقاً زياد من كتاب ((عبد الله بن سبأ - المدخل -)).
- ٢- . بترجمه الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري من طبقات ابن سعد ٢٨/٧؛ والاستيعاب ١١٧/١؛ والطبرى ١٤١/٦ وابن الاثير ٢٠٢/٣؛ والنبلاء ٣٤٠/٢، ولفظه: كتب زياد: ان أمير المؤمنين أمر أن تصطفى له الصفراء والبيضاء، فكتب اليه إنى وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين. وأمر منادياً فنادى: أن أغدوا على فيئكم. فقسمه بينهم، فوجه معاويه من قيده وحبسه. فمات فدفن في قيوده وقال: إنى مخاصم.
- ٣- . اليعقوبى ط. دار بيروت ٢١٨/٢.

وفعل معاويه بالشام والجزيره واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع وتصييرها لنفسه خالصه، وأقطعها أهل بيته وخاصيته. وكان أول من كانت له الصوافى فى جميع الدنيا، حتى بمكّه والمدينه، فإنه كان فيهما شىء يحمل فى كل سنه من أوساق التمر والحنطه،(١) وأقطع فدكا مروان خاصه.(٢)

ثم شدّد النكير على من ناوأه؛ ولمّا صار إلى المدينه أتاه جماعه من بنى هاشم، وكلموه فى أمورهم، فقال: أما ترضون يا بنى هاشم أن نفرّكم على دمائكم وقد قتلتم عثمان حتى تقولوا ما تقولون؟ فوالله لانتّم أحلّ دماً من كذا وكذا، وأعظم فى القول. فقال له ابن عبّاس: كلّ ما قلت لنا يا معاويه من شرّ بين دفتيك، أنت والله أولى بذلك منّا، أنت قتلت عثمان، ثمّ قمت تغمص على الناس أنّك تطلب بدمه. فانكسر معاويه... الحديث. ثمّ كلمه الانصار، فاغلظ لهم فى القول، وقال لهم: ما فعلت نواضحكم؟ قالوا: أفنيهاها يوم بدر لئلا نقتلنا أخاك وجدّك وخالك؛ ولكنا نفعّل ما أوصانا به رسول الله. قال: ما أوصاكم به؟ قالوا: أوصانا بالصبر. قال: فاصبروا.

ثمّ أدلج معاويه إلى الشام ولم يقض لهم حاجه.(٣)

وأمر معاويه بمنبر النبىّ (ص) أن يحمل من المدينه إلى الشام وقال: لا يترك هو وعصا النبىّ بالمدينه، وهم قتله عثمان، وطلب العصا، وحرك المنبر فكسفت الشمس فتركهما. وقيل: إنّ الصحابه منعه عن ذلك.(٤)

وكان أشدّ الناس بلاء يومذاك شيعة على خاصه؛ فقد كان أمر ولاته بلعن على المنبر، وقال للمغيره بن شعبه - لئلا ولاه الكوفه سنه إحدى

ص: ٣٢٧

١- المصدر السابق ص ٢٣٤ ((الوسق)) بفتح أوّله وثانيه: ستون صاعاً أو حمل بعير.

٢- المصدر السابق ص ٣٠٥.

٣- اليعقوبى ط. دار بيروت ٢/٢٢٣ والنواضح، مفردا الناضح: البعير يستقى عليه.

٤- ابن الاثير ٣/١٩٩، ومروج الذهب. ط. السعاده ٣/٣٥.

وأربعين - قد أردت إيذاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيذاءك بخصله؛ لا تترك شتم عليّ وذمّه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لاصحاب عليّ والاقضاء لهم، والاطراء لشيعة عثمان والادناء لهم. (١)

فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة لا يدع شتم عليّ والوقوف فيه؛ والدعاء لعثمان والاستغفار له. وكان حجر بن عدى يردّ عليه، ثم توفى المغيرة، وولى زياد مكانه، فوقع بينه وبين حجر ما وقع مع المغيرة. وفي روايه أنّ زياداً أطال يوماً الخطبه، وأخر الصلاة، فخشى حجر أن تفوت الصلاة، فنادى: الصلاة، فاستمر زياد في خطبته، فنادى حجر: الصلاة، إلى ثلاث مرّات، فضرب حجر يده إلى كفّ من الحصى في وجه زياد، وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه إلى الصلاة؛ فقطع زياد خطبته، وصلى بهم، ثم أمر الشرط أن يأتوا به، فمنعه قومه وأخفوه، حتّى استأمنوا له على أن يرسله إلى معاوية، فأجابهم إلى ذلك، فسجنه وأحد عشر من أصحابه، ثم كتب عليه شهادته أنّه شتم الخليفة، ودعا إلى حربه، وأخرج عامله... وشهد عليه بعضهم في الكتاب، وكتب في الشهود اسم شريح بن هانئ، ثم أرسلهم مع الكتاب إلى معاوية، فلحق بهم شريح، فلما بلغوا إلى معاوية قرأ الشهاده على حجر، وقرأ كتاب شريح، فإذا فيه: بلغني أنّ زياداً كتب شهادتي، وإنّ شهادتي على حجر أنّه يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاه، ويديم الحجّ والعمره، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه. فقال معاوية: أما هذا فقد أخرج نفسه من شهادتكم، وحبس القوم بمرج عذراء، (٢) وشفع خواصّ معاوية في بعضهم فأطلقهم؛ وبعث إلى من بقى منهم يعرض عليهم البراءه من عليّ، واللّعن له وإلاّ قتلهم؛ فقالوا: لسنا فاعلين ذلك؛ فحفروا لهم القبور، وأحضرت

ص: ٣٢٨

١- . تاريخ الطبري، ط. أوروبا ١١٣/٢.

٢- . مرج عذراء: حوالى دمشق.

الأكفان، وقام حجر وأصحابه يصلون عامه الليل، فلما كان الغد قدموهم ليقتلوهم، فقال لهم حجر: أتركوني أتوضأ وأصلي، فيأتي ما توضأت إلا صليت. فتركوه فصلي، ثم انصرف منها وقال: والله ما صليت صلاة قط أخف منها، ولولا أن تظنوا في جزعاً من الموت لاستكثرتها منها، ثم قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا... أما والله لا نقتلهموني بها فيأتي لأول المسلمين كبر في نواحيها، (١) وأول فارس من المسلمين هلك في واديهما... ثم مشى إليه قاتله بالسيف، فارتعد، فقالوا له:

زعمت أنك لا تجزع من الموت، فابراً من صاحبك، وندعك، فقال: ومالي لا أجزع! وأرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإني والله إن جزع من القتل لا أقول ما يسخط الرب، فقتلوه وقتلوا سته معه، وقال اثنان منهما: إبعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فيأنا نقول في هذا الرجل مقالته، فأذن لهما معاويه؛ فقال لاحدهما: أتبرأ من دين علي الذي يدين الله به؟ فسكت، فشفعوا فيه، فأطلق سراحه، ونفاه إلى الموصل؛ وأما الآخر، فقال له معاويه: يا أخا ربيعة! ما تقول في علي قال: دعني ولا تسألني فهو خير لك! قال: والله لا أدعك، قال: أشهد أنه كان من الذاكرين لله تعالى كثيراً، ومن الامرين بالحق، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس، قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، وأغلق أبواب الحق، قال: قتلت نفسك! قال: بل إياك قتلت، ولا ربيعه بالوادي، يعني ليشفعوا فيه. فردّه معاويه إلى زياد، وأمره ان يقتله شر قتله فدفنه حيناً. (٢)

وفي الاستيعاب: (٣) ان حجراً قال لمن حضره من أهله: لا تنزعوا عني

ص: ٣٢٩

- ١- . قد ذكر ابن كثير بترجمه حجر من أسد الغابه: أنه قالها أول ما قدم مرج عذراء.
- ٢- . أوردتها ملخصه من الطبري ١٥٥/٦-١٦٠، ط. أوربا ١١١/٢-١٤٣ في ذكره حوادث سنة احدى وخمسين، وابن الاثير كذلك ٢٠٢/٣-٢٠٩ وراجع الاغانى ١٠/١٦ وابن عساكر ٣٧٩/٢.
- ٣- . في الترجمة ٥٤٨ من الاستيعاب وأسد الغابه ٣٨٥/١-٣٨٦ وهو حجر بن عدى الادبر الكندي الملقب بحجر الخير وكان من فضلاء الصحابه وفد الى النبي وشهد القادسيه.

حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، فإني ملاقي معاويه على الجاده.

قتل معاويه كثيراً من شيعه علي من أشباه حجر وعذب. وذلك حنقاً منه عليهم وتوطيداً لملكه، وفي سبيل تشييد ملكه لم يرتدع معاويه عن أي منكر يفعله بأعدائه، أو أوليائه. وقد انصرف في أول عهده إلى توطيد أساس ملكه. ومن بعده إلى توريثه لعقبه.

توريث السلطه:

إن معاويه لما تم الامر له أراد أن يجعله وراثه في عقبه فأخذ يدبر الامر لذلك. قال ابن عبد ربّه: (١) ((ولم يزل يروض الناس لبيعته - أي بيعه يزيد - سبع سنين. يشاور ويعطى الاقارب ويداني الابعاد)) وكان شأنه في ذلك شأنه في تشييد الملك لنفسه في بادئ أمره. ففي كلتا الحالتين كان يغري بالامر والمال، وإن أعيته الحيله لم يتورع عن أي شيء حتى القتل والاعتقال.

بيعه يزيد في الكوفه:

قال ابن الاثير: (٢) وكان ابتداء بيعه يزيد وأوله من المغيره بن شعبه، فإن معاويه أراد أن يعزله عن الكوفه، ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك، فسار إلى معاويه، وقال لاصحابه: إن لم أكسبكم ولايه وإماره لا أفعل ذلك أبداً، ومضى حتى دخل على يزيد وقال له: قد ذهب أعيان أصحاب النبي (ص)، وكبراء قريش، وذوو أسنانهم، وإنما بقي ابناؤهم، وأنت من أفضلهم، وأحسنهم رأياً، وأعلمهم بالسنة والسياسه، ولا أدري ما

ص: ٣٣٠

١- . العقد الفريد في تاريخ الخلفاء ١٢٩/٣ ط. الجماليه.

٢- . في حوادث سنه ست وخمسين من ابن الاثير ٢١٤/٣-٢١٥ والطبرى ١٦٩/٦-١٧٠.

يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعه؛ قال: أو ترى ذلك يتّم؟ قال: نعم. فأخبر يزيد أباه، فأحضر المغيرة، واستخبره؛ فقال المغيرة: قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف فاعقد له، فإن حدث بك حادث كان كهفناً للناس، وخلفاً منك، ولا تسفك دماء، ولا تكون فتنه؛ قال: ومن لى بهذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفة، وكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك. قال: فارجع إلى عمك وتحدّث مع من تثق إليه في ذلك، وترى ونرى؛ فرجع إلى أصحابه، وقال: لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغايه على أمّه محمّد، وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً؛ ثم رجعت إلى الكوفة، وأوفد مع ابنه موسى عشرة مّمن يثق بهم من شيعه بنى أمّيه، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، فقدموا عليه، وزيّنوا له بيعه يزيد، فقال معاوية: لا تعجلوا بذا، وكونوا على رأيكم؛ ثم قال لموسى سرّاً: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بثلاثين ألفاً، قال: لقد هان عليهم دينهم!

زياد في بيعه يزيد:

وكتب معاوية إلى زياد - وهو بالبصره -: أن المغيرة قد دعا أهل الكوفة إلى البيعه ليزيد بولاية العهد بعدى، وليس المغيرة بأحقّ بابن أخيك منك، فإذا وصل إليك كتابي فادع الناس قبلك إلى مثل ما دعاهم إليه المغيرة، وخذ عليهم البيعه ليزيد، فلمّا قرأ زياد الكتاب دعا برجل من أصحابه يثق بفضله وفهمه فقال: إنّي أريد أن أؤمنك على ما لم آتمنّ عليه بطون الصحائف؛ إيت معاوية، فقل له: يا أمير المؤمنين! إن كتابك ورد على بكذا؛ فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعه يزيد وهو يلعب بالكلاب والقروء! ويلبس المصتبح! ويُدمن الشراب! ويمشى على الدُفوف؛ وبحضرتهم الحسين بن عليّ، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر!؟ ولكن تأمره أن يتخلّق بأخلاق هؤلاء حولاً وحولين، فعسنا أن نموّه على الناس. فلمّا صار الرسول

إلى معاويه وأدى إليه رساله، قال: ويلي على ابن عبيد! والله لقد بلغني أنّ الحادى حدا له ((إن الامير بعدى زياد))؛ والله لاردنه إلى أمّه سمّيه وأبيه عبيد. (١)

وفى الطبرى وابن الاثير (٢) بتفصيل أوفى. وفيه: إن الرسول قال لزياد: لا تُفسد على معاويه رأيه، ولا تبغض إليه ابنه، وأُلفى أنا يزيد فأخبره أنّ أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك فى البيعه له وأنتك تتخوّف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونها عليه، وأنتك ترى له ترك ما يُنقم عليه. وأن زياداً قبل ذلك، فقدم الرسول على يزيد فذكر ذلك له، فكفّ عن كثير ممّا كان يصنع، وكتب زياد معه إلى معاويه يشير بالتّوده وأن لا يعجل؛ فقبل منه، فلمّا مات زياد عزم على البيعه لابنه يزيد فأرسل إلى عبدالله بن عمر مائه ألف درهم فقبلها فلمّا ذكر البيعه ليزيد، قال ابن عمر: هذا أراد! إن دينى إذن على لرخيص. (٣)

بيعه يزيد فى الشام:

قال ابن عبدالبرّ فى الاستيعاب: (٤) إن معاويه لمّا أراد البيعه ليزيد خطب أهل الشام وقال لهم: يا أهل الشام! قد كبرت سنّى، وقرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم، وإنّما أنا رجل منكم، فأرونى رأيكم، فأصفقوا واجتمعوا وقالوا: رضينا عبدالرحمن بن خالد؛ فشقّ ذلك على معاويه، وأسرها فى نفسه؛ ثمّ إن عبدالرحمن بن خالد مرض، فأمر

ص: ٣٣٢

١- . يعقوبى فى تاريخه ط. أوروبا ٢/٢٦١-٢٦٢.

٢- . الطبرى ١٦٩/٦-١٧٠؛ وابن الاثير ٣/٢١٤-٢١٥.

٣- . وفى تاريخ ابن كثير ٥/٩؛ وذكر قبول ابن عمر ذلك؛ وفى الحليه ١/٢٩٦ ولم يذكر وقت ارساله اليه.

٤- . الاستيعاب ٢/٣٩٦ بترجمه عبد الرحمن المرقمه ١٦٩٧؛ وأسّد الغابه ٣/٢٨٩. وعبد الرحمن هو ابن خالد بن الوليد المخزومى، قال ابن عبد البر: وكان ممن أدرك النبى، وكان من فرسان قريش وشجعانهم، وكان له فضل، وهدى حسن، وكرم، إلّا أنّ كان منحرفاً عن على، وذكر أنّ أخاه المهاجر الاتى ذكره كان مع على بصفين.

معاويه طبيباً عنده يهودياً - وكان عنده مكيناً - أن يأتيه فيسقيه سقيه يقتله بها، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات.

وقال الطبرى وابن الاثير: (١) وأمر ابن اثال النصرانى أن يحتال فى قتله، وضمن له أن يضع عنه خراجه ما عاش وأن يوليه خراج حمص... فوفى معاويه بما ضمن له.

وقال ابن عبد البر: ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفياً، هو و غلام له، فرصدا ذلك اليهودى؛ فخرج ليلاً من عند معاويه ومعه قوم هربوا عنه، فقتله المهاجر؛ ثم قال ابن عبد البر: وقصته مشهوره عند أهل العلم.

بيعه يزيد فى المدينة:

فى الامامه والسياسه: إن معاويه كتب إلى مروان - وكان واليه على المدينة - أن يذكر بيعه يزيد لهم، فأبى ذلك، وأبته قريش، وكتب إلى معاويه: إن قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك، فأرني رأيك، فعزله معاويه عن عمله، وولى سعيد بن العاص المدينة؛ فذهب مروان مع جمع من بنى أميه إلى الشام غضبان، وأغلظ الكلام لمعاويه، فقابله معاويه باللين، وزاد فى عطائه، وأرجعه راضياً. (٢)

ص: ٣٣٣

١- . الطبرى ١٢٨/٦؛ وابن الاثير ١٩٥/٣ وقد ذكرا: أن خالد بن عبد الرحمن بن خالد هو الذى قتل ابن آثال، وقد ذكر اغتياله كذلك فى المغتالين من الاشراف ص ٤٧؛ وابن كثير فى حوادث سنه ٤٦، ٣١/٨، والاغانى ١٣/١٤؛ وأورده ابن شحنه مختصراً. راجعه بهامش ابن الاثير ١٣٣/١١. وقال ابن أبى أصيبعه فى كتابه ((عيون الانباء فى طبقات الاطباء)) ص ١٧١، ط. بيروت ١٩٦٥ مايلى: وكان ابن آثال خبيراً بالادويه المفرده والمركبه وقواها، وما منها سموم قواتل. وكان معاويه يقربه لذلك كثيراً. ومات فى أيام معاويه جماعه كثيره من أكابر الناس والامراء من المسلمين بالسم.

٢- . الامامه والسياسه ١٤٤/١-١٤٦، وقد أوردته ملخصاً، واورده المسعودى باختصار مع اختلاف فى جواب معاويه له. راجع المسعودى تحقيق محمد محيى الدين ٣٧/٣.

ثمَّ أراد معاويه أن يُغري بين بني أميّه ليفرّق كلمتهم، فأمر سعيد بن العاص بهدم دار مروان، وتصفيه أمواله، كما حدّث بذلك ابن الاثير وقال: (١) في سنه أربع وخمسين عزل معاويه سعيد بن العاص عن المدينه، واستعمل مروان؛ وكان سبب ذلك: أن معاويه كان قد كتب إلى سعيد بن العاص أن يهدم دار مروان، ويقبض أمواله كلّها ليجعلها صافيه، ويقبض منه فدك، وكان وهبها له، فراجعه سعيد بن العاص في ذلك، فأعاد معاويه الكتاب بذلك، فلم يفعل سعيد، ووضع الكتابين عنده، فعزله معاويه، ووَلَّى مروان، وكتب إليه يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص، وهدم داره، فأخذ الفعله وسار إلى دار سعيد ليهدمها فقال له سعيد: يا أبا عبدالملك! أتهدم داري قال: نعم. كتب إلى أمير المؤمنين، ولو كتب إليك في هدم داري لفعلت. فقال: ما كنت لا فعل. قال: بلى والله، قال: كلاً! وأراه كتابي معاويه إليه بذلك، وقال له: إنّما أراد معاويه أن يُحرّض بيننا، فقال مروان: أنت والله خير مني، وعاد ولم يهدم دار سعيد؛ وكتب سعيد إلى معاويه: العجب ممّا صنع أمير المؤمنين ينافي قرابتنا، إنّهُ يضغن بعضنا على بعض، فأمر المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الاخبثين، وعفوه؛ وإدخاله القطيعه بيننا والشحناء، وتوارث الاولاد ذلك، فوالله لو لم تكن اولاد أب واحد إلّا لما جمعنا الله عليه من نصره أمير المؤمنين الخليفه المظلوم، واجتماع كلمتنا؛ لكان حقاً على أمير المؤمنين أن يرعى ذلك، فكتب إليه معاويه يعتذر.

المغتالون في بيعه يزيد:

وجد معاويه في حياه اثنين من كبار المسلمين عائقاً لما يرومه من توليه ابنه

ص: ٣٣٤

١- . ابن الاثير ٢١٢/٣-٢١٣، والطبرى ١٦٤/٦-١٦٥.

العهد من بعده، فاغتال كلاً منهما بمفرده ليزيل آخر عقبه عن سبيله.

روى أبو الفرج في مقاتل الطالبين (١) وقال: ((وأراد معاوية البيعه لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي، وسعد بن أبي وقاص؛ ففسد إليهما سمّاً فماتا منه)).

وسبب ثقل أمر الحسن وسعد عليه: أن سعداً كان الباقي من الستّ أهل الشورى الذين رشّحهم عمر للخلافه من بعده، (٢) وأمّا الحسن فلما جاء في معاهده الصلح بينهما: أن يكون الأمر للحسن (٣) من بعده، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد. (٤)

أمّا إنّه كيف اغتالهما، فلم نجد من يشرح كيف اغتال سعداً، أمّا الحسن:

فقد روى المسعودي (٥) وقال:

((إن جعده بنت الاشعث بن القيس

ص: ٣٣٥

- ١- . مقاتل الطالبين ص ٤٣؛ وفي أنساب الاشراف ١/٤٠٤: ((توفى سعد بن أبي وقاص والحسن بن علي بعدما مضت من إمره معاوية عشر سنين، وكانوا يرون أنه سمهما))؛ وابن أبي الحديد ١١/٤ و ١٧.
- ٢- . راجع قصه الشورى في: ((عبد الله بن سبأ)) ص ١١٨-١٢٦.
- ٣- . ابن كثير ٤١/٨؛ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٨؛ والاصابه بترجمه الحسن؛ وابن قتيبه ص ١٥٠ وابن أبي الحديد ١٣/٤.
- ٤- . المدائني كما روى عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٨/٤؛ والصواعق ٨١.
- ٥- . مروج الذهب بهامش الكامل ٥٥/٦، وقريب منه ما في مقاتل الطالبين ص ٧٣، وذكر اغتياله بالسم من قبل معاوية في ترجمته من الاستيعاب؛ وسبط ابن الجوزي في التذكرة وابن عساكر ٢٢٦/٤ وفي أسماء المغتالين من الاشراف ص ٤٤؛ وذكر اليعقوبي في ٢٢٥/٢ ط. دار بيروت: أنّ الحسن لما حضرته الوفاة قال لآخيه الحسين: ((يا أخي ان هذه آخر ثلاث مرات سقيت فيه السم، ولم أسقه مثل مرتي هذه، وأنا ميت من يومى هذا)). ولم يصرّح باسم من سمه، وكذلك فعل ابن الاثير فانه صرح في ١٩٧/٢ بان زوجته سمته وسكت عن ذكر معاوية وذكر ذلك بان شحنه بهامش ابن الاثير ١٣٢/١١، وراجع ابن كثير ٤٣/٨، وشرح النهج ٤/٤.

الكندي سفته السم؛ وقد كان معاوية دس إليها: إنك ان احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائه ألف درهم، وزوجتك يزيد؛ فكان ذلك الذي بعثها على سمه. فلما مات وفي لها معاوية بالمال، وأرسل إليها: إننا نحب حياه يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه)).

إغتيال معاوية سعداً والحسن في سبيل بيعه يزيد، كما اغتال في سبيل ذلك عبدالرحمن بن خالد قبلهما، ونرى أنه اغتال أيضاً عبدالرحمن بن أبي بكر في هذا السبيل كما سنشرحه بعد هذا إن شاء الله.

البيعه:

استقدم معاوية الوفود من البلاد لبيعه يزيد، فهدد من خالفه، وأجزل عطاء من بايعه (١) وولى بعضهم الاماره (٢) ثم ارتحل إلى الحجاز لاختد البيعه من أهل الحرمين بعد أن استعصى أمرهم على ولايته، تبعاً منهم لامر أربعة من كبار المسلمين الذين أبوا البيعه؛ وهم كل من الحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر، وعبدالرحمن بن أبي بكر.

قال ابن الاثير: (٣) وكان معاوية يعطى المقارب، ويدارى المباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس وبايعه، فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز في ألف فارس، فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي أول الناس... ثم روى: كيف أنه جابه الحسين وباقي الأربعة بالغلظه، وأنه لم يأذن لهم بالدخول عليه في المدينة، وأنه لما دخل على عائشه، وقد كان بلغها أنه ذكر الحسين وأصحابه، فقال: لاقتلنهم إن لم يبايعوا، وشكاهم إليها،

ص: ٣٣٦

- ١- . راجع العقد الفريد ٣٦٨/٤-٢٧٢ ط. القاهره ١٣٦٣ هـ وابن الاثير ٢١٦/٣.
- ٢- . كسعيد بن عثمان إذ ولأه خراسان؛ راجع تهذيب ابن عساكر ١٥٥/٦؛ والطبرى ١٧١/٦؛ وابن الاثير ٢١٨/٣؛ وابن كثير ٧٩/٨-٨٠.
- ٣- . ابن الاثير ٢١٦/٣-٢١٨؛ والعقد الفريد ١٣٠/٣-١٣١.

فوعظته، ثمَّ ذكر أنَّه خرج إلى مكَّه فلقى الناس وتلقاه أولئك نفر، فرحَّب بهم، ووصلهم، ثمَّ جمعهم، وعرض عليهم الامر، فقال له ابن الزبير:

إختر منَّا إحدى ثلاث: إمَّا أن تصنع صنيع رسول الله إذ لم يستخلف! فبايع النَّاس أبا بكر؛ أو كصنيع أبي بكر إذ عهد إلى رجل من قاصيه قريس ليس من بنى أبيه، أو كصنيع عمر إذ جعلها شورى بين سته ليس فيهم أحد ولده، فقال معاويه: هل عندكم غير هذا؟ قالوا: لا؛ قال: إنِّي أتقدَّم إليكم وقد أعذر من أنذر! إنِّي قائل مقاله أقسم بالله لئن ردَّ عليَّ رجل منكم كلمه في مقامى هذا لا- ترجع إليه كلمته حتَّى يُضرب رأسه، فلا- ينظر امرؤ منكم إلا- لنفسه، ولا- يُبقيَنَّ إلا- عليها. وأمر أن يقوم على رأس كلِّ رجل منهم رجلان بسيفيهما، فإن تكلم بكلمه يردُّ بها عليه قوله قتلاه، ثمَّ خرج بهم إلى المسجد، فرقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: إن هؤلاء الرهط ساده المسلمين وخيارهم لا يُبتزَّ أمر دونهم، ولا يقضى إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله فبايع الناس، ثمَّ قُربت رواحله، فركب ومضى إلى المدينة، وأخذ البيعه من أهلها، وانصرف إلى الشام، فقال الناس لأولئك الرهط: زعمتم أنكم لا تبايعون! فأخبروهم بمكيده معاويه.

لقد أظننا القول في ترجمه معاويه لتوقّف فهم علل وضع الحديث في عصره على تحليل شخصيته المعقّده أوَّلاً، ولتوقّف فهم العلاقات بينه وبين أم المؤمنين واللّاتى سندرسها فيما يلي على ذلك ثانياً.

بين أم المؤمنين ومعاويه:

وجدنا في معاويه خصماً لدوداً لعلّي، حاربه في حياته، ولم ينس اللعن عليه بعد مماته،(1) ووجدنا أم المؤمنين أيضاً تحارب عليّاً في حياته، وتسجد

ص: ٣٣٧

١- راجع ما سبق من أمر حجر في الصفحات ٣٢٧-٣٣٠ من هذا الكتاب، وسيأتى بتفصيل أوفى ان شاء الله.

لله شكراً عندما يبلغها نبأ وفاته، ثم تنشد:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافر

ووجدناها تحتجب عن الحسنين،(١) وهما من ذريّه زوجها، وإذا لاحظنا ما رواه اليعقوبى، وأبو الفرج، نرى أن الخصومه قد امتدّت بينها وبين بنى هاشم، وجمعت بينها وبين بنى أمّيه عامّه، ومعاويه خاصّه، إلى آماذ بعيده.

روى اليعقوبى(٢) وقال: - إن الحسن بن على عندما أُحضر أوصى إلى أخيه الحسين، وقال له: إن أنا متّ فادفنى مع رسول الله، فما أحدٌ أولى بقربه منى إلا أن تمنع من ذلك، فلا تسفك فيه محجمه دم، فلما توفّى وأُخرج نعشه يراد به قبر رسول الله - وفى مقاتل الطالبين: ركبت أمّ المؤمنين بغلاً - واستنفرت بنى أمّيه: مروان بن الحكم ومن كان هناك منهم ومن حشمهم، وقيل فى ذلك:

فيوماً على بغلٍ ويوماً على جمل

وفى تاريخ اليعقوبى: ركب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص، فمنعا من ذلك، وركبت عائشه بغله شهباء، وقالت: بيتى ولا آذن فيه لاحد، فأتاها القاسم بن محمّد بن أبى بكر، فقال: يا عمّه! ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الاحمر، أتريدى أن يقال: يوم البغله الشهباء، فرجعت، واجتمع مع الحسين بن على جماعه من الناس، فقالوا: له: دعنا وآل مروان، فوالله ما هم عندنا إلا كأكله رأس، فقال: إن أخى أوصانى ألا أريق فيه محجمه دم، فدفن الحسن فى البقيع.

هذه الخصومه المشتركه قد قرّبت بين أمّ المؤمنين ومعاويه وجعلتها موضع

ص: ٣٣٨

١- راجع قبله ص ٢٠٥-٢٠٧ من هذا الكتاب.

٢- اليعقوبى فى ذكر وفاه الحسن ٢/٢٠٠، ومقاتل الطالبين ص ٧٥؛ وتذكره خواص الامّه ص ١٢٢؛ وفى روضه الاوائل لابن شحنه؛ بهامش ابن الاثير ١١/١٣٣ ولفظه: وكان أوصى أن يدفن عند جدّه (ص) فمنعت من ذلك عائشه.

رعايتها فى المال:

أخرج أبو نعيم (١) عن عبدالرحمن بن القاسم وقال: أهدى معاويه لعائشه ثياباً وورقاً وأشياء توضع فى أسطوانها... الحديث.

وعن عروه: أن معاويه بعث إلى عائشه بمائه ألف (٢).

وأخرج ابن كثير عن عطاء قال: بعث معاويه إلى عائشه وهى بمكّه بطوق قيمته مائه ألف فقبلته (٣).

وأخرج ابن سعد (٤) وقال: دخل المنكدر بن عبدالله على عائشه، فقالت: لك ولد؟ قال: لا، فقالت: لو كان عندى عشرة آلاف درهم لوهبتهما لك، قال: فما أمست حتى بعث إليها معاويه بمال، فقالت: ما أسرع ما ابتليت، وبعثت إلى المنكدر بعشره آلاف درهم فاشترى منها جاريه.

وروى ابن كثير عن سعيد بن العزيز وقال: قضى معاويه عن عائشه أم المؤمنين ثمانيه عشر ألف دينار، وما كان عليها من الدين الذى كانت تعطيه الناس (٥).

وكذلك كان الامراء من البيت الاموى أيضاً يبعثون إليها بالهدايا كما فعل عبدالله بن عامر والى البصره فإنه بعث إليها بنفقه وكسوه (٦).

ص: ٣٣٩

١- . حليه أبى نعيم ٤٨/٢ و ((الورق)): الدارهم المضروبه.

٢- . حليه أبى نعيم ٤٧/٢؛ والنبلاء ١٣١/٢؛ وابن كثير ١٣٦/٧-١٣٧؛ والمستدرک ١٣/٤.

٣- . ابن كثير ١٣٧/٧ والنبلاء ١٣١/٢ وآخر الحديث: فقسّمته بين أمهات المؤمنين.

٤- . طبقات ابن سعد ١٨/٥ فى ترجمه المنكدر.

٥- . ابن كثير ١٣٦/٨؛ والنبلاء ١٣١/٢ حتى ثمانيه عشر ألف دينار.

٦- . مسند أحمد ٧٧/٦ و ٢٢٥٩؛ وعبد الله هذا كان ابن خال عثمان، راجع ترجمته فى هذا الكتاب.

نفوذ كلمتها:

أخرج ابن سعد في طبقاته (١) في قصه مَرّه بن أبي عثمان مولى عبدالرحمن بن أبي بكر وقال: ان مَرّه صاحب نهر مَرّه أتى عبدالرحمن بن أبي بكر، وكان مولاهم، فسأله أن يكتب له إلى زياد في حاجه له، فكتب: من عبدالرحمن إلى زياد - ونسبه إلى غير أبي سفيان (٢) - فقال: لا - أذهب بكتابك هذا، فيضرنى، قال: فأتى عائشه فكتبت له: ((من عائشه أم المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان)) قال: فلمّا جاء بالكتاب، قال له: إذا كان غداً فجنّى بكتابك، قال: وجمع الناس، فقال: يا غلام اقرأه، قال فقراه: ((من عائشه أم المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان))، قال: فقضى له حاجته.

وفى مادّه ((نهر مَرّه)) من معجم البلدان: (٣) قال:

نهر مَرّه بن أبي عثمان، ثمّ أورد القصّه، وقال: سَيَّرَ بذلك وأكرم مَرّه وأطفه، وقال للناس: هذا كتاب أم المؤمنين إلى - إلى قوله - ثمّ أقطعه مائه جريب على نهر الابله، وأمر أن يحفر لها نهر، فنسب إليه... الحديث.

وكتبت إليه عائشه في وصاه برجل، فوقّع في كتابها: ((هو بين أبويه)) (٤) أي أنّه سيلقى من البرّ والاحسان كما لو كان بين أبويه.

دور المعارضه:

استقام الامر لمعاويه بعد جهد كبير، فأراد أن يورث الخلافه لعقبه من بعده، فعارضه الناس حتّى أولياؤه، فقلب لهم ظهر المجنّ، وفى هذا الدور

ص: ٣٤٠

١- . طبقات ابن سعد ٩٩/٧.

٢- . يظهر من قوله: ((نسبه الى غير أبي سفيان)) أنه كان قد كتب: (الى زياد بن عبيد) فحذر من إيصال الكتاب اليه.

٣- . وأخرجه البلاذرى فى ص ٣٦٠-٣٦١ من فتوح البلدان كذلك، وابن قتيبه فى المعارف، وفى تهذيب ابن عساكر ٤١١/٥.

٤- . العقد الفريد ٢١٧/٤.

عظفت أم المؤمنين على معارضييه وأيدتهم، ففترت العلائق بينهما، وأول بادره بينهما كانت في أمر وساطتها لحجر. قال أبو الفرج (١).

إن عائشه بعثت عبدالرحمن بن الحرث بن هشام إلى معاويه في حجر وأصحابه فقدم عليه وقد قتلهم - إلى قوله - وكانت عائشه تقول: لولا أنا لم نغير شيئاً إلا آلت الامور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر، أما والله إن كان لمسلماً ما علمته حاجاً معتمراً.

إن أم المؤمنين تقصد بقولها: لولا أنا لم نغير شيئاً إلا آلت الامور إلى أشد مما كنا فيه: ما غيرت فيه على عثمان حتى قتل، فألت الأمور بها إلى أشد باستيلاء علي على الخلافة حيث قالت فيه: ليت السماء أُطبقت على الارض إن تم ذلك، ثم أرادت تغييره. فحاربتة، فخسرت ابن عمها طلحه، وابنه، وزوج أختها الزبير، وهي تخاف بعد هذا إن غيرت على معاويه أن يؤل الامر إلى أشد مما هي فيه، فكظمت غيظها وسكت عنه.

ومما قالت في قتل حجر:

أما والله لو علم معاويه أن عند أهل الكوفه منعه ما اجترأ على أن يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام، ولكن ابن آكله الاكباد (٢) علم أنه قد ذهب الناس، أما والله إن كانوا لجمجمه العرب عدداً، ومنعه، وفقهاً، ولله درُّ لبيد حيث يقول:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم

ص: ٣٤١

١- . الاغانى ١٠/١٦؛ والطبرى ١٩٢/٤؛ وابن الاثير ٢٠٩/٣.

٢- . تعرض في قولها هذا الى فعل هند بغزوه أحد حيث لاكت كبد حمزه عم النبي. و ((ليبد)) شاعر مخضرم نيف على المائه، وتوفى في عصر عثمان أو معاويه. راجع ترجمته في الاغانى ٢١١/١٤، وأسد الغابه ٢٦١/٤. وفي إشارة إلى تمثلها بشعره.

فى الاستيعاب وأسد الغابه: (١) أن معاويه لَمَّا قدم المدينه دخل على عائشه (رض) فكان أوّل ما قالت له فى قتل حجر، فى كلام طويل، فقال معاويه: دعينى وحجراً حتّى نلتقى عند ربّنا.

ومن الكلام الطويل الذى دار بينهما ما رواه ابن عبدالبر (٢) أيضاً حيث قال: لَمَّا حجّ معاويه جاء إلى المدينه زائراً فاستأذن على عائشه (رض) فلَمَّا قعد، قالت له: يا معاويه! أمنت أن أخبئ لك من يقتلك بأخى محمّد بن أبى بكر! فقال: بيت الامان دخلت، وقالت: يا معاويه! أما خشيت الله فى قتل حجر وأصحابه، قال: إنّما قتلهم من شهد عليهم!

وفى مسند أحمد (٣) أنّه قال فى جوابها: ما كنت لتفعليه وأنا فى بيت أمان! وقد سمعت النبى يقول: الايمان قيد الفتك. كيف أنا فى الذى بينى وبينك وفى حوائجك قالت: صالح، قال: فدعينا وإياهم حتّى نلتقى عند ربّنا عزّ وجل! انتهى.

إنّنا نعلم أنّ محمّد بن أبى بكر كان قد قتل سنه سبع وثلاثين، وحجر بعد الخمسين، فلماذا سكّنت أمّ المؤمنين كل هذه السنوات الطوال عن مطالبه معاويه بدم أخيها، حتّى إذا قُتل حجر ذكرته؟! نرى أنّ السبب فى ذلك أنّها كانت قد أوفدت الحارث من المدينه إلى الشام تشفع فى حجر، وانتشر خبر ذلك فى البلاد وفيما الناس مع أمّ المؤمنين واثقون من نجاح مسعاها، وإذا بالوفد يرجع خائباً ولم يسبق لها مثل ذلك، فعظم عليها، وغضبت على معاويه، وجابهته بقوارص الكلم، وذكّرته بدم أخيها المهذور بعد زهاء خمس عشره سنه، فلان لها معاويه، وذكّرها بما بينهما، وبسوابقه فى قضاء حوائجها،

ص: ٣٤٢

١- . بترجمه حجر.

٢- . بترجمه حجر من الاستيعاب، وتاريخ ابن كثير.

٣- . مسند أحمد ٩٢/٤.

غير أن كل ذلك لم يخفف من سوره غضبها، وبقيت حانقه عليه خاصه، وعلى بنى أميه عامه، لانّ الخلاف بينهما كان قد اتسعت شقته بعد مخالفه عبدالرحمن شقيق أم المؤمنين لبيعه يزيد، وموته الفجائي إثر هذه المخالفه.

وقد أخرج البخارى قصه مخالفته باختزال فى صحيحه(١) وقال: كان مروان والياً على الحجاز استعمله معاويه، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاويه لكى يُبايع بعد أبيه، فقال له عبدالرحمن بن أبى بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشه، فلم يقدرُوا عليه، فقال مروان: إنّ هذا الذى أنزل الله فيه: ((والذى يقول لوالديه أفّ لكما أتعداننى)) فقالت عائشه من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أنّ الله أنزل عذرى.

وروى ابن الاثير(٢) أنّ معاويه كتب إلى مروان فى بيعه يزيد، فقام مروان خطيباً فقال:

إنّ أمير المؤمنين قد اختار لكم، فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده، فقام عبدالرحمن بن أبى بكر. فقال: كذبت والله يا مروان! وكذب معاويه. ما الخيار أردتما لأمه محمّد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلّما مات هرقل قام هرقل فقال مروان: هذا الذى أنزل الله فيه ((والذى قال لوالديه أفّ لكما)) الايه، فسمعت عائشه مقالته من وراء الحجاب، فقامت من وراء الحجاب، وقالت: يا مروان! يا مروان! فأنصت الناس، وأقبل مروان بوجهه، فقالت: أنت القائل لعبدالرحمن إنّهُ نزل فيه القرآن! كذبت والله ما هو به، ولكنّه فلان ابن فلان، ولكنك فضض من لعنه الله.

وفى روايه، فقالت: كذب والله! ما هو به، ولكن رسول الله لعن أبا

ص: ٣٤٣

-
- ١- البخارى ١٢٦/٣، فى تفسير سوره الاحقاف.
 - ٢- ابن الاثير ١٩٩/٣ فى حوادث سنه ٥٦؛ وينبغى أن تكون هذه القصة بعد القصة الاولى من أمره مروان بهدم دار سعيد وبالعكس وبعد أن روض من نفوس بنى أميه على أخذ البيعه ليزيد.

مروان ومروان في صلبه، فمروان فَضَّضُ من لعنه الله عزَّ وجل (١) انتهى.

لم يتمكن مروان من أخذ البيعه ليزيد؛ فقدم معاوية الحجاز حاجاً، ودخل المدينة وكان من خبره معهم ما ذكرنا بعضه، ومن خبرهم أيضاً ما رواه ابن عبد البر (٢) حيث قال:

قعد معاوية على المنبر يدعو إلى بيعه يزيد، فكلمه الحسين بن عليّ، وابن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر، فكان كلام ابن أبي بكر: أهرقله! إذا مات كسرى كان كسرى مكانه، لا نفعل والله أبداً. وبعث إليه معاوية بمائه ألف درهم بعد أن أبيع البيعه ليزيد، فردّها عليه عبدالرحمن، وأبي أن يأخذها، وقال: أبيع ديني بدنياي؟! فخرج إلى مكّه، فمات بها قبل أن تتم البيعه ليزيد بن معاوية.

وذكر ابن عبد البر بعده وقال: إن عبدالرحمن مات فجأةً بموضع يقال له: ((الحبشي)) (٣) على نحو عشرة أميال من مكّه فدفن بها، ويقال: إنه توفّي في نومه نامها، ولما اتصل خبر موته بأخته عائشه أمّ المؤمنين (رض) ظعنّت من المدينة حاجه حتى وقفت على قبره، وكانت شقيقته، فبكت عليه وتمثلت:

وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَدِيمِهِ حَقْبِهِ

ص: ٣٤٤

١- . أخرج القصة بتفصيلها في الاغانى ٩٠/١٦-٩١، وراجع ترجمه الحكم بن أبي العاص من الاستيعاب، وأسد الغابه، والاصابه، والمستدرک ٤٨١/٤، وابن كثير ٨٩/٨، وراجع الاجابه ص ١٤١ و ترجمه عبد الرحمن في ابن عساكر ٢٢٦/٤ و ((الفضض)) القطعه من الشىء.

٢- . بترجمه عبد الرحمن من الاستيعاب ٣٩٣/٢، وأسد الغابه ٣٠٦/٣، والاصابه ٤٠٠/٢، وشذرات الذهب في حوادث سنة ٥٣ هـ، وقريب منه في المستدرک ٤٧٦/٣.

٣- . قال الحموي: الحبشي: جبل بأسفل مكه بينه وبين مكه سته أميال مات عنده عبد الرحمن فجأه، فحمل على رقاب الرجال الى مكه، فقدمت عائشه من المدينة، وأتت قبره وصلت عليه وتمثلت البيتين.

أما والله لو حضرتك لدفتك حيث مكانك، ولو حضرت ما بكيت.

وفى المستدرک: رقد فى مقيل قاله فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات فدخل نفس عائشه تهمه أن يكون صنع به شر وعجل عليه فدفن وهو حيّ.

دبّ الخلاف بين أم المؤمنين وبنى أميه من جديد، ووقع الشر، وخسرت أم المؤمنين فى هذه المعركه شقيقها عبدالرحمن؛ حيث مات ميتة مجهوله؛ بل ميتة معلومه حين مات فى طريقه إلى مكه، كما مات الاشر(1) فى طريقه إلى مصر؛ مات عبدالرحمن بن أبى بكر كما مات عبدالرحمن بن خالد، وسعد بن أبى وقاص، والحسن بن عليّ، مات هؤلاء جميعاً ليفسحوا المجال لاخذ البيعه ليزيد.

وقع الشر بين أم المؤمنين وبنى أميه من جديد، وفقدت أم المؤمنين شقيقها فى هذه المره، وليس لها من الانصار ما تستطيع أن تقيمها حرباً عواناً على بنى أميه بعد أن فقدت طلحه والزبير، ومحمد بن طلحه وبعبدالرحمن بن أبى بكر إلى آخرين؛ فتمثلت بشعر لييد:

ص: ٣٤٥

١- . الاشر هو مالك بن الحرث النخعي أدرك الرسول؛ وكان رئيس قومه، شترت عينه فى اليرموك، فلقب بالاشر وله مواقف شهيره فى الجمل وصفين مع عليّ؛ وفى سنه ثمان وثلاثين ولآه على مصر، فسدّ معاويه الى دهقان كان بالعريش - العريش كانت مدينه من أول أعمال مصر من ناحيه الشام - أن احتل بالسم للاشر، فأترك لك خراجك عشرين سنه، فلما نزل الاشر العريش سمه الدهقان فى عسل، فقال معاويه: ((لله جنود من العسل))؛ مروج الذهب ط. بيروت ١٣٩/٢، وراجع المغتالين من الاشراف ص ٣٩؛ واليعقوبى ١٣٩/٢ ط. بيروت؛ ومعجم البلدان لغه بعلبك، وشرح النهج ٢٩/٢؛ وترجمته من الاستيعاب، وأسد الغابه، والاصابه، والطبرى فى حوادث سنه ٣٨-٣٩.

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم

تقدّم السنّ بأُمّ المؤمنين، فلا- تستطيع الركوب وقطع المفاوز لاشعال نار الحرب على آل أمّيه بالسيف، فأعلنت عليهم حرب الدعايه، وبدأت بمروان أمير المدينه الغشوم، فجابته بما ورد عن الرسول في أبيه، من لعنه أباه، وهو في صلبه، وأنّه فضّض من لعنه الله، ونرى أنّها لم تكتف بذكر الحديث في ذمّ بنى أمّيه حسب، وأنّما أخذت تحدّث في هذا الدور بما سمعته عن رسول الله في فضل عليّ وفاطمه وأمّها خديجه، إرغاماً لبنى أمّيه عامّه، ولمعاويه خاصّه، فإنّه لم يكن أشدّ على معاويه من نشر فضائل علي وفاطمه. وخاصّه لمكان الحسين بين المسلمين، فقد كان يومذاك المرشّح الأوّل للخلافه الاسلاميه، إذن فما ورد من الحديث النزر اليسير عن أمّ المؤمنين في فضل عليّ وفاطمه وأمّها خديجه ينبغي أن يكون ذلك كلّه في هذا الدور.

ومن المظنون أن أغلب ما روى عنها من الندم على موقفها يوم الجمل كان بدوّه من هذا الوقت؛ ثمّ بقيت على ذلك الى آخر أيّامها.

ندمها من يوم الجمل:

روى الطبرى (١) عن أبي جندب أنّه قال: دخلت على عائشه (رض) بالمدينه، فقالت: من أنت؟

قلت: رجل من الازد أسكن الكوفه.

قالت: أشهدتّنا يوم الجمل؟

قلت: نعم.

قالت: لنا أم علينا؟

ص: ٣٤٦

قلت: عليكم.

قالت: أفتعرف الذى يقول: يا أمنا يا خير أم نعلم!

قلت: نعم، ذاك ابن عمى فبكت حتى ظننت أنها لا تسكت. وروى ابن الاثير (١) وقال: ذكر لعائشه يوم الجمل، فقالت: والناس يقولون يوم الجمل؟! قالوا لها: نعم. فقالت: وددت أنى لو كنت جلست كما جلس صواحبي وكان أحب إلي من أن أكون ولدت من رسول الله بضع عشره كلهم مثل عبدالرحمن ابن الحارث بن هشام، أو مثل عبدالله بن الزبير.

وروى مسروق (٢) وقال: كانت عائشه (رض) إذا قرأت: (وقرن فى بيوتكن) بكت حتى تبلّ خمارها.

وأخرج ابن سعد (٣) فى طبقاته: أن ابن عباس دخل على عائشه قبل موتها فأثنى عليها: فلما خرج، قالت: لابن الزبير. أثنى على عبدالله بن العباس ولم أكن أحب أن أسمع أحداً اليوم يثنى على. لوددت أنى كنت نسياً منسياً - أى حيضه - إنتهى.

وفى بلاغات النساء: (٤) أن عائشه لما احتضرت جزعت فقبل لها: أتجزعين؟ يا أم المؤمنين! وابنه أبى بكر الصديق؟ فقالت: إن يوم الجمل لمعترض فى حلقى. ليتنى مت قبله، أو كنت نسياً منسياً.

وروى ابن سعد أيضاً: أن عائشه قالت: والله لوددت أنى كنت شجره،

ص: ٣٤٧

١- . بترجمه عبد الرحمن من أسد الغابه ٢٨٤/٣، وطبقات ابن سعد ١/٥. وفى فتوح ابن أعثم ٣٤١/٢-٣٤٢ قالت: ((مثل ولد عبد الرحمن بن الحارث)) فى روايه: ((ولو لم أشهد الجمل لكان أحب ألى من أن يكون لى من رسول الله (ص) مثل ولد عبد الرحمن بن الحارث فإنه كان له عشره أولاد ذكور كل يركب)).

٢- . ابن سعد فى طبقاته ٥٦/٨ ط. أوربا؛ وفى تفسير الايه من الدر المنثور.

٣- . طبقات ابن سعد ٥١/٨؛ والبخارى ١١/٣ فى تفسير النور؛ وحليه الاولياء ٤٥/٢ بترجمه عائشه، وهو الذى فسر ((نسياً منسياً)) بالحيضه، وتفصيله فى مسند أحمد ٢٧٦/١ و ٣٤٩.

٤- . بلاغات النساء ص ٨، وفى تذكره الخواص ص ٤٦ بتفصيل أوفى.

والله لوددت أنى كنت مدّره؛ والله لوددت أن الله لم يكن خلقنى.

وروى أيضاً أن عائشه قالت عند وفاتها: إنى قد أحدثت بعد رسول الله، فادفونى مع أزواج النبى (ص) قال الذهبى (1) تعنى بالحديث مسيرها يوم الجمل. وروى الذهبى وقال: وتوفيت فى الليله السابعه عشره من شهر رمضان بعد الوتر سنه ثمان وخمسين، فأمرت أن تدفن من ليلتها، فاجتمع الانصار وحضروا، فلم تر ليله أكثر ناساً منها، وحمل معها جريد بالخرق، وقال الراوى: رأيت النساء بالبقيع كأنه عيد، وصلّى عليها أبو هريره، وكان خليفه مروان.

وكان مده عمرها ثلاثاً وستين سنه، وأشهرأ. (2)

لقد تتبّعنا حياه أمّ المؤمنين عائشه منذ أيامها الأولى فى بيت الرسول حتّى آخر ساعات حياتها فى عصر معاويه، ودرسنا نواحي شخصيتها الفدّه فى كل مكان؛ وبقي بعض مزاياها اللّاتى سنستعرضها فيما يلى.

جودها:

أخرج أبو نعيم عن عبدالرحمن بن القاسم - ابن اخيها محمّد - قال: أهدى لها سلال من عنب، فقسيّمته، ورفعت الجاربه سلّه، ولم تعلم بها عائشه (رض): فلمّا كان الليل جاءت به الجاربه، فقالت عائشه (رض): ماهذا قالت: يا سيّدتى! - أو يا أمّ المؤمنين! - رفعت لناكله، قالت عائشه (رض): أفلا عنقوداً واحداً والله لا أكلت منه شيئاً.

وعن أمّ ذرّه - وكانت تغشى عائشه - قالت: بُعث إليها بمال فى غرارتين، (3) قالت: أراه ثمانين أو مائه ألف، فدعت بطبق وهى يومئذ

ص: ٣٤٨

١- . النبلاء ١٣٤/٢-١٣٥، والمستدرک ٤/٦ والمعارف ص ٥٩.

٢- . النبلاء ١٣٦/٢.

٣- . ((الغراره)) بكسر أوله: الجولق.

صائمه، فجلست تقسم بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست، قالت: يا جاريه! هَلِّمِي فطري؛ فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذره: أما استطعت مِمَّا قسمت اليوم أن تشتري لنا لحماً بدرهم نفطر عليه؟! قالت: لا تعنّيني، لو كنت ذكّرتيني لفعلت. (١)

وعن عروه - ابن أختها - قال: لقد رأيت عائشه (رض) تقسم سبعين ألفاً وإنها لترقع جيب درعها.

وصعب على ابن الزبير السكوت عن كل هذا، فقد حدّث أبو نعيم وغيره وقالوا: إن عائشه باعت رباعها، فقال ابن الزبير: لاجرّ عليها، فقالت عائشه (رض): لله عليّ ألا أكلم ابن الزبير حتّى أفارق الدنيا، فطالت هجرتها، فاستشفع ابن الزبير بكلّ أحد، فأبت أن تكلمه؛ فقالت: والله لا آثمّ فيه أبداً، فلما طالت هجرتها جاء مع المسور بن مخرمه، وعبدالرحمن بن الاسود إلى باب عائشه وقد شملاه بأرديتهما فاستأذنا عليها أن يدخلنا ومن معهما، فأذنت، فدخلوا عليها، فأعتنقها ابن الزبير، فبكى وبكت عائشه (رض) بكاء كثيراً؛ وناشدها ابن الزبير الله والرحم، فلما أكثروا عليها كلمته، ثمّ بعثت إلى اليمن، فابتاع لها اربعين (كذا) رقبه. (٢)

هذه بعض القصص عن جودها، ومّر ذكر بعضها الاخر في باب رعايه معاويه إيّاها في المال.

صلتها للرحم:

كانت أمّ المؤمنين وصولاً للرحم، حانية على أقربائها، وبهذا الخلق

ص: ٣٤٩

١- . وفي النبلاء ١٣١/٢: أن عبد الله بن الزبير كان قد بعث ذلك اليها؛ وإنا نرى ذلك بعيداً عن خلق ابن الزبير.

٢- . أخرج أحاديث جودها جميعاً أبو نعيم في حليته ٤٧/٢-٤٩، وسير النبلاء للذهبي ١٢٩/٢.

الكريم بلغت الذروه، بل تجاوزت الحدود المعروفه فيه، وكانت نقيمتها على مناوئهم من آثار شفقتها عليهم، وفيما سبق ذكره من ترجمتها لا-كثر من دليل على ذلك، ومن أجلي مظاهر حنوها على أقربائها قصيتها مع أخيها محمّد بن أبي بكر، فإنهما بعد أن اشتركا في الاجهاز على عثمان، اختلفا بعده، فدخل محمّد تحت رايه على، وجرد السيف في وجهها، وحاربها في البصره، حتّى إذا انتهت المعركه أمره على أن يتعاهد أخته. فلمّا أدخل رأسه إليها، قالت: من أنت ويلك؟! قال: أبغض أهلك إليك! قالت: ابن الخثعميه؟ قال: نعم، قالت: الحمد لله الذي عافاك. (١)

ثمّ قتل محمّد هذا في مصر، وأدخل رأسه في جيفه حمار، وأحرق، وبلغ ذلك عائشه، فبكت بكاء شديداً.

ولمّا بلغ أمّ حبيبته أخت معاويه بن أبي سفيان قتل محمّد وتحريقه شوت كبشاً، وبعثت به إلى عائشه تشفياً بقتل محمّد بطلب دم عثمان، فقالت عائشه:

قاتل الله ابنه العاهره، والله لا أكلت شواء أبداً، ثمّ ضمت عياله إليها. (٢)

قال القاسم بن محمّد بن أبي بكر: لمّا قتل معاويه بن خديج الكندي، وعمرو بن العاص أبي بمصر، جاء عمّي عبدالرحمن بن أبي بكر، فاحتملني، وأختاً لي من مصر، فقدم بنا المدينه، فبعثت إلينا عائشه، فاحتملتنا من منزل عبدالرحمن إليها، فما رأيت والده قطّ، ولا-والداً أبّر منها، فلم نزل في حجرها على فخذها، ثمّ بعثت إلى عمّي عبدالرحمن، فلمّا دخل عليها، قالت له بعد حمد الله والثناء عليه: يا أخي! إنّي لم أزل أراك معرضاً عنّي منذ قبضت هذين الصبيّين منك، والله ما قبضتهما تطاولاً عليك، ولا تهمة لك فيهما، ولا لشيء

ص: ٣٥٠

١- راجع قبله ص ١٨٠.

٢- تذكره خواص الامه في ذكره حرب الخوارج ط. النجف ١١٤؛ وفي التمهيد والبيان ص ٢٠٩، ذكر امتناعها عن أكل الشواء.

تكرهه، ولكنك كنت رجلاً ذا نساء، وكانا صبيين لا يكفیان من أنفسهما شيئاً، فخشيت أن ترى نساؤك منهما ما يتقدرن به من قبيح أمر الصبيان، فكنت ألطف لذلك، وأحقّ لولايتيه، أما الآن، فقد قويا على أنفسهما وشبّبا، وعرفا ما يأتيان، فها هما هذان، فضمّهما إليك، وكن لهما كحجّيه بن المضرب أخى كنده، ثمّ ذكرت له: أن الحجّيه كان له أخ مات، وترك صغاراً، فكان عمّهم يؤثرهم على بنيه، ثمّ عرض له سفر، فأوصى بهم امرأته، فغاب أشهراً، ثمّ رجع، فرأى الصبيان قد ساءت حالهم، فقال لامرأته: ويلك! مالي أرى بنى أخى مهازيل، وبنى سماناً؟! قالت: قد كنت أوسى بيهم ولكنهم كانوا يعثون ويلعبون، ثمّ خلا بالصبيان وسألهم فقالوا: كانت سيئه معنا، ما كانت تعطينا من القوت إلاّ قدحاً صغيراً من اللبن، فغضب وقال لراعيي إبله لما أراحا عليه: إذهبا فأنتما وابلكما لبنى أخى. (١)

إن أمّ المؤمنين بكت أخواها القتيل محمّداً، ولم تنسه مدى حياتها؛ ورعت حقّه إذ انتزعت صغيريه من بيت عمّهما خشيه تقدّر نسائه منهما. وربّتهما فى كنفها كالأمّ الحنون، حتّى إذا اشتدّت سواعدهما، وأن أن يُرجى منهما الخير دفعتهما إلى عمّهما بعد أن أوصته أن يكون لهما كحجّيه بن المضرب حين آثر بنى أخيه على بنيه، وبذلك رعت حقّ الحى بعد الميّت، وحفظت حقوق الصغار من الضياع.

ومن آثار شفقتها على ذوى قرباها إعطاؤها عشره آلاف لمن بشرها بحياه ابن الزبير إذ التقى مع الاشرى فى حرب الجمل. (٢)

هذه إلى كثير من نظائرها فى حياه أمّ المؤمنين تكشف عن مدى حذبها على أقربائها ورعايتها لهم.

ص: ٣٥١

١- . أوردتها ملخصه من الاغانى ٩/٢١-١٠ فى أخبار حجيه بن المضرب. ونسبه فى الاشتقاق ص ٣٧١.

٢- . العقد الفريد ١٠٢/٣ ط. الجماليه فى ذكره حرب الجمل.

لابد للشخصيات المؤثرة في نفوس البشر، والموجهة إياهم من بصر بمواقع الكلام، وبلاغه في القول، وجزاله في الاسلوب، وقد أتيت أم المؤمنين حظاً وافراً من كل ذلك.

قال معاوية بعد انصرافه من بيتها، وكان متكئاً على يد مولاها ذكوان: والله ما سمعت قط أبلغ من عائشه ليس رسول الله (ص). (١)

وقال الاحنف بقيس: سمعت خطبه أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء بعدهم، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسن منه من فم عائشه. (٢)

وسأل معاوية زياداً يوماً: أي الناس أبلغ؟ فقال له: ((أنت يا أمير المؤمنين))، فقال له: ((أعزم عليك))، فقال له: ((حيث عزمت علي فأبلغ الناس عائشه))، فقال معاوية: ((ما فتحت باباً قط تريد أن تبلغه إلا أغلقه، ولا أغلقت باباً تريد أن تفتحه إلا فتحت)). (٣)

وفيما مرّ علينا من محاورات أم المؤمنين مع أم سلمه وأبي الاسود الدئلي، وكتبها، وخطبها في حرب البصره وغيرها (٤) دلائل على صدق قول معاوية.

وكانت كثيراً ما تتمثل في كلامها بأشعار لبيد وغيره. وقد حدثت هي نفسها وقالت: رويت للبيد نحواً من ألف بيت. (٥)

وقالوا: ربما روت عائشه القصيده ستين بيتاً أو أكثر. (٦)

وذلك بما وهبها الله من ذاكره قويه، وإليها كانت تعزو علمها بالطب، قال عروه: ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشه (رض)، فقلت: يا خاله!

ص: ٣٥٢

١- . النبلاء ٢/٢٢٩.

٢- . النبلاء ٢/١٣٤.

٣- . تهذيب ابن عساكر ٥/٤١٧.

٤- . راجع قبله ص ١٣٨، و ١٤٠-١٤٢، و ١٤٧، و ١٤٨، و ١٥٦، و ١٥٧.

٥- . النبلاء ٢/١٣٨.

٦- . النبلاء ٢/١٣٦.

مَنْ تَعَلَّمَتِ الطَّبَّ؟ قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَنْعَتُ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ فَأَحْفَظُهُ، (١) وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْمُصْحَفَ وَلَا تَكْتُبُ. (٢)

ما كانت تلبس من الزينه:

لم تنس أم المؤمنين قول الله تعالى: (قل من حرم زينه الله التي أخرج لعباده) (الاعراف / ٣٢) وكانت تلبس ما رواه ابن سعد عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال:

كانت تلبس المعصفرات، والخواتم من ذهب. و ((المعصفر)) : المصبغ باللون الاصفر.

وعن شميمه أنها دخلت على عائشه، وعليها ثياب من هذه السيد الصفاق (٣) ودرع، وخمار، ونقبه. (٤)

وعن عروه: كان لعائشه كساء خز تلبسه، فكسته عبدالله بن الزبير، وفي روايه: مطرف خز. والمطرف رداء من خز ذو أعلام.

وأن محمد بن الاشعث أهدى إليها فرواً فكانت تلبسه في البرد.

وعن أمينه: رأيت على عائشه ملحفه مؤرسه، (٥) وخماراً جيشانياً إلى السواد ما هو. (٦)

وعن معاذه العدويّه قالت: رأيت على عائشه ملحفه صفراء. (٧)

ص: ٣٥٣

١- . النبلاء ١٢٨/٢.

٢- . فتوح البلدان ص ٤٧٢.

٣- . السيد الصفاق: لم أجد في معاجم اللغة تفسيراً يناسب الكلمتين.

٤- . ((الدرع)): قميص المرأه، و ((الخمار)): ما تغطى به المرأه رأسها، و ((نقبه)): ما تغطى بها وجهها.

٥- . ((الملحفه)): اللباس فوق سواه، و ((المؤرسه)): من الثياب: المصبغ بالورس، وهو صبغ تتخذ منه الحمرة للوجه.

٦- . الروايات الى هنا من طبقات ابن سعد ٧٣-٦٩/٨ بترجمه عائشه.

٧- . بترجمتها من النبلاء للذهبي ١٣٢/٢؛ وفي الطبقات ملحفاً معصفراً.

وعن بكره بنت عقبه أنها دخلت على عائشه وهي جالسه في معصفرةه. (١)

وعن أبي مليكه: رأيت عليها درعاً مُصْرَجاً، فقيل له: وما المُصْرَجُ، قال: هذا الذي تسمونه بالمورد. (٢)

وعن القاسم: كانت عائشه تحرم في الدرع المعصفرة. وأنها كانت تلبس الاحمرين الذهب والمعصفرة، وهي محرمه. (٣)

وعن عبدالرحمن بن القاسم عن أمه أنها قالت: رأيت على عائشه ثياباً حُمْراً كأنه الشرر وهي محرمه. (٤)

وعن عطاء قال: كنت آتى عائشه أنا وعبيده بن عمير، وهي مجاوره في جوف ثبير (٥) في قبه لها عليها غشاؤها، وقد رأيت عليها وأنا صبى درعاً معصفراً.

وقال البخارى: ولبست عائشه الثياب المعصفرة وهي محرمه. (٦)

رأيها في رضاع الكبير:

كانت أم المؤمنين عائشه على أثر إرجاع الخلفاء إليها في السنن منذ عهد الخليفين حتى عصر معاويه - عدا على بن أبي طالب - أكثر أمهات المؤمنين حازه لملاقاه المستفتين. كما أنها اشتركت في حوادث سياسيه عنيفه مما لم نعهد

ص: ٣٥٤

١- . بترجمتها من طبقات ابن سعد، والنبلاء للذهبي.

٢- . بترجمتها في المصدرين السابقين.

٣- . بترجمتها في المصدرين السابقين.

٤- . في الطبقات.

٥- . قلت وما حجابها؟ قال: هي في قبه تركيه لها غشاء وما بيننا غير ذلك ورأيت عليها درعا مورداً.

٦- . صحيح البخارى (١/١٩٥) باب طواف النساء من كتاب الحج، وبتريمتها في النبلاء و ((ثبير)): جبل بأسفل مكه واللفظ للاول.

لغيرها من أمهات المؤمنين أن يشتركن في نظائرها. ففعل هذا وذاك كان الباعث لها أن تتأول في حديث رضاع سالم مولى أبي حذيفة خلافاً لسائر أمهات المؤمنين. وحديث رضاع سالم في مسند أحمد (١) كما يلي:

عن عائشه قالت: أتت سهله بنت سهيل بن عمرو، - وكانت تحت أبي حذيفة بن عتبة - رسول الله (ص)، فقالت: إن سالمًا مولى أبي حذيفة يدخل علينا، وأنا فضل، (٢) وإنا كنا نراه ولدًا، وكان أبو حذيفة تبناه كما تبني رسول الله (ص) زيدًا، فأنزل الله: (أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله)، فأمرها رسول الله (ص) عند ذلك أن ترضع سالمًا، فأرضعته خمس رضعات، وكان بمنزله ولدها من الرضاعة، فبذلك كانت تأمر أخواتها وبنات أخواتها أن يرضعن من أحببت عائشه أن يراها، ويدخل عليها، وإن كان كبيرًا؛ بخمس رضعات، ثم يدخل عليها، وأبت أم سلمه وسائر أزواج النبي (ص) أن يدخلن عليهن بتلك الرضاعة أحدًا من الناس حتى يرضع في المهد، وقلن لعائشه: والله ما ندرى لعلها كانت رخصه من رسول الله لسالم دون الناس.

وقد ورد في صحيح مسلم تفصيل هذه القصة في سته أحاديث (٣) وآخرها في لفظ مسلم:

وقلن لعائشه: والله ما نرى هذا إلا رخصه أرخصها رسول الله (ص) لسالم خاصه فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائيها.

ص: ٣٥٥

- ١- . مسند أحمد ٢٧٠/٦-٢٧١ وراجع الموطأ كتاب الرضاع ١١٥/٢. وكتاب الرضاع من مختصر كتاب الأم للمزني ص ٤٤٥-٤٤٦، الطبعة الثانية، دار المعرفه ١٣٩٢-١٩٧٣.
- ٢- . مرأه فضل: أي في ثوب واحد.
- ٣- . صحيح مسلم باب رضاعه الكبير ١٦٨/٤-١٧٠؛ وفي سنن النسائي في آخر باب رضاع الكبير من كتاب النكاح ٨٤/٢ فلا يدخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا يرانا، وفي طبقات ابن سعد ٢٧٠/٨-٢٧١ بترجمه سهله وفي روايته: أبي أزواج النبي (ص) أن يأخذن بهذا؛ وقلن: إنما هذه رخصه من رسول الله (ص) لسهله؛ وفي ترجمه سالم ٨٧/٣ من الطبقات قريب منه.

ويظهر ممّا ذكره الشافعي في باب الرضاع من كتاب الأم: أنّ أمّ المؤمنين حفصه تابعت أمّ المؤمنين عائشه في اجتهادها وفتواها.

وكان سالم بن عبدالله بن عمر من أولئك، فقد ذكر ابن سعد(١) أنّ أمّ المؤمنين عائشه أرسلته إلى أمّ كلثوم زوج عبدالله بن ربيعه لترضعه ليدخل عليها، ويسمع منها... الحديث.

ونرى أنّ الحديث الاتي يؤيد رأي أم سلمه، وسائر أزواج النبي في حديث الرضاع:

في صحيح مسلم(٢) عن مسروق قال: قالت عائشه: دخل عليّ رسول الله (ص) وعندي رجل قاعد، فاشتدّ ذلك عليه، ورأيت الغضب في وجهه قالت: فقلت يا رسول الله! إنه أخي من الرضاعه، قالت: فقال أنظرن إختكنّ من الرضاعه فإنّما الرضاعه من المجمعه.

وقال النووي في شرحه: قوله عليه السلام: ((أنظرن إختكنّ)) أي تأملن وتفكرن ما وقع من ذلك! هل هو رضاع صحيح بشرطه من وقوعه في زمن الرضاعه؟ فإنّما الرضاعه من المجمعه. وهو علّه لوجوب النظر والتأمل، و ((المجمعه)) مفعله من الجوع يعنى أنّ الرضاعه التي تثبت بها الحرمة، وتحلّ بها الخلوّه، هي حيث يكون الرضيع طفلاً يسدّ اللبن جوعته، ولا يحتاج إلى طعام آخر، والكبير لا- يسدّ جوعته إلا- الخبز، فليس كل مرتضع لبن أمّ أخاً لولدها، وفي سنن الترمذى: ((لا- يحرم من الرضاع إلا ما فتق الامعاء)) أي ما وقع من الصبى موقع الغذاء، بأن يكون في مدّه الرضاع وهي معروفه في الفقه على خلاف فيها....(٣)

ص: ٣٥٦

- ١- . طبقات ابن سعد ٤٦٢/٨؛ بترجمه أمّ كلثوم بنت أبي بكر؛ وترجمه سهله زوجته أبي حذيفه ص ٢٧١ منه.
- ٢- . صحيح مسلم ١٧٠/٤، وقد أورد الحديث هذا بعده بطرق اخرى عن غير طريق أم سلمه أيضاً.
- ٣- . أوردنا هذا من شرح النووى المطبوع بهامش صحيح مسلم ١٧٠/٤.

والروايه هذه فى سنن الترمذى (١) عن أم سلمه، وتتمه الروايه هكذا: ((إلّا ما فتق فى الامعاء فى الثدى وكان قبل الفطام)).

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبى (ص)، وغيرهم أن الرضاعه لا تحرم إلّا ما كان دون الحولين، وما كان بعد الحولين الكاملين، فإنّه لا يحرم شيئاً. انتهى.

كانت الاحاديث الماضيه تخالف فتوى أمّ المؤمنين عائشه (رض) فى رضاع الكبير، ولا يقوم لهذه الاحاديث ما روت هى عن رسول الله (ص) بأنّه امر سهله ان ترضع سالما ويدخل عليها سالم بذلك الرضاع، وخاصّه بعد مخالفه سائر زوجات الرسول إياها فى هذا الحكم، فكان خير علاج لهذه المشكله وجود آيه من القرآن تؤيد فتواها كما ورد حديث بذلك فى مسند أحمد (٢٦٩/٦) وسنن ابن ماجه الحديث المرقم ١٩٤٤ من كتاب النكاح (٦٢٥/١) وهذا نص الحديث:

عن عائشه، قالت:

لقد نزلت آيه الرّجم ورضاعه الكبير عشرا ولقد كان فى صحيفه تحت سريرى فلما مات رسول الله (ص) وتشاغلنا بموته، دخل داجن فأكله.

وكانت أمّ المؤمنين عائشه (رض) تفتى بكفايه خمس رضعات. (٢) وروى عنها فى ذلك مسلم فى صحيحه والدارمى فى سننه ومالك فى موطنه واللفظ للاول وهذا نص الحديث:

عن عائشه قالت:

((كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثمّ نسخن بخمس معلومات)).

ص: ٣٥٧

١- ط. المصرىه الأولى ٩٦/٥-٩٧ و ((أبو عيسى)) هو الترمذى صاحب السنن.

٢- راجع شرح النووى لمسلم ٢٩/١٠، وفتح البارى ٤٩/١١، والدارمى ١٥٧/٢، وموطأ مالك ١١٨/٢، وباب فى الرضاع من كتاب الأمّ للشافعى ص ٢٢٤.

كانت أم المؤمنين عائشه: تفتى بأن الرجل الكبير إذا أرضعته امرأه خمس رضعات تنتشر الحرمة بينه وبين المرضع ونسائها وتعمل بفتواها وترسل الرجل الذي ((أحببت أن يراها ويدخل عليها)) الى أخواتها وبنات أخيها فيرضعن كذلك ويدخل عليها بتلك الرضاعه، وكان سالم بن عبدالله من أولئك، فقد بعثته الى أختها أم كلثوم فأرضعته. وقالت في جواب إنكار أزواج الرسول عليها: إن الرسول أمر سهله زوجته أبي حذيفه أن ترضع مولاهم سالماً الذي كان متبناهم قبل ذلك أن ترضعه خمس رضعات ويدخل عليها بذلك، وأبت أزواج الرسول أن يدخل عليهم أحد حتى يرضع في المهد، وقلن لعائشه: لعلها كانت رخصه لسالم دون الناس، وكانت الاحاديث تؤيد رأيهن وعلاجاً لهذه القاله روى عنها في الصحاح والمسانيد أن هذا الحكم كان قد أنزل في القرآن الكريم هكذا.

((عشر رضعات يحرمن)) ثم نسخن ب - ((خمس معلومات)).

وجواباً للسؤال عن سبب فقدان الايه المزبوره روى - عنها أيضاً - : لقد أنزلت آيه الرجم و (رضاعه الكبير عشراً) ولقد كان في صحيفه تحت سريري فلما مات رسول الله (ص) وتشاغلنا بموته، دخل داجن فأكله. (1)

ص: ٣٥٨

١- . نوكد هاهنا اننا نحاكم هذه الاحاديث الوارده في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، أما أم المؤمنين عائشه (رض) فلها بعد حرمتها الاولى.

إشاره

اجتهدت أم المؤمنين عائشه وقالت كان في ما أنزل من القرآن ((عشر رضعات معلومات يحرم من)) ثم نسخن ب - ((خمس معلومات)) وانتج اجتهادها المذكور نتيجتين:

أولاً - في علوم القرآن

أوجد روايتها السابقه القول بوجود نسخ التلاوه ونسخ الحكم معاً، أى أن الله أنزل على رسوله آيه في حكم وبلغها الرسول (ص) الى المسلمين وتلاها المسلمون ثم نسخ الله لفظ ذلك الحكم الذى شرعه في الايه بحكم آخر في آيه أخرى ثم نسخ الله لفظ تلك الايه مع نسخ حكمها، واستشهدوا على ذلك بروايه أم المؤمنين عائشه الانفه كما قال الزركشى:

الثالث: نسخهما - لفظ الايه وحكمها - جميعاً، فلا تجوز قراءته ولا العمل به، كآيه التحريم بعشر رضعات فنسخن بخمس، قالت عائشه، كان مما أنزل عشر رضعات معلومات، فنسخن بخمس معلومات، فتوفى رسول الله (ص) وهى ممّا يقرأ من القرآن. رواه مسلم.

وقد تكلموا فى قولها: ((وهى ممّا يقرأ)) فإن ظاهره بقاء التلاوه؛ وليس كذلك، فمنهم من أجاب بأن المراد قارب الوفاه، والظاهر أن التلاوه نسخت أيضاً ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاه رسول الله (ص) فتوفى وبعض الناس يقرأوها. (1)

ثانياً - فى علوم أحكام الاسلام:

إشاره

واستناداً إلى حديثها الانف الذكر وأمرها اخواتها وبنات أخواتها أن يرضعن من أحببت عائشه أن يراها ويدخل عليها خمس رضعات ثم يدخل عليها، أفتى بعض العلماء بانتشار الحرمة بين المرضع والمرضعه بخمس

ص: ٣٥٩

رضعات كما قال ابن قدامه فى بيان عدد الرضعات:

عن عائشه انها قالت: أنزل فى القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من. فنسخ من ذلك خمس وصار الى خمس رضعات معلومات يحرم من فتوفى رسول الله (ص) والامر على ذلك، رواه مسلم. (١)

وقال ابن رشد فى بدايه المجتهد:

واتفقوا على أن الرضاع بالجملة يحرم منه ما يحرم من النسب: أعنى أن المرضعه تنزل منزله الام، فتحرم على المرضع هى وكل من يحرم على الابن من قبل أم النسب. واختلفوا من ذلك فى مسائل كثيره القواعد منها تسع: إحداها: فى المقدار المحرّم من اللبن. والثانيه: فى سن الرضاع، والثالثه: فى حال المرضع فى ذلك الوقت عند من يشترط للرضاع المحرم وقتاً خاصاً. والرابعه: هل يعتبر فيه وصوله برضاع والتقام الثدي أو لا يعتبر....

(المسأله الاولى): أما ما مقدار المحرّم من اللبن، فان قوماً قالوا فيه بعدم التحديد... وقالت طائفه: بتحديد القدر المحرم، وهؤلاء انقسموا ثلاث فرق فقالت طائفه: لاتحرم المصّه ولا المصّيتان. وقالت طائفه: المحرّم خمس رضعات، وبه قال الشافعى، وقالت طائفه: عشر رضعات. والسبب فى اختلافهم فى هذه المسأله معارضه عموم الكتاب للاحاديث الوارده فى التحديد ومعارضه الاحاديث فى ذلك بعضها بعضاً.

أحدهما حديث عائشه وما فى معناه أنه قال عليه الصلاه والسلام: ((لاتحرم المصّه ولا المصّيتان أو الرضعه والرضعتان)) خرجه مسلم من طريق عائشه ومن طريق أم الفضل ومن طريق ثالث، وفيه قال: قال رسول الله (ص): ((لا- تحرم الاملاجه ولا الاملاجتان)) وحديث سهله فى سالم أنه قال لها النبى (ص): ((أرضعيه خمس رضعات))، وحديث عائشه فى هذا المعنى أيضاً، قالت: ((كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات ثمّ نسخن بخمس

ص: ٣٦٠

١- . المغنى والشرح الكبير، كتاب الرضاع، ١٩٣/٩، بيروت ١٣٩٢ هجرى.

معلومات، فتوفى رسول الله (ص) وهنّ ممّا يقرأ من القرآن)).(١)

هكذا أشغل هذا الحديث أذهان علماء مدرسه الخلفاء أكثر من ألف سنه بدءاً بمولفى كتب الصحاح والسنن وفقهاء المذاهب وعلماء علوم القرآن، ولم يفكر أحدهم كيف انحصرت روايه نزول آيه من القرآن بأمر المؤمنين عائشه وحدها وكيف لم يحفظ الله هذا القرآن من ((داجن فأكله)) وزال من العالم؟! وهو القائل (إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون).

وإنّ أمثال هذا الحديث من أم المؤمنين عائشه وآخرين من الصحابه دعانا للقيام بأمثال هذه الدراسات فى سبيل تمحيص سنه الرسول (ص).

نوادير وطرائف:

لم تكن أم المؤمنين بالمتقشفه فى حياتها بل كانت تحبّ الظرافه، والظرفاء؛ وممّا رووا عنها فى ذلك ما ذكره ابن عبد ربّه (٢) قال:

كان فى المدينه فى الصدر الاوّل مُعَنَّ يُقال له: قند، وهو مولى سعد بن أبى وقاص، وكانت عائشه تستظرفه، فضربه سعد، فحلفت عائشه لا تكلمه حتّى يرضى عنه قند. فدخل عليه سعد، وهو وجع من ضربه، فاسترضاه فرضى عنه، وكلمته عائشه.

ومن ظرفها ما رواه ابن عبد ربّه فى العقد الفريد(٣) وقال:

دخل الحسن بن علىّ على معاويه، وعنده ابن الزبير، وأبو سعيد بن عقيل ابن أبى طالب، فلما جلس الحسن، قال معاويه: يا أبا محمّد! أيهما كان أكبر: علىّ أم الزبير؟ قال: ما أقرب بينهما، علىّ كان أسنّ من الزبير، فقال

ص: ٣٦١

١- . بدايه المجتهد (ت: ٥٩٥هـ) كتاب النكاح، الفصل الثالث فى مانع الرضاع، ط. القاهره ٣٨/٢-٣٩.

٢- . العقد الفريد ٣٤/٦.

٣- . العقد الفريد ١٤/٤-١٥، وشرح النهج ٧/٣، قال: روى أبو عثمان.

ابن الزبير: ورحم الله الزبير، فتبسّم الحسن، فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب: دع عنك عليّاً والزبير إن عليّاً دعا إلى أمر فأتبع، وكان فيه رأساً، ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأس امرأه، فلمّا ترأت الفتان، والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه، وأدبر منهزماً قبل أن يظهر الحقّ فيأخذه، أو يدحض الباطل فيتركه، فأدركه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان أصغر من شبره، فضرب عنقه، وأخذ سلبه، وجاء برأسه، ومضى عليّ قُدماً كعادته مع ابن عمّه ونبيّه (ص)، فرحم الله عليّاً ولا رحم الزبير، فقال ابن الزبير: أما والله لو أنّ غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد! لعلم، قال: إن الذي تعرض به يرغب عنك. وأُخبرت عائشه بمقاتلتهما، فمرّ أبو سعيد بفنائها، فنادته يا أحول! يا خبيث! أنت القائل لابن أُختي كذا وكذا! فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئاً، فقال: إن الشيطان ليراك من حيث لا تراه، فضحكت عائشه، وقالت: لله أبوك! ما أخبث لسانك!

في هذه القصّه أراد معاويه أن يُغري بين الحسن وابن الزبير، كما كان يفعل أبداً مع سرورات قريش من إغراء بعضهم على بعض، وأصاب كيده هنا مقتل ابن الزبير، وسلم منه الحسن لادراكه مرمى معاويه من وراء سُؤاله، أمّا أمّ المؤمنين، فكانت كعادتها أبداً متحفّزه. للدفاع عن ذوى قرباها، ومهاجمه مناوئهم.

ومن نوادر حديثها أيضاً ما في مسند أحمد (1) قال: جاء عمّار ومعه الاشرى يستأذن على عائشه، قال: يا أمّه! فقالت: لست لك بأُمّ! قال: بلى، وإن كرهت، قالت: من هذا معك؟ قال: هذا الاشرى، قالت: أنت الذي أردت قتل ابن أُختي؟ قال: قد أردت قتله، وأراد قتلي، قالت أمّا لو قتلت ما أفلحت أبداً! سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يُحلّ دم امرئ مسلم إلاّ إحدى ثلاثه: رجل قتل فقتل، أو زنى بعدما أُحصن، أو رجل ارتدّ بعد إسلامه.

ص: ٣٦٢

إنتهى.

رضى الله عنك يا أم المؤمنين! أفلا قلت ذلك لابن اختك عبدالله حيث حاول قتل الاشتهر، ثم أكان الامر منحصرًا بابن اختك؟
فما بال سائر المسلمين الذين قُتلوا في تلك المعركة الرهيبة؟

ومنها ما رواه ابن عبد ربّه (١) قال: دخلت أم أوفى العبدية على عائشه بعد وقعه الجمل، فقالت لها: يا أم المؤمنين! ما تقولين في امرأه قتلت ابناً لها صغيراً؟ قالت: وجبت لها النار، قالت: فما تقولين في امرأه قتلت من أولادها الاكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد؟ قالت: خذوا بيد عدوّه الله. انتهى.

كانت هذه المرأه قاسيه مع أم المؤمنين فإنها وإن كانت من عبد القيس وقد قتل من رجالها أمثال حكيم بن جبله المئات مع علي غير أنه لم يكن لها أن تجابه أم المؤمنين بهذه القسوه بعد تلك المده.

كان وقع حرب الجمل على نفس أم المؤمنين شديداً، ولم يذهب أثرها على نفسها مرّ الايام، وقد رأينا فيما مرّ بعض كلامها الذى تصرّح فيه بندمها على المشاركة فى تلك الحرب ولعل الحديث الاتى منها أيضاً من آثار ندمها ذلك.

فى العقد الفريد، قالت عائشه: المغزل بيد المرأه أحسن من الرمح بيد المجاهد فى سبيل الله. (٢)

وعلى قدر ما كان ذكر تلك الحرب سيئاً على نفس أم المؤمنين كان ذلك مبهجاً لحزب معاويه يشيدون بذكرها فى كل حين.

قال ابن عبد ربّه: (٣) قدم يزيد بن مئيه من البصره على معاويه، وهو أخو يعلى بن مئيه صاحب جمل عائشه (رض) ومتولّى تلك الحروب، ورأس أهل البصره، وكانت ابنه يعلى عند عتبه بن أبى سفيان، فلمّا دخل على معاويه شكاه دینه، فقال: يا كعب! أعطه ثلاثين ألفاً، فلمّا ولى، قال: وليوم الجمل

ص: ٣٦٣

١- . العقد الفريد فى ذكره خاتمه وقعه الجمل، وعيون الاخبار لابن قتيبه ٢٠٢/١.

٢- . العقد الفريد ٢/٤٥٥.

٣- . العقد الفريد ١/٢٩٩ و ٢/٦٨ ط. مصر الثانيه.

ثلاثين ألفاً أخرى... الحديث.

وقال عمرو بن العاص لعائشه: ((لوددت أنّك كنت قتلت يوم الجمل)).

فقلت: ((ولم لا أباً لك!)) فقال: ((تموتين بأجلك وتدخلين الجنّة، ونجعلك أكبر التشيع على علي)).(١)

ومن حديث أمّ المؤمنين مع عمرو أيضاً ما رواه مسروق(٢) وقال: ذكر عندها - أي عائشه - أن علياً (رض) قتل ذا النُدَيْه، فقالت لى: إذا أنت قدمت الكوفه، فاكتب لى ناساً مَمّن شهد ذلك مَمّن تعرف من أهل البلد، فلَمّا قدمت وجدت الناس اشياً، فكتبت لها من كلّ شيعه عشره مَمّن شهد ذلك، قال: فأتيها بشهادتهم، فقالت: لعن الله عمرو بن العاص، فأنه زعم لى أنه قتله بمصر.

وفى تاريخ ابن كثير بعد هذا: ثمّ أرخت عينها فبكت، فلَمّا سكنت عبرتها، قالت: رحم الله علياً لقد كان على الحقّ. وما كان بينى وبينه إلا كما يكون بين المرأه وأحمائها.

وكان السبب فى ادعاء عمرو أنه هو الذى قتل ذا النُدَيْه ما كانوا يروونه عن النبى فى ذمّه ومدح قاتله،(٣) فأراد عمرو بما ادّعه أن يصدق عليه مدح الرسول.

بهذا نختم البحث عن حياه أمّ المؤمنين، ونعود إلى ترجمه معاويه، لنستخلص منها ما يعيننا على دراسه دواعى وضع الحديث فى عصره.

ص: ٣٦٤

١- فى الكامل للمبرد ط. ليدن ص ١٥١.

٢- فى المستدرک ١٣/٤؛ ونعته بالصحه على شرط الخليفين، وكذلك قال الذهبى فى تلخيصه، وفى النبلاء ١٤١/٢، وابن كثير ٣٠٣/٨.

٣- راجع حرب النهروان سنه ٣٨ من الطبرى، وابن الاثير، وابن كثير ٢٨٩/٨-٣٠٦، ومسند أحمد ٥٦/٢.

نفست أميّه على هاشم زعامه قريش في الجاهليّه، حتّى إذا جاءهم حفيد عبدالمطلب بن هاشم بالاسلام؛ كان من الطبيعي أن يتزعم أبو سفيان بن حرب بن أميّه كفّار قريش في حروبها لرسول الله؛ ويكون ألدّ أعدائه عليه، ويضطهد المستضعفين من الذين آمنوا، حتّى إذا شاء الله أن يمنّ على نبيّه بالنصر وفتح مكه، وصمّ قريشاً بالطلاق فبقيت عليهم سبيّه أبد الدهر. وكسر سياده أبي سفيان مع كسره أصنام قريش، ثمّ امتدّ العمر بأبي سفيان حتّى أغلظ له أبو بكر في القول، فأدهش ذلك أباه أبا قحافه، فقال له ابنه: يا أبه! إن الله قد رفع بالاسلام بيتك ووضع بيته، وعاش حتّى حمل عمر على ظهره الحجاره في مكه؛ وضربه بالدرّه بين عينيه؛ فقالت هند في مراره: أبصّر به! أما والله لربّ يوم لو ضربته لاقشعرّ بك بطن مكه، فقال عمر: صدقت، ولكن الله رفع بالاسلام أقواماً ووضع آخرين.

أصبح المستضعفون في الجاهليه أئمه في الاسلام، وأصبحوا الوارثين، ومّرّ عليهم أبو سفيان فقالوا - آسفين -: ما أخذت سيوف الله من عنق عدوّ الله مأخذها؛ ثمّ يدور الزمن دورته، وإذا بأميّه في عصر عثمان تتلاقف الاماره تلاقف الصبيه الكره، ففي كلّ بلد منهم أمير مُبدلّ بسلطانه؛ وإذا بالائمه الوارثين بالامس يعودون مستضعفين في الارض، معذّبين، تنفيهم السلطه من بلد إلى بلد، وإذا بقريش تعود إلى خيلائها فيقول قائلهم: ((إن السواد بستان لقريش!)) وكانت نتيجة ذلك تمخضّ البلاد عن ثوره جامحه تُطيح بالخليفه الامويّ قتيلاً. في داره؛ ثمّ يعود الامر بقوّه المهاجرين والانصار إلى هاشم رغم أنف أميّه التي أصبحت ذليله في المدينه، ورغم تابعيها من سبّرات قريش، فيثرونها حرباً شعواء على عليّ بالبصره، فتمنى بالفشل. كلّ ذلك يجرى ومعاويه أمير على الشام منذ عهد الخليفتين يستغلّ الفرص لتثبيت ملكه، فساوم عليّاً على إماره مصر والشام، ولمّا لم يجبه عليّ إلى ذلك، قاتله في صفين باسم الطلب بدم عثمان، وبعد التحكيم رجع إلى الشام وأخذ يرسل

جيوشه ليغيروا على البلاد الاسلاميه؛ يقتلون الصغير والكبير، ويسبون النساء المسلمات، ويحرّقون ويهدمون، وكان حصاد إحدى تلك الغارات ثلاثين ألف قتيل من المسلمين، وبعد على لم يبايع الحسن مع المسلمين، وتقدّم بجيشه إلى العراق، وأغرى بالحسن قواده ليغتالوه، فصالحه - بعد أن جرح - بشروط لم يف معاويه بواحدة منها، وإنما قال بعد دخوله الكوفه: والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، وإنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لتأمر عليكم، وكلّ شرط أعطيته الحسن فتحت قدمي هاتين.

وفي هذا الدور اضطرّ في سياسته إلى المداراه، فأعطى الجزية لملك الروم، وأغدق العطاء على الرؤساء؛ وجلب دُهاه الرجال بالامره، والمال، والاستلحاق بالنسب، حتّى إذا اتّسق له الملك، جدّد سنن كسرى وقيصر، فاستصفى الصفراء والبيضاء، وأتخذ الصوافي في البلاد، وأمر أن تحمل إليه هدايا النيروز والمهرجان وجعل البيعه والخلافه وراثيه.

دواعي وضع الحديث:

في عصر معاويه انتشر أصحاب الرسول - المستضعفون في الارض الذين كانوا قد التّفوا حول عليّ في عصره (1) - في البلاد بعد عام الجماعة؛ والتفّ

ص: ٣٦٦

١- . في تاريخ الاسلام للذهبي (١٤٩/٢): كان مع علي يوم الجمل ثمانمائه من الانصار وسبعمائيه ممن شهد بيعه الرضوان ومائيه وثلاثون بدرياً. وفي تاريخ ابن خياط (١٨٠/١) كان مع علي في صفين ثمانمائه ممن شهد بيعه الرضوان، وفي صفين لنصر ابن مزاحم (٤٤٩) قال قيس بن سعد بن عباده لنعمان بن بشير - وكان هو ومسلمه بن مخلد مع معاويه في صفين -: «نظر يانعمان! هل ترى مع معاويه الا طليقا أو أعرايا أو يمانيا مستدرجا بغرور، أنظر اين المهاجرون والانصار والتابعون الذين رضى الله عنهم، ثمّ انظر هل ترى مع معاويه غيرك وصويحبك، ولستما والله ببدريين، ولا عقبيين، ولا أحديين، ولا لكما سابقه في الاسلام، ولا آيه في القرآن، ولعمري لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك. يقصد من العقبيين الانصار الذين بايعوا الرسول في العبه بمنى قبل هجره النبي اليهم، ويقصد من شغب أبيه عليهم؛ خلافه لهم يوم سقيفه بنى ساعده وسبقه الى بيعه أبي بكر يومذاك.

المسلمون حولهم فى كل مكان يستمعون إلى أحاديثهم ويأخذون منهم معالم دينهم، وكان الحديث يوم ذاك يدور فى أندية المسلمين عن صفين، والجمل، والفتنة فى عصر عثمان، وفى كَلِّه ذمّ لأُمّيه، وعن الفتوح فى عصر الخلفيتين؛ وجلّ ما فيه من المدح لغير أُمّيه، ويتبارى أصحاب الرسول فى ذكر غزواته وحروبه، وتعذيب قريش إيّاهم، وهنالكَ تخشع النفوس، وتستمع إلى الحديث بإجلال وإكبار. والحديث هذا - كما ذكرنا - كَلِّه مجد لهاشم، وفى جلّه ذمّ لأُمّيه؛ فإنّهم كانوا يذكرون للناس (1) غزوه بدر، وكيف قتلوا جدّ معاوية وخاله وأخاه وغيرهم من أفراد أُسرتّه، وكيف سبوا فيها من سبوا من أهله وذويه، ويذكرون غزوه أُحد، وكيف بقرت هند عن كبد حمزه ولا- كته، وكيف نادى أبو سفيان فيها: أعل هُبَل، وينشدون شعر حسان فى هند، وما هجاها به، وما كانوا يغمزون من نسب معاوية. ويذكرون إسلام أبى سفيان وبنيه، وكيف أَلَفَ النَّبِيُّ قلوبهم على الإسلام بالمال فى حين، ويذكرون أن أبا سفيان لم يكن مخلصاً فى إسلامه، فقد قال بعد إسلامه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل. وقال فى حين: لا- تنتهى هزيمتهم دون البحر. وقال يوم اليرموك حين رأى فرار المسلمين: إيه بنى الاصفر! وعندما ركبهم المسلمون: ويح بنى الاصفر! وأنشد:

وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

كلّ هذا يجرى فى سلطان معاوية والعربى فى الجزيره كان لا يُعنى بشىء عناية بالتغنى بأمجاد القبيله، ينفق ما عزّ وغلا فى سبيل نشر مآثرها، وهذا ما لم يمح أثره الإسلام، وإنّما خفّفه فى نفوس النزر اليسير من معتنقيه، ولم يكن معاوية من ذلك النزر اليسير، فإنّه لم يتطبع بالخلق الإسلامى فى مدّه مكثه

ص: ٣٦٧

١- . ولولا تحديتهم بكل ذلك لما انتهت الينا أخبار تلك الغزوات بتفاصيلها.

القصيره، بالمدينه، وكيف يكون غير هذا وقد رأيناه في أيام إمارته بالشام يأكل الربا، ويحمل إليه زوايا الخمر، ويتلاعب بأموال المسلمين، ويقوم الخطيب ويمدحه في وجهه، ويعقد المجالس للمفاخره، ويقول في بعضها: قد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها إلا ما جعل الله لنبيّه (ص) فإنّه انتخبه وأكرمه، وإنّي لاظنّ أبا سفيان لو ولد الناس كلّهم لم يلد إلاّ حازماً. (١)

أرأيت مفاخره أبعد من هذه في التيه! يرى أن أباه لو ولد الناس كلّهم لم يلد إلاّ حازماً. وان أباه كان أكرمها وابن أكرمها لولا نبوّه النبي! كان هذا حدّ مفاخرته في أيام إمارته، أمّا في عصر خلافته فقد كانت حدود مفاخرته أبعد مدى من هذه وأشدّ؛ فقد اجتمعت لديه يومذاك إلى داعي المفاخره دواعٍ أخرى، كانت في حسابه أهمّ من دواعي التّعنى بأمجاد القبيله، فإنّه قد أصبح ملكاً يبذل قصارى جهده في تثبيت ملكه وترسيخ أساسه، وكيف يتمّ له ذلك وفي المسلمين من يقول له في وجهه مقال صعصعه بن صوحان العبدى:

ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممّن أجلب على رسول الله (ص) إنّما أنت طليق وابن طليق أطلقكما رسول الله، فأنى تصحّ الخلافه لطلق؟ (٢)

ومقال عبدالرحمن بن غنم الاشعري لابي هريره وأبي الدرداء عندما أرسلهما معاويه إلى عليّ:

وأى مدخل لمعاويه في الشورى! وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافه! وهو وأبوه من رؤوس الاحزاب، (٣) وكيف يستقرّ له الامر بعد قول عمر:

ص: ٣٦٨

١- . في ذكر حوادث سنه ٣٣ من الطبرى ٨٩/٥، وابن الاثير ٥٩/٣ من محاوره بين معاويه والمسيرين من قراء أهل الكوفه الى الشام، وقد أوردته باختصار.

٢- . راجع أخباره في أيام معاويه من مروج الذهب ٥٠/٣ ط. السعاده سنه ١٣٧٧.

٣- . كما في ترجمته في الاستيعاب ٤٠٢/٢ وأشار اليه في أسد الغابه ٣١٨/٣.

هذا الامر فى أهل بدر ما بقى منهم أحد ثم فى أهل أحد، ثم فى كذا وكذا، وليس فيها لطلق ولا لولد لطلق ولا لمسلمه
الفتح. (١)

وقول علىّ فيه: وخلاف معاويه إيتاى الذى لم يجعل الله له سابقه فى الدين، ولا سلف صدق فى الاسلام، طليق ابن طليق، وحزب
من الاحزاب، لم يزل لله ورسوله وللمسلمين عدوّاً هو وأبوه، حتى دخلا فى الاسلام كارهين مكرهين. (٢)

وقال له: واعلم أنّك من الطلقاء الطين لا تحلّ لهم الخلافه ولا تعقد معهم الامامه ولا يدخلون فى الشورى. (٣)

ومقال عبدالله بن بديل يوم صفين فيه:

انّ معاويه ادّعى ما ليس له، ونازع الامر أهله، ومن ليس مثله... إلى قوله: قاتلوا الفئه الباغيه الذين نازعوا الامر أهله، وقد قاتلتهم
مع النبىّ (ص)، والله ما هم فى هذه بأزكى ولا أتقى، ولا أبرّ منها، قوموا إلى عدوّ الله، وعدوّكم؛ رحمكم الله. (٤)

ومقال عمار فيها: يا أهل الاسلام! أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغى على المسلمين، وظاهر
المشركين، فلما أراد الله أن يظهر دينه، وينصر رسوله، أتى النبىّ فأسلم، وهو والله فيما يرى راهب غير راغب، وقبض الله
ورسوله (ص) وإنا والله لنعرفه بعداوه المسلم، ومودّه المجرم؟ ألا وإنه معاويه، فالعنوه، لعنه الله، وقاتلوه ممّن يُطفىء نور الله،

ص: ٣٦٩

١- . أسد الغابه ٣٨٧/٤؛ والطبقات ط. ليدن ٢٤٨/٣.

٢- . صفين ٢٢٧، والطبرى ٤/٦، وابن الاثير ١٢٥/٣.

٣- . العقد الفريد فى أخبار على ومعاويه ٢٨٤/٢، ونهج البلاغه ٥/٢، وشرحه ٢٤٨/١ و ٣٠٠/٣.

٤- . صفين ص ٢٣٤ ط. مطبعه المدنى، القاهره / ١٣٨٢ هـ؛ والطبرى ٩/٦؛ وابن الاثير ١٢٨/٣؛ والاستيعاب ٣٤٠/١ بترجمته؛ وشرح
النهج ٤٨٣/١.

ويظهر أعداء الله. (١)

ومقال الاسود بن يزيد لعائشه: ألا- تعجبين من رجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله في الخلافة؟! قالت: وما تعجب من ذلك؟! هو سلطان الله يؤتیه البرّ والفاجر؛ وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائه سنه؛ وكذلك غيره من الكفار. (٢)

وكتب اليه الحسن: فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاويه! على أمر لست من أهله؛ لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الاسلام محمود، وأنت ابن حزب من الاحزاب، وابن اعدى قريش لرسول الله، ولكتابه (٣)...

وقال له: شعبه بن غريض.

أنتك كنت ميت الحق في الجاهليه، وميته في الاسلام. أمّا في الجاهليه؛ فقاتلت النبي والوحي حتى جعل الله كيدك المردود؛ وأمّا في الاسلام، فمنعت ولد رسول الله (ص) الخلافة، وما أنت وهي! وأنت طليق ابن طليق! (٤)

كيف يستقرّ له الملك وهذه أقوال أئمه المسلمين فيه؟! حتى أنّ أمّ المؤمنين لم تستطع أن تدافع عنه بأكثر من قولها: إنّ ذلك سلطان الله يؤتیه البرّ والفاجر.

كيف يستقرّ له الملك، ويتمّ له ما يريد من جعل الخلافة وراثه في عقبه؟ وهذه أقوال أئمه المسلمين فيه، وفي المسلمين الحسن والحسين، وارثا مجد

ص: ٣٧٠

١- صفين ص ٢١٤ ط. مطبعه المدنى، القاهره ١٣٨٢؛ والطبرى ٧/٦، وابن الاثير ١٢٦/٣.

٢- الدر المنثور للسيوطى ١٩/٦؛ وفي ابن كثير ١٣١/٨.

٣- مقاتل الطالبين ١٢، وشرح النهج ١٢١/٤.

٤- فى الاغانى ط. دار الفكر ٢٥/٣ فى أخبار شعبه بن غريض، أشار اليه ابن حجر فى الاصابه فى ترجمه شعبه بن غريض المرقمه ٣٢٤٥، ٤١/٢.

هاشم، وسبطا الرسول، وقد خصّهما المسلمون بالحَبِّ والاكْبَار؟! إذن لا بدّ لمعاويه في ما يريد من توطيد ملكه، وتوريثه لعقبه من أن يصرف المسلمين عن بيت عليّ خاصّه إلى بيته، بيت أمّيه، فأعلن على هذا البيت وأشياعه وتابعيه حرباً يشيب من هولها الوليد، وبذل في سبيل هذه الحرب ما ملك من مكر ودهاء، ومال وقوّه، ولَمَّا لم تكن له سابقه حسنه في الاسلام لتشبّث بها فيما يريد؛ لم يكن له بدّ من التذرع بدم عثمان للوصول إلى ما يروم.

روى الطبرى (١) وقال: استعمل معاويه المغيره بن شعبه على الكوفه سنه إحدى وأربعين، فلَمَّا أمره عليها دعاه وقال له:.... وقد أردت إيضاءك بأشياء كثيره أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيضاءك بخصله؛ لا تترك شتم عليّ وذمّه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب عليّ والاقتضاء لهم، والاطراء لشيعه عثمان. والادناء لهم، فقال له المغيره: قد جُرِّبْتُ وجُرِّبْتُ، وعملتُ قبلك لغيرك، فلم يذممني، وستبلو فتحمّد أو تدمّ، فقال: بل نحمد إن شاء الله.

وروى المدائني في كتاب الاحداث وقال: كتب معاويه نسخه واحده إلى عمّاله - بعد عام الجماعه - أن برئت الذمّه ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، وكان أشدّ البلاء حينئذ أهل الكوفه.

وكتب معاويه (٢) إلى عمّاله في جميع الافاق ألا يجيزوا لاحد من شيعه عليّ وأهل بيته شهاده، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعه عثمان ومحبيّه، وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم، وأكرمواهم، واكتبوا إليّ بكلّ ما يروى كلّ رجل منهم، واسمه، واسم أبيه، وعشيرته، ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه؛ لما كان يبعث إليهم معاويه من الصلوات، والكساء والحباء. والقطايع، ويُفضيه في العرب

ص: ٣٧١

- ١- في حوادث سنه احدى وخمسين من الطبرى ١٤١/٦ وابن الاثير ١٧٨/٣، واللفظ لابن الاثير.
- ٢- قد نقل كتاب معاويه هذا أيضاً أحمد أمين في فجر الاسلام ٢٧٥.

منهم والموالي، فكثير ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاويه، فيروى في عثمان فضيله أو منقبه إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر، وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحيه؛ فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الروايه في فضائل الصحابه والخلفاء الاولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابه فإن هذا أحب إلي وأقر إلى عيني، وأدحض لحجه أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيره في مناقب الصحابه مفتعله لا حقيقه لها، وجرى الناس في روايه ما يجرى هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى الى معلّمى الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك الى ما شاء الله...، فظهرت أحاديث كثيره موضوعه، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء، والقضاة والولاه... الحديث. (١)

وقد روى ابن عرفه المعروف بنفطويه - وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم - في تاريخ ما يناسب هذا الخبر وقال: إن أكثر الاحاديث الموضوعه في فضائل الصحابه افتعلت في أيام بنى أميه تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغبون به أنوف بنى هاشم. (٢)

وكانت لمعاويه قبل هذا سابقه في الوضع والدس، ومنها ما روى الطبرى عنه، أنه لما أيس معاويه من قيس أن يتابعه على أمره، شق عليه ذلك، لما يعرف من حزمه وبأسه، وأظهر للناس قبله: أن قيس بن سعد قد تابعكم،

ص: ٣٧٢

١- في شرح ((من كلام له وقد سأله سائل عن أحاديث البدعه)) من شرح النهج ١٥/٣-١٦، أورد ابن أبي الحديد الروائين المرويتين عن (المدائني).

٢- المصدر السابق وفجر الاسلام ص ٢١٣.

فادعوا الله له، واختلق معاويه كتاباً من قيس بن سعد، فقرأه على أهل الشام، وهو:

((بسم الله الرحمن الرحيم: للامير معاويه بن أبي سفيان من قيس بن سعد: سلام عليك، فإني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أمّياً بعد: فإنّ قتل عثمان كان خيئاً في الاسلام عظيماً، وقد نظرت لنفسى ودينى، فلم أر يسعنى مظاهره قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً برّاً تقيّاً، فنستغفر الله عزّ وجلّ لذنوبنا، ونسأله العصمه لديننا، ألا وإني قد ألقيتُ إليكم بالسلام (1) وإني أجتك إلى قتال قتله عثمان (رض)، إمام الهدى المظلوم، فعوّل علىّ فيما أحببت من الاموال، والرجال أعجلّ عليك والسلام)). (2)

هكذا كان معاويه لا يتحرّج من الكذب والاختلاق فيما فيه تأييد لسياسته، ويوم امتدّ سلطانه وعمّ البلاد والعباد، وازدادت حاجته إلى الوضع والاختلاق، استمدّ في ذلك من غيره.

وفي هذه الحرب - حرب الدعايه، ومسابقه وضع الحديث لذمّ جماعه ومدح آخرين - استجاب لمعاويه جماعه من الصحابه نظراء المغيره بن شعبه، وعمرو بن العاص، وسمره بن جندب، وأبي هريره من طلاب الامر، والمال ممّن كان في دينه رقه، وفي نفسه ضعف.

روى ابن أبي الحديد (3) عن أبي جعفر الاسكافي وقال: إن معاويه وضع قوماً من الصحابه وقوماً من التابعين على روايه أخبار قبيحه في عليّ (ع) تقتضى الطعن فيه والبراءه منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً - يُرغب في مثله، فاختلفوا ما أرضاه... منهم أبو هريره، وعمرو بن العاص، والمغيره بن شعبه، ومن التابعين عروه بن الزبير، روى الزهري: أنّ عروه بن الزبير حدّثه قال:

ص: ٣٧٣

-
- ١- . السلم: الاستسلام.
 - ٢- . الطبرى: ٢٢٩/٥-٢٣٠ وشرح النهج ٢٤/٢ واللفظ له؛ والنجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهره ١/١٠١، وأشار اليه ابن الاثير فى ١١٦/٣.
 - ٣- . شرح النهج، ط. مصر الأولى ٣٥٨/١.

حدّثني عائشه، قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشه! إن هذين يموتان على غير ملّتي، أو قال: ديني.

وروى عبدالرزاق عن معمر قال: كان عند الزهري حديثان عن عروه عن عائشه في عليّ (ع) فسألته عنهما يوماً، فقال: ما تصنع بهما وبحديثيهما؟ الله أعلم بهما. إني لآتهمها في بني هاشم! قال: فأما الحديث الأول، فقد ذكرناه، وأما الحديث الثاني فهو أن عروه زعم أن عائشه حدّثته قالت: كنت عند النبيّ (ص) إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشه! إن سرّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا، فنظرت فإذا العباس وعليّ بن أبي طالب.

وأما عمرو بن العاص، فقد روى فيه الحديث الذي أخرجه البخاري (١) ومسلم في صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله يقول - جهاراً غير سرّ - (٢) إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء؛ إنّما وليّ الله، وصالح المؤمنين.

وفي البخاري بعده بطريق آخر عنه: ولكن لهم رحمٌ أبلها ببالها - يعني أصلهما بصلتها. إنتهى.

وأما أبو هريره؛ فقد روى الاعمش وقال: لما قدم أبو هريره العراق مع معاويه عام الجماعة، جاء إلى مسجد الكوفه، فلما رأى كثره من استقبله من الناس، جثا على ركبتيه، ثمّ ضرب صلعته مراراً؛ وقال: يا أهل العراق!

ص: ٣٧٤

- ١- . قد أورد البخاري هذا الحديث في صحيحه ٢٤/٤ كتاب الادب، باب: ((بيل الرحم ببالها)) بطريقين عن ابن العاص.
- ٢- . هذه الزيادة في روايه البخاري الثانيه عن ابن العاص. ومسلم ١٣٦/١ كتاب الايمان باب موالاه المؤمنين ومقاطعته غيرهم وهذا لفظه قال: سمعت رسول الله (ص) جهاراً غير سرّ يقول: ألا ان آل أبي يعنى فلانا ليسوا لي بأولياء... الحديث رقم ٣٦٦، وفي مسند أحمد ٢٠٣/٤، ومسند أبي عوانه (٩٦/١) الحديثان، وفتح الباري ٢٥/١٣، وارشاد الساري ١٣/٩.

أتزعمون أنني أكذب على الله وعلى رسوله وأحرق نفسي بالنار؟! والله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: إن لكل نبي حرمًا وإن حرمي بالمدينه ما بين عير إلى ثور(١) فمن أحدث فيها حدثًا، فعليه لعنة الله والملائكه والناس أجمعين، وأشهد بالله أن عليًا أحدث فيها. فلما بلغ معاويه قوله، أجازته، وأكرمه، وولاه المدينه.

وأما سمره فقد قال أبو جعفر شيخ ابن أبي الحديد فيه: قد روى أن معاويه بذل لسمره بن جندب مائه ألف درهم حتى يروى أن هذه الايه نزلت في علي (ع) (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياه الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد). وأن الايه الثانيه نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى: (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله)(٢)، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له أربعمائه ألف درهم فقبل.(٣)

إستجاب لمعاويه جمع من الصحابه والتابعين، فأصابوا من دنيا معاويه العريضه. وخالفه آخرون، فأصابهم التشريد والتقتيل، ووقعت بين الطرفين معارك ضاربه كانت نتائجها آلاف الاحاديث الموضوعه التي ورثناها اليوم من جانب؛ وآلاف الضحايا البريئه من خيار المسلمين.

وكان سمره هذا ممن امثل أوامر معاويه، فأصاب الامر في البصره فأسرف في قتل من خالفه.

روى الطبرى(٤) وقال: سئل ابن سيرين: هل كان سمره قتل أحدًا؟

ص: ٣٧٥

١- قال ابن أبي الحديد في شرحه: الظاهر انه غلط من الرواي لان ثوراً بمكّه... والصواب ما بين عير الى احد.

٢- الايه ٢٠١ و ٢٠٢ من سوره البقره والثانيه الايه ٢٠٤ من سوره البقره.

٣- هذه الروايات وردت في شرح النهج ١/٣٥٨-٣٦١.

٤- في حوادث سنه ٥٠ من الطبرى ١٣٢/٦، وابن الاثير ١٩٣/٣.

فقال: وهل يحصى من قتل سمره بن جندب؟! استخلفه زياد على البصره وأتى الكوفه، فجاء وقد قتل ثمانيه آلاف من الناس، وروى أنه قتل في غداه واحده سبعة وأربعين كلهم قد جمع القرآن.

وقال: مات زياد وعلى البصره سمره بن جندب فأقره معاويه أشهراً ثم عزله، فقال سمره: لعن الله معاويه، والله لو أطعت الله كما أطعت معاويه ما عذبني أبداً. (١)

وكان منهم المغيره بن شعبه، فإنه أقام سبع سنين وأشهرًا في الكوفه لا يدع شتم عليّ والوقوف فيه، والعيب لقتله عثمان، واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمه، والاستغفار له، والتزكيه لأصحابه، غير أن المغيره كان يدارى، فيشتد مرّه، ويلين أخرى.

روى الطبرى: (٢) أن المغيره بن شعبه قال لصعصعه بن صوحان العبدى، وكان المغيره يومذاك أميراً على الكوفه من قبل معاويه: ((إياك أن يبلغنى عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإياك أن يبلغنى عنك أنك تذكر شيئاً من فضل عليّ علانيه؛ فإنك لست بذاكر من فضل عليّ شيئاً أجهله بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذى لا نجد منه بداً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّه، فإن كنت ذاكرًا فضله، فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرًا، وأمرًا علانيه في المسجد، فإن هذا لا يحتمله الخليفه لنا ولا يعذرنا فيه...)) الحديث.

وأما زياد، فإنه كان أشد من غيره من ولاء معاويه فى هذا الامر؛ وقد سبق ذكر قصيته مع حجر؛ ومن قصصه فى هذه المعركه أيضاً ما وقع بينه وبين

ص: ٣٧٦

١- فى حوادث سنه ٥٣ من الطبرى ١٦٤/٦، وابن الاثير ١٩٥/٣ وقد أوردتهما منهما باختصار.

٢- الطبرى ج ١٠٨/٦ فى ذكره حوادث سنه ٤٣ هـ.

صيفى ابن فسيل، فإنه أمر فجىء به إليه، فقال له: يا عدو الله! ماتقول فى أبى تراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب؛ قال: ما أعرفك به! قال: ما أعرفه، قال: أما تعرف عليّ بن أبى طالب! قال: بلى، قال: فذاك، - وبعد محاوره بينهما - قال: عليّ بالعصا، فقال: ما قولك فى عليّ؟ قال: أحسن قول أنا قائله فى عبد من عبيد الله أقوله فى أمير المؤمنين، قال: اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالارض؛ فضرب حتى ألصق بالارض؛ ثم قال: أقلعوا عنه، فتركوه، فقال له: إيه! ما قولك فى عليّ؟ قال: والله لو شرطتني بالمواسى والمُدَى ما قلت إلا ما سمعت مني، قال لتلعننه أو لاضربنن عنقك، قال: إذا والله تضربها قبل ذلك، فأسعد وتشقى، قال: ادفعوا فى رقبتة، ثم قال: أوقروه حديداً واطرحوه فى السجن، ثم قتل مع حجر. (١)

وكتب إلى معاوية فى رجلين حضرميين (٢) أنّهما على دين عليّ ورأيه، فأجابته: من كان على دين عليّ ورأيه، فاقتله، ومثّل به، فصلبهما على باب دارهما بالكوفة. (٣)

كما أمره بدفن الخثعمي (الذى مدح عليّاً وعاب عثمان) حيّاً، فدفنه حيّاً. (٤)

وختم حياته بما ذكره المسعودى، وابن عساكر، قال ابن عساكر: جمع أهل الكوفة فملا منهم المسجد والرحبه والقصر، ليعرضهم على البراءة من عليّ وقال المسعودى: (٥) وكان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن عليّ، فمن أبى ذلك عرضه على السيف ثم ذكر أنّه أُصيب بالطاعون فى تلك الساعة فأُفرج عنهم.

ص: ٣٧٧

- ١- الطبرى ١٤٩/٦؛ وابن الاثير ٢٠٤/٣، والاغانى ٧/١٦، وابن عساكر ٤٥٩/٦.
- ٢- نسبه الى حضرموت من بلاد اليمن.
- ٣- المحبر ص ٤٧٩.
- ٤- راجع قبله ص ٣٤٨-٣٥١ فى ذكر قصه حجر بن عدى.
- ٥- المسعودى فى أيام معاوية ٣٠/٣، وابن عساكر ٤٢١/٥.

وكان عمرو بن الحمق الخزاعي ممن أصابه التشريد والقتل في هذه المعركة، فإنه فرَّ إلى البراري، فبحثوا عنه حتى عثروا عليه، فحزوا رأسه، وحملوه إلى معاوية، فأمر بنصبه في السوق، ثم بعث برأسه إلى زوجته في السجن - وكان قد سجنها في هذا السبيل - فألقى في حجرها. (١)

عمت هذه السياسة البلاد الإسلامية، وأتبعها ونفذها غير من ذكرنا من الأمراء أيضاً، كبسر بن أرطاه في ولايته البصره، وابن شهاب في الري (٢) فقد كانت لهم قصص في ذلك ذكرها المؤرخون، ثم أصبحت هذه سياسة بن أمية التقليديه، ولعن علي بن أبي طالب على منابر الشرق والغرب ما عدا سجستان، فإنه لم يلعن علي منبرها إلا مرة، وامتنعوا على بني أمية، حتى زادوا في عهدهم أن لا يلعن علي منبرهم أحد في حين كان يلعن علي منبر الحرمين. (٣)

وقد كانوا يلعنون علياً على المنابر بمحضر من أهل بيته، وقصصهم في ذلك كثيره نكتفي منها بذكر واحده أوردها ابن حجر (٤) في تطهير اللسان، وقال: إنَّ عمراً صعَّد المنبر فوقع في عليّ، ثمَّ فعل مثله المغيرة بن شعبه، فقبل للحسن: اصعد المنبر لتردَّ عليهما، فامتنع إلا أن يعطوه عهداً أنَّهُم يصدِّقوه إن قال حقاً، ويكذبوه إن قال باطلاً، فأعطوه ذلك، فصعد المنبر، فحمد الله

ص: ٣٧٨

- ١- المعارف لابن قتيبة ١٢/٧، والاستيعاب ٥١٧/٢، والاصابه ٥٢٦/٢، وتاريخ ابن كثير ٤٨/٨، والمجبر ص ٤٩٠.
- ٢- في حوادث سنة ٤١ هـ من الطبري ٩٦/٦، وابن الاثير ١٦٥/٣، وابن شهاب في ابن الاثير ١٧٩/٣ في ذكر استعمال المغيرة على الكوفة من (حوادث سنة إحدى وأربعين).
- ٣- أوردها ملخصه من معجم البلدان ٣٨/٥، ط. المصرية الأولى في لغة سجستان، وهي من بلاد ايران.
- ٤- في تطهير اللسان ص ٥٥، قال: وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحداً فمختلف فيه لكن قواه الذهبى بقوله: أنه احد الاثبات، وما فيه جرح أصلاً، ثمَّ أورد الحديث. ويؤيد هذا الحديث ما أورده في ٢٩٦ من هذا الكتاب. راجع الهامش المرقم ٧١ من تلك الصفحة.

وأثنى عليه، ثم قال: أنشدك الله يا عمرو! يا مغيره! أتعلمان أن رسول الله (ص) لعن السائق والقائد أحدهما فلان، قالوا: بلى، ثم قال: يا معاويه! ويا مغيره! ألم تعلمنا أن النبي (ص) لعن عمراً بكل قافيه قالها لعنه، قالوا: اللهم بلى... الحديث.

ولما كان الناس لا يجلسون لاستماع خطبهم لما فيها من احاديث لا يرتضونها، خالفوا السنه وقدموا الخطبه على الصلاه. قال ابن حزم فى المحلى: (١) أحدث بنو أميه تقديم الخطبه على الصلاه، واعتلوا بأن الناس كانوا إذا صلوا تركوهم، ولم يشهدوا الخطبه، وذلك لأنهم كانوا يلغنون على بن أبى طالب (رض) فكان المسلمون يفرون، وحق لهم ذلك.

وفى الصحيحين (٢) وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى قال:

خرجت مع مروان وهو أمير المدينه - فى أضحى أو فطر - فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى، فجبذت بثوبه، فجبذنى، فارتفع، فخطب قبل الصلاه، فقلت له: غيرتم والله. فقال: يا أبا سعيد! قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاه، فجعلتها قبل الصلاه.

وكانوا لا يكتفون بذلك، بل يأمرن الصحابه به أيضاً، فى صحيح مسلم (٣) وغيره عن سهل بن سعد قال:

ص: ٣٧٩

-
- ١- . المحلى لابن حزم تحقيق أحمد محمد شاكر ٨٥/٥-٨٦ وراجع كتاب الام للشافعى ٢٠٨/١.
 - ٢- . البخارى ١١١/٢ ومسلم ٢٠/٣، وسنن أبى داود ١٧٨/١؛ وابن ماجه ٣٨٦/١، والبيهقى ٢٩٧/٣، وفى مسند أحمد ١٠/٣ و ٢٠ و ٥٢ و ٥٤ و ٩٢، واسم المعترض على مروان فى مسند أحمد غير أبى سعيد.
 - ٣- . أوردته ملخصاً عن صحيح مسلم ١٢٤/٧ باب مناقب على، وأورده البخارى محرفاً فى صحيحه باب مناقب على، وفى باب نوم الرجل فى المسجد من كتاب الصلاه ١٩٩/٢، وفى ارشاد السارى ١١٢/٦: أن هذا الوالى هو مروان بن الحكم وراجع البيهقى ٤٤٦/٢.

إستعمل على المدينة رجل من آل مروان، فدعا سهل بن سعد، فأمره أن يشتم علياً، فأبى سهل، فقال له: أمّا إذا أبيت فقل: لعن الله أبا التراب، فقال سهل: ما كان لعليّ اسم أحبّ إليه من أبا التراب، وإن كان ليفرح إذا دُعي بها، فقال له: أخبرنا عن قصّته، لم سمي أبا تراب؟ قال: جاء رسول الله (ص) بيّث فاطمه، فلم يجد عليّاً في البيت، فقال: أين ابن عمّك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني، فخرج، فلم يُقلّ عندي، فقال رسول الله (ص) لانسان: انظر أين هو؟ فجاء، فقال: يا رسول الله! هو في المسجد راقد، فجاءه وهو مضطجع، وقد سقط رداءه عن شقّه فأصابه تُراب، فجعل رسول الله (ص) يمسحه عنه، ويقول: قم أبا التراب، قم أبا التراب.

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: أمر معاوية سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (ص) فلن أسبّه، لان تكون لي واحده منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم.

سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول الله! خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله (ص): أما ترضى أن تكون منّي بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّه بعدى، وسمعتة يقول يوم خبير: لأعطين الرايه رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله؛ قال: فتناولنا لها، فقال: أدعوا لي عليّاً فأتى به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الرايه إليه، ففتح الله عليه، ولمّا نزلت هذه الايه: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) دعا رسول الله (ص) عليّاً، وفاطمه، وحسنّاً، وحسيناً، فقال: اللهم! هؤلاء أهلي. (١)

ص: ٣٨٠

١- . مسلم ١٢٠/٧، والترمذى ١٧١/١٣؛ والمستدرک ١٠٨/٣ و ١٠٩؛ وزاد فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتّى خرج من المدينة، والاصابه ٥٠٩/٢؛ والنسائي في الخصائص ص ١٥.

ورواه المسعودي (١) عن الطبري هكذا: قال: لَمَّا حَجَّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلَمَّا انصرف معاوية إلى دار النَّدْوَةِ، أجلسه معه على سريره، ووقع في عليّ، وشرع في سبِّه، فزحف سعد، ثمَّ قال: أجلسني معك على سريرك؟ ثمَّ شرعت في سبِّ عليّ؟! واللَّه لَأَنَّ يكون فيَّ خصله واحده من خصال عليّ أحبَّ إليّ... ثمَّ ساق الحديث باختلاف يسير وذكر في آخره أَنَّهُ قال: وإيم الله لادخلت لك داراً ما بقيت. ثمَّ نهض.

أما ابن عبد ربّه فقد أورده باختصار في أخبار معاوية من العقد الفريد (٢) قال: ولَمَّا مات الحسن بن عليّ؛ حَجَّ معاوية، فدخل المدينة، وأراد أن يلعن عليّاً على منبر رسول الله (ص) فقبل له: إن ههنا سعد بن أبي وقاص. لا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيّه، فأرسل إليه وذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لا يخرجنّ من المسجد، ثمَّ لا أعود إليه، فأمسك معاوية عن لعنه حتّى مات سعد، فلمّا مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا، فكتبت أمّ سَلَمَة زوج النبيّ (ص) إلى معاوية إنَّكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنكم تلعنون عليّ بن أبي طالب، ومن أحبّه، وأنا أشهد الله أن الله أحبّه، ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها؛ إنتهى.

كان معاوية ذا نفسيّه معقّده بما كان يُعْمَز عليه من نسبه، ويُعاب عليه من مواقف بيته من الاسلام وزاده تعقيداً ما كان يرى من إذلال الاسلام بيته الرفيع في الجاهليّه، وما وصمه النبيّ ووصم أباه وأخاه بأنّهم الطلقاء، وكان يزيدته تعقيداً على تعقيد ما كان يرى من ارتفاع ذكر بني هاشم، وخلوده عبقاً أبد الدهر في حين كان يرى خمول ذكر أبيه وسائر ابناء بيته، وكان ما ذكرنا من

ص: ٣٨١

١- . مروج الذهب ٢٤/٣ في أيام معاوية، ثمَّ ذكر ما صدر عن معاوية في المجلس ممّا أربأ بقلمي عن ذكره.

٢- . العقد ٣٦٦/٤ ط. القاهره ١٣٦٣ هـ.

مواقف الصحابه وخيار المسلمين يزيد في نار حقه تأججا حين لا يستطيع إبراز دخيله نفسه حتى إذا خلا بالمغيره ذات ليله كشف له عن سره المكتوم.

روى زبير بن بكار في كتابه ((الموفقيات)) عن مطرف بن المغيره بن شعبه أنه قال: - وفدت مع أبي المغيره إلى معاويه فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إلي، فيذكر معاويه، ويذكر عقله، ويعجب ممّا يرى منه، إذ جاء ذات ليله، فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتماً فانتظرته ساعه، وظننت أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: مالي أراك مغتماً منذ الليله قال: يا بُنيّ إنّي جئت من عند أخبث الناس، قلت له: وما ذاك؟ قال: قلت له، وقد خلوت به: إنك قد بلغت مُناك يا أمير المؤمنين! فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال لي: هيهات! هيهات! ملك أخو تيم فعدل، وفعل ما فعل، فوالله ما غدا أنهلك، فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدى فاجتهد وشمر عشر سنين، فوالله ما غدا أنهلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل، وعمل به، فوالله ما غدا أنهلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل، وان أخا هاشم يُصرخ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله، فأئى عمل يبقى مع هذا لا أم لك! لا والله إلا دفناً دفناً. (١)

وكان معاويه يرغب أشدّ الرغبه في أن لا يبقى من بني هاشم نافخ نار على ما وصفه عليّ في قوله:

والله لو دّ معاويه أنه ما بقى من بني هاشم نافخ ضرمة إلا طعن في بطنه

ص: ٣٨٢

١- . الموفقيات للزبير بن بكار (ص ٥٧٦-٥٧٧) ذكره المسعودي في حوادث سنه اثنتي عشره ومائتين بهامش ابن الاثير ٤٩/٩، وشرح النهج ١/٤٦٣. وط. مصر تحقيق محمد ابو الفضل ١٣٠/٥.

إطفاء لنور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. (١)

وحيث لم يتأت له ذلك جدّ في إطفاء ذكرهم، وحشر جنوده لوضع أحاديث في ذمهم ودفع ما وُصم به بيته، فان ورد عن الرسول أحاديث في لعنه، ولعن آل أبيه، ولعن آل أبيه، وغيرهم من بنى أميه، كالحكم بن أبي العاص، وأمثاله، فليتحذّر الناس أن الرسول قد قال: اللهم إنّما أنا بشر فأبى المسلمين لعنته، أو سببته فاجعله له زكاه وطهوراً. (٢)

إن هذا الحديث وأمثاله سلاح ذو حدّين. في صالح معاوية فإنّه حين يرحض عن أسرته ما وُصموا به؛ يضع من رسول الله، ويجعله في عداد من لا يملكون أنفسهم عند الغضب خلافاً لقول الله فيه، (وإنك لعلى خلقٍ عظيم) وقوله فيه: (ولا ينطق عن الهوى)، وقد فات قصد معاوية عن كثير من المسلمين، فجاروه فيما يريد، وهو إذ لم يستطع إظهار دخيله نفسه عن الرسول فإنّه استطاع ان يعلنها صريحه سافره في مجالات أخرى كالدفاع عن عثمان وذويه وسياسته، والخطّ من على وآله وأشياعه وسياسته، على ما سبق منّا الاشارة إليه آنفاً، وكان معاوية شديداً على من لم يجاره في هذه السياسة، يُذيقهم الهوان، ويصلبهم، ويدفنهم أحياء، وقد عاصرتة أمّ المؤمنين، وكانت مرعيّة الجانب في بادئ عهده، وكانا على وفاق تامّ في حرب على، أمّا موقفها من سياسته في معركة التحديث خاصّه، فيكشفها لنا أولاً قول حكيم بن افلح لسعد بن هشام عندما طلب سعد من حكيم ان يذهب معه إلى عائشه فقال حكيم: ما أنا بقاربها. انى نهيتها ان تقول في هاتين الشيعتين شيئاً فأبت هي الا مُضِيّاً... الحديث. (٣) ثانياً حديثها الاتى في عثمان.

ص: ٣٨٣

- ١- . مروج الذهب تحقيق محمد محيي الدين ٢٨/٣، في ذكر أيام معاوية.
- ٢- . سندرسها ونظائرها في القسم الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى.
- ٣- . مسند أحمد ٥٣/٦-٥٤، وفي تهذيب التهذيب ٤٤٤/٢ ترجمه حكيم.

في مسند أحمد عن النعمان بن بشير قال: ((كتب معاوية كتاباً إلى عائشه قال: فقدمت على عائشه، فدفعت إليها كتاب معاويه، فقالت: يا بُنَيُّ أَلَا أُحَدِّثُكَ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، قلت: بلى، قالت: فَإِنِّي كُنْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ يَوْمًا ذَاكَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَقَالَ: لَوْ كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يَحَدِّثُنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أُبْعَثُ لَكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ؟ فَسَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يَحَدِّثُنَا، فَقُلْتُ حَفْصَةُ: أَلَا أُرْسِلُ لَكَ إِلَى عُمَرَ؟ فَسَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: لَا، ثُمَّ دَعَا رَجُلًا فَسَارَهُ بِشَيْءٍ فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ أَقْبَلَ عُثْمَانَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، وَحَدَّثَهُ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ لَهُ: يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَعَلَّهُ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ (ثَلَاثَ مَرَاتٍ) فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! فَأَيْنَ كُنْتَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ (١) فَقَالَتْ: يَا بُنَيُّ وَاللَّهِ لَقَدْ أُنْسِيتهُ حَتَّى مَا ظَنَنْتُ أَنَّي سَمِعْتَهُ (٢) .إِنْتَهَى.

في هذا الحديث كتاب من معاوية إلى عائشه، ثم رواه من عائشه عن النبي أنه كان قد أوصى إلى عثمان ألا يخلع نفسه عن الخلافة، فما علاقه كتاب معاوية بحديث أم المؤمنين هذا...؟! أكان معاوية قد طلب منها في الكتاب أن تدافع عن عثمان؟! أم أنها أرادت أن يروى عنها نعمان عند معاوية هذا الحديث؟ أم ماذا وأياً ما كان الامر، فإن هذا الحديث. ونظائره الآتية في باب أحاديثها، وأحاديثها اللاتي تتضمن فضائل أبيها أبي بكر، والخليفة عمر، وابن عمها طلحه، وأمثالهم تجعلها على رأس من أرضى معاوية في سياسته في

ص: ٣٨٤

١- . يقصد ما بدر منها من أمرها المسلمين قتل عثمان، وقولها فيه: اقتلوا نعتلاً فقد كفر.

٢- . ١٤٩/٦ (وهذا سنده ثنى عبد الله ثنى أبي...) وقد حدثت نظير هذا الحديث الى أبي سهله، قالت عائشه: قال رسول الله (ص): ادعوا لي بعض أصحابي فقلت: أبو بكر؟ قال: لا، قلت ابن عمك علي؟ قال: لا، قلت: عثمان؟ قال: نعم، فلما جاء قال: تنحى وجعل يساره ولون عثمان يتغير فلما كان يوم الدار، وحصر فيها قلنا: يا أمير المؤمنين! ألا تقاتل! قال: رسول الله عهد الى عهد وأنا صابر بنفسى عليه. راجع تهذيب ابن عساكر بترجمه عثمان، وأنساب الاشراف ١١/٥.

الحديث، ولا بدّ أنّها كانت في نشر فضائل ذويها وأشياعهم أشدّ اهتماماً من غيرها، إذ ((ليست الثكلى كالمستأجره)) (١) ونحن اليوم لايهمنا نشر فضائل هذا أو ذاك، ولا بثّ مثالب غيرهم، وإنّما يهمنا من هذه الاحاديث ما سنذكره في خاتمه البحث.

خاتمه البحث:

ألمنا بحياه أمّ المؤمنين عائشه (رض) تمهيداً لدراسه أحاديثها، فوجدناها حكيمة في قياده الجيوش، قديره على تهديم الحكم القائم متى ما شاءت تهديمه، ذات حنكه في فنون السياسه، خبيره بما يؤثّر في النفوس، وكانت إلى ذلك أطوع الناس في الناس، وكانت متهالكه في برّ ذوى قرباها وحفظ مصالحهم، شديده في نقيتها على خصومها، فذّه في حدّه طبعها، رقيقه إحساساتها، وكان في طبعها طموحٌ إلى بلوغ القمه من كلّ شيء، وكانت تحطّم كلّ ما يقف في سبيلها.

هذه أهم مناحى عظيمه أمّ المؤمنين، وليس لنا أن نصف لها من العظمه مالم تتّصف به، كما ليس لنا أن نخلق للشاعر الملهم بطولات لم تكن فيه، وللعالم المدرك فنياً لم يكن له ولا- لأُمّ المؤمنين أولاداً لم تنجبهم من الرسول، بل علينا أن نعرف أمّ المؤمنين كما كانت، ونعرف غيرها من الشخصيات الاسلاميه كما كانوا، وليس لنا ان نصف لهم ما لم يكن فيهم لأننا أحببنا لهم ذلك.

ألمنا بنواحي من حياه أمّ المؤمنين، فوجدناها من عظيمات النساء الخالدات، ولعلنا لا نجد لها نظيراً خلال أحقاب كثيره من التاريخ.

درسنا حياه أمّ المؤمنين، فوجدناها قويّه في دفاعها عن أنصارها ومعارضه خصومها، وتهديم كيانهم الاجتماعى، وجدناها ترسل الكلمه في تأييد من

ص: ٣٨٥

تشاء تأييده، فإذا الكلمه تبقى له وساماً خالداً مع التاريخ، كما كانت ترسل الكلمه القارصه فى تحطيم خصومها، فتبقى عليه وصمه سوداء فى التاريخ إلى ما شاء الله، وجدناها ترسل الكلمه للتهديم أو التأييد، فإذا الكلمه تنطلق على الافواه، وتسير بها الركبان، ثم تستقرّ فى بطون الكتب لتستعرضها القرون والاجيال، وهذه أهمّ مجالات عظمتها.

والذى يهمننا من جميع ما ذكرنا أننا وجدناها فى كلّ ذلك تتزع من حياه الرسول لما تشاء، فإذا أرادت التحريض على عثمان، أخرجت نعلًا، وقالت:

هذا نعل الرسول، وإذا أرادت تحطيم مروان ذكرت قول النبىّ فيه، ولعنه، وفى بيان فضل عثمان وحياته، حدّثت عن ستر الرسول فخذته عنه، بعد أن كانت مكشوفه أمام غيره، وهكذا حديثها فى غير عثمان، وغير مروان، وبذلك أصبح حديثها أكثر استعراضاً لحياه الرسول من أىّ حديث آخر، وهذا ما دفعنا إلى تجشّم هذا البحث لأننا نريد أن نبحت فى أمر الرسول وحياته، فقد بعث لنا إماماً وقوده، فليعذرنا من ينكر علينا هذا البحث، وليعلم بأن كلّ ذلك لا يقلل من حرمة أمّ المؤمنين لدينا (فلها بعد حرمتها الأولى). (١)

وللبحث عن أحاديثها راجعنا الصحاح، والمسانيد، والتفاسير، والسير، والتواريخ، واستخرجنا منها أبحاثاً عقدنا لدراستها أبواب القسم الثانى من هذا الكتاب، وفّقنا الله تعالى لنشره بحوله وقوّته، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

ص: ٣٨٦

الملحق آراء العلماء حول الكتاب أحاديث أم المؤمنين عائشه

ص: ٣٨٧

الدكتور حامد حفنى داود، استاذ الادب العربى بكلية اللسن

العليا ورئيس قسم الادب العربى بجامعة عين شمس القايره، مؤلف

مكثر معيد، وباحث ناقد حصيف منصف فى المذاهب الاسلاميه.

كتب البحث الاتى حول كتاب احاديث عائشه (رض) فى طبعته الاولى.

((أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى سيدنا محمد (ص)، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثه بدعه، وكل بدعه ضلاله، وكل ضلاله فى النار)).

بهذه الكلمات كان عبدالله بن مسعود رضى الله عنه يفتتح مجالسه العلميه بين أقرانه من الصحابه وتلاميذه من التابعين، وهو حين يبدأ بها مقاله العلمى إنما يعنى اسمى ما يقصد إليه علماء الدين، وطلاب الحقيقه من حيث السعى وراء الحق وحده، والابتعاد عن الضلاله والزيغ وهجر القول وفحشه. وأنه لا سبيل إلى ذلك إلا بالاستمساك بركنى الدين الحنيف وهما: كلام الله سبحانه، وكلام رسوله عليه السلام.

أما (الاول) فلانه الحق الاسمى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، كيف لا، وهو كلام الله سبحانه المعجز للبشر، الدال على نبوه محمد عليه السلام.

وأما (الثانى) فلأنه كلام هذا النبى الامى الامين الكريم الناطق بكتاب الله تعالى، فهو لا ينطق إلا عن وحى، ولا يقول إلا عن صدق، إن هو إلا وحى يوحى، علمه شديد القوى، وقد نعتة سبحانه فى محكم آياته بقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم).

فكل ما جاء عن هذين الطريقتين فهو الحق الصراح الذى لا جدال فيه ولا مريبه. وكل ما جاء عن غير هذين الطريقتين فهو عرضه للنقد والتقويم، والاستحسان، والاستهجان، والتعديل والتجريح.

ولعلَّ القارئ الحصيف قد وقف على ما أعنيه من هذه المقالة، وهو أن هذه الكلمات الحكيمه التى كان يفتتح بها هذا الصحابى الجليل مجالسه كان يقصد بها أمراً عظيماً فى مجال ((التشريع الاسلامى)) وهو العكوف على الكتاب والسنة.

أما الكتاب: فهو واضح ظاهر متفق على ألفاظه وترتيبه اتفاقاً توقيفياً لاجدال فيه، وأما السنه: فينبغى أن تؤخذ بالتواتر عن الثقات الذين لا يتواطؤون على الكذب على رسول الله.

وشىء آخر يجمل بنا أن نستخلصه من هذه الكلمات الصادقه الحكيمه هو أن هذين المصدرين قد ارتفعا عن مقام النقد والتقويم والتعديل والتجريح، وأن ما سواهما ينبغى أن يخضع لميزان النقد وأن نحكم فيه عقولنا، وأن نزنه بموازين الكلام، حتى نميز سقيمه من صحيحه، غثه من سمينه، صريحه من مزيفه.

ونحن فى أبان ذلك لا- يهولنا أمر المتكلم مهما بلغت منزلته من المجتمع ومكاته من الناس، لان المعنى عندنا هو الحقيقه، وكلمه الحق، وليس شىء أكثر من هذا، ولو كان ذلك المتكلم من أصحاب رسول الله (ص). ذلك لان ((الصحابه)) - رضى الله عنهم - مهما بلغوا من درجه العداله والضبط والصدق فى المحافظه على ألفاظ الرسول وعباراته، فإنه يجوز عليهم ما يجوز على سائر البشر من يحث الخطأ والنسيان، فمنهم المعيب، والمخطئ، ومنهم صحيح الذاكره والنسياء، ومنهم خالص القصد والعقيده ومن فى عقيدته دخل أو زيغ، ومنهم الجهل المقربون من حضره الرسول الاعظم، ومنهم المنافقون والخارجون عن الجماعه بنص القرآن.

(وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينه مردوا على النفاق

لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثمَّ يردون إلى عذاب عظيم). (١)

وليس في ذلك ما يهولنا أو يزعزع عقيدتنا في الصحابه، أو يضعف من موقفنا من حمله لواء هذه الرساله الكبرى، إذ ليس هناك جماعه ظهرت على وجه الارض إلا وفيها هذه الانماط البشريه المختلفه، ابتداء من درجه العدل الثقه إلى درجه السفيه الوضاع والمنافق المارق، وذلك قدر أجمعت عليه ((القرائن التاريخيه)) وأيدته ((قوانين الاحصاء)) في دراسه الجماعات الانسانيه منذ آدم حتى اليوم. إلا- أن ناموس التطور في عقليه الجماعات الدينيه وفي أساليب الدعوه إلى الله بلغت متنهاها في شخص محمّد وصحبه.

فلم يكن هناك نبئى جاء بأعظم ممّا جاء به، ولم تكن هناك جماعه أصدق عزمًا ولا أكثر عددًا من جماعته. فكان صلوات الله عليه يمثّل - حقًا - نقطه الكمال فيما انتهت إليه الرسالات السماويه؛ كمال في ذاته الشريفه فهو سيّد الانبياء، وإمام المرسلين، وكمال في دستوره وقرآنه لأنّه جامع لما جاء قبله من شرائع، وكمال في أصحابه لأنّه كان بهم أكثر أولى العزم المرسلين تابعاً. (٢) وفي ذلك يقول: صلوات الله عليه:

((ما من نبئٍ إلا وقد أُعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أتيته وحياً أوحاه الله تعالى إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)).

ولكنّ هذا الكمال الذى عرّف به أصحاب محمّد (ص) لا يناقض أن يكون من بين الجماعه نفر أخلّوا بما أمر به صلوات الله عليه من استمساك بأهداب الشريعة واعتصام بما جاء به محمّد من هدى. كما أن ذلك في نفس الوقت لا يمنع من أن تضع هذه الصفوه من الجماعه أو هذا الرعيّل الاول من

ص: ٣٩١

١- . سورة التوبه / الايه ١٠١.

٢- . أولو العزم من الرسل هم: نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) وقد رتبهم الناظم وفق درجاتهم فى قوله: محمد و ابراهيم وموسى كلّمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

فهذه الصفوه لم تكن من نمط واحد من العدالة، كما أنها لم تسلم من الدخيل عليها، ولا من التظاهر بالاسلام المنخفي للكفر، على الرغم مما كان يهدف إليه صلوات الله عليه من هدايه البشر جميعاً، وما يرجوه من الوصول بهم إلى أسمى درجات الهدايه وأعلى منازل الصديقين.

وقد أشار الله في محكم آياته إلى ما كان يعتلج في صدر هذا الرسول الاعظم من رغبه صادقه عنيف في أخذ الناس جميعاً إلى طريق الله، وميل في السلوك بهم كل سبيل يحقق لهم معانى الهدايه، بلا استثناء فرد واحد من البشر.

وقد أشار الله إلى هذا الخلق العظيم في مواضع كثيره. فقال في موضع: (فذكر إنما أنت مذكر * كست عليهم بمسيطر). (١)

وقال في آخر: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء). (٢)

وقال في ثالث: (فذكر إن نفع الذكرى). (٣) إلى عشرات الايات التي تشير إلى اصرار هذا المصلح الاكبر، ورغبته الشديده في هدايه الناس جميعاً، واشفاقه عليهم من أن يسلكوا غير سبيل الهدايه، وهو في هذا النهج القويم لا يرضى وواحد منهم خارج عن الجماعه.

وقد أثنى الله على رسوله فيما كان يهدف إليه من مثاليه في الدعوه إلى الله، فقال عز من قائل: (وإنك لعلى خلق عظيم) وواساه فيما لم يتحقق له من هدايه الناس جميعاً، وفيما كان يرجوه من انقاذهم من ضلال الكفر، وظلام الجهل بما قدّمه له من قصص إخوانه الانبياء والمرسلين في العصور السوالف.

ص: ٣٩٢

١- .سوره الغاشيه الايه ٢١.

٢- .سوره القصص الايه ٥٦.

٣- .سوره الاعلى الايه ٩.

وأن هذه سنة الله في خلقه، (ولن تجد لسنة الله تبديلاً). (١)

كل هذا يدلنا دلالة قاطعه على أن جلال الاسلام في مبادئه ومثله وليس في أشخاصه. وأن جلال الاسلام لا يتأثر بالأشخاص مهما واطأوا على تأييده أو تواطأوا على هدمه.

أقول: ولو أن أهل الارض جميعاً ومثلهم معهم أجمعوا على حرب الاسلام ومناصبته العدا ما نقصوه شيئاً من جلاله، ولو أن أهل الارض جميعاً ومثلهم معهم اعتنقوا مبادئه ما زادوه جلالاً على جلاله. فسرُّ هذا الاسلام في مبادئه المثاليه، وسرُّ هذه المبادئ مشخص في ذات المبادئ نفسها وليس في الأشخاص. وهذه لفته لا يدركها إلاّ الراسخون في العلم.

ومن ثمّ فإنه لا يضير الاسلام بحال من الاحوال أن يعرض الصحابه للنقد، وأن يتناول الباحثون أقوالهم وسير حياتهم وسلوكهم بالتفنيد والتحليل. بل إن الاسلام الذى وضع مبادئ العدالة في الاحكام ومبادئ المساواه بين الأشخاص يبيح ذلك النقد وذلك التحليل، بل يحث عليه ويأمر به مادام ذلك النقد قصد به السعى وراء الحقيقه والدعوه إلى الطريق السوى. وما لنا نذهب بعيداً عن هذا الذى نقصد إليه ونتوخاه!!

وقد رسم لنا المصلح الاكبر محمّد عليه السلام هذا المنهاج العادل في الحكم على الناس جميعاً، حين حثنا بطريق مباشر وغير مباشر [على] أن نستمسك بكلمه الحق لذاتها دون مراعاة للأشخاص، وأن ننصر الحق وإن كان في جانب الضعيف الحقير، وأن نكيد للباطل وإن كان في جانب القوى العظيم، وأن لا نفرق بين الشريف والوضيع في تنفيذ حدود الله تعالى. وقد جاء في الاحاديث الصحيحه أن أسامه بن زيد - وهو حبّ رسول الله وابن حبه - استشفع عنده في امرأه من اشراف قريش سرقت، ولكن المصلح الاكبر أبلى أن يعطل حكم الله فيها، وأرسل قائته المشهوره الخالده:

ص: ٣٩٣

((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلِكُ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحُدُودَ. وَإِيْمَ اللّٰهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتَ يَدَهَا)).(١)

وهكذا أبى محمد، مؤسس قواعد المثاليه والعداله والمساواه على وجه الارض، أن يعطل حدود الله من أجل هذه المرأه المخزوميه مهما بلغت من المكانه فى نسبها والعزّه فى قومها.

وكم أثنى رسول الله على جماعه من أصحابه غلب عليهم الضعف والوهن، وأرهقهم الفقر وقله ذات اليد، ولكنهم ارتفعوا بإيمانهم حتى جاوزوا عنان السماء بفضل إخلاصهم للدعوه وتفانيهم فى حبّ صاحب الشريعه، وحبّ آله من بعده، منهم سلمان، وعمار، وأبو ذر، والمقداد.

ولو كان هذا التفاضل يقوم على أساس العلو فى النسب، والعزه فى القبيله، والكثرة فى المال، والبهرجه فى المظاهر؛ لما قال صلوات الله وسلامه عليه فى حق سلمان الفارسى: ((سلمانٌ مِنَّا أهل البيت)).(٢) ذلك لان نسب التقوى، وصله الروح، ودرجه الايمان تقطع ما دونها، وتعلو على مساواها من القيم.

وهكذا ألقى الرسول الاعظم (ص) الحواجز الطبقيه بين الناس قبل أن يلغيا فلاسفه الاشتراكيه بمئات السنين، وهكذا كان ينصر الضعيف التقى على القويّ الجائر حين أرسى بين الناس ميزان العدل وجعلهم جميعاً سواء

ص: ٣٩٤

-
- ١- . صحيح مسلم ١١٤/٥ باب السرقة فى الشريف وغيره.
 - ٢- . وجاء فى صحيح مسلم أن أبا سفيان - وهو شيخ قريش - أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر: اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟! فأتى النبيّ (ص) فأخبره. فقال يا أبا بكر: لعلك أغضبتهم! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك... الحديث تجده فى: صحيح مسلم ١٧٢/٧.

أمام هذا الميزان. وقد جاءت النصوص مبشره بذلك في القرآن، وفي الحديث القدسي، وفي الحديث النبوي.

فما جاء في القرآن:

(يا أيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ). (١)

وجاء في الحديث القدسي:

((من أطاعني أدخلته الجنة ولو كان عبداً حبشياً ومن عصاني أدخلته النار ولو كان شريفاً قرشياً)).

وقد أشار الرسول (ص) في ((أحاديث المغيبات)) [إلى] أنّ من أصحابه من سيسلك مسلك الجادّه، وأن منهم من سيحيد عنها، وأن منهم من سيُغى عليه، ويُجارُ عليه، وأن منهم الباغي، والجائر. فخاطب عمار بن ياسر رضي الله عنه قائلاً:

((يا عمار سَتَقْتُلُكَ الفئه الباغيه)).

وخاطب علياً بقوله: يا عليّ! أتدرى من أشقى الأولين والآخرين.

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: أشقى الأولين عاقر الناقه، وأشقى الآخرين الذي يطعنك. (٢)

وفي هذا كله إشاره لا تقبل الجدل على أن أصحابه - من حيث التفاوت في الدرجات - هم كسائر البشر، سواء منهم ألامعى الكامل، ومنهم الناقص الخارج، فضلاً عن كونهم ليسوا سواء في صدق الصحبه ومراتب الدعوه.

أبعد ذلك يتلمس المتلمسون دستوراً أعظم من هذا الدستور يستندون عليه في جواز نقد الصحابه؟!

إنّ الصحابه والناس جميعاً سواء في نظر هذا الدين الحنيف، إنما يتفاضلون بالتقوى، وبمقدار ما أحرزوه من توفيق في تطبيق هذه المبادئ،

ص: ٣٩٥

١- . سورة الحجرات الايه ١٣.

٢- . ابن قتبيّه (الامامه والسياسه) ١١٩/١ طبعه القايره.

فالصحابى لا تتفق صحبته فى شىء إذا لم يستمسك بما جاء به محمّد (ص) من شرائع ومبادئ ومثل عليا.

والمعاصرون - أمثالنا - لا يضرهم فى شىء بعد ما بينهم وبين رسول الاسلام من قرون وأزمان سحيقه إذا صحّ فهمهم لهذه المبادئ وصدقت عزيمتهم فى الاستمساك بأهدابها الساميه. فكم من قريب وهو بعيد، وكم من بعيد وهو قريب!!

أقول: إنّما مثلنا ومثل أصحاب رسول الله (ص) فى الدعوه إلى الحق وفى وجوب تبليغ ما جاء به إلى الاجيال المتلاحقه؛ هو سواء. نعم! وليس للصحبه من منقبه أعظم من شرف المشاهده لصاحب الشريعه والاخذ عنه.

ولكن ينبغى أن نعلم أن هذه الصحبه لها وجهان متميزان، فهى نعمه عظمى، وحجه دامغه على صاحبها فى آن واحد.

وأعنى بذلك أنه لو كان لهذه الصحبه موضع شفاعه لصاحبها أو حصانه تنفى عنه التعرض للنقد، أو تصونه من محنه الامتحان والابتلاء والحكم عليه أو الحكم له، لما خاطب صلوات الله وسلامه عليه فاطمه الزهراء - وهى بضعه من جسده الشريف وسيده نساء العالمين بلا مدافع - بقوله:

((يا فاطمه بنت رسول الله سليمانى بما شئت، لا أغنى عنك من الله شيئاً...)).(1)

قال ذلك حين نزل قوله تعالى: (وأندر عشيرتك الاقربين).

نعم! إن المبادئ المثاليه التى جاء بها محمّد (ص) فى العداله والمساواه تضع الناس جميعاً فى موضع واحد حينما تأخذ فى تطبيق الاحكام عليهم.

وبالامس القريب أخرج الاستاذ المحقق السيد مرتضى العسكرى إلى العلماء والباحثين كتاب أحاديث أمّ المؤمنين عائشه وهو حين يقدم هذا الكتاب

ص: ٣٩٦

١- . صحيح مسلم ١/١٣٣ باب وأندر عشيرتك الاقربين.

إلى القراء إنما يعنى بذلك صنفاً معيناً من القراء، وهم الخيره الخالصه والنخبه الممتازه الذين تطمح نفوسهم إلى كلمه الحق خالصه نزيهه، وتشتاق أفئدتهم إلى تعمق التاريخ الاسلامى، والتبصر بتاريخ التشريع. وهو حين يتجه إلى هذا البحث العميق يجد أمامه من النصوص فى حياه السيده عائشه مستنداً راسخاً يستند إليه ويدعم به آراءه، من حيث الدراسه الحره التى تهدف إلى الحق وحده مهما كان ذلك الحق مرأً عند قصار النظر وعند من أساءوا الحكم على الصحابه فجعلوا لكل طبقه منهم ميزاناً خاصاً فى نقدهم والحكم عليهم، مع أن عداله الاحكام التى علمنا إياها إمام المرسلين تقتضى توحيد الميزان، وتقتضى توحيد وضع المحكومين عليهم أمام هذا الميزان.

إن كلمات محمّد الخالدهات فى المساواه والعداله فى الاقوال والافعال تعتبر - فى نظر المنهج العلمى الحديث - دستوراً أصيلاً نعتد عليه فى أبحاثنا العلميه حين ننقد الاشخاص، وحين نزن أقوالهم، فتناسى إبان حكمنا عليهم مكانه الاشخاص مهما كانت مكانتهم، ونذر الاقوال والافعال وحدها مهما كانت شخصيه صاحبها.

وأعنى بما أقوله أن رسول الاسلام وخاتم النبيين علمنا - بطريق غير مباشر - أن نسلك فى البحث العلمى جانب ((الموضوعيه)) وأن نتجنب كل ما يمت إلى ((الذاتيه)) فى البحث. علمنا صلوات الله عليه هذه الاصول العلميه وقررها فى مجال البحث العلمى قبل أن يتشدد بها دعاه المذاهب التجريبيه وفلاسفه العلوم الحديثه فى أوروبا، وفى أمم الغرب قاطبه.

والاستاذ العسكرى فى كتابه هذا يسلك سبيل الباحثين المعياريين والمقنين الذين يتناولون قضايا البحث العلمى فى صوره منتظمه مستأنيه رتيبه. وقد أبان فى صدر هذا الكتاب كثيراً من العقبات التى تعترض الباحثين، وأخطرها انقياد الباحث إلى عواطفه حين يؤثر حزبا على حزب وشخصاً على آخر كلما وجد فى هذا أو ذاك هواه الشخصى، على حين يكون الحق بخلاف ذلك، كذلك أفصح عن الحالات التى يكون فيها الباحث

مغرضاً في بحثه مستتراً خلف ستار لطيف يخفى وراءه كلمه الحق وأكثر ما يكون ذلك عند الباحثين الذين يحاولون التوفيق بين رأيين متناقضين. فالتوفيق من حيث الظاهر والمتبادر إلى العقول جميل، ولكن الحق لن يجتمع في رأيين متناقضين أبداً.

وقد استطاع السيد العسكري أن يتخلص في بحثه هذا من العيوب التي تعترض سبيل الباحث العلمي. فنظر في بحثه نظره موضوعيه مجردة عن الاشخاص وأقذارهم وعن جميع الغايات إلا- غايه واحده، وهي الحق لذاته، ومن ثم استطاع أن يترك العاطفه جانبا وأن يطرح الالهواء وراءه ظهرياً، فالترزم في بحثه هذا حكم العقل وحده، كما أنه تحرز من التعصب الاعمي، فلم يتعصب لرأى على رأى. ولا لحزب على حزب، ولو كان في هذا الحزب مذهب. وليس جمال البحث في أنه وضع دستوراً لهذا البحث، وإنما الجمال الحقيقي الذي يلفت نظر الباحثين ويستولى على إعجابهم - فضلاً عن تقديرهم - هو أنه استطاع أن يطبق هذه الدستور تطبيقاً عملياً في بحثه هذا، وأن يقف من أحاديث أم المؤمنين موقفاً حازماً يجلى الحقيقه في أبعث حللها حين آثر الحقائق على أقذار الاشخاص.

وقديما لفت نظري وأنا أخرج كتابي ((الاسراء والمعراج في ضوء المنهج العلمي الحديث))، أن ألتقى بحديث مروى عن أم المؤمنين عائشه - رضى الله عنها - تنفى فيه كون الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً، وتصرت على أنهما كانا بالروح، وقد وافقها على هذا الرأي جماعه من الصحابه منهم معاويه ابن أبى سفيان(1) فكانت هذه عندى أول لثمه داخلنى فيها الشك فى صحه بعض ما روى لنا عن أم المؤمنين من أحاديث، فحفزنى ذلك على أن أبحث عن بعض ما جاءنا من هذه الاحاديث، ولكن يأبى الله إلا أن ينفرد الاستاذ

ص: ٣٩٨

١- . الدكتور حامد حفى داود ((الاسراء والمعراج فى ضوء المنهج العلمى الحديث)) ص ٣٦.

العسكري بنقد أحاديث أم المؤمنين عائشه وأن يتناول دراسته أسانيدھا ومتونها في صورہ علميہ مفصلہ، فأغنانی فيما جاء به مؤونه البحث المقنع حين سلك فيه المسلك الذي يرضى المنهج العلمي الحديث.

وإن القرائن التاريخيه لتدلنا على ما جاء في بعض أحاديثها من ضعف لا يداخلنا فيه الشك.

فهذه الاحاديث التي تروى عن خلافه الشيخين دون التعرض لذكر عليّ ينبغي أن نقف منها موقف الحذر الشديد والتثبت التام، وكذلك الاحاديث التي تروى عن فضائل الشيخين وفضائل عثمان، وسيره الامام عليّ، لأنه - ممّا لاشك فيه - كان للعاطفه في هذا المجال دور خطير.

فموقفها من أبي بكر موقف الابنه من والدها، كما أن موقفها من عمر موقف يختلف بكثير عن موقفها من عليّ الذي يعتبر منافساً للشيخين.

وفي خروجها على عثمان وتحريضها على قتله ثمّ مطالبته بدمه والتأر له لون من التردد في الرأي يحملنا على الشك في أحاديثها عنه، وكذلك موقفها ضدّ عليّ ومساندتها لخصومه وانضمامها إلى طلحه والزبير الناكثين لعهدهما في موقعه الجمل فيه شيء كثير من التحامل على شخصيه الامام الورع، وفيه دعوه إلى التفرقه في صفوف الجماعه الاسلاميه، وفيه تنفيس عن شيء في النفس، حتّى أثر عنها أنها سجدت لله شكراً يوم انتهى إليها نبأ مقتل الامام(١) ثمّ قالت متمثله:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافر(٢)

فكلّ حديث لها يمت إلى شيء من هذه الاحداث الكبرى يجب أن نقف منه في حذر شديد، وأن نقنع نفوسنا بكلمه الحق مجردة عن الاشخاص والاهواء.

ص: ٣٩٩

١- أبو الفرج الاصبهاني ((مقاتل الطالبين)): ص ٤٣.

٢- السيد العسكري ((أحاديث أم المؤمنين عائشه)) ص ٢٠٣.

وقد يكون من حق الصحابه أن يخطئوا، فكل إنسان - كائناً من كان - من حقه أن يصيب وأن يخطئ في الامور الظنيه ما دام يجتهد اجتهاده الخاص، ولكن ليس من حق الباحثين أن يلغوا عقولهم وتفكيرهم المنطقي، أو أن يتصاغروا أمام الشخصيات الكبرى فيخفوا كلمه الحق، وكذلك ليس من حقهم أن يضعوا اجتهاد المخطئ واجتهاد المصيب في درجه واحده من القبول والامتناع، بل يجب علينا أن نتثبت من ذلك كل التثبت.

ولن يضير أمّ المؤمنين أن تجتهد وتخطئ ما دام هذا الحق مشروعاً لكل من بلغ درجه الاجتهاد وما دام كل مجتهد محاسباً على اجتهاده بين يدي الله سبحانه، ولكن الضائر حقا - في نظر المنهج العلمي الحديث - أن نقف نحن من على وعائشه موقف المتحامل المغرض، وأن نضعهما في منزله واحده من العدالة، وأن نسوي بين من اجتهد وأصاب - وهو عليّ رضي الله عنه - ومن اجتهد وأخطأ - وهو عائشه، أو معاويه، أو غيرهما من الصحابه المتحاملين على الامام عليّ - . لقد كان عليّ رضي الله عنه أمه وحده، لا لمحض كونه باب مدينه العلم، ولا لكونه وصي محمّد عليه السلام، ولا لزياره لسانه، أو قوه جنانه، وشجاعته في الحق، وإرسائه قواعد هذا الدين الحنيف ليس غير، ولكن لشيء خطير هو مناط ذلك كله، ألا وهو مراقبه الله سبحانه في جميع أقواله وأفعاله وحر كاته وسكناته، حتّى لقد كان يضيق على نفسه ويشق عليها من أجل تحقيق المصلحه العامه للمسلمين وإيثاره دنياهم ومصلحتهم على دنياه ومصلحته، ولو كان في ذلك أشد الضيق على نفسه.

ولقد كان في خلافته مثلاً أعلى؛ نراه في الطعمه، وعداله في الاحكام، وعزوفاً عن الدنيا.

سعى غيره إلى الخلافه؛ وسعت الخلافه إليه، وآثر غيره مصلحه نفسه ومصلحه أقاربه، وآثر هو مصلحه المسلمين على نفسه وعلى أقاربه (ويؤثرون

على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة). (١)

وتبجح غيره على فقراء الصحابه وعدولهم على حين ساواهم هو وأنزلهم منزله النفس والولد، وليس أقل من أن يقال: مزج غيره المصلحه العامه بالمصلحه الخاصه، ولكنه أبى أشد الالباء إلا أن يعمل للمصلحه العامه وحدها، متحرزاً من أن يعمل أو يجتهد لمصلحته الشخصيه.

روى ابن قتيبه فى الامامه والسياسه؛ أن عقيل بن أبى طالب قدم على أخيه ((على)) بالكوفه.

فقال له على: مرحباً بك وأهلاً، ما أقدمك يا أخى؟

قال: تأخر العطاء عنا، وغلا السعر ببلدنا، وركبنا دين عظيم، فجئت لتصلنى.

فقال على: والله! ماترى لى شيئاً إلا عطائى فإذا خرج فهو لك.

فقال عقيل: اشخوص من الحجاز إليك من أجل عطائك! وماذا يبلغ منى عطاؤك وماذا يدفع من حاجاتى؟

فقال الامام الورع رضى الله عنه: هل تعلم لى مالاً غيره؟ أم تريد أن يحرقنى الله فى نار جهنم فى صلتك بأموال المسلمين. (٢)

ولاشك أن عقيل - الذى لم يسعه عدل الامام الورع ارتحل إلى معاويه الذى لا - يميز بين الحلال والحرام، ويعتبر بيت المال وأموال المسلمين جميعاً ملكاً له وحده!!

فهذه صورته واضحه تدلنا على مثاليته ((على)) فى الورع وإيثاره المصلحه العامه على نفسه وأهله وأقاربه، وهى - وايم الله - مثاليه لم يبلغ مبلغها أحد غيره من الصحابه، ولله دره حين كان يردد قائلته المشهوره ((يا دنيا غرى غرى)).

ص: ٤٠١

١- . سورة الحشر الايه ٩.

٢- . الدكتور حامد حنفى داود ((مجلة الاسلام)) السنه ٣٣ العدد ١٤ تنظيم الصدقه فى الاسلام.

ما أحسب صحابياً إلا وفي اجتهاده نظر إلا ((علياً)) فقد كان في اجتهاده أمه وحده. أقول ذلك وأشهد به في كل ما عرض أمامه من الاحداث السياسيه في الاسلام:

إجتهد عمر في الخلافه فألبس أبا بكر رداءها، واحتج لذلك بأنه أراد دعر الفتنه، ثمّ تحمل مسؤوليتها من بعده. واعترف هو بهذا الذى صنع فى أكثر بمن موضع (1) وحين عرض بعض الصحابه مبايعه ابنه عبداللّه بن عمر من بعده قال:

بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمّه محمّداً. أمّا ((عليّ)) فإنّه أقام الحجّه على الشيخين حين كان منصرفاً إلى ما هو أعظم من ذلك وهو تجهيز رسول الله (ص) فى بيته فلزمت الحجّه أبا بكر وعمر بما اجتهدا فيه دون عليّ، وصار عليّ صاحب حق فيما أخذ به دونهما.

واجتهد ((عبدالرحمن بن عوف)) فى انتخاب أحد الرجلين على وعثمان للخلافه وذلك من بين الستة الذين اختارهم عمر، فقرأ على عليّ فعثمان نص العهد والميثاق، وبدأ بعليّ لعلّه يعرفها اللّمّاحون فقبل ((عليّ)) من العهد والميثاق ما تستطيعه طاقته البشريه بين يدي الله ورسوله ما تطمئن له نفسه. وقبل عثمان نص العهد والميثاق بما تستطيعه نفسه وبما لا تستطيعه حتّى لا تفلت الخلافه من يده.

فكان ((عليّ)) - فيما ارتضاه لنفسه من ميثاق ابن عوف - أحرص على الله ورسوله ومصالحه المسلمين من حرصه على منصب الخلافه، وكان ((عثمان)) أحرص على ذلك المنصب من حرصه على ما سواه. والله أعلم، إن كان على يقين مما أُلزم به نفسه من حجه أو كان الامر أدخل عليه إدخالاً، فإن ذلك من أفعال القلوب التى ينبغى ألا نحكم عليها، ونكتفى منها بالظاهر دون

ص: ٤٠٢

١- . جاء فى ((صحيح البخارى)): كان يبعه أبى بكر فلتته وقى الله المسلمين شرّها.

الباطن، ومن ثمَّ كان اجتهاد ((عبدالرحمن)) و ((عثمان)) نظراً، على حين أصاب ((عليّ في اجتهاده)) لما خرج من ورطه إقامه الحجّه على نفسه فيما هو مغيب من الامور عنه.

واجتهدت ((عائشه)) فأيدت ((عثمان)) ثمَّ خرجت عليه فكان في اجتهادها نظر، بينما اطمأن ((عليّ)) إلى مبدئه بعد أن أقام الحجّه على منافسه، فلم يخرج على ((عثمان)) خروج ((عائشه)) عليه.

واجتهد ((عليّ)) بعد مقتل عثمان، فلم يقبل من طلحه والزبير المبايعه له إلا أمام الناس وباجماع المسلمين في المسجد. فقام وخطب الناس:

((إني قد كنت كارها لامركم فايتمم إلا أن أكون عليكم. ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معي. ألا وإنه ليس لي أن آخذ من درهم دونكم،... ثمَّ قال: أرضيتم قالوا: نعم.

قال: اللهم اشهد عليهم. ثمَّ قبل بيعتهم على ذلك)).(1)

وهكذا أقام ((عليّ)) الحجّه عليهم، وأصاب فيما اجتهد فيه حين برأ منهم الذمه وأصبح مطلوباً لهذا الامر لا طالباً له.

فكل من خالفه بعد هذه الخطبه ناكث، وكل من حافظ على بيعته له مؤمن صادق الايمان. وذلك اجتهاد لا يعادله اجتهاد صدقاً وإخلاصاً ونزاهه عما في بيت المال، وعما في أيدي المسلمين.

ثمَّ اجتهدت ((عائشه)) مره ثانيه حين طالبت بدم عثمان وخرجت في صحبه طلحه والزبير اللذين نكثا العهد، ونقضوا البيعه لعلّي، فأخطأت الاجتهاد حتّى قيل أنّها ما خرجت للمطالبه بدم عثمان إلا لتفرقه الجماعه الاسلاميه حول عليّ، ولو كانت البيعه لغير عليّ ما خرجت. وأصاب على حين لم ينكث عهده ونكث هؤلاء عهودهم، وأصاب حين دافع عن نفسه في موقعه الجمل لا باعتباره ((عليّاً)) بل باعتباره خليفه المسلمين والذائد عن

ص: ٤٠٣

١- ابن جرير الطبري تاريخ الامم والملوك ١٥٢/٥-١٥٣.

حياض هذه الجماعه الاسلاميه، ولو كان دفاعه لاعتبار شخص أو لهوى فى نفسه لما رد أمّ المؤمنين إلى المدينه معزّزه مكرمه.

فكان اجتهاد ((عائشه)) رضى الله عنها ثانى ثلمه حدثت فى صرح الاسلام بعد اجتهاد عمر فى توجيه الخلافه الاسلاميه. وليس الذى نقول بدعاً من القول، أو ضرباً من التحامل، وإنما هو حقائق مقررره أجمع عليها العدول من المجتهدين وثقات المؤرخين.

وقد أحدث اجتهادها ضجه فى نفوس أهل الحق ابتداء من عصر الصحابه إلى يومنا هذا.

وها هى أمّ سلمه ضررتها، واختها فى الاسلام والعشره والصحبه لرسول الله (ص) ترسل إليها كتابا حكيمًا تطلب إليها فيه العدول عن الخروج وتنهاها عن الفرقة:

((من أمّ سلمه زوج النبى (ص) إلى عائشه أمّ المؤمنين.

فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو.

أما بعد فقد هتكت سده بين رسول الله (ص) وأمته، وحجاباً مضروباً على حرمته، قد جمع القرآن ذبولك فلا تسحبيها، وسكر خفارتك فلا تتبذليها، والله من وراء هذه الامه. لو علم رسول الله (ص) أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك، أما علمت أنه قد نهاك عن الفراطه فى الدين؟ فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن انصدع. جهاد النساء غض الاطراف وضّم الذبول وقصر المواده، ما كنت قائله لرسول الله (ص) لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصبه قلو صك قعوداً من منهل إلى منهل؟ وغداً تردين على رسول الله (ص). وأقسم لو قيل لى: يا أمّ سلمه أدخلى الجنه لاستحييت أن ألقى رسول الله (ص) هاتكه حجاباً ضربه على، فاجعليه سترك، وقاعه البيت حصنك فإنك أنصح لهذه الامه ما قعدت عن نصرتهم،

ولو أنى حدثتكَ بحديث (١) سمعته من رسول الله (ص) لنهشتنى نهش الحيه الرقشاء المطرقه والسلام)). (٢)

فهذا النص برهان آخر على ما فى اجتهاد عائشه من خطأ، وما فى خروجها من زعره لوحده الجماعه الاسلاميه، فضلا عن أنها لم تجد فيما خرجت إليه من يساندها فى الخروج من أمهات المؤمنين.

ثم اجتهد ((معاويه)) فى المطالبه بدم عثمان، كما اجتهدت أم المؤمنين من قبل، ولكن اجتهاده لم يكن لاجل مصلحه الجماعه الاسلاميه، ولا لاجل المعانى الانسانيه، وإنما ليجد من وراء ذلك القصد مطيه رخيصه يصل بها إلى منصب الخلافه عنوه فكان اجتهاده باطلا، وذلك أسوأ مراتب الاجتهاد إن صح لنا أن نسمى ذلك النوع اجتهاداً.

وأصاب عليّ حين نَبّه الجماعه الاسلاميه إلى بطلان معاويه فى موقفه فأصاب وأصاب كل من انحاز إلى جماعته، على حين أساء معاويه إلى الجماعه الاسلاميه، وكذلك أساء كل من سلك مسلكه وورد مورده، فما من محارب قتل فى جيش عليّ رضى الله عنه دفاعاً عن مثله ومبادئه إلا وهو شهيد؛ مجتهداً كان أو مقلداً، وما من محارب قتل فى جيش معاويه دفاعاً عن مزاعمه إلا وهو عاص، مجتهداً كان أو مقلداً؛ ذلك لانه من الفئه الباغيه التى قتلت عمار ابن ياسر كما نص على ذلك الحديث النبوى. (٣)

وقد جهل السطحيون من المستشرقين والمحدثين فهم هذه المواقف الخالده التى أصاب فيها ((عليّ)) مواطن الاجتهاد على حين أخطأها غيره،

ص: ٤٠٥

١- . نشير الى قوله (ص) من ((أحاديث المغيبات))، وهو قول عائشه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لنسائه: ((كأنى بإحداكن قد تنبجها كلاب (الحوأب) وإياك أن تكونى أنتِ ياحميراء)).

٢- . ابن عبد ربّه ((العقد الفريد)) ج ٣ ص ٩٦. وط. ٢ القاهره ١٦٣-١٣٧٢ هـ ٣١٦/٤-٣١٧.

٣- . الدكتور حامد حفنى داود ((دراسات فى الخلافه الاسلاميه)) (مخطوط).

وذلك قدر لا حاجة لنا إلى إمامته اللثام عنه في هذا المقام، وقد أفردنا له كتابنا ((دحض مفتريات المستشرقين))، وما علم هؤلاء المستشرقون أن ((علياً)) يؤثر دينه على دنيا الناس، ويقدم مراقبه الخالق سبحانه على مجامله المخلوقين.

جهل هؤلاء السطحيون من المستشرقين وصغار الباحثين هذه المعانى العميقه الساميه لأن السياسه فى نظرهم هى انتهاز الفرصه التى تقوم على المخاتله، والمواربه، والكذب والنفاق، والمد والجزر، والامتناع فى موضع القبول، والقبول فى موضع الامتناع، وهى عند الامام الورع والمثالى الحجه شىء أسمى من ذلك، هى مثل عليا قوامها الكياسه والعقل وأساسها المجاهره بالحق، وهدفها المصلحه العامه للانسانيه جمعاء.

أقول: إنَّ مثل عليٍّ وخصومه مثل رجلين ارتفع الاول بروحه إلى كلمه الحق فأثر النور على الظلام والمثل الباقية على الماديات والمظاهر الخلافيه الفانيه، وانحدر الثانى إلى الارض فلم يرق شيئاً فخيّم عليه الظلام وطغت عليه ماديات الحياه فتغير بتغيرها، وتلوّن بتلونها، وفنى بفنائها، وشتان ما بين الرجلين، لا يستويان مثلاً.

فالاستاذ العسكرى - كافأه الله على كلمه الحق - لا يبغي من وراء هذا البحث العلمى النزيه الدقيق أن يثير نائره المسلمين على عائشه رضى الله عنها - على الرغم ممّا أخطأت فيه من اجتهاد - وإنّما يرجو من وراء ذلك - خالصاً لله وحده - تصحيح المفاهيم والاضاع التاريخيه التى تحجرت فى عقول كثير من الناس، فأخطأوا فهم الصحابه، ولم يميزوا بين الحق والباطل من الاقوال، وجهلوا الكثير من دعائم التاريخ والتشريع الاسلامى وهو يلتمس جاهداً - من وراء ذلك - أن يفهم الناس أحاديث رسول الله (ص) فى ضوء العلم وحده بعيداً عن العاطفه والحزبيه والعصبيه، وإنهم لو استطاعوا ذلك أو شيئاً من ذلك لسهل عليهم أن يدركوا سرّ الاختلاف بين الاحزاب الاسلاميه والمذاهب الفقهيّه، إلى أى حدّ كان هذا الاختلاف مصنوعاً، صنعته الحكام الذى كانوا يؤثرون حزباً على حزب، ويضعون ماشاءوا أن

يضعوا من الاحاديث من أجل تدعيم ملكهم وإقامه حزبهم، ولو كلفهم ذلك حمل بعض الصحابه على تحريف الكلم عن موضعه وتأويل ما جاء عن الرسول، أو على الاصح انتحال الكذب على الصحابه والتقول باسمهم بكل ما يروونه فيه مؤيداً لاهوائهم، ومدعماً لملكهم.

وقبل أن أختتم هذه الكلمه العلميه الخالصه لوجه الحق؛ أحبّ أن أهمس في أذن البحاثه الاستاذ العسكري؛ أن يجعل من هذه الدراسات العلميه أساساً متيناً لما هو أعظم من ذلك، وهو محاوله التقريب بين المذاهب الاسلاميه في صوره يقرّها العلم وتشفع لها الرابطه الاسلاميه الموحدّه. وعساه - بما جبل عليه من ميل للبحث، وصبر على الدرس - أن يحاول ذلك قريباً. فلسنا نعرف فرقاً جوهرياً بين السنّي المنزّه، والشيعي المعتدل ولاشكّ أن كلاّ منهما يزين صاحبه ويكمل ما عنده من نقص، مادامت الغايات خالصه والاهداف واحده، والله من وراء القصد.

دكتور حامد حفني داود

أستاذ الادب العربي بكلية الالسن العليا

القاهره في ١٧ شوال سنه ١٣٨١ هـ -

الموافق: ٢٣ مارس سنه ١٩٦٢ م

ص: ٤٠٧

الفهارس الفنيه

اشاره

ص: ٤٠٩

الصوره

□

ص: ٤١١

الصوره

□

ص: ٤١٢

الصوره

□

ص: ٤١٣

الصورة

□

ص: ٤١٤

الصورة

□

ص: ٤١٥

الصورة

□

ص: ٤١٦

الصوره

□

ص: ٤١٧

الصورة

□

ص: ٤١٨

الصورة

□

ص: ٤١٩

الصوره

□

ص: ٤٢٠

الصوره

□

ص: ٤٢١

الصورة

□

ص: ٤٢٢

الصوره

□

ص: ٤٢٣

الصورة

□

ص: ٤٢٤

الصوره

□

ص: ٤٢٥

الصورة

□

ص: ٤٢٦

الصورة

□

ص: ٤٢٧

الصورة

□

ص: ٤٢٨

الصورة

□

ص: ٤٢٩

الصوره

□

ص: ٤٣٠

الصورة

□

ص: ٤٣١

الصوره

□

ص: ٤٣٢

الصوره

□

ص: ٤٣٣

الصورة

□

ص: ٤٣٤

الصوره

□

ص: ٤٣٥

الصورة

□

ص: ٤٣٦

الصوره

□

ص: ٤٣٧

الصوره

□

ص: ٤٣٨

فهرست الوقائع التاريخيه

الصوره

□

ص: ٤٣٩

الصوره

□

ص: ٤٤٠

الصورة

□

ص: ٤٤١

الصوره

□

ص: ٤٤٢

الصوره

□

ص: ٤٤٣

الصوره

□

ص: ٤٤٤

الصوره

□

ص: ٤٤٥

الصوره

□

ص: ٤٤٦

الصورة

□

ص: ٤٤٧

فهرست الكتب والوثائق

الصوره

□

ص: ٤٤٨

الصوره

□

ص: ٤٤٩

الصورة

□

ص: ٤٥٠

الصورة

□

ص: ٤٥١

الصوره

□

ص: ٤٥٢

الصوره

□

ص: ٤٥٣

الصورة

□

ص: ٤٥٤

الصورة

□

ص: ٤٥٥

الصوره

□

ص: ٤٥٦

فهرست اسماء المؤلفين

الصوره

□

ص: ٤٥٧

الصورة

□

ص: ٤٥٨

الصوره

□

ص: ٤٥٩

الصوره

□

ص: ٤٦٠

فهرست الايات القرآنيه

الصوره

□

ص: ٤٦١

الصوره

□

ص: ٤٦٢

فهرست الاحاديث

الصوره

□

ص: ٤٦٣

الصوره

□

ص: ٤٦٤

الصوره

□

ص: ٤٦٥

الصورة

□

ص: ٤٦٦

الصوره

□

ص: ٤٦٧

فهرست الموضوعات

الصوره

□

ص: ٤٤٨

الصوره

□

ص: ٤٦٩

الصوره

□

ص: ٤٧٠

الصوره

□

ص: ٤٧١

الصوره

□

ص: ٤٧٢

الصوره

□

ص: ٤٧٣

الصورة

□

ص: ٤٧٤

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع :: www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

